المغني
في معرفة الأسباب
تأليف
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الأول

المغني في معرفة الأسباب

الدكتور عبدالله خضر حمد

باحث عراقي

الجزء الأول

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع هذا الكتاب من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال الكتاب بأحدث نسخة وبصيغة(word)إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}

[المجادلة : ١١]

الإهداء

إلى زوجتي الغالية...
إلى أطفالي....
أقدم هذا الجهد المتواضع.

د. عبدالله خضر

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
التمهيد : مهاد عام في علم أسباب النزول	
أولا:- أسباب النزول لغة واصطلاحا:	
ثانيا:- نشأة علم أسباب النزول	
ثالثاً:- أقسام أسباب النزول	
رابعا:- طريق معرفة سبب النزول	
خامسا:- فوائد معرفة سبب النزول	
سادسا:- بيان مناط الاستدلال	
سابعا:- أسباب النزول مناطها الرواية والسَّماع	
ثامنا:- تعدد أسباب النزول	
الجزء الأول: أسباب نزول القرآن الكريم من "سورة الفاتحة" إلى نهاية "سورة الأنعام"	
الجزء الثاني: أسباب نزول القرآن الكريم من "سورة الأعراف" إلى نهاية "سورة الناس"	
الخاتمة	
المصادر والمراجع	

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن أسباب النزول مِن مباحث عُلوم القرآن، وهو علم جليل؛ إذ عليه يَدور قُطب علم التفسير، ويقوم المفسرون بإيراد سبب النزول عند تعرُّضهم لتفسير الآيات؛ حيث إن العلم بالسَّبب يورث العلم بالمسبِّب. ونورد عددًا من المسائل المتعلقة بهذا الجانب من علوم القرآن.

فكما هو معلوم بأن العلوم الدينية كثيرة ومتنوعة، منها أساب النزول، وهو العلم الذي سيقوم عليه هذا البحث، وهو مرتبط بالجانب التاريخي؛ لأن الآيات القرآنية لم تنزل على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- في وقت واحد- بل كانت تنزل عليه في فترات زمنية متفرقة، وسيقف الباحث في هذا البحث على هذه الأمور ليكشف عن الأحداث التاريخية ، والوقائع التي كانت من دواعي نزول النص القرآني ، فالنظر في القرآن الكريم ، ومعرفة ما نزل منه ابتداءً دون ما سابق أثر ، وما نزل منه لسبب سابق ، وما نزل مفصحاً عن السبب، أو مجيباً عنه، أو مبيناً لحكمه، ومدى أخذ واقع الآية وما رافقها من ظروف وأحداث وأشخاص بنظر الاعتبار في مدلولها، كل ذلك وما إليه تكفل ببيانه هذا البحث الذي وسمناه بـ "المغني في معرفة الأسباب".

وأما منهج الدراسة الذي سيتبعه الباحث في بحثه، فهو المنهج التاريخي، لأن الربط بين تاريخ النزول وموضوعاته هو المنهج الذي نجد فيه القدرة على فهم القرآن فهماً قويماً، مؤكدا على ضرورة وجود وحدة تاريخية للسور القرآنية، فلكل سورة قرآنية مدة زمنية تاريخية نزلت فيها بحكم المناسبات التاريخية والتنزيلية، والتي بينت طريقة نزول القرآن الكريم مفرقاً في مدة زمنية طويلة، متزامنة مع تاريخ البعثة المحمدية من أولها إلى آخرها.

وقد اعتمد البحث على كتب التفسير والتأويل وكتب علوم القرآن، وكتب السنة والسنن والسيرة النبوية وغيرها. ومن أبرز تلك المصادر تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، ومن علوم القرآن كتاب أسباب النزول للواحدي، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر.

وقد جاءت هذا البحث في جزأين اثنين بالإضافة إلى تمهيد ومقدمة وخاتمة:

المقدمة: تضمنت موضوع الدراسة ودوافعها ومنهجها.

التمهيد: اختصّ بمهاد عام في علم أسباب النزول ، وذلك من خلال المحاور الآتية:

أولا: أسباب النزول لغة واصطلاحا

ثانيا:- نشأة علم أسباب النزول

ثالثاً:- أقسام أسباب النزول

رابعا:- طريق معرفة سبب النزول

خامسا:- فوائد معرفة سبب النزول

سادسا:- بيان مناط الاستدلال

سابعا:- أسباب النزول مناطها الرواية والسَّماع

ثامنا:- تعدد أسباب النزول

الجزء الأول: اختصّ بأسباب نزول القرآن الكريم من "سورة الفاتحة" إلى نهاية "سورة الأنعام"

الجزء الثاني: تناولنا فيه أسباب نزول القرآن الكريم من "سورة الأعراف"، إلى نهاية "سورة الناس".

الخاتمة: وفيها استظهرنا أهم النتائج التي توصلت إليها البحث.

وختاما... إني إذ أحمد الله على مدده وعونه وتوفيقه، أسأله جل وعلا أن يغفر لي ما في هذا العمل من نقص أو تقصير، فقد اجتهدت وبذلت من الجهد ما أحسب أني قد أديت فيه واجب البحث والدراسة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

التمهيد: مهاد عام في علم أسباب النزول

أولا:- أسباب النزول لغة واصطلاحا:

الأسباب لغة: جمع سبب، والسبب: الحبل، وما يتوصل به إلى غيره، وأعتلاق قرابة، وأسباب السماوات مراقيها أو أبوابها، وقطع الله به السبب أي: الحياة[١].

والسبب: الطريق[٢]، يقال: مالي إليه سبب أي: طريق. وقيل السبب: هو ما يكون طريقاً، ومفضياً إلى الشيء مطلقاً[٣].

وأما **"النزول" لغة:** فمصدر للفعل نزل، و"النون والزاء واللام" كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه[٤].

والنزول: الحلول[٥]، ومنه قوله تعالى: {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ} [الصافات: ١٧٧]، أي: فإذا حل بهم العذاب، ويطلق النزول أيضاً على التحول من علوٍ إلى سفل، يقال: نزل عن الدابة، ونزل في البئر[٦].

والمعنى الأخير أقربها إلى المعنى الاصطلاحي.

أسباب النزول اصطلاحاً:

يعرف سبب النزول بأنه: ما نزلت الآية، أو الآيات، متحدثة عنه، أو مبيّنة لحكمهِ أيام وقوعه[٧].

---

(١) انظر: مختار الصحاح/ الرازي: ١١٩/١، ولسان العرب/ ابن منظور: ٤٥٨/١- ٤٥٩، و القاموس المحيط/ الفيروزآبادي: ١٢٣/١

(٢) العين/ الفراهيدي: ٢٠٤/٧، وأساس البلاغة/ الزمخشري: ٢٨٢/١.

(٣) انظر: الكليات/ لابي البقاء الكفومي: ٧٩٥/١.

(٤) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس: ٤١٧/٥.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ١٣٧٢/١.

(٦) انظر: العين، الفراهيدي: ٣٦٧/٧، وأساس البلاغة، الزمخشري: ٦٢٨/١.

(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١١٥/١، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ٨٠/١، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة: ١٣٢.

فهذا التعريف ينطوي في معناه على أمرين:

الأول: أن تحدث حادثة فيتنّزل القرآن الكريم بشأنها.

الثاني: أن يُسأل الرسول ﷺ عن أمر فينّزل القرآن الكريم بجواب ذلك السؤال وبيان الحكم فيه [١].

أما بالنسبة للقيد الزمني -أيام وقوعه- في تعريف سبب النزول، فيعنى به تلك الظروف التي ينزل القرآن الكريم فيها متحدثاً عن السبب، سواء أكان النزول بعد السبب مباشرة أم بعده بقليل، كما في الآيات المتعلقة بقصة (أهل الكهف)، و(ذي القرنين) فقد كان نزولها بعد خمسة عشر يوماً من سؤال اليهود النبي ﷺ .[٢]

فهذا القيد يعد شرطاً جوهرياً لبيان سبب النزول، وتمييزه عن الآيات التي نزلت إبتداءاً من غير سبب، إخباراً بالوقائع الماضية، أو أنباء الغيب القادمة، أو بيان أحوال القيامة، ووصف الجنة والنار، فقد نزل أكثر ذلك أبتداءاً من غير توقف على سبب . [٣]

أما بالنسبة لتلك الحوادث التي تسببت في نزول الآيات فهي قد تكون من الرسول ﷺ، أو من الصحابة (رضي الله عنهم)، أو من المشركين، أو اليهود، أو المنافقين[٤]، والأمثلة على ذلك كثيرة كما سنبينها لاحقا.

فيمكن القول أن سبب النزول هو: حادثة أو مشكلة وقعت في عصر التنزيل، استدعت نزول آيات كريمة بشأنها، أو سؤال وجه إلى النبي ﷺ فنزل القرآن الكريم بجواب ذلك السؤال، وإن علم أسباب النزول هو: إدراك ما نزلت الآية أو الآيات بسببه.

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٦٨، ومباحث في علوم القرآن والحديث/ عبد المجيد مطلوب: ٥٨- ٥٩.

(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة: ١٣٣، وفصول في علوم القرآن، عدنان زرزور: ١٥.
وسبب نزول هذهِ الآيات من سورة الكهف أن قريشاً بعثت النظر ابن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة ليسألوهم عن النبي ﷺ، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاثة، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ورجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح، فجاءوا رسول الله ﷺ وسألوه، فقال: أخبركم غداً ولم يستثن، فمكث الرسول ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياً، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه، وخبر ما سألوه عنه. انظر: لباب النقول في أسباب النزول/ السيوطي: ١٤٣/١.

(٣) انظر: علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر: ٤٦.

(٤) انظر: دراسات في علوم القرآن، د.فهد الرومي: ١٣٦.

ثانيا:- نشأة علم أسباب النزول

إن علم أسباب النزول بدأ بروايات متفرقة لا يضمها اسم، ولا يجمعها كتاب، فلم يزل ينمو ويتطور حتى انتهى به المآل إلى الحال التي هو عليها الآن مروراً بالمراحل الآتية[1]:

١- عهد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -:

ارتبط هذا العلم في بداياته الأولى بالوحي الإلهي الذي كان ينزل به جبريل - عليه السلام - من رب العالمين - جل وعلا - على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على إثر حادثة تحدث، أو سؤالٍ يُسأل، أو مقالةٍ تقال، أو شكاية ترفع فينزل الوحي لبيان هذا الأمر الطارئ، فيحفظ ذلك من حضره من أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويكون ذلك من جملة العلم الذي تلقوه عن نبيهم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لكنه يتميز بأنه أمر حادث يعقبه وحي إلهي ينزل، ويحفظ في الصدور، حيث لم تكن الكتابة آنذاك أسلوباً مستعملاً لعامة الناس، فالصحابة عرب خُلص أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، فكل اعتمادهم على ملكاتهم في الحفظ، وقوة شأنهم فيه، واعتبر ذلك بحالهم في الجاهلية فقد حفظوا أنسابهم، ومناقبهم، وأشعارهم، وخطبهم.

فكانت هذه الصدور الحافظة مهداً لآي الذكر الحكيم، وكانت هذه القلوب الواعية أوعية لحديث النبي الكريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

٢- عهد التابعين قبل تدوين السنة:

لقد انتهى العهد النبوي الشريف بموت المصطفى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحمل الراية بعده أصحابه الكرام، حيث نذروا أنفسهم لتبليغ الدين بكل ما يستطيعون من قول أو عمل أو جهاد أو بذل، فكان التابعون يقصدون أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأخذ العلم عنهم بالسؤال تارةً، وبصحبتهم وسماع ما يروون تارةً، وكان هذا العلم من جملة ما حفظه التابعون عن أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - واشتهر لبعض الصحابة رواة وتلاميذ يأخذون عنهم، ويروون علمهم فهذا عبد اللَّه بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وتلاميذه زر بن حبيش وأبو وائل شقيق بن سلمة، وعلقمة، والأسود، وغيرهم، وهذا عبد اللَّه بن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وتلاميذه سعيد بن جبير، وعطاء ابن أبي رباح، وطاووس بن كيسان اليماني وغيرهم، وهذه أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وتلاميذها كمسروق، وعروة بن الزبير، وأبي سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم، وقد نُقل هذا العلم في هذه المرحلة بطريق التلقي والحفظ في الصدور أيضاً.

---

(١) انظر: المحرر في اسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة: ٣٨/١ وما بعدها[بتصرف].

٣- عهد تدوين السنة:

التدوين على نحو محدود كان موجودًا حتى على عهد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولهذا كتب رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كتابه الشهير لعمرو بن حزم، وأذن للصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أن يكتبوا لأبي شاه، وكذلك على عهد الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كما كتب أبو بكر لأنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كتابًا في شأن زكاة بهيمة الأنعام، واستمرت الحال كذلك على نحو فردي، حتى جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ورأى الحاجة داعيةً إلى تدوين الأحاديث وكتابتها، فكتب بذلك على رأس المائة الأولى إلى عامله وقاضيه على المدينة أبي بكر بن حزم: (انظر ما كان من حديث رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاكتبه فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء) وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، وممن كتب إليه بذلك محمد بن شهاب الزهري ومن هذا الوقت أقبل العلماء على كتابة السنن وتدوينها، وشاع ذلك في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، فكتب ابن جريج بمكة (١٥٠)، وابن إسحاق (١٥١) ومالك (١٧٩) بالمدينة، والربيع بن صبيح (١٦٠)، وسعيد بن أبي عروبة (١٥٦). وحماد بن سلمة (١٧٦) بالبصرة، وسفيان الثوري (١٦١) بالكوفة والأوزاعي (١٥٦) بالشام، وهشيم (١٨٨) بواسط، ومعمر (١٥٣) باليمن وجرير بن عبد الحميد (١٨٨)، وابن المبارك (١٨١) بخراسان.

وكان معظم هذه المصنفات والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين كما يتجلى لنا هذا في موطأ الامام مالك بن أنس.

٤- عهد تصنيف العلوم:

بعد المرحلة السابقة رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في مؤلفات خاصة، فألفت المسانيد، وهي كتب تضم أحاديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين تجمع فيها أحاديث كل صحابي، ولو كانت في مواضيع مختلفة تحت اسم مسند فلان ومسند فلان وهكذا، وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (٢٠٤ هـ)، كما يعتبر مسند الإمام أحمد بن حنبل - وهو من أتباع أتباع التابعين أوفى تلك المسانيد وأوسعها -.

جمع هؤلاء الأئمة الحديث ودونوه بأسانيده، وذكروا طرقاً كثيرة لكل حديث يتمكن بها جهابذة هذا العلم، وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف والقوي من المعلول.

ثم رأى بعض الأئمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط، وكان أول من صنف ذلك الإمام البخاري (٢٥٦ هـ) ثم الإمام مسلم (٢٦١ هـ).

ثم ظهرت الكتب الأربعة مرتبةً على الأبواب كسنن أبي داود السجستاني (٢٧٥ هـ) وأبي عيسى الترمذي (٢٦٧ هـ)، والنَّسَائِي (٣٥٣ هـ) وابن ماجه (٢٧٣ هـ).

وكانت أسباب النزول القرآني مبثوثة في بطون هذه المؤلفات الضخمة حتى جاءت المرحلة اللاحقة وهي:

٥- مرحلة إفراد أسباب النزول بالتأليف:

فمن أبرز المؤلفات التي أفردت أسباب النزول بشكل مستقل حسب الوفاة، هي على النحو الآتي:

١ – "تفصيل لأسباب التنزيل"، عن ميمون بن مهران ت (١١٧ هـ) مخطوط.

٢ – "أسباب النزول"، لعلي بن المديني ت (٢٣٤ هـ).

٣ – "القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن"، للمحدث القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ت (٤٠٢ هـ) في نحو مائة جزء ونيف.

٤ – "أسباب النزول"، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت (٤٦٨ هـ).

٥ – "أسباب النزول والقصص الفرقانية"، لأبي المظفر محمد بن أسعد العراقي الحنفي الحكيمي ت (٥٦٧ هـ) وهو كتاب يخلو من الأسانيد تماماً.

٦ – "الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول"، لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب الطبري الشيعي ت (٥٨٨ هـ).

٧ – "أسباب النزول"، لأبي الفرج ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ).

٨ – "أسباب نزول الآي"، للأرتقي ت (٦١٩ هـ). وهو مختصر كتاب الواحدي.

٩ – "عجائب النقول في أسباب النزول"، لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري ت (٧٣٢ هـ) ذكر السيوطي أنه اختصره من كتاب الواحدي، فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً.

١٠ – "سبب النزول في تبليغ الرسول"، لابن الفصيح: فخر الدين أحمد بن علي بن أحمد الكوفي ت (٧٥٥ هـ).

١١ – "رسالة في أسباب النزول"، لعلي بن شهاب الدين حسن بن محمد الهمذاني ت (٧٨٦ هـ).

١٢ – "العجاب في بيان الأسباب"، للحافظ ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ).

١٣ – "مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن"، للقاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري الخليلي المقدسي الشافعي ت (٨٧٦ هـ).

١٤ – "لباب النقول في أسباب النزول"، للحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١١ هـ).

١٥ – "إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ المتشابه وتجويد القرآن"، لعطية اللّه بن عطية البرهاني الشافعي الأجهوري ت (١١٩٠ هـ).

١٦ – "أسباب التنزيل"، لأحمد بن علي بن أحمد بن محمود الحنفي (مجهول الوفاة).

١٧ – "أسباب النزول"، لعبد الجليل النقشبندي.

أما الكتب الحديثة التي تناولت أسباب النزول فمنها:

أ – "أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين"، تأليف: عبد الفتاح القاضي.

ب – "الصحيح المسند من أسباب النزول"، للشيخ مقبل الوادعي.

جـ - "أسباب النزول القرآني"، للدكتور غازي عناية.

د – "أسباب نزول القرآن"، للدكتور حماد عبد الخالق حلوة.

هـ- "أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص"، للدكتور عماد الدين محمد الرشيد.

و-"تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول الجامع بين روايات الطبري والنيسابوري وابن الجوزي، والقرطبي وابن كثير والسيوطي"، تصنيف الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

ز – "أسباب النزول وأثرها في التفسير"، رسالة جامعية لم تطبع بعد للدكتور عصام الحميدان.

ح – "أسباب النزول"، للدكتور الشيخ جمعة سهل. رسالة جامعية لم تطبع بعد.

أما المؤلفات التي تناولت أسباب النزول ضمن موضوعات عديدة فمنها:

أ – "البرهان في علوم القرآن"، للإمام بدر الدين محمد بن عبد اللّه الزركشي ت (٧٩٤ هـ).

ب – "الإتقان في علوم القرآن"، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

جـ -"مناهل العرفان في علوم القرآن"، للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني.

د – "المدخل لدراسة القرآن الكريم"، للشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة.

هـ - "مباحث في علوم القرآن"، للدكتور مناع بن خليل القطان.

و-"مباحث في علوم القرآن"، للدكتور صبحي الصالح.

ز – "دراسات في علوم القرآن الكريم"، للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي.

وبهذا نصل إلى آخر العتبات التاريخية التي انتهى إليها علم أسباب النزول في نشأته وتطوره، على أن كل مرحلتين متتاليتين بينهما قدر من التداخل والمخالطة.

مصادر أسباب النزول

وهي المؤلفات التي روت أسباب النزول، سواءٌ أكانت مرويةً بأسانيدها كما في أكثر المؤلفات أم بغير أسانيد كما في بعضها الآخر، وتعتبر مرجعا رئيسًا في أسباب النزول.

وهذه المؤلفات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مصادر رئيسة:

الأول: كتب السنة. وهي أنواع المصنفات في الحديث النبوي. مثل:

١ - الموطأ للإمام مالك[١]

(١)المؤلف: إمام دار الهجرة، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحِمْيري الأصبحي، أبو عبد اللَّه، ولد سنة ثلاث وتسعين، وطلب العلم وهو حدث فأخذ عن خلق كثير، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة تسع وسبعين ومائة، وله من العمر ست وثمانون سنة.

الكتاب: الموطأ.

هذا الكتاب ألفه مالك في الحديث على طريقة الأبواب، ولم يلتزم قصره على الأحاديث المرفوعة إلى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بل أضاف إليه أقوال الصحابة، وفتاوى التابعين.

وحين البداءة بالموضوع يقدم حديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم ما ورد من أقوال الصحابة، ثم ما ورد من فتاوى التابعين، وغالبًا يكونون من أهل المدينة، وأحيانًا يذكر ما عليه العمل أو الأمر المجمع عليه بالمدينة وقد يذكر بعض آرائه الفقهية، ومع هذا فصبغة الكتاب حديثية لا فقهية كما أنه - رحمه الله - لم يتقيد بالمسند المتصل، بل ذكر فيه حتى المرسل والمنقطع والبلاغات، وهي ما يقول فيها مالك: بلغني أو نحوه من غير أن يعين من روى عنه.

وقد روي أن عبد العزيز بن عبد اللَّه الماجشون سبق مالكًا فعمل كتابًا ذكر فيه ما اجتمع عليه أهل المدينة وأنه عمل ذلك كلامًا وآراء بغير حديث، فلما رآه مالك نظر فيه وقال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا الذي عملت لابتدأت بالآثار، ثم شددت ذلك بالكلام، ويظهر أن هذا هو الذي قوّى عزمه على إخراج كتابه كما أراد.

وقد اختلف في سبب تسميته (الموطأ) فقيل: إن مالكاً قال: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ.

وقيل: لأنه بصنيعه هذا قد وطأ العلم والحديث ويسرهما للناس.

وقد روي الموطأ بروايات مختلفة تختلف في ترتيب الأبواب، وفي عدد الأحاديث، وقد ذكر القاضي عياض أن الذي اشتهر من نسخ الموطأ نحو عشرين نسخة، وذكر بعضهم أنها ثلاثون.

والذي يظهر أن سبب الاختلاف يرجع إلى أن الإمام مالكًا كان دائم التهذيب والتنقيح لموطئه وحذف بعض الأحاديث، والذين سمعوا الموطأ سمعوه في أزمان مختلفة، فكان من ذلك الاختلاف في النسخ.

٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل[١]

وقد اختلف في عدد أحاديث الموطأ نتيجة لاختلاف النسخ.

أما درجة أحاديثه فمن أهل العلم من قدمه على الصحيحين كأبي بكر بن

العربي ومنهم من جعله في مرتبة دون الصحيحين كابن الصلاح في مقدمته، وقال به ابن حزم وبعض المتأخرين يسوي بين موطأ مالك والصحيحين في الصحة.

وقد اختصر الموطأ: الإمام الخطابي حمْد بن محمد البستي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ. وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ، وابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ.

أما شروحه فكثيرة أجلها وأوسعها "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

وقد شرحه أيضا أبو محمد عبد اللّه بن محمد النحوي البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ.

وكذا القاضي ابو بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ، وسماه (القبس).

وممن شرحه الجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، وسمى شرحه (كشف المغطا في شرح الموطأ).

وكذا شرحه ولي اللّه الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم المتوفى سنة ١١٧٦ هـ، وسماه (المصفّى).

أما أسباب النزول في الموطأ فهي قليلة، والموجود منها متفرق في أجزاء الكتاب.

(١)المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي هو الإمام حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا، ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وطلب الحديث وهو ابن خمس عشرة سنة، عدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مائتان وثمانون ونيف، امتحن في فتنة القول بخلق القرآن، وعُذب على ذلك، فصبر ولم يجبهم، كانت وفاته - رحمه الله - في ربيع

الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين.

الكتاب: المسند.

المسند في اصطلاح المحدثين هو الكتاب الذي جمعت فيه أحاديث كل صحابي على حدة من غير نظر إلى وحدة الموضوع، فحديث صلاة بجانب حديث زكاة وهكذا، فإذا فرغ من حديث الصحابي أخذ في حديث غيره حتى يتم الكتاب.

وقد اختلف أصحاب هذه الطريقة في ترتيب الصحابة، فمنهم من يرتبهم على حسب الفضل بأن يبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ثم بمن بعدهم كما فعل الإمام أحمد، ومنهم من يرتبهم على حروف المعجم كما فعل الطبراني في المعجم الكبير ومنهم من يرتبهم حسب القبائل.

وقد انتقى الإمام مسنده من ألوف الأحاديث التي كان يحفظها ويرويها وقد قال أبو موسى المديني: (هذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة فجعله إماماً، ومعتمداً، وعند التنازع ملجأ ومستنداً، ثم روى بسنده عن حنبل بن إسحاق قال: جمعنا عمي أنا وصالح وعبد الله، وقرأ علينا المسند،

وما سمعه منه تاماً غيرنا، وقال لنا: إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا فليس بحجة).

أما عدد أحاديثه فما بين ثلاثين وأربعين ألفاً، ومن هذه الألوف ما يزيد على ثلاثمائة حديث ثلاثية الإسناد أي بين الرسول فيها والإمام ثلاثة رواة.

وقد زاد على المسند عبد الله بن الإمام، وتلميذه أبو بكر القطيعي لكنهما لم يلتزما فيما زاداه ما التزمه الإمام من شدة التحري والتثبت، فمن ثمَّ وجد في المسند أحاديث ضعيفة.

أما درجة أحاديثه ففيه الصحيح، والحسن والضعيف، والمنكر، بل والموضوع على ندرة جدا، كأحاديث فضائل مرو، وعسقلان، والبرث الأحمر عند حمص كما نبه عليه طائفة من الحفاظ.

وسبب وجود الموضوعات في المسند يعود إلى أمور:

الأول: أن الإمام أحمد كان ينوي تهذيب الكتاب وتنقيحه، لكن حلت به المنية قبل حصول الأمنية.

الثاني: التساهل في رواية الفضائل فقد روي عنه قوله: (نحن إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل تساهلنا) ولا يعني هذا إخراج الموضوعات لكن النظر يختلف في تحديد الموضوع من الضعيف عند العلماء.

الثالث: ما زاده ابنه عبد اللّه، وأبو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات أحاديث كثيرة موضوعة.

وقد اختصره زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي وسمى مختصره: (در المنتقد من مسند الإمام أحمد) وكذا اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٤ هـ.

أما ترتيبه: فقد قام به أبو بكر محمد بن المحب الصامت فرتبه على معجم الصحابة ورتب الرواة كذلك كترتيب كتب الأطراف، ثم أضاف ابن كثير لهذا الترتيب أحاديث الكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى الموصلي إلا مسند أبي هريرة فإنه مات قبل إكماله.

قال ابن الجزري: (وقد بلغني أن بعض فضلاء الحنابلة بدمشق رتبه على ترتيب صحيح البخاري وهو الشيخ أبو الحسن علي بن زكنون الحنبلي).

وقد قيض الله لترتيب المسند في القرن الهجري الأخير أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي وقد قسمه سبعة أقسام وفق الترتيب التالي: -

١ - التوحيد وأصول الدين. ٢ - الفقه. ٣ - التفسير. ٤ - الترغيب.

٥ - الترهيب. ٦ - التاريخ ويدخل فيه السير والمناقب. ٧ - القيامة وأحوال الآخرة وكل قسم من هذه الأقسام السبعة يشتمل على جملة كتب، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبواب، وبعض الأبواب يندرج فيه جملة فصول. وسمى ترتيبه هذا (الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني).

أما شروحه: فقد شرحه شرحًا وجيزًا أبو الحسن بن عبد الهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٨ هـ. كتعليقاته على كتب الحديث الستة.

٣ - المسند الجامع للدارمي[١]

٤ - صحيح البخاري[٢]

وكذلك الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي وهو شرح وجيز على كتابه الجليل (الفتح الرباني) سماه (بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني).

أما أسباب النزول في المسند فهي كثيرة لكنها مفرقة في نواحيه لأنه مرتب على المسانيد.

(١)المؤلف: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد اللَّه أبو محمد التميمي ثم الدارمي السمرقندي. طوّف أبو محمد الأقاليم، وصنف التصانيف، يضرب به المثل في الديانة، والحلم، والرزانة، والاجتهاد والعبادة، كانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائتين يوم التروية بعد العصر، ودُفن يوم عرفة يوم الجمعة وهو ابن خمس وسبعين سنة - رحمه اللَّه تعالى -.

الكتاب: المسند الجامع.

اعتنى الدارمي في كتابه بإخراج حديث رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وآثار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة أهل العلم في الفقه والزهد ومسائل الفروع وبيان اختلافهم وأدلة مذاهبهم، ولم يقتصر على ما صح عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

سندًا ومتنًا، لكنه أخرج في المقدمة شيئًا مرفوعًا إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليس من وجه صحيح.

وبكل حال فإن غالب ما في الأصول أحاديث صحيحة أو حسنة، والأحاديث الضعيفة غالباً ما تكون في الفضائل والترغيب والترهيب، وربما يوردها في الشواهد والمتابعات.

كما أن المصنف إذا أورد الحديث علق عليه بفائدة فقهية، أو بيان مذهبه، أو قول الأئمة فيه، أو يعدل أو يجرح أحد رواته، أو يذكر اختلاف الحفاظ في إسناده باتصال أو انقطاع.

ومن الملاحظ أيضا أنه رتب كتابه على أبواب الفقه، لكن جعل له مقدمة ضمنها خمسة عشر باباً في فضائل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومعجزاته، ثم أتبع تلك المقدمة بأبواب العلم ذكر فيها ستة وخمسين بابًا ... وهكذا.

وله في كتابه أربعة عشر حديثاً ثلاثيًا إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

أما أسباب النزول في هذا المسند فليست كثيرة كما أنها مفرقة في نواحي الكتاب.

(٢)المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدزَبة وهي لفظة بخارية معناها الزراع، ولد أبو عبد اللَّه في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، روى عن ألف وثمانين شيخًا، وكانت وفاته - رحمه اللَّه تعالى - سنة ست وخمسين ومائتين.

الكتاب: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسننه وأيامه.

جمع الإمام الحافظ البخاري كتابه في الأحاديث الصحيحة عن

رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد أن كان الأئمة يجمعون في مؤلفاتهم بين الصحيح والحسن والضعيف وكان الحامل له على هذا العمل قوله: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم مختصراً لصحيح سنة رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: فوقع في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح.

وقد مكث في تأليفه ست عشرة سنة، وانتقاه من ستمائة ألف حديث.

ولئن كان الكتاب حديثياً فإنه مع هذا لم يخل من الفوائد الفقهية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب كتابه، ففقهه يتجلى في تراجمه، ولذلك قيل: (فقه البخاري في تراجمه). وقد قسم البخاري كتابه إلى كتب والكتب إلى أبواب، فعدة كتبه (٩٧) كتاباً وعدة أبوابه (٣٤٥٠) باباً.

ومما ينبغي أن يعلم أن النسخ كما اختلفت في تقديم بعض الكتب والأبواب على بعض اختلفت في اعتبار بعض الكتب أبواباً وبعض الأبواب كتباً كما يعلم ذلك من مراجعة متن البخاري المطبوع وكتب الشروح، كما أنه يقع في كثير من أبوابه أحاديث كثيرة، وفي بعضها حديث واحد، وفي بعضها آية، وبعضها لا شيء فيه ألبتة، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً، وغرضه أن يبين أنه لم يصح عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه.

وقد جرى البخاري في صحيحه على تكراره لبعض الأحاديث، وتقطيعه لها، واختصارها في الأبواب المختلفة.

فأما تكراره فلمعانٍ وفوائد متعددة منها:

١ - أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر ليخرج الحديث عن حد الغرابة.

٢ - تكثير الطرق بأن يورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى فيزداد الحديث صحة وقوة.

٣ - إزالة الشبهة عن ناقليها وذلك في الأحاديث التي يرويها بعض الرواة تامة وبعضهم مختصرة.

ومنها: أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال، ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد المرسل لينبه على عدم تأثيره.

ومنها: أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك.

ومنها: أنه ربما أورد حديثًا عنعنه راويه فيورده من طريق أخرى مصرحًا فيها بالسماع، وأما تقطيعه للحديث فللأسباب التالية:

١ - لأنه إن كان المتن قصيرًا أو مرتبطًا بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدًا فإنه يعيده بحسب ذلك.

٢ - إن كان المتن مشتملاً على جمل متعددة لا تعلق لإحداها بالأخرى يخرج كل جملة في باب مستقل فرارًا من التطويل وربما نشط فساقه بتمامه.

وأما اقتصاره على بعض المتن ثم لا يذكر الباقي في موضع آخر فإنه لا يقع له ذلك في الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفًا على الصحابي فيقتصر بالنقل على قول صاحب الشرع لأنه موضوع كتابه.

أما المعلقات في صحيحه فمنها ما هو مرفوع ومنها ما هو موقوف، ومنها ما هو بصيغة الجزم كقال وروى، ومنها ما هو بصيغة التمريض كقيل ورُوي.

أما ثلاثيات البخاري فعدتها اثنان وعشرون حديثًا.

أما عدد أحاديثه الموصولة بلا تكرير (٢٦٠٢) حديثًا، وبالمكرر (٧٣٩٧).

أما شروحه فكثيرة أبرزها:

١ - أعلام الحديث لأبي سليمان الخطابي المتوفى (٣٨٨ هـ).

٢ - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لشمس الدين الكرماني المتوفى (٧٨٦ هـ).

٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ) وهو أجمل الشروح مطلقًا.

٥ - صحيح مسلم[١]

---

٤ - عمدة القاري لبدر الدين العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ.

٥ - إرشاد الساري إلى صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني المتوفى (٩٢٢ هـ).

أما أسباب النزول في هذا الكتاب فهي كثيرة وليس لها كتاب يحويها وإنما هي مفرقة بحسب ما يناسبها من الأبواب.

(١)المؤلف: هو الإمام الكبير الحافظ المجود أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري ولد سنة أربع ومائتين، وقد روى عن شيوخ كثر، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور عن بضع وخمسين سنة.

الكتاب: المسند الصحيح.

هو أحد الكتابين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ -، وقد بالغ مسلم في البحث والتحري عن الرجال وتمحيص المرويات وليس أدل على هذا من انتقائه لكتابه من ألوف الروايات المسموعة، روي عنه أنه قال: (صنفت هذا الحديث من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة)، وقد مكث مع بعض تلاميذه خمس عشرة سنة يكتبون ويحررون حتى أتم تأليفه.

ومن خصائص هذا الصحيح أن مؤلفه سلك فيه طريقة حسنة حيث يجمع المتون كلها بطرقها في موضع ولا يفرقها، إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك فلا بد من إعادة الحديث.

ومن هذه الخصائص التدقيق في الألفاظ والمحافظة عليها ما وسعه الأمر، حتى إذا خالف راو غيره في لفظة والمعنى واحد بيّنه، وكذا إذا قال راو حدثنا، وقال آخر أخبرنا بيّن الخلاف في ذلك، وكذا إذا تغايرت الألفاظ يقول: (واللفظ لفلان) أما التحويل: فإنه سلك مسلك الإيجاز في كتابه بالجمع بين المتفق عليه من رجال الأسانيد وذكر غير المتفق عليه من الرجال وهو ما يعرف بالتحويل وقد أكثر مسلم من هذه الطريقة ورمز إلى ذلك بحرف (ح).

ومن خصائصه أن لا يذكر في كتابه إلا الأحاديث المسندة المرفوعة، فلذلك لم يذكر مع الأحاديث المرفوعة أقوال الصحابة والتابعين.

أما التعاليق: فلم يكثر في كتابه من التعليق فليس فيه منها إلا اثنا عشر موضعاً وهي في المتابعات لا في الأصول، ثم هي موصولة من جهات صحيحة في نفس الكتاب. ومن تحريه وورعه أيضاً أنه إذا ذُكر بعض الرواة باسمه من غير نسبته أو بكنيته فإنه يبين نسبته بما يدل على أنه منه.

ولصحيح مسلم مقدمة قيمة عرض فيها لتقسيم الأخبار، وما يخرجه في صحيحه منها وأحوال الرواة، والكشف عن معايبهم، وبيان حرمة الكذب على رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والحث على التثبت في الرواية، وبيان أن الإسناد من الدين إلى غير ذلك.

أما تراجم الكتاب: فينبغي أن يعلم أن مسلماً لم يضع لكتابه تراجم للأبواب وإنما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد في مكان واحد، وأحسن من ترجم لهذه الإمام النووي.

أما عدد أحاديثه فيقال إنها أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات.

٦ - سنن أبي داود[١]

أما شروحه: فمنها (المعلم بفوائد كتاب مسلم) لأبي عبد اللّه محمد بن علي المازري المتوفى سنة ٥٣٦ هـ.

ومنها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ.

ومنها: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.

ومنها: شرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ.

أما مختصراته: فمنها:

١ - مختصر الشيخ أبي عبد اللّه شرف الدين محمد بن عبد الله المرسي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.

٢ - مختصر الشيخ الإمام أحمد بن عمر القرطبي، وله شرح على هذا المختصر سماه المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم.

٣ - مختصر الإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.

وأما أسباب النزول في هذا الكتاب، فليست مجموعة وإنَّمَا مفرقة وفق اختلاف الكتب التي تنتمى إليها.

(١)المؤلف: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الإمام شيخ السنة مقدم الحفاظ أبو داود الأزدي السجستاني محدث البصرة، ولد سنة اثنتين ومائتين، ورحل، وجمع، وصنف وبرع في هذا الشأن، كانت وفاته - رحمه الله - سنة خمس وسبعين ومائتين.

الكتاب: سنن أبي داود.

كانت المؤلفات في الحديث - الجوامع والمسانيد ونحوها - يذكر فيها إلى جانب الأحكام أحاديث الفضائل والقصص والمواعظ والآداب حتى جاء أبو داود فجعل كتابه خاصًا بالسنن والأحكام مع الاستيفاء والاستقصاء.

- ولم يلتزم فيه مؤلفه تخريج الصحيح فحسب بل حتى الحسن لذاته ولغيره والضعيف المحتمل، وما لم يجمع الأئمة على تركه، وأما ما فيه وهن شديد فقد بينه ونبه عليه.

وقد بيّن أبو داود طريقته في سننه وبيان درجة أحاديثها في رسالته التي كتبها إلى أهل مكة جوابًا لهم.

قال ابن القيم عن كتابه: (إنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، وإطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء).

أما عدة أحاديثه فأربعة آلاف وثمان مائة حديث قسمها إلى كتب، والكتب إلى أبواب وعدة الكتب خمسة وثلاثون كتابًا منها ثلاثة كتب لم يبوب فيها أبوابًا، وعدة الأبواب واحد وسبعون وثمان مائة وألف، على أن هذا يختلف باختلاف النسخ.

أما شروحه: فمنها.

١ - معالم السنن لأبي سليمان الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ.

٢ - شرح سراج الدين ابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ فقد شرح زوائده على الصحيحين في مجلدين.

٣ - شرح قطب الدين اليمني الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ في أربعة مجلدات كبار. وغيرها.

أما أسباب النزول هنا فهي مفرقة وفق مناسبات الكتب والأبواب.

٧ - سنن الترمذي[١]

٨ - سنن النَّسَائِي[١]

(١)المؤلف: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الحافظ العلم البارع ابن عيسى السلمي الترمذي ولد في حدود سنة عشر ومائتين، وارتحل فسمع بخراسان والعراق والحرمين، وقد أضر في كبره بعد رحلته وكتابته العلم، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ.

الكتاب: جامع الترمذي.

كتاب الترمذي كبقية كتب السنن لم يلتزم فيه مؤلفه تخريج الصحيح وحده، لكنه يبين عن علته إذا كان معلولاً.

وقد التزم أن لا يخرج في كتابه إلا حديثاً عمل به فقيه أو احتج به محتج، وهذا شرط واسع، وكان من طريقته - رحمه الله - أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق إليه، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه، ولا تكون الطرق إليه كالطريق الأول وإن كان الحكم صحيحاً ثم يتبعه بأن يقول: (وفي الباب عن فلان وفلان) ويعد جماعةً فيهم ذلك الصحابي المشهور وأكثر، وقلما يسلك هذه الطريقة إلا في أبواب معدودة.

قال الذهبي عنه: (إنه يترخص في قبول الأحاديث ولا يشدد، ونَفَسُه في التضعيف رخْوٌ).

وكتاب الترمذي يتميز بأمور:

الأول: من جهة حسن الترتيب وعدم التكرار.

الثاني: من جهة ذكر مذاهب الفقهاء ووجوه الاستدلال لكل أحد من أهل المذاهب.

الثالث: من جهة بيان أنواع الحديث من الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل.

الرابع: من جهة بيان أسماء الرواة وألقابهم وكناهم ونحوها من الفوائد، وفي آخره كتاب العلل، وفيه من الفوائد الحسنة ما لا يخفى على الفطن.

وللترمذي ثلاثي واحد بينه وبين رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثلاثة رواة.

أما شروحه فمنها:

عارضة الأحوذي على الترمذي لأبي بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ.

ومنها شرح أبي الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري الشافعي المتوفى سنة ٧٣٤ هـ.

بلغ فيه نحو ثلثي الجامع ولم يتم، ثم كمله الحافظ زبن الدين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ.

ومنها: شرح الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ وغيرها كثير.

أمّا مختصراته:

فمنها مختصر الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل الميالسي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ.

ومنها: مختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٠ هـ.

أما أسباب النزول هنا فهي مفرقة، وعدد لا بأس به منها موجود في أبواب تفسير القرآن.

٩ - سنن ابن ماجه[٢]

---

(١)المؤلف: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النَّسَائِي أبو عبد الرحمن الإمام الحافظ الثبت، ناقد الحديث، ولد بنَسَا في سنة خمس عشرة ومائتين، وطلب العلم في صغره، وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان ونقد الرجال، وحسن التأليف، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ثلاث وثلاثمائة.

الكتاب: المجتبى من السنن.

ألف النَّسَائِي كتابه (المجتبى) مقتصرًا فيه على الصحيح، وذلك بعد أن أهدى كتابه (السنن الكبرى) إلى أمير الرملة، فسأله: هل كل ما فيها صحيح؟ فقال: فيها الصحيح والحسن وما يقاربها، فقال له: ميز لي الصحيح من غيره، فصنف كتابه السنن الصغرى وسماه المجتبى من السنن، وكتاب السنن مرتب على الأبواب الفقهية كبقية كتب السنن.

وكان النَّسَائِي متشددًا في نقد الرجال، مبالغًا في التحري، فمن ثم قال العلماء إن درجة السنن الصغرى بعد الصحيحين لأنها أقل السنن بعدهما ضعيفا، وليس بقليل من يفضل المجتبى على سنن أبي داود.

وسنن النَّسَائِي (المجتبى) اشتمل على الصحيح والحسن والضعيف لكنه قليل بالنسبة إلى غيره.

وأما ما ذكره بعض أهل العلم من أن كل ما في السنن صحيح فتساهل صريح وقول غير دقيق ولذا قال ابن كثير: (فيه رجال مجهولون إما عيناً وإما حالاً، وفيهم المجروح، وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة).

وهذه السنن الصغرى هي التي عدت من الأصول المعتمدة عند أهل الحديث ونقاده، وأما سننه الكبرى فكان من طريقته فيها أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه.

أما شروحه:

فمنها زهر الربى على المجتبى لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، وهو إلى التعليق أقرب منه إلى الشرح.

ومنها: تعليق أبي الحسن السندي المتوفى ١١٣٨ هـ.

أما أسباب النزول عند النَّسَائِي ففي سننه الكبرى جمعها في كتاب التفسير، وفي المجتبى فرقها من نواحيه، ولم يضع فيه كتابًا للتفسير.

(٢)المؤلف: محمد بن يزيد ابن ماجة، أبو عبد الله القزويني، حافظ قزوين في عصره، ولد سنة تسع ومائتين، ارتحل إلى العراقين، ومكة والشام ومصر والري لِكَتْبِ الحديث، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

الكتاب: سنن ابن ماجه.

هذا الكتاب رابع كتب السنن المشهورة بالأربعة وقد رتبه مؤلفه على الكتب والأبواب، وقد ذكروا أن كتبه اثنان وثلاثون كتاباً، وجملة أبوابه ألف وخمسمائة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث، وهي مرتبة ترتيباً فقهيًا، وقد بدأ كتابه بباب اتباع سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وهذه السنن متخلفة عن باقي السنن في الرتبة لكثرة الأحاديث الضعيفة فيها حتى قال المزي: (إن كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف).

أما شروحه: فمنها الديباجة لكمال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ.

الثاني: كتب التفسير:

لا شك أن كتب التفسير عمومًا، والتي تعنى بالتفسير بالمأثور خصوصًا لها النصيب الأوفى في إيراد أسباب النزول عند تفسير الآيات، ولبعض هذه المؤلفات التصاق أكبر بأسباب النزول من غيرها، ومن ابرز كتب التفسير احتواءً لأسباب النزول:

١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري[١]

ومنها: ما تمس إليه الحاجة على سنن ابن ماجه لسراج الدين بن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ.

أما أسباب النزول عند ابن ماجه فهي قليلة كما أنها مفرقة في نواحي الكتاب.

(١)من منهج الطبري أنه يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وباللغة.

وله عناية فائقة في القراءات فيوردها، ويرجح بينها، وليس بغريب أن يكون كذلك لأنه من علماء القراءات المشهورين.

كما أنه يورد أقوال الفقهاء في آيات الأحكام، وينفرد أحيانًا ببعض الآراء مؤيدًا قوله بالدليل..

ومن منهجه مناقشة المسائل النحوية بعد إيرادها والأقوال فيها، وكثيرًا ما يورد الأعاريب في مواضع من الآيات ويستشهد لما يذهب إليه بالشعر الجاهلي والإسلامي، ولتفسير الطبري مزايا، وعليه مآخذ.

فمن مزاياه:

١ - الالتزام بأحسن طرق التفسير من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، وتابعيهم.

٢ - جمع أقوال أعلام المفسرين من السلف والاحتفاظ بخلاصة تفاسير مأثورة سابقة، فقدت، وضاعت أصولها.

٣ - ذكر أسانيد الروايات المأثورة ولو تعددت طرقها، وهذا ضروري للحكم على هذه الأحاديث، ولو لم يذكر الأسانيد ما أمكن ذلك.

٤ - جمعه بين الأثر والنظر، والمنقول والمعقول.

٥ - ذكر أقوال المخالفين وأدلتهم، وهذا من الإنصاف والموضوعية.

٦ - ترجيح الراجح من الأقوال في تفسير الآية، وذكر أسباب الترجيح، وعدم ترك القارئ حيران في متاهات الاختلاف.

٧ - تقرير قواعد وأسس التفسير المنهجية، سواءً في بداية تفسيره أم في أثنائه.

أما المآخذ عليه فمنها:

١ - عدم نقد الروايات والطرق والأسانيد التي يوردها، وعدم الحكم عليها.

٢ - الخوض في (مبهمات القرآن) ومحاولة تفسيرها من الإسرائيليات التي لم تصح.

٣ - عدم إسناد القراءات إلى أصحابها من القراء المشهورين وعدم التمييز بين الصحيح والشاذ.

٤ - وجود الجمل الكثيرة المعترضة في الصياغة مما يكلف القارئ (في) إعادة الضمائر في الجمل، وربط الجمل بعضها ببعض.

٢ - تفسير ابن أبي حاتم[١]

٣ - تفسير الثعلبي[٢]

٤ - تفسير البغوي[٣]

٥ - تفسير ابن كثير[٤]

---

(١)وهذا الكتاب قد تميز بأمور:

١ - أنه جمع بين دفتيه تفسير الكتاب بالسنة وآثار الصحابة والتابعين بالإسناد.

٢ - أنه ذكر روايات كثيرة لا توجد عند غيره، وبأسانيده هو.

٣ - أنه حفظ لنا كثيرًا من التفاسير المفقودة مثل تفسير سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وغيرهما.

٤ - أنه مصدر أصيل معتمد لدى جمهور علماء التفسير في كل العصور بعده، ولهذا نجد معظم التفاسير تنقل عنه كثيرًا من الآثار والروايات التي سردها.

أما أسباب النزول فهي كثيرة في تفسيره، فإن ذكر آية لها سبب ذكره ضمن الروايات فيها.

(٢) الثعلبي في تفسيره له عناية في اللغة وأصولها، وتصاريفها ويستشهد على قوله بشعر العرب، وكان يتوسع في الأحكام الفقهية، وخصوصًا مذهب الشافعي.

كما كان مولعاً بالأخبار والقصص ولهذا يتوسع في ذكر الإسرائيليات بدون تعقب أو تنبيه كما كان ينقل ما وجد في كتب التفسير حتى من الموضوعات.

وكان يذكر القراءات في الآية ويعتني بتوجيهها، والاستدلال لها.

أما أسباب النزول فكان يعتني بسردها، دون عزو أو إسناد كما أنه لا يتعقبها بالتعليق.

(٣) منهجه في كتابه: الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

أما الأحاديث الموضوعة فقد نفاها من كتابه، وكذلك البدع التي ملأ الثعلبي بها كتابه.

أما أحاديث بني إسرائيل فقد اجتنب أكثرها لكنه مع ذلك روى بعضها، وهي في تفسيره أقل من غيره.

كما أن عنايته باللغة والنحو عناية يسيرة سريعة، وإن عرضها كان عرضه إياها موجزًا ومختصرًا.

أما القراءات فله حظ فيها، فكان يفصل فيها، ويبسطها، ويذكر الفرق بين القراءتين.

وكان يذكر المسائل الفقهية، ويعتني بها، ولعل ذلك يعود لكونه من فقهاء الشافعية.

وكان يبين في أوائل السور المكي والمدني، ويعتمد في ذلك على المأثور، وأحيانًا يرجح ويختار، وأحيانًا يدع الأمر مرسلاً بلا تحديد.

أما أسباب النزول فله بها عناية لاعتماده على المأثور في التفسير، مع ما للأسباب من أثر بيِّن في بيان المعنى، وهي كثيرة في تفسيره.

وبالجملة فكتاب البغوي يغلب عليه النقل، ويقل فيه الترجيح والنقد.

(٤) من مميزات الكتاب:

١ - اختار أن يفسر القرآن بالمأثور وهذه الطريقة من أحسن الطرق في التفسير.

٦ - الدر المنثور للسيوطي[١]

الثالث: كتب أسباب النزول، ومن أبرزها:

١ - أسباب النزول للواحدي[٢]

---

٢ - سلامة المعتقد في باب الأسماء والصفات، فقد خلا تفسيره من البدع.

٣ - عنايته بنقد الأسانيد، وهذا قليل وجوده في كتب التفسير.

٤ - عدم استطراده في المباحث التي لا تمس التفسير.

أما أبرز المآخذ فمنها:

١ - أنه حفل بالكثير من الإسرائيليات.

٢ - أنه يحشد أعدادًا كبيرة من الأحاديث بأسانيدها في المعنى الواحد وهذا يبلبل القارئ.

.

(١)هذا الكتاب اختصره المؤلف من كتاب آخر أوسع منه وهو (ترجمان القرآن) ساق فيه التفسير بالأسانيد، فلما رأى الهمم عن تحصيله قاصرة والرغبة في الاقتصار على متون الأحاديث وافرة لخصه في كتابه الدر المنثور، وهذا الكتاب يحوي بين دفتيه الروايات المأثورة من كتب الحديث الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمصنفات، وكتب التفسير.

ولم يقتصر كتابه على الصحيح من الروايات بل أورد فيه الضعيف والموضوع والإسرائيليات.

وأما أسباب النزول في كتابه فهي كثيرة ضرورة كثرة المرويات، لكنها بحاجة إلى دراسة نقدية في أسانيدها ومتونها والله أعلم.

.

(٢)أنه رتب الآيات على ترتيب المصحف إلا في مواضع نادرة، كما أنه يذكر اسم السورة، وبعد ذكر الآية يتبعها بذكر السبب أو الأسباب، وأحيانًا يذكر السبب بدون ذكر الآية قبله، وأحيانًا يذكر الخلاف في سبب نزول الآية، وقد يعدد الروايات للسبب الواحد، كما أنه أحيانًا يذكر الحديث المتصل والمرسل بالسند، وأحيانًا بغير سند، لكن إسناده للمتصل أكثر من إسناده للمرسل.

أما إسناده القول للمفسرين فتارة يقول قال المفسرون، أو قال أكثر المفسرين أو قال أهل التفسير، أو عند أكثر المفسرين نزلت في كذا، ونحو هذا، وأحيانًا لا يعين المفسرين، بل يقول قال آخرون، وقال قوم، يروى، روي، ومن الكثير عنده أنه لا ينسب السبب لقائله.

كما أنه في بعض المواضع يبين معاني الآيات، كما أنه قد يذكر بعض الفوائد في معاني الأحاديث، وقد يذكر الآية، ويبين معناها من غير ذكر سبب نزولها وقد يعقب على ذكر الحديث الذي رواه بسنده فيقول رواه البخاري أو مسلم أو الحاكم عن فلان.

كما أنه يذكر بعض الروايات على أنها أسباب نزول وليست كذلك.

.

٢ - لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي[١]

ثالثا:- أقسام أسباب النزول :

ينقسم القرآن الكريم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين :

القسم الأول : قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق ، وإرشادهم على الأفضل في هذه الحياة ، وهو كثير ظاهر في القرآن الكريم .

القسم الثاني : قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة وهو موضوع البحث ، وهو كثير في القرآن الكريم ، مثل حديث الإفك ، أو إجابة عن سؤال ، أو بيان لأمر يتعلق بحادثة معينة [٢] .

وقد عَرَّفَ السُّيُوطيُ(ت: ٩١١هـ)أسبابَ النُّزُولِ قائلاً: هو "ما نَزَلتْ الآية أيام وقوعه"[٣]، ويمكن القول بأن هذه الأحداث ليستْ سبباً لنزول الآيات، بل إنَّ الأحداثَ هي التي رافقتْ التَّنزيل اقتضاءً لا ألفاظ القُرْآن الكريم من حيث علاقته بالأحداث، فجاء سَبَب النُّزُول موضِّحاً للآية لا غير.

ويعدّ أسباب النزول ذا طبيعة حديثية، فهو نوع من الرواية الذي يضبطها علم مصطلح الحديث، لذلك وَيَنْبَغِي التَّثبت مِمَّا بلغنا من أسباب وعدم التَّسليم بها دائماً، إذ إنَّ لمنع تدوين الحديث،

---

(١)هذا الكتاب يعد من الكتب الرئيسة في علم أسباب النزول، فقد حوى منها شيئاً كثيراً، واستفاد مؤلفه من كتاب الواحدي الذي سبقه في اقتناص محاسنه وزاد عليها من عنده ومن ذلك:

أ - أنه حفظ في كتابه نصوصًا من كتب مفقودة، فكتابه فيها مرجع أصيل.

ب - حكمه على بعض الأحاديث والآثار بالصحة أو الضعف أو غيرهما.

جـ - نقله لأقوال العلماء في الحكم على بعض الأحاديث والآثار.

د - ذكره لطريق الحديث والأثر مما يعين على الحكم على السبب خاصة إذا كان الكتاب مفقودًا.

هـ - ذكره عدة أسباب لنزول الآية، ومحاولة الجمع بينها.

وتعقيبه على بعض الأقوال العلمية.

ز - ترجيحه واختياره لبعض الأسباب دون بعضها.

حـ - تحديده لظروف نزول الآية هل هي مكية أو مدنية ليلية أو نهارية.

أما ما يلاحظ على كتابه فالآتي:

أ - أنه لم يستوعب جميع الآيات التي ورد فيها سبب نزول.

ب - أنه ذكر بعض الأحاديث والآثار الضعيفة مع أنه أشار في مقدمة كتابه إلى عدم ذكر ذلك.

جـ - في مواضع نادرة لا يرتب الآيات كترتيب المصحف.

(٢) الإتقان – السيوطي – ج١ ص ٢٩ بتصريف ، مناهل العرفان – الزرقاني – ج١ ص ١٠٦ .

(٣) الإتقان: ٩٤/١.

ونَقل المعارف في ثقافة شفوية ـ أي النَّقل بالمعنى ـ كان سبباً رئيساً للوضع والدَّس، ومِنْ ثمَّ فقد كان له الأثرُ الأكبر في تعدّد أسْبَاب النُّزُول وتحديد مصاديق النَّازل فيه. فمصادره الأُولى وآثاره المعرفية قائمة على المشافهةِ والنَّقل، وبما رُوِيَ عن الأجيال الإسلامية الأُولى وما نُسِبَ إليهم من أقوال وآراء...، ويتم ذلك في مستويين هما: مستوى الإسناد ومستوى المتن[1]، وهذا ما يُؤدّي إلى التَّصرف في الرِّواية والنَّقل، وانعكاس ذلك على مفهوم النَّص ودلالته، حَتىَّ عاد لبعض الآيات إذ لم يكن أغلبها أكثر من رواية وأكثر من سبب نُزول.

وقد صَرَّحَ الدّهلويُ (ت: ١١٧٦هـ) بذلك إذ ذكر:"أنَّ للاجتهادِ مدخلاً في هذا القسم الثّاني من أسبابِ النُّزول، وأنَّه يَتَّسعُ لإيراد القصص المتعدّدة. فَكُلُّ من يستحضر هذه النكتة، يستطيع أن يعالج اختلافات أسباب النُّزول بأدنى نظرة وتأمّل"[2]. فضلاً عن دخول الإسرائيليات إلى ساحة التَّفسير، وتضلُّع رجال مِمَّن أُغرِمَ بها وتكلَّف الجمع والإحاطة في كُلِّ ما قِيْل في الآيات، فأورد بذلك الغث والسَّمين والمقبول والمردود، دون تحديد الأسانيد ودرجة قوتها، قال الدهلوي بشأن الكلبي: "وأمَّا إفراط محمد بن إسحاق الكلبي في هذا الباب، حيث أورد تحت كُلِّ آية قصة تروي، أو حكاية تذكر، فإنها لا تصح لدى المحدثين وفي أسانيدها نظر"[3].

والطَّريق الصَّحيح لمعرفة أسْبَاب النُّزُول هو ما كان موثق الصدور بحيث يقطع معه من صحة الحادثة أو متواتراً وإلاّ يجب عرضه على القُرْآنِ الكريمِ، بحيث يكون السَّببُ "مِمَّا يرفع الإبهام عن وجه الآية تماماً، ويحلُّ مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم، على قيد أن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل الرَّشيد. الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحَّة الحديث أيَّاً كان الإسناد.

رابعا: طريق معرفة سبب النزول [4] :

لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح ، ولا مجال للعقل فيه إلا بالتمحيص والترجيح ، قال الواحدي : "لا يحل القول في أسباب نزول القرآن بالرواية والسماع ، إلا ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن عللها" [5] .

---

(١) انظر: أسباب النزول، بسام الجمل: ١٧٥.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير: ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ٦٦.

(٤) مناهل العرفان – الزرقاني – ج١ ص ١٠٦ .

(٥) المدخل لدراسة القرآن – ص ١٣٤-١٣٥ ، مناهل العرفان – ج١ ص ١١٤ .

وعلى هذا فإن رُوي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول ، وإن لم يعزز برواية أخرى ، لأن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه حكمه المرفوع إلى النبي .

وأما ما روي من سبب النزول بحديث مرسل ، أي سقط من سنده الصحابي وانتهى إلى التابعي ، ففي حكمه قولان:

الأول: تقبل بأربعة شروط:

١ – التصريح بالسبب.

٢ – صحة الإسناد.

٣ – أن يكون من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة.

٤ – أن يعتضد برواية تابعي آخر تتوفر فيه هذه الشروط. وهو قول السيوطي وجماعة.

الثاني: لا تُقبل لأنها في حكم الحديث المرفوع وهو مرسل من التابعي، والمرسل لون من ألوان الحديث الضعيف وبالتالي فهو غير مقبول، والله أعلم .

إذن لاتقبل رواية التابعي إلا إذا صح سنده ، واعتضد بمرسل آخر ، وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة مباشرة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير .

خامسا:- فوائد معرفة سبب النزول [١] :

إنَّ لمعرفة أسباب النُزُول الأثر الأكبر في توجيه معاني النَّص القُرْآني وبَيان دلالاته، إذ إنَّه اتّخذ مدخلاً أساسياً من مداخل التَّفسير القُرْآني، وهذا ما حَدَا بالواحديّ (ت: ٤٦٨هـ) إلى أن يتشدد في امتناع فهم الآية إلاّ بمعرفة سبب نزولها، فقال: "... لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نُزُوله"[٢]، فهي بذلك طَّريقَ قوي في فَهْمِ معاني القُرْآن.

ولمعرفة اسباب النزول فوائد كثيرة، نذكر منها:

الفائدة الأولى :معرفة وجهِ الحِكمة الباعثة على تَشريع الحُكم.

الفائدة الثانية :تخصيص الحُكم به عند مَن يرى أن العبرة بخصوص السبب.

(١) انظر بالتفصيل الإتقان – السيوطي – ج١ ص ٢٩ بتصرف ، وانظر المدخل لدراسة القرآن الكريم – أ.د. محمد أبو شهبة – ص ١٣٦-١٣٧ .

(٢) انظر: البرهان للزركشي: ٢٢/١، والإتقان للسيوطي: ٨٨/١.

الفائدة الثالثة :أن اللفظ قد يكون عامًّا ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عُرف السبب قَصُر التخصيص على ما عدا صورته؛ فإن دخول صورة السبب قطعي، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، ولا التِفات إلى مَن شذَّ فجوَّز ذلك.

الفائدة الرابعة :الوقوف على معنى الآية وإزالة اللبس والإشكال عنها.

قال الواحدي: " إذ هي –يعني: الأسباب- أُولى ما يجب الوقوف عليها، فأولى أن تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[1].

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريقٌ قوي في فَهم معاني القرآن"[2].

وقال ابن تيميَّة: "معرفة سبب النزول يُعين على فَهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[3].

وذكر الإمام الشاطبي كلاما نفيسا حول أهمية سبب النزول في فهم الآيات، فقال: "معرفة أسباب التنزيل لازمةٌ لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب؛ إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام: لفظه واحد، ويدخله معانٍ أُخرُ من تقرير، وتوبيخ، وغير ذلك، وكالأمر: يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز، وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمورُ الخارجة، وعُمدتُها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة، فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفةُ الأسباب رافعةٌ لكل مشكل في هذا النمط؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب ولا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه:

الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل مُوقِع في الشُّبه والإشكالات، ومُورِد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[4].

---

(١) أسباب النزول: ٤.

(٢) الإتقان: ١٩٠/١-١٩١.

(٣)جموع الفتاوى: ٣٣٩/١٣.

(٤)الموافقات: ١٤٦/٤، ط دار ابن عفان، ط أولى (١٤١٧) هـ (١٩٩٧) م.

والأمثلة على ما ذكره هؤلاء العلماء الأجلاء حول أهمية سبب النزول في فهم الآيات، وأن عدم معرفة السبب قد توقع في إشكالات في فهم الآيات، أمثلةٌ كثيرة، نذكر منها:

١- قد أشكل على مَروانَ بن الحكَم معنى قوله تعالى :{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} [آل عمران: ١٨٨] الآية، وقال: لئن كان كل امرئٍ فَرح بما أوتي وأحبَّ أن يُحمد بما لم يَفعل معذَّبًا لنُعذَّبَن أجمعون! حتى بيَّن له ابنُ عباس أن الآية نزَلت في أهل الكتاب حين سألهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتَموه إياه، وأخبروه بغيره، وأرَوه أنهم أخبَروه بما سألهم عنه، واستحمَدوا بذلك إليه.

عن ابن أبي مليكة، أن علقمة بن وقاص أخبره، أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه «إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم»، ثم قرأ ابن عباس: {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب} [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتى قوله: {يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا} [آل عمران: ١٨٨]"[(١)].

٢- حُكي عن عُثمان بن مَظعون وعمرو بن مَعْدِ يكَرب أنَّهما كانا يقولان: الخمرُ مباحة، ويَحتجَّان بقوله تعالى :{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}[المائدة: ٩٣] الآية، ولو عَلِما سبب نزولها لم يَقولا ذلك؛ وهو أن ناسًا قالوا لَمَّا حُرِّمت الخمر: كيف بمن قُتلوا في سبيل الله وماتوا، وكانوا يَشربون الخمرَ وهي رجس؟ فنزَلت.

عن ابن عباس، قال: لما نزل تحريم الخمر، قالوا: يا رسول الله، الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ " فنزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة: ٩٣] إلى آخر الآية " "[(٢)].

٣- قوله تعالى :{وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ } [الطلاق: ٤]؛ فقد أشكل معنى هذا الشَّرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهريَّة بأن الآيسة لا عدَّة

(١) صحيح البخاري(٤٥٦٨):ص٦/٤٠.

(٢) أخرجه احمد(٢٧٧٤):ص٤/٤٩٤-٤٩٥.

عليها إذا لم تَرْتَب. وقد بيَّن ذلك سببُ النزول؛ وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عِدَد النساء قالوا: قد بَقي عِدَد من عِدَد النساء لم يُذكَرن؛ الصغار والكبار، فنزلت.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: " لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار، ولا من انقطعت عنهن الحيض، وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة النساء: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: ٤]"[(١)].

فعُلم بذلك أنَّ الآية خطابٌ لمن لم يَعلم ما حُكمُهن في العدَّة وارتابَ: هل عليهن عِدَّة أوْ لا؟ وهل عِدَّتهن كاللاتي في سورة البقرة أوْ لا؟ فمعنى: {إِنِ ارْتَبْتُمْ}]الطلاق: ٤]: إنْ أشكَل عليكم حكمُهن وجَهلتم كيف يَعتدُّون فهذا حُكمُهن.

٤- قوله :{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٥٨] الآية؛ فإن ظاهرَ لفظِها لا يَقتضي أن السعي فرض، وقد ذهب بعضُهم إلى عدم فرضيَّتِه؛ تمسُّكًا بذلك، وقد ردَّت عائشةُ على عُروة في فَهمِه ذلك؛ بسبب نزولها، وهو أن الصحابة تَأثَّموا مِن السعي بينهما؛ لأنه مِن عمل الجاهلية؛ فنزَلت.

عن عائشة-رضي الله عنها-، قالت: "أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[(٢)].

٥- ومن ذلك قوله تعالى :{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: ١١٥]؛ فإنا لو تركَنا مدلولَ اللفظ لاقتَضى أن المصلِّيَ لا يجب عليه استقبالُ القبلة سفرًا ولا حضرًا، وهو خلافُ الإجماع، فلا يُفهم مراد الآية حتى يُعلَم سببُها؛ وذلك أنها نزلت لما

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (٣٨٢١):ص٥٣٤/٢. وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٤٤-٤٥. و أخرجه البخاري (فتح الباري: ٦١٤/٣ - ح: ١٧٩٠ ٤٩٧/٣ - ح: ١٦٤٣) ومسلم (٩٢٨/٢ - ح: ٢٦٠ ٩٢٩/٢ - ح: ٢٦١، ٩٣٠/٢ - ح: ٢٦٣) والإمام مالك (الموطأ: ٢٥٧ - ح: ٨٣٥ رواية يحيى الليثي) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٨/ ٧٨ - ح: ١٧٣، ٧٩/١٨ - ح: ٧٤) وأبو داود (٤٥٣/٢ - ح: ١٩٠١) والترمذي (٢٠٨/٥ - ح: ٢٩٦٥) والنسائي (جامع الأصول: ١٨/٢) وابن ماجه (٩٩٤/٢ - ح: ٢٩٨٦) وابن جرير (٢٩/٢، ٣١) كلهم عن عائشة رضي الله عنها به.

صلَّى النبي صلى عليه وسلم على راحلته وهو مستقبلٌ من مكة إلى المدينة حيث توجَّهَت به، فعُلم أن هذا هو المراد.

أخرج الطبري عن ابن عمر أنه قال : " إنما نزلت هذه الآية : {أينما تولوا فثم وجه الله} أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة "[١].

٦- ومِن ذلك قولُه تعالى :{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا} [التغابن: ١٤]؛ فإنَّ سبب نزولها أنَّ قومًا أرادوا الخروجَ للجهاد، فمنَعهم أزواجُهم وأولادهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم أنزل في بقيتها ما يدلُّ على الرحمة وتركِ المؤاخذة، فقال :{وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التغابن: ١٤].

قال ابن عباس:" هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ فلما أتَوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فرأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جلّ ثناؤه: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ} .. الآية"[٢].

الفائدة الخامسة: دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر[٣].

قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى :{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا} [الأنعام: ١٤٥] الآية: "إن الكفار لما حرَّموا ما أحلَّ الله وأحَلُّوا ما حرَّم الله وكانوا على المضادَّة والمحادَّة، فجاءت الآية مُناقضة لغرَضهم، فكأنه قال: لا حلالَ إلا ما حرَّمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتُموه، نازلاً نزلة مَن يقول: لا تَأكل اليومَ حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة، والغرَض المضادَّة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتُموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به، ولم يَقصد حِلَّ ما وراءه؛ إذِ القصدُ إثبات التحريم، لا إثبات الحِل"[٤].

---

(١)تفسير الطبري(١٨٤٠):ص٥٣٠/٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن / الزركشي: ٣٤/١- ٣٧، والاتقان في علوم القرآن / السيوطي: ١٠٨/١- ١١٠، ومناهل العرفان في علوم القرآن / الزرقاني: ٨٣/١- ٨٦.

(٤) انظر: البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين: ١٣٤/١، وتفسير الإمام الشافعي: ٨٣٢/٢.

قال إمام الحرمين: "وهذا في غاية الحسن، ولولا سبقُ الشافعي إلى ذلك لما كنَّا نَستجيز مخالفة مالكٍ في حَصرِ المحرَّمات فيما ذكَرَته الآية"[١].

الفائدة السادسة: معرفة الأسم المبهم في الآية حتى لا يتهم البريء ولا يبرأ المريب[٢].

ولقد قال مَرْوانُ في عبدالرحمن بن أبي بكر: إنه الذي أُنزل فيه :{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا }[الأحقاف: ١٧]، حتى ردَّت عليه عائشة وبيَّنَت له سببَ نزولها.

عن يوسف بن ماهك، قال: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي} [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري»"[٣].

الفائدة السابعة: تيسير الحفظ، وتسهيل الفهم، وتثبيت القرآن في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سبب نزولها[٤].

الفائدة الثامنة: كشف أسرار البلاغة في تلاؤم أسلوب القرآن الكريم مع حال السامعين[٥].

الفائدة التاسعة: في أسباب النزول دلالة على الإعجاز من ناحية الأرتجال، فنزوله على الحوادث يقطع دعوى إنه أساطير الأولين[٦].

الفائدة العاشرة: أسباب النزول تقف بالقارئ على الجو النفسي الذي تنزلت فيه الآيات الكريمة[٧].

الفائدة الحادية عشر: إن معرفة سبب النزول للآية وقصتها يعين على طرد السآمة والملل من النفوس[٨].

---

(١) البرهان في أصول الفقه: ١٣٤/١.

(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن / السيوطي: ١١٠/١، ومناهل العرفان في علوم القرآن / الزرقاني: ٨٦/١.

(٣) صحيح البخاري(٤٨٢٧):ص١٣٣/٦

(٤) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن / الزرقاني: ٨٦/١، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة: ١٤٣.

(٥) انظر: علوم القرآن، نور الدين عتر: ٤٨.

(٦) انظر: أصول التفسير وقواعده/ خالد عبد الرحمن العك: ١٠٢.

(٧) انظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية/ د.عبد الله محمود الجيوسي: ٢٠٣.

(٨) انظر: مباحث في علوم القرآن/ صبحي الصالح: ١٣، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ د. عبد الله محمود الجيوسي: ٢٠٤.

الفائدة الثانية عشر: يستفاد من أسباب النزول في مجال التربية والتعليم[1].

سادسا:- بيان مناط الاستدلال[2]:

---

(١) مباحث في علوم القرآن/ مناع القطان: ٨٣.

(٢) لقد نص الأصوليون والفقهاء على قاعدة هامة ، وهي أن " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " وهذه القاعدة متفق عليها عند جماهير أهل العلم ولم يخالف فيها إلا القليل.

جاء في " المحصول " للرازي (١٢٥/٣): فالحق أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب , خلافا للمزني وأبي ثور ؛ فإنهما زعما أن خصوص السبب يكون مخصصا لعموم اللفظ " انتهى.

لكن إن كان اللفظ العام قد ورد على سبب خاص ، فإن دلالته على خصوص السبب تكون قطعية , فلا يجوز إخراج السبب عن عموم اللفظ , جاء في " المسودة في أصول الفقه " (١/ ١٣٢) : " إذا ثبت أنه يؤخذ بعموم اللفظ ، ولا يقصر على خصوص السبب ، فإنه لا يجوز إخراج السبب بدليل تخصيص ، فتكون دلالته عليه قطعا " انتهى.

لكن هناك أمران ينبغي ملاحظتهما عند تطبيق هذه القاعدة:

الأول : أنه يفرق بين ورود العام على سبب خاص ، فإن ذلك لا يخصصه على الصحيح , وبين دلالة السياق والقرائن على تخصيص العام فإن ذلك يخصصه , وقد نبه على ذلك العلامة ابن دقيق العيد رحمه ، فيما نقله عنه تاج الدين السبكي رحمه الله ، فقال : " يجب أن يتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم , وبين ورود العام على سبب ، ولا تجري مجرى واحد , فإن مجرد ورود العام على سبب لا يخصصه ، وأما السياق والقرائن فإنها الدالة على المراد ، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات . قال : فاضبط هذه القاعدة فإنها مفيدة في مواضع لا تحصي , وانظر قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس من البر الصيام في السفر) من أي من القبيلين هو منزله عليه " ، قلت [أي السبكي] : ومن النظر إلي السياق : ما في " فروع الطلاق " من " الرافعي " : أنه لو قال لزوجته : إن علمت من أختي شيئًا ، ولم تقوليه : فأنت طالق . فتنصرف إلى ما يوجب ريبة , ويوهم فاحشة ، دون ما لا يقصد العلم به كالأكل والشراب " انتهى من " الأشباه والنظائر " للسبكي (١٣٥/٢.)

الثاني : أن اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب ، فيما إذا لم يكن هناك معارض , أما إذا وجد معارض ، فينبغي حمل اللفظ على خصوص السبب , وفي ذلك يقول السبكي رحمه الله تعالى في " الأشباه والنظائر " (١٣٦/٢) : " إذا عرفت أن الأرجح عندنا اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب ، فلا نعتقد أن ينسحب العموم في كل ما ورد وصدر ؛ بل إنما نعمم حيث لا معارض.

وفي المعارض أمثلة : منها : حديث النهي عن قتل النساء والصبيان ، أخذ أبو حنيفة بعمومه وقال : المرأة المرتدة لا تقتل ، وخصصناه نحن بسببه = فإنه ورد في امرأة مقتولة مر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، فنهى إذا ذاك عن قتل النساء والصبيان = لحديث : (من بدل دينه فاقتلوه) وغيره من الأدلة.

لا خلاف بين العلماء انه إذا اتفق سبب النزول مع اللفظ من حيث العموم أو الخصوص، حُمل العام على عمومه، والخاص على خصوصه [1]، بمعنى انه إذا كان السبب عاماً، واللفظ عام، يثبت الحكم العام لكل أفراد السبب العام، ثبوتاً نصّياً، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح : ١٨]، وكذا إذا كان اللفظ خاص، والسبب خاص، إذ يثبت الحكم الخاص للفرد الخاص بالاتفاق كما في قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)} [المسد : ١ - ٥][2].

لكن الخلاف وقع فيما إذا كان اللفظ عام، والسبب خاص، فإن حكمها لا يكون قاصراً على ذلك السبب، إذ قال ابن تيمية -رحمه الله-: "والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة، تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها

ومنها : حديث أنس رضي الله عنه : (ليس من البر الصيام في السفر) : ورد في رجل قد ظلل عليه من جهد ما وجد ، وقد تقدم الكلام فيه " انتهى.

ثم اختتم السبكي رحمه الله الكلام على هذه القاعدة بتنبيه يوضح محل الوفاق ومحل الخلاف في اعتبار هذه القاعدة ، فقال " تنبيه : قدمنا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والخلاف في ذلك : إذا لم تكن هناك قرينة تعميم ، فإن كانت فالقول بالتعميم ظاهر كل الظهور ، بل لا ينبغي أن يكون في التعميم خلاف " انتهى من " الأشباه والنظائر " (١٣٦/٢. (

من هنا يتضح أن استدلال أهل العلم بقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الحشر/٧ على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل أمر , وترك ما نهى عنه في كل نهي – ومن ذلك البدعة – استدلال في محله ، ولا يتعارض هذا مع كون الآية وردت في خصوص الفيء.

وكذلك استدلالهم بقوله تعالى : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) البقرة /١٩٥ على النهي عن إيراد النفس موارد الهلكة والعطب استدلال في محله ، وإن كانت التهلكة المقصود في الآية هي ترك الجهاد وعدم بذل المال في سبيل الله تعالى , وإلا فهل يقول عاقل ، فضلا عن عالم إن ترك النفقة والجهاد إلقاء بالنفس في التهلكة منهي عنه في الآية الكريمة , وأما ركوب البحر وقت هياجه مع عدم أخذ الأسباب ، أو التردي من شاهق = ليس من قبيل الإلقاء بالنفس في التهلكة ، ولا يدخل تحت عموم الآية الكريمة ؟! هذا مما لا يتصور.

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن/ مناع القطان: ٧٣.

(٢) انظر: اللالئ الحسان في علوم القرآن/ موسى شاهين: ١٥٠.

بحسب اللفظ، والآية التي لها سبب معين إن كان أمراً، أو نهياً، فهي متناوله لذلك الشخص، ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كان خبراً بمدح، أو ذم فهي متناوله لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته"[١].

وقد أستدل الإمام السيوطي على اعتبار عموم اللفظ، باحتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، شائعاً دائماً بينهم[٢].

والأصحُّ في هذه المسألة أن العبرة بعموم اللفظ، وقد نزلَت آياتٌ في أسباب، واتفقوا على تَعْديتها إلى غيرِ أسبابها؛ كنُزول آية الظِّهَار في سَلمة بن صَخر، وآيةِ اللِّعان في شأن هلال بن أمية، وحدِّ القذف في رُماة عائشة، ثم تعدَّى إلى غيرهم، ومَن لم يعتبر عمومَ اللفظ قال: خرَجَت هذه الآياتُ ونحوُها لدليلٍ آخَر، كما قُصِرت آياتٌ على أسبابها اتِّفاقًا لدليلٍ قام على ذلك[٣].

قال الزمخشريُّ في سورة "الهمزة": " ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه"[٤].

قال السيوطي: ومن الأدلَّة على اعتبار عموم اللفظ: احتجاجُ الصحابة وغيرِهم في وقائعَ بعُموم آياتٍ نزَلَت على أسباب خاصة، وكان ذلك شائعًا ذائعًا بينهم"[٥].

قال الزركشي: "لا التفاتَ إلى ما نُقل عن بعضِهم مِن تجويز إخراج محلِّ السبب بالتخصيص؛ لأمرين:

أحدهما :أنه يَلزم منه تأخيرُ البيان عن وقتِ الحاجة، ولا يجوز.

والثاني :أنَّ فيه عُدولاً عن محلِّ السؤال، وذلك لا يجوز في حقِّ الشارع؛ لئلاَّ يَلتبس على السائل، واتَّفَقوا على أنه تُعتبر النُّصوصية في السبب من جهة استِحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة"[٦].

وقال ابن تيمية: "قد يجيء كثيرًا من هذا الباب قولهم: "هذه الآية نزَلَت في كذا"، لا سيما إن كان المذكور شخصًا؛ كقولهم: إن آية الظِّهار نزلَت في امرأةِ ثابت بن قيس، وإن آية الكلالة نزلَت في جابر بن عبدالله، وإن قوله :{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ } [المائدة: ٤٩] نزلت في بني قُرَيْظَة والنَّضِير، وأن قوله: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه} [الأنفال: ١٦] نزلت في بَدْر، وأن قوله: {شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ٤٧.

(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن: ١١١/١.

(٣) انظر: الإتقان: ٨٩/١.

(٤) الكشاف: ٧٩٥/٤.

(٥) الإتقان: ٨٩/١.

(٦) البرهان: ٢٣/١.

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} [المائدة: ١٠٦] نزلت في قضية تَمِيم الداري وَعديّ بن بَدَّاء، وقول أبي أيوب إن قوله: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥] : نزلت فينا معشر الأنصار، الحديث. ونظائر هذا كثير مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة، أو في قوم من أهل الكتاب اليهود والنصارى، أو في قوم من المؤمنين. فالذين قالوا ذلك لم يَقصِدوا أنَّ حُكم الآية يختصُّ بأولئك الأعيانِ دون غيرهم؛ فإن هذا لا يَقوله مسلمٌ ولا عاقلٌ على الإطلاق، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العامِّ الوارد على سببٍ: هل يختصُّ بسببه؟ إلا أنه لم يَقُل أحدٌ: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فتعمُّ ما يشبهه، ويكون العموم فيها بحسَب اللفظ، فالآية التي لها سببٌ معين إن كانت أمرًا ونهيًا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبرًا بمدحٍ أو ذمٍّ فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضًا"[1].

وهكذا فإن السبب الحقيقي في نزول القرآن الكريم هو إصلاح أوضاع المجتمع البشري اعتقاداً وسلوكاً، وهداية الناس إلى أقوَمِ السبل لتحقيق الفوز في الدنيا والآخرة. أما الأسباب الخاصة التي تروى لنزول كثير من الآيات فهي في الغالب مجرد مناسبات اختارتها الحكمة الإلهية لتكون توقيتاً لنزول تلك الآيات حتى يكون ذلك أبلغ في الإصلاح والإفهام، فهي وسائل تربوية بمثابة وسائل الإيضاح المُعينَة على الإفهام، أو هي من باب تخول المناسبات المعينة على التأثير في النفوس.

فقد تَنزل الآياتُ على الأسباب الخاصة، وتوضع مع ما يُناسبها من الآي العامة؛ رعاية لنَظم القرآن وحسن السياق، فيكون ذلك الخاص قريبًا من صورة السبب في كونه قطعيَّ الدخول في العام كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرد؛ مثاله قوله تعالى :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء: ٥١] إلى آخره؛ فإنها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قَدِموا مكة، وشاهَدوا قتلى بدر حرَّضوا المشركين على الأخذِ بثأرهم، ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوهم: من أهدى سبيلاً؛ محمد وأصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم، مع عِلمهم بما في كتابهم مِن نعت النبي صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه، وأخذ المواثيق عليهم ألاَّ يكتموه، فكان ذلك أمانةً لازمة لهم، ولم يؤدُّوها حيث قالوا للكفار: أنتم أهدى سبيلاً؛ حسدًا للنبيِّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ١٥-١٦.

أخرج الطبري وابن ابي حاتم[١]، وغيرهما[٢]، عن ابن عباس قال : "لما قدم كعب بن الأشرف مكة ، قالت له قريش : أنت حَبْر أهل المدينة وسيدهم ؟ قال : نعم. قالوا : ألا ترى إلى هذا الصُّنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السِّدانة وأهل السِّقاية ؟ قال : أنتم خير منه. قال : فأنزلت : {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}[سورة الكوثر : ٣] ، وأنزلت : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} ، إلى قوله : " {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا}"[٣][٤].

فقد تضمنت هذه الآيةُ مع هذا القول التوعُّدَ عليه المفيدَ للأمر بمقابلِه، المشتمل على أداء الأمانة التي هي بيانُ صفة النبي صلى الله عليه وسلم بإفادة أنَّه الموصوفُ في كتابهم؛ وذلك مناسبٌ لقوله :{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] فهذا عام في كل أمانة، وذلك خاص بأمانة هي صفة النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق السابق، والعام تالٍ للخاص في الرسم، متراخٍ عنه في النُّزول، والمناسبة تَقتضي دخول ما دلَّ عليه الخاصُّ في العام.

قال ابن العربيِّ في تفسيره: "وجهُ النَّظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد، وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلاً، فكان ذلك خيانة منهم، فانجرَّ الكلام إلى ذِكر جميع الأمانات"[٥].

قال بعضهم: ولا يرد تأخُّر نزول آية الأمانات عن التي قبلها بنحوِ ستِّ سنين؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لا في المناسبة؛ لأن المقصود منها وضعُ آية في موضع يُناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي عَلِم من الله أنها مواضعُها[٦].

سابعا:- أسباب النزول مناطها الرواية والسَّماع:

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٤٠):ص٣/٩٧٣-٩٧٤.

(٢) عزاه ابن كثير في "تفسيره:٢/٣٣٤ إلى الإمام أحمد وليس هو في "مسنده"، وعزاه الهيثمي في "المجمع" "٧/ ٦" إلى الطبراني، وأخرجه ابن حبان انظر "موارد الظمآن" "ص٤٢٨"، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق انظر "الدر" "٢/ ٥٦٣"..

(٣) [سورة النساء:٥٢]..

(٤) تفسير الطبري(٩٧٨٦):ص٨/٤٦٦-٤٦٧.

(٥) نقلا عن: البرهان في علوم الكتاب: ١/٢٦.

(٦)الإتقان في علوم القرآن:١/٩٢.

لا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهَدوا التنزيل، ووقَفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آيةٍ من القرآن فقال: اتَّقِ الله وقُل سَدادًا؛ ذهَب الذين يَعلمون فيمَ أنزَل الله القرآن ! ومعرفة سبب النزول أمر يَحصُل للصحابة بقرائنَ تحتف بالقضايا، وربما لم يَجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا(١).

أخرج الأئمة الستَّة عن عبدالله بن الزبير قال: "خاصم الزبيرُ رجلاً من الأنصار في شِراج الحرَّة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسق يا زُبير ثم أرسل الماء إلى جارك"، فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابنَ عمَّتِك!، فتلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «يا زبير، اسق، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» قال الزبير: «إني أحسب أن هذه الآية نزلت في ذلك»: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء: ٦٥] الآية(٢) .

قال الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيلَ عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا، فإنه حديث مسنَد، ومشى على هذا ابنُ الصلاح وغيرُه، ومثَّلوه بما روي عن جابر قال: كانت اليهود تقول: مَن أتى امرأته من دُبرها في قُبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله : { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ }[البقرة: ٢٢٣] (٣).

وقال ابن تيمية: "قولهم: نزلت هذه الآية في كذا يُراد به تارةً سببُ النزول، ويُراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عُني بهذه الآيةِ كذا. وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا؛ هل يَجري مَجرى المُسنَد كما لو ذكَر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يَجري مَجرى التفسير منه الذي ليس بمسنَد؟ فالبخاريُّ يُدخله في المسنَد، وغيره لا يدخله

---

(١)الإتقان في علوم القرآن:٩٢/١.

(٢)أخرجه أحمد (٤/٤، رقم ١٦١٦١) ، والبخارى (٨٣٢/٢، رقم ٢٢٣١) ، ومسلم (١٨٢٩/٤، رقم ٢٣٥٧) وأبو داود (٣١٥/٣، رقم ٣٦٣٧) ، والترمذى (٦٤٤/٣، رقم ١٣٦٣) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٢٤٥/٨، رقم ٥٤١٦) ، وابن ماجه (٧/١، رقم ١٥).

(٣) الحديث أخرجه البخاري (فتح الباري: ١٨٩/٨ - ح: ٤٥٢٨) ومسلم (١٠٥٨/٢، ١٠٥٩ - ح: ١٤٣٥) والحميدي (مسند الحميدي: ٥٣٢/٢ - ح: ١٢٦٣) وأبو داود (٦١٨/٢ - ح: ٢١٦٣) والترمذي (٢١٥/٥ -: ٢٩٧٨) وابن جرير (٢٣٤/٢، ٢٣٥) وابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير: ٢٦٠/١) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ٢١/٤ - ح: ٢٠٢٤) كلهم عن سفيان به.

فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح؛ كمُسنَد أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكَر سببًا نزلت عَقِبَه فإنهم كلَّهم يُدخلون مِثل هذا في المسند"[1].

قال الزَّركشي: قد عُرِف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزَلت هذه الآية في كذا فإنه يُريد بذلك أنها تتضمَّن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لِمَا وقَع"[2].

قال السيوطي: "والذي يتحرَّر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيامَ وقوعه؛ ليخرج ما ذكره الواحديُّ في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به؛ فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو مِن باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذِكْر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذِكرُه في قوله :{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }[النساء: ١٢٥] سببَ اتِّخاذه خليلاً، ليس ذلك مِن أسباب نزول القرآن كما لا يَخفى"[3].

ثامنا:- تعدد أسباب النزول:

كثيرًا ما يَذكر المفسرون لنزول الآية أسبابًا متعددة، وطريق الاعتماد في ذلك: أن ينظر إلى العبارة الواقعة، وفي ذلك حالات:

الحالة الأولى: إنْ عبَّر أحدهم بقوله: نزلت في كذا، والآخَر: نزلت في كذا. وذكَر أمرًا آخَر فإن هذا يُراد به التفسير لا ذِكر سبب النزول، فلا مُنافاة بين قولهما إذا كان اللَّفظ يتناولهما.

الحالة الثانية :إن عبر واحد بقوله: نزلت في كذا وصرَّح الآخَر بذكر سبب خلافه فهو المعتمَد.

ومثال ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: أنزلت {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ}[البقرة: ٢٢٣] في إتيان النساء في أدبارهن. وقد ورد عن جابرٍ التصريحُ بذكر سببٍ خِلافه، فالمعتمد حديثُ جابر؛ لأنه نقلٌ وقول ابن عُمر استنباطٌ منه، وقد وهَّمه فيه ابنُ عباس، وذكَر مثلَ حديث جابر كما أخرجه أبو داود والحاكم.

الحالة الثالثة: إن ذكَر واحدٌ سببًا وآخَرُ سببًا غيره فإن كان إسنادُ أحدهما صحيحًا دون الآخر فالصحيح المعتمد.

---

(١)الإتقان في علوم القرآن: ٩٣/١.

(٢) المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٩٤/١.

مثال ذلك: ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جُندَب: اشتكى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فلم يَقُم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركَكَ! فأنزل الله :{وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[الضحى: ١ – ٣].

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة عن حفص بن ميسرة عن أمِّه عن أمها - وكانت خادمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنَّ جروًا دخَل بيتَ النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبيُّ صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: "يا خَوْلةُ، ما حَدَث في بيت رسول الله؟ جبريلُ لا يأتيني!" فقلتُ في نفسي: لو هيَّأتُ البيت وكنسته! فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فأخرجتُ الجرو، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته - وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرِّعدة - فأنزل الله :{وَالضُّحَى} [الضحى: ١] إلى قوله :{فَتَرْضَى}[الضحى: ٥][(١)].

قال ابن حجر في شرح البخاري: " وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح "[(٢)].

مثال آخر: ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عليِّ بن أبي طلحة عن ابن عباس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أمرَه الله أن يَستقبل بيت المقدس ففَرحت اليهود، فاستقبله بضعة عشر شهرًا - وكان يحبُّ قِبلة إبراهيم - فكان يَدعو الله ويَنظر إلى السماء، فأنزل الله :{ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}[البقرة: ١٤٤] فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟! فأنزل الله :{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} [البقرة: ١٤٢] وقال :{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}[البقرة: ١١٥][(٣)].

أخرج الطبري عن ابن عمر أنه قال : " إنما نزلت هذه الآية : {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}[البقرة: ١١٥]، أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة "[(٤)].

وأخرج الطبري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال ، " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة ، فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجدا يصلي

---

(١) سوف تأتي الروايات في ذلك مفصلا.

(٢) انظر: فتح الباري: ٧١٠/٨.

(٣) انظر: الطبري(٢١٦٠):ص١٣٨/٣-١٣٩، وابن أبي حاتم(١٣٢٩):ص٢٤٨/١.

(٤)تفسير الطبري(١٨٤٠):ص٥٣٠/٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٧.

فيه ، فلما أصبحنا ، إذا نحن قد صلينا على غير القبلة ، فقلنا : يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة . فأنزل الله عز وجل : {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}"[1]. وأخرج الدارقطني نحوَه من حديث جابر بسندٍ ضعيف أيضًا.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: "لما نزلت :{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[غافر: ٦٠] قالوا: إلى أين؟ فنزَلت"[2].

وأخرج عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أخًا لكم قد مات، فصلوا عليه" فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة، فنزلت[3]؛ معضل غريب جدًّا.

فهذه خمسة أسباب مختلفة، وأضعَفُها الأخير؛ لإعضاله، ثم ما قبله؛ لإرساله، ثم ما قبله؛ لضعف رُواته، والثاني صحيح لكنه قال: قد أنزلت في كذا ولم يصرِّح بالسبب، والأول صحيح الإسناد وصرَّح فيه بذكر السبب، فهو المعتمد.

الحالة الرابعة: أن يستوي الإسنادان في الصحة، فيرجح أحدهما بكون راويه حاضرَ القصة، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات.

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنتُ أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتوكَّأ على عَسِيب، فمرَّ بنفرٍ من اليهود فقال بعضُهم: لو سألتُموه! فقالوا: حدِّثنا عن الروح، فقام ساعةً ورفَع رأسه، فعرَفتُ أنه يُوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال :{ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[الإسراء: ٨٥]"[4].

وأخرج الترمذي - وصحَّحه - عن ابن عباس قال: قالت قريشٌ لليهود: أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الروح، فسألوه، فأنزل الله :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ }[الإسراء: ٨٥] الآية[5].

فهذا يَقتضي أنها نزلت بمكة والأول خلافه، وقد رجح بأنَّ ما رواه البخاري أصحُّ مِن غيره وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة.

---

(١) تفسير الطبري(١٨٤١):ص٥٣١/٢.

(٢) أخرجه الطبري(١٨٤٧):ص٥٣٤/٢.

(٣) تفسير الطبري(١٨٤٤):ص٥٣٢/٢-٥٣٣.

(٤) صحيح البخاري(١٢٥):ص٣٧/١.

(٥) سنن الترمذي(٣١٤٠).:ض٣٠٤/٥

الحالة الخامسة: أن يُمكن نزولُها عُقيب السببين والأسباب المذكورة بألاَّ تكون معلومة التباعد كما في الآيات السابقة، فيُحمَل على ذلك.

مثال ذلك: ما أخرجه البخاريُّ من طريق عِكرمة عن ابن عباس أن هلالَ بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بِشَريكِ بن سَحْماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "البيِّنة أو حدٌّ في ظهرك" فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدُنا مع امرأته رجلاً ينطلق يَلتمس البينة! فأنزل عليه :{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ }[النور: ٦] حتى بلغ :{ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[النور: ٩]"[(١)].

وأخرج الشيخان عن سَهل بن سعد قال: جاء عُويمرٌ إلى عاصمِ بن عَديٍّ فقال: اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيتَ رجلاً وجَد مع امرأته رجلاً فقتَله، أيُقتَل به أم كيف يَصنع؟ فسأل عاصمٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعاب السائل، فأخبَر عاصمٌ عُويمِرًا، فقال: والله لآتينَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنَّه، فأتاه فقال: "إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتِك قرآنٌ..."[(٢)] الحديث.

جُمع بينهما بأنَّ أول مَن وقع له ذلك هلال، وصادف مجيءُ عُويمرٍ أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا. وإلى هذا جنَح النوويُّ، وسبَقه الخطيبُ فقال: لعلهما اتَّفق لهما ذلك في وقت واحد.

قال ابن حجر: "ولا مانع من تعدد الأسباب"[(٣)].

الحالة السادسة: ألا يمكن شيءٌ مما سبق في الحالات السابقة، فيُحمَل على تعدد النزول وتكرُّره.

فقد ينزل الشيء مرتين؛ تعظيمًا لشأنه، وتذكيرًا به عند حدوث سببه؛ خوفَ نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة: نزلت مرَّتين؛ مرة بمكة وأخرى بالمدينة، ومثلما ورَد في (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)]الإخلاص: ١] أنها جوابٌ للمشركين بمكة، وأنها جوابٌ لأهل الكتاب بالمدينة.

والحكمة في هذا كلّه أنه قد يحدث سببٌ من سؤالٍ أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمَّنها فتؤدَّى تلك الآية بعينها إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ تذكيرًا لهم بها، وبأنها تتضمن هذه، والعالم قد يحدث له حوادثُ فيتَذكر أحاديثَ وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة، وإن لم تكن خطرَت له تلك الحادثة قَبلُ، مع حفظه لذلك النص[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري(٢٦٧١):ص١٧٨/٣

(٢) صحيح البخاري(٤٧٤٥):ص٩٩/٦، وصحيح مسلم(١٤٩٣).:ص١١٣٠/٢.

(٣) فتح الباري: ٥٣١/٨.

(٤) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة: ١٤٣.

مثال ذلك: ما أخرجه الشيخان عن المسيب قال: لما حضر أبا طالبٍ الوفاةُ دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال: "أيْ عم، قل: لا إله إلا الله أحاجَّ لك بها عند الله"، فقال أبو جهل: وعبدالله يا أبا طالب! فلم يَزالا يُكلِّمانه حتى قال: هو على ملة عبدالمطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنه"، فنزلت :{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١١٣] الآية"(١).

وأخرج الترمذي - وحسَّنه - عن عليٍّ قال: سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١١٣]"(٢).

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يومًا إلى المقابر فجلس إلى قبر منها، فناجاه طويلاً ثم بكى، فقال: " إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه، قبر أمي آمنة بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها، فأذن لي فيه، فاستأذنته في الاستغفار لها، فلم يأذن لي فيه، ونزل عليّ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}[التوبة: ١١٣}"(٣).

فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول.

هذا؛ وليس المقصود من الكلام السابق أن كل آية قد نزلتْ على سبب، ولا بد من البحث عنه لفهم المعنى ودفع الإشكال، كما تكلف ذلك بعض المفسرين(٤)؛ لأن من أقسام القرآن ما نزل ابتداءً من غير سبب؛ بل هو الأكثر في القرآن كما قرره المحققون من العلماء.

---

(١) انظر: صحيح البخاري(٣٨٨٤):ص٥٢/٥، وصحيح مسلم(٢٤):ص٥٤/١.

(٢) سنن الترمذي(٣١٠١):ص٢٨١/٥.

(٣) المستدرك(٣٢٩٢).:ص٣٦٦/٢

(٤)كما لا نتفق مع من ذهب إلى التهوين من أسباب النزول، وأهميتها وقيمتها في بيان المعنى وتفسير الآيات، فضلاً عن مدخلها في إعجاز النظم، وهو ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده فيما نقله عنه الشيخ رشيد رضا في بعض المواضع من "تفسير المنار" ٥٦/٢، ٢٢٩، ويقول الدكتور/ عبدالله شحاتة: "واستهان الشيخ محمد عبده بأسباب النزول، ولم يعول عليها كثيرًا بسبب اشتمالها على الصحيح والعليل، واختراع بعض الناس أسبابًا لنزول الآيات، والحقُ أنه لا طريق لمعرفة أسباب النزول، إلا النقل عن الصحابة الذين عاصروا الوحي والنزول، ووقفوا على الأسباب والملابسات، التي أحاطت بنزول الآيات، وسمعوا من الرسول r ما لم يسمعه غيرهم، فعنهم وحدهم يؤخذ

ومن هنا؛ فالرأي السديد، والمنهج الرشيد: عدم الاستهانة بأسباب النزول، وأثرها في فهم النظم القرآني، ودفع الإشكال في فهم بعض الآيات، وفق المنهج الذي قرّره المحققون من العلماء من قبول ما صحّ سندُه منها، وارتبط بمضمون الآيات، وجاء في الآثار الصحيحة عن الصحابة ما يؤيد كونَه سببًا لنزول الآية - كما ستعرف من خلال عبارات الصحابة - فهو مقبول، وما ضعف سنده وانقطع، ولم يتصل بنظم الآية وسياقها، أو تعارض معها، ولم يأتِ في الآثار عن الصحابة - رضوان الله عليهم - ما يشهد له بالصحة، فهو مرفوض؛ حفاظًا على نظم القرآن وترابط آياته، وصونًا للقرآن الكريم من أن يتطرق إلى تفسيره سوء الفهم، أو تُحمَل الآيات على غير معانيها الصحيحة، ومقاصدها الشريفة(١).

هذا العلم، وإلى هذا أشار الواحدي بقوله: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب"؛ "علوم القرآن" ص٨٩.

(١)يقول ابن عاشور في المقدمة الخامسة لتفسيره حول (أسباب النزول): " أولع كثير من المفسرين بتطلُّب أسباب نزول آي القرآن، وهي حوادث يروى أن آيات القرآن نزلت لأجلها؛ لبيان حكمها، أو لحكايتها، أو إنكارها، أو غير ذلك، وأغربوا في ذلك وأكثروا، حتى كاد بعضهم أن يوهم الناس أن كل آية من القرآن نزلت على سبب، وحتى رفعوا الثقة بما ذكروا؛ بَيْدَ أنا نجد في بعض آي القرآن إشارة إلى الأسباب التي دعتْ إلى نزولها، ونجد لبعض الآي أسبابًا ثبتت بالنقل دون احتمال أن يكون ذلك رأي الناقل، فكان أمر أسباب النزول دائرًا بين القصد والإسراف، وكان في غض النظر عنه، وإرسال حبله على غاربه خطرٌ عظيم في فهم القرآن... ولكنى لا أعذر أساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فأثبتوها في كتبهم، ولم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفًا، حتى أوهموا كثيرًا من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث تدعو إليها، وبئس هذا الوهم؛ فإن القرآن جاء هاديًا إلى ما به صلاح الأمة في أصناف الصلاح، فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام. نعم إن العلماء توجسوا منها، فقالوا: إن سبب النزول لا يخصص، إلا طائفة شاذة ادعت التخصيص بها، ولو أن أسباب النزول كانت كلها متعلقة بآيات عامة، لما دخل من ذلك ضر على عمومها؛ إذ قد أراحنا أئمة الأصول حين قالوا: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، ولكن أسبابًا كثيرة رام رواتها تعيين مرادٍ؛ من تخصيص عام، أو تقييد مطلق، أو إلجاء إلى محمل، فتلك التي قد تقف عرضة أمام معاني التفسير قبل التنبيه على ضعفها أو تأويلها، وقد قال الواحدي في أول كتابه في "أسباب النزول": "أما اليوم، فكل أحد يخترع للآية سببًا، ويختلق إفكًا وكذبًا، ملقيًا زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد"، وقال: "لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل"؛ "التحرير والتنوير" ٤٦/١، ٤٧ باختصار، و"أسباب النزول" ص ٥، ٦.

وفي ذلك يقول الواحدي عبارته المشهورة، والتي نقلها عنه العلماء قديمًا وحديثًا: "ولا يحل القول في أسباب النزول، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدُّوا في الطلاب"[1].

سورة «الفاتحة»

بيان سبب نزول **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}**، وأنها للفصل بين السور.

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف ختم السورة؛ حتى ينزل عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"[2]. [صحيح]

---

(١) أسباب النزول: ٥.

(٢)أخرجه أبو داود في "سننه" (١/ ٢٠٩ رقم ٧٨٨) -ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢/ ٤٢)، و"السنن الصغير" (١/ ١٥٢، ١٥٣ رقم ٣٩٠)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢١٢٥)، وابن طاهر المقدسي في "مسألة التسمية" (ص ٦٤)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣١٥ رقم ٣٣٦) -، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٠٥، ٤٠٦ رقم ١٣٧٥)، والبزار في "مسنده" (٣/ ٤٠ رقم ٢١٨٧ - "كشف")، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٦٤ رقم ١٢٥٤٤ - ١٢٥٤٦)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٠)، و"الوسيط" (١/ ٦١، ٦٢)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٢٣١، ٢/ ٦١١) -وعنه البيهقي في "معرفة السنن والآثار" (١/ ٥١٤ رقم ٧٠٦)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٢٧٢ رقم ٢١٢٦، ٢١٢٧) -، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣١٦، ٣١٧ رقم ٣٣٧ - ٣٣٩)، وغيرهم من طرق عن عمرو بن دينار وسالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس به.

قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

وقال الذهبي: "أما هذا؛ فثابت".

وأخرجه الحاكم (٢/ ٦١١) من طريق مثنى عن عمرو بن دينار به.

وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "مثنى؛ قال النسائي: متروك".

قلنا: لكنه لم ينفرد؛ فقد توبع.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٤/ ١٠٩، ٦/ ٣١٠): "اقتصر أبو داود منه على قوله: "لا يعرف خاتمة السورة حتى تنزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح".

قلنا: وقد فاته -رحمه الله- أنه عند الطبراني؛ فليستدرك؛ فإنه على شرطه.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في "تفسير القرآن العظيم" (١/ ١٧): "وفي "سنن أبي داود" بإسناد صحيح عن ابن عباس (وذكره)".

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "العجاب" (١/ ٢٢٤): "وهذا رواته ثقات ".

وقال في "فتح الباري" (٩/ ٤٢): "أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم".

وقال شيخنا الألباني -رحمه الله- في "صحيح أبي داود" (٧٠٧): "صحيح".

قلنا: وهو كما قالوا.

ورواه الحميدي في "مسنده" (١/ ٢٤٢ رقم ٥٢٨)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ٤٠٧ رقم ١٣٧٦)، وأبو داود في "سننه" (رقم ٧٨٨)، و"المراسيل" (٩٠/ ٣٦) -ومن طريقه ابن طاهر المقدسي في "مسألة التسمية" (ص ٦٤) - وغيرهم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير به مرسلاً.

قلنا: والوصل زيادة؛ فالحكم لها، وبخاصة أن الذي يرجح الوصل هو الكثرة، وهو كذلك في حديثنا.

قال أبو داود: "قد أسند هذا، وهذا أصح".

وكلامه متعقب بأن جمع من الثقات رووه عن عمرو بن دينار موصولاً، أضف إلى هذا: أن عمراً لم يتفرد بالوصل بل تابعه سالم الأفطس؛ فالحكم للوصل.

وللحديث شاهدان:

١ - حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٠)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤٧٤ رقم ٢١٢٩).

٢ - حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١١).

قال الحافظ في "العجاب" (١/ ٢٢٤، ٢٢٥): "وأورد الواحدي له شاهدين بسندين ضعيفين".

قلنا: وهو كمال قال، وفي الصحيح غنية عن غيره.

سورة «البقرة»

١- {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ...} [البقرة : ١ - ٢]

عن مجاهد، قال:" أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين[١].

٢-{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦)} [البقرة : ٦].

اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية على أقوال:

أحدها: أنها "نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته". قاله الضحاك[٢].

والثاني: وقيل نزلت في اليهود. قاله ابن عباس[٣]، والكلبي[٤]،واختاره الطبري[٥].

والثالث: وقيل: "نزلت في أهل القليب[٦] قليب بدر. منهم أبو جهل، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط والوليد بن المغيرة"[٧]، حكي ذلك عن الربيع[٨].

---

(١) رواه الواحدي في "أسباب النزول": ٢٤-٢٥.

والأربع آيات التي نزلت في المؤمنين هي من أول السورة حتى قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة : ٥]، في قراءة من لم يعتبر "الم" آية.

والآيتان بعدها في الكافرين، والثلاثة عشر آية التي بعدها حتى قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة : ٢٠]، نزلت في المنافقين.

(٢)أخرج ابن إسحاق ومن طريقه ابن جرير (٨٤/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن صدر سورة البقرة إلى المائة منها نزل في رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج. وإسناد ابن إسحاق حسن.

(٣) أنظر: تفسير الطبري(٢٩٥)، و(٢٩٦):ص٢٥١/١، وابن أبي حاتم(٩٤):ص٤١/١، والخبر في سيرة ابن هشام القسم الأول:٥٣١، في :فصل الأعداء من يهود، دون سند، وابن كثير في تفسيره:١/ ٤٥، والسيوطي في:الدر المنثور:١/ ٢٩، والشوكاني في "فتح الباري" في "فتح القدير:١/ ٢٨.

(٤) أنظر: اسباب النزول للواحدي: ٢١.

(٥) أنظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/١.

(٦)في "القاموس" مادة قلب" "ص١٦٣": "القليب: البئر، أو العادية القديمة منها، ويؤنث".

(٧) أنظر: البحر المحيط: ٥٠/١.، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٢٩/١-٢٣٠.

(٨) أنظر: تفسير الطبري(٢٩٨):ص٢٢/١.

قال ابن حجر: "وكذا حكاه أبو حيان ولم ينسبه لقائل[١]، وأقره، وفيه خطأ لأن الوليد بن المغيرة مات بمكة قبل الهجرة[٢]، وعقبة بن أبي معيط إنما قتل بعد رحيل المسلمين من بدر راجعين إلى المدينة قتل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصفراء باتفاق أهل العلم بالمغازي"[٣].

الرابع: وقال أبو العالية: "نزلت في قادة الأحزاب، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}"[٤].

الخامس: وقيل: أنها "أنزلت في مشركي العرب من قريش وغيرهم"[٥].

السادس: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ويبايعوه على الهدى، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا مَنْ سبقت له السعادة في

---

(١)أصل القول دون ذكر الأسماء مروي بالسند عن الربيع بن أنس كما فى تفسير الطبري "٢٥٢/ ١" ونصه: "آيتان في قادة الأحزاب: إن الذين كفروا ... فهم الذين قتلوا يوم بدر". قال ابن عطية في "١٥٢/ ١": هكذا حكي هذا القول، وهو خطأ؛ لأن قادة الأحزاب قد أسلم كثير منهم، وإنما نزلت ترتيب الآية في أصحاب القلب ... " وعلة تخطئته لهذا القول انصراف ذهنه إلى غزوة الخندق -والله أعلم- وليس هذا بلازم، فالمقصود من الأحزاب هنا المشركون الذين تحزبوا على المسلمين في بدر، وهذا قول أبي العالية، ويرويه عنه الربيع كما في "تفسير ابن كثير" "١/ ٤٥".[حاشية العجاب: ٢١٠/١].

(٢)قال ابن إسحاق في كلامه على كفاية الله نبيه أمر المستهزئين: "حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أو غيره من العلماء: أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه فمات منه حبنا [هو انتفاخ البطن من داء] ، ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يجر سَبَله [أي: فضول ثيابه] وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلًا له، فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش، وليس بشيء، فانتقض به [أي: تجدد] فقتله ... " انظر "سيرة ابن هشام" "١/ ٤١٠".

(٣) العجاب في بيان الأسباب: ٢٣٠/١. والذي في سيرة ابن هشام "١/ ٦٤٤" ما يلي: "قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط. قال ابن هشام: عرق الظنية عن غير ابن إسحاق" ا. هـ باختصار.

ولا يمكن قبول هذا السبب لأن الآية تدل على أنها نزلت في كفار أحياء لا أموات!

(٤)ذكره أبو حيان في "البحر" "١/ ٥٠" وتسلسله عنده الثاني وهو نفس القول الماضي الذي ذكره برقم الرابع، وكل ما هنالك أنه قسمه إلى قسمين: قادة الأحزاب وأصحاب القليب، وفي هذا نظر. والآية من سورة إبراهيم "٢٨".

(٥) البحر المحيط: ٥٠/١، والعجاب: ٢٣١/١.

الذّكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاءُ في الذكر الأول"[١]. قال ابن حجر: "وحاصله أنها خاصة بمن قدر الله تعالى أنه لا يؤمن"[٢].

واختار القول الأخير القرطبي[٣]، وإليه مال ابن عطية، فقد حكاه أولًا ثم قال: "والقول الأول مما حكيناه هو المعتمد عليه، وكل من عين أحدًا فإنما مثل بمن كشف الغيب -بموته على الكفر- أنه في ضمن الآية "[٤]، وهذا يعني أن الآية هي عامة، ومعناها الخصوص فيمن سبقت عليه كلمة العذاب، وسبق في علم الله أنه يموت على كفره، أراد الله أن يعلم الناس أن فيهم من هذا حاله دون أن يعين أحداً.

٣- {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} [البقرة : ١٤]

عن الكلبي، عن صالح، عن ابن عباس: "نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك: أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله. ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله،

---

(١)أخرجه الطبري(٢٩٧):ص٢٥٢/١، وهو عند ابن كثير "١/ ٤٥" والسيوطي "١/ ٢٨-٢٩" والشوكاني "١/ ٢٨" ونسباه إلى ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي ولم أجده في "تفسير ابن أبي حاتم"، هذا، وقد تصرف ابن حجر في النقل بالاختصار.

(٢) العجاب في بيان الأسباب: ٢٣٢/١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٨٤/١.

(٤) المحرر الوجيز: ٨٧/١. قال ابن عطية: واختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على أنها غير عامة لوجود الكفار قد أسلموا بعدها.

- فقال قوم هي فيمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن أراد الله تعالى أن يعلم أن في الناس من هذه حاله دون أن يعين أحد.

- وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في حيي بن أخطب وأبي ياسر وابن الأشرف ونظرائهم.

- وقال الربيع بن أنس نزلت في قادة الأحزاب وهم أهل القليب ببدر قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه هكذا حكي هذا القول وهو خطأ لأن قادة الأحزاب قد أسلم كثير منهم وإنما ترتيب الآية في أصحاب القليب والقول الأول مما حكيناه هو المعتمد عليه وكل من عين أحدا فإنما مثل بمن كشف الغيب بموته على الكفر أنه في ضمن الآية.(المحرر الوجيز: ٨٧/١).

الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال: مرحبا بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا. فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيرا. فرجع المسلمون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبروه بذلك. فأنزل الله هذه الآية"[١].

٤-{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)} [البقرة : ٢١]

أخرج أبو الحسن الواحدي " عن علقمة قال: كل شيء نزل فيه: {يا أيها الناس} فهو مكي، و{يا أيها الذين آمنوا} فهو مدني يعني أن يا أيها الناس خطاب أهل مكة و {يا أيها الذين آمنوا} خطاب أهل المدينة قوله: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} خطاب لمشركي مكة إلى قوله: {وبشر الذين آمنوا}، وهذه الآية نازلة في المؤمنين وذلك أن الله تعالى لما ذكر جزاء الكافرين بقوله: {النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} ذكر جزاء المؤمنين"[٢].

٥-{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)} [البقرة : ٢٦]

اختلف في سبب نزول هذه الآية على أقوال[٣]:

أحدها: قال ابن عباس: "لما ضرَب الله هذين المثلين للمنافقين - يعني قوله : {مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا}، وقوله : {أو كصيِّب من السماء}، الآيات الثلاث - قال المنافقون : الله أعلى وأجلّ من أنْ يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله :{إن الله لا يستحي أنْ يضرب مثَلا ما بعوضة}، إلى قوله : {أولئك همُ الخاسرُون}". قاله ابن عباس[٤]، وابن مسعود[٥].

---

(١) رواه الواحدي في "أسباب النزول": ٢٥، إسناده واه جدا: محمد بن مروان بن السائب عن الكلبي عن أبي صالح، أطلق العلماء على هذا الإسناد: سلسلة الكذب أ. هـ.

والأثر ذكره السيوطي في الدر (١/ ٣١) وعزاه للواحدي والثعلبي بسند واه.

(٢)أسباب نزول القرآن: ٢٣.

(٣) انظر:أسباب النزول للواحدي: ٢٣-٢٤، والعجاب في بيان الأسباب: ١/٢٤٥-٢٤٦، و تفسير ابن كثير: ١/١٠٦-٢٠٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٥٥٤):ص٣٩٩/١.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٥٥٤):ص٣٩٩/١.

والثاني: وقال قتادة: "لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : {إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها"[١]. ونقل الواحدي عن الحسن[٢] مثل ذلك.

والثالث: وهو قول الربيع- ان :" هذا مثل ضربه الله للدنيا ، إن البعوضة تحيا ما جاعتْ ، فإذا سمنت ماتتْ. وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن : إذا امتلأوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك. قال : ثم تلا:{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } [سورة الأنعام : ٤٤]"[٣].

والرابع: أخرج الواحدي "عن ابن عباس في قوله: {إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا} قال: وذلك أن الله ذكر آلهة المشركين، فقال: {وإن يسلبهم الذباب شيئا} وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية"[٤].

---

(١) أخرجه الطبري(٥٥٨):ص٤٠٠/١، وانظر(٥٥٦):ص٣٩٩/١-٤٠٠.

(٢) انظر:أسباب النزول للواحدي: ٢٣، قال الواحدي: "وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتاب وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله. فأنزل الله هذه الآية". وانظر: تفسير عبد الرزاق (٦٤/١).

(٣) أخرجه الطبري(٥٥٥):ص٣٩٩/١. وفي رواية أخرى عنه بنحوه، " إلا أنه قال : فإذا خلتْ آجالهم وانقطعت مُدّتهم (٢) ، صاروا كالبعوضة تحيا ما جاعت ، وتموت إذا رَويت ، فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل ، إذا امتلئوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله فأهلكهم. فذلك قوله : (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) [سورة الأنعام : ٤٤]". [تفسير الطبري:(٥٥٦):ص٣٩٩/١].

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٢٣، وهذا إسناد ضعيف جدا لضعف عبد الغني بن سعيد - وفي نسخة أحمد صقر: عبد العزيز بن سعيد - (لباب النقول: ٩) وموسى بن عبد الرحمن (ميزان الاعتدال: ٢١١/٤) وعنعنة ابن جريج وهو ثقة يدلس (تهذيب التهذيب: ٤٠٤/٦، ٤٠٥) لكن معناه صحيح، وهو أصح مما قبله، فقد أخرج ابن جرير (١٣٨/١) وابن أبي حاتم وابن المنذر وعبد بن حميد (فتح القدير: ٥٨/١) عن قتادة بإسناد صحيح قال: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله الآية، وهذا مرسل أصح من المسند ويشهد له:

١ - ما أخرجه ابن جرير أيضا (١٣٨/١) من طريق آخر عن قتادة نحوه بإسناد صحيح.

٢ - ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن نحوه (لباب النقول: ١٩) .

والقول الأول هو الأقرب إلى الصواب، قال الماوردي، "وتأويل الربيع أحسن، والأولُ أشبَهُ"[١].

وقد اختار القول الأول ، الإمام الطبري[٢]، "لأنه أمس بالسورة، وهو مناسب، وذلك أنّ الله جلّ ذكره أخبر عباده أنه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضةً فما فوقها، عَقِيب أمثالٍ قد تقدمت في هذه السورة، ضربها للمنافقين، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها. فلأن يكون هذا القول - أعني قوله : " إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما " - جوابًا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة، أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جوابًا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور"[٣].

قال الزمخشري:" سيقت هذه الآية لبيان أنّ ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أنّ التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد. فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك. فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجرّه إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً للّه تعالى لا حال أحقر منها وأقلّ، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقلّ من الذباب وأخس قدرا، وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع، ولم يقل للمتمثل: استحى من تمثيلها بالبعوضة، لأنه مصيب في تمثيله، محق في قوله، سائق للمثل على قضية مضربه، محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه، ولبيان أنّ المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل، إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمرّ الشبهة بساحته، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله. وأنّ الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم، وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم، أو عرفوا أنه الحق إلا أنّ حب

(١) النكت والعيون: ٨٨/١.

(٢) أنظر: تفسيره:٤٠٠/١.

(٣) تفسير الطبري:٤٠٠/١.

الرياسة وهوى الألف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا، فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار، وأنّ ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم. والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا: أجمع من ذرّة، وأجرأ من الذباب، وأسمع من قراد، وأصرد من جرادة [١]، وأضعف من فراشة، وآكل من السوس. وقالوا في البعوضة: أضعف من بعوضة، وأعز من مخ البعوض. وكلفتنى مخ البعوض. ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة، كالزوان والنخالة [٢]وحبة الخردل، والحصاة، والأرضة، والدود، والزنابير. والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغنى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة، ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع، أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معوّلا"[٣].

٦-{وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)} [البقرة : ٤١]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: "أنها أنلت في يهود يثرب". قاله أبو سنان[٤].

والثاني: أنها: "نزلت في قريظة، وكانوا أول من كفر من اليهود بمحمد، وتبعهم يهود فدك[١] وخيبر". نقله الكلبي عن ابن عباس[٢].

---

(١)في الصحاح: صرد الرجل بالكسر فهو صرد ومصراد: يجد البرد سريعا.

(٢)في الصحاح: الزوان حب يخالط البر.

(٣) الكشاف: ١١١/١-١١٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٤٤٨):ص٩٧/١.

وقد ذكر السمهودي بأن قبائل اليهود في يثرب كانوا نيفاً وعشرين قبيلة، منهم بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وبنو هدل وبنو عوف وبنو القصيص وبنو ماسلة، سكن هؤلاء المدينة وأطرافها.[أنظر: وفاء الوفاء بأخبار، دار المصطفى: ١٤٢/١، و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:٩٥/١٢].

٧-{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)} [البقرة : ٤٣]

قال الطبري: "ذُكِر أن أحبارَ اليهود والمنافقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه، فأمرهم الله بإقام الصلاة مع المسلمين المصدِّقين بمحمد وبما جاء به، وإيتاء زكاة أموالهم معهم، وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضعوا"[٣].

وأخرج الطبري عن قتادة، في قوله : {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال : فريضتان واجبتان ، فأدُّوهما إلى الله"[٤].

٨-{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)} [البقرة : ٤٤]

في سبب نزول الآية قولان[٥]:

أحدهما: عن قتادة، أن الآية: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة : ٤٤]، نزلت في بني اسرائيل، إذ "كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون، فعيرهم الله[٦]. وروي عن ابن عباس[٧]، والسدي[٨]، وابن جريج[٩]، نحو ذلك.

والثاني: قال ابن زيد: " هؤلاء اليهود كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق. فقال الله لهم :{أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}"[١].

---

(١) فدك: "معروفة بينها وبين المدينة يومان، وحصنها يقال له: الشمروخ، بقرب خيبر". [الروض المعطار في خبر الأقطار:٤٣٧].

(٢) العجاب في بيان الأسباب: ٢٥١/١. لم أجد هذا في "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" للفيروزآبادي، مع أن المذكور أنه جمع فيه رواية الكلبي عن ابن عباس انظر "تاريخ التفسير" للشيخ قاسم القيسي "ص١٣٥"، وكذلك فإن السند الذي ذكر في المقدمة ينتهي إليه انظر "ص٢"، وقد رجعت إليه في البحث عن عدد من النصوص المنقولة هنا عن الكلبي فلم أجدها أو لم يتطابق النصان فلن أشير إليه بعد. [حاشية العجاب:٢٥١/١].

(٣) تفسير الطبري: ٥٧٢/١.

(٤) تفسير الطبري(٨٣٩): ٥٧٢/١.

(٥) انظر:أسباب النزول للواحدي: ٢٤، ذكر رواية ابن عباس فقط، وانظر: اللباب:١٩، والدر المنثور: ١/ ١٥٦، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٥٢/١-٢٥٣، وتفسير الطبري: ٨/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٨٤٣): ٨/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٨٤٠)، و(٨٤١):ص ٧/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٨٤٢):ص ٨/٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٨٤٤):ص ٨/٢.

٩-{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٨)} [البقرة : ٤٨]

قال الزجاج: " كانت اليهود تزعم أن آباءَها الأنبياء تشفع لها عند الله فأيئَسُهم اللَّه من ذلك"[٢].

١٠- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة : ٦٢]

أخرج الواحدي بسند له صحيح عن مجاهد، قال: "لما قص سلمان على النبي - صلى الله عليه وسلم - قصة أصحاب الدير قال: "هم في النار" قال سلمان: فأظلمت علي الأرض فنزلت: {إن الذين آمنوا والذين هادوا} إلى قوله: {يحزنون} قال: فكأنما كشف عني جبل"[٣]. وروي عن ابن مسعود، والسدي[٤]، نحو ذلك[٥].

قال ابن كثير:" لما بين الله تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره، وتعدى في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم، وما أحلّ بهم من النكال، نبه تعالى على أن مَنْ أحسن من الأمم السالفة وأطاع، فإن له جزاء الحسنى، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة ؛ كُلّ من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هُمْ يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه، كما قال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس : ٦٢] وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت : ٣٠]"[٦].

عن السدي: إن الذين آمنوا والذين هادوا.. الآية، قال: نزلت في أصحاب سلمان الفارسي لما قدم سلمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل يخبر عن عبادتهم واجتهادهم، وقال: يا رسول الله. كانوا يصلون ويصومون، ويؤمنون بك، ويشهدون أنك تبعث نبيا. فلما فرغ سلمان من

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٨٤٥): ٨/٢.

(٢) معاني القرآن: ١٢٨/١، وانظر: العجاب: ٢٥٥/١-٢٥٦.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٤، وانظر: العجاب في بيان الأسباب: ٢٥٥/١-٢٥٦، وتفسير الطبري(١١١٣):ص١٥٤/٢-١٥٥.

(٤)انظر: تفسير الطبري(١١١٢):ص١٥٠/٢-١٥٤.

(٥) أنظر: أسباب النزول: ٢٥، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٥٥/١-٢٥٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٨٤/٢.

ثنائه عليهم قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:يا سلمان هم من أهل النار، فأنزل الله: إن الذين آمنوا والذين هادوا وتلا إلى قوله: ولا هم يحزنون"[١].

١١-**{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)} [البقرة : ٧٥]**

اختلف في سبب نزول الآية، على قولين[٢]:

أحدهما: أنها: "نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله تعالى، فلما ذهبوا معه إلى الميقات وسمعوا كلام الله تعالى وهو يأمره وينهاه، رجعوا إلى قومهم، فأما الصادقون فأدوا ما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله في آخر كلامه يقول: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس"[٣]. حكاه الواحدي عن ابن عباس[٤]، ومقاتل[٥]، وروي عن ابن إسحاق[٦]، والكلبي[٧]، نحو ذلك.

والثاني: أنها:"نزلت في الذين غيروا آية الرجم وصفة محمد - صلى الله عليه وسلم -"[٨]. وهذا قول أكثر المفسرين[٩].

١٢-**{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)} [البقرة : ٧٦]**

في سبب نزول الآية أقوال[١٠]:

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢٨، مرسل، وأخرجه (١١١٢):ص١٥٠/٢-١٥٤ من طريق عمرو عن السدي.
وعزاه في الدر (١/ ٧٣) لابن جرير وابن أبي حاتم. وقد ثبت في الأثر السابق أن الآية التي نزلت ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٨، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٦٢/١.

(٣)أسباب النزول للواحدي: ٢٨.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٨.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن حيان: ٤٧/١-٤٩. أورده مطولا.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٣)، و(١٣٣٤):ص٢٤٦/٢-٢٤٧.

(٧) أنظر: العجاب في تفسير الأسباب: ٢٦٤/١. حكاه عنه يحيي بن سلام.

(٨) أسباب النزول للواحدي: ٢٨.

(٩) نقل الأكثرية الواحدي، انظر: أسباب النزول: ٢٨.

(١٠) انظر: العجاب في بيان الأسباب: ٢٦٦/١-٢٦٨.

أحدها: روي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:" لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن، فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق : اذهبوا فقولوا آمنا، واكفروا إذا رجعتم. قال : فكانوا يأتون المدينة بالبُكَر ويرجعون إليهم بعد العصر وقرأ قول الله : {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[آل عمران : ٧٢]. وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون. ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره، فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر. فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهم، قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون. وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون أنهم مؤمنون، فيقولون لهم : أليس قد قال الله لكم كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى! فإذا رجعوا إلى قومهم [يعني الرؤساء] - قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم "، الآية"[١].

والثاني: فأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة قال:" كانوا يقولون إنه سيكون نبي[٢]، فخلا بعضهم إلى بعض فقالوا: أتحدثونهم بهذا فيحتجون عليكم به"[٣]. وأخرج الطبري عن أبو العالية نحو ذلك[٤].

والثالث: وأخرج ابن أبي حاتم " عن عكرمة: أن امرأة من اليهود أصابت فاحشة فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبتغون منه الحكم رجاء الرخصة، فدعا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عالمهم وهو ابن صوريا، فقال له: احكم. قال فجبوه. قال عكرمة: التجبية يحملونه على حمار ويجعلون وجهه إلى ذنب الحمار- وذكر فيه كلاما- فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم: أبحكم الله حكمت؟ أو بما أنزل على موسى؟ قال: لا. ولكن نساءنا كن حسانا فأسرع فيهن رجالنا فغيرنا الحكم، وفيه أنزلت:{وإذا خلا بعضهم إلى بعض}،قال عكرمة: إنهم غيروا الحكم منذ ستمائة سنة"[٥].

---

(١) أخرجه الطبري(١٣٤٩):ص٢/٢٥٣-٢٥٤.

(٢) أي في آخر الزمن. انظر: العجاب في بيان الأسباب: ١/٢٦٨.

(٣) تفسير عبدالرزاق: ٨، وانظر: العجاب في بيان الأسباب: ١/٢٦٨-٢٦٩.

(٤)انظر: تفسير الطبري(١٣٤١):ص٢/٢٥١، من طريق أبي العالية ولفظه: يعني بما أنزل الله في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم".

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٠):ص١/١٥٠.

والخبر ضعيف. ففي السند حفص بن عمر العدني وهو متفق على ضعفه. انظر "الجرح والتعديل" "٣/ ١٨٢" و"المجروحين" "١/ ٢٥٧" و"تهذيب الكمال" "٧/ ٤٢" و"الميزان" "١/ ٥٦٠" و"التهذيب" "٢/ ٤١٠" والحكم

والقول الثاني أوفق بسياق الآية. والله أعلم.

١٣-{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)} [البقرة : ٧٩]

في سبب نزول الآية قولان[١]:

أحدهما: أنها نزلت في اليهود الذين "عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه، يبتغون بذلك عرضا من عرض الدنيا". قاله أبو العالية[٢]، وعثمان بن عفان[٣].

الثاني: وقيل أنها نزلت في: "ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم، يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله، ليأخذوا به ثمنا قليلا". قاله السدي[٤]، وابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧].

١٤-{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠)} [البقرة : ٨٠]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال[٨]:

مختلف فيه انظر ترجمته في "الميزان" "١/ ٥٦٩". وفي ترجمته موسى بن عبد العزيز العدني الراوي عن الحكم في "الميزان" "٤/ ٢١٢-٢١٣" قال الذهبي أيضًا: "وحديثه في المنكرات لا سيما والحكم بن أبان ليس بالثبت أيضًا".[انظر: حاشية العجاب: ٢٧٠/١].

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٦، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٦١/١-٢٧٣. قال الواحدي: "نزلت في الذين غيروا صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وبدلوا نعته، قال الكلبي بالإسناد الذي ذكرنا: إنهم غيروا صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كتابهم وجعلوه آدم سبطا طويلا، وكان ربعة أسمر، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي، الذي يبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود، فخافوا أن يذهبوا مأكلتهم إن بينوا الصفة، فمن ثم غيروا".

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٤):ص٢٧١/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٥):ص٢٧١/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨):ص٢٧١/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩):ص٢٧٠/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠):ص٢٧٠/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٢):ص٢٧١/٢.

(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٦، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٧٣/١-٢٧٦، وانظر:الطبري: ٢٧٤/٢-٢٧٥، وتفسير القرطبي: ١٠/٢-١١. وتفسير ابن كثير: ٣١٣/١-٣١٤.

أحدها: قيل :إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود : "من أهل النار" . قالوا : نحن، ثم تخلفونا أنتم، فقال : "كذبتم لقد علمتم أنا لا نخلفكم"، فنزلت هذه الآية[١].

والثاني: روي عن ابن عباس: " كانت يهود يقولون : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا من أيام الآخرة، وإنها سبعة أيام. فأنزل الله في ذلك من قولهم : {وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة} الآية"[٢]، وروي عن مجاهد[٣] وابن زيد[٤]، نحو ذلك.

والثالث: وقيل: أن اليهود قالت إن الله أقسم أن يدخلهم النار أربعين يوما عدد عبادتهم العجل، فأكذبهم الله، كما تقدم. قاله ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، وعن السدي[٧]، وأبي العالية[٨]، والضحاك[٩]، نحو ذلك

---

(١)قال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله : حدثنا عبد الرحمن بن جعفر ، حدثنا محمد بن محمد بن صخر ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اجمعوا لي من كان من اليهود هاهنا" فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أبوكم ؟" قالوا : فلان. قال : "كذبتم ، بل أبوكم فلان". فقالوا : صدقت وبَررْت ، ثم قال لهم : "هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟". قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أهل النار ؟" فقالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اخسأوا ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا". ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟". قالوا : نعم يا أبا القاسم. فقال : "هل جعلتم في هذه الشاة سمًّا ؟". فقالوا : نعم. قال : "فما حملكم على ذلك ؟". فقالوا : أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيًا لم يضرك.[مسند أحمد (٤٥١/٢) وصحيح البخاري برقم (٣١٦١ ، ٤٢٤٩) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥٥)، وأخرج نحوه الطبري(١٤٠٦)، و(١٤٠٧):٢٧٦/٢-٢٧٧، ونحوه أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة(٨١٥):ص١٥٦/١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/١].

(٢) أخرجه الطبري(١٤١٠)، و(١٤١١):ص٢٧٧/٢-٢٧٨، وابن أبي حاتم(٨١٣):ص١٥٥/١.

(٣) أخرجه الطبري(١٤١٢)، و(١٤١٣)، و(١٤١٤):ص: ٢٧٨/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩):ص٢٧٧/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩):ص٢٧٤/٢-٢٧٥

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٠):ص٢٧٥/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١):ص٢٧٥/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢):ص٢٧٥/٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٨):ص٢٧٧/٢.

والرابع: وقيل: زعم اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبا أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم. وقالوا : إنما نعذب حتى ننتهي إلى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك. قاله ابن عباس(١)، وري عن الضحاك(٢) مثل ذلك.

١٥-{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)} [البقرة : ٨٥]

قال ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس: " كانوا فريقين: طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج(٣)، والنضير وقريظة(٤) حلفاء الأوس(٥)، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان،لا يعرفون جنة ولا نارا، ولا بعثا ولا قيامة، ولا كتابا، ولا حراما ولا حلالا فإذا وضعت الحرب أوزارها، افتدوا أسراهم، تصديقا لما في التوراة، وأخذا به، بعضهم من بعض. يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلون ما أصابوا من الدماء، وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم. يقول الله تعالى ذكره، حين أنبهم بذلك : {أفتؤمنون ببعض

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤):ص٢/٢٧٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٨١٤):ص١/١٥٦.

(٣)هم الخزرج بن حارثة بطن من الأزد من القحطانية، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس، وكانت العرب جميعًا في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعًا الخزرج، وكانوا هم والأوس يحجون ويقفون مع الناس. انظر: "معجم قبائل العرب" ١/ ٣٤٢.

(٤)قريظة والنضير: قبيلتان من اليهود في المدينة، وهما من بني الخزرج الصريح بن التوءمان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عذري بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. ينظر "السيرة النبوية" لابن هشام ١/ ٦١.

(٥)هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، من أعظم بطون الأزد من القحطانية، أهل عز ومنعة، فيهم عدة أفخار، كان موطنهم الأصلي بلاد اليمن، فهاجروا إلى يثرب، وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية، ونشبت حروب طويلة بينهم وبين الخزرج كيوم بعاث والدرك وغيرها. انظر: "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة" ١/ ٥٠.

الكتاب وتكفرون ببعض}، أي تفادونه بحكم التوراة وتقتلونه - وفي حكم التوراة أن لا يقتل، ولا يخرج من داره، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه - ابتغاء عرض من عرض الدنيا". قال ابن اسحاق: "ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج - فيما بلغني - نزلت هذه القصة"[١].

أخرجه الطبري[٢]،وروي عن السدي[٣]، وابن زيد نحو ذلك[٤].

١٦-{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)} [البقرة : ٨٩]

في سبب نزول الآية وجوه[٥]:

أحدها: أخرج الطبري عن ابن عباس: "أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته! فقال سَلام بن مِشْكَم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم! فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قوله : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة : ٨٩]"[٦].

---

(١) تفسير الطبري(١٤٧٤):ص٣٠٧/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٧١):ص٣٠٤/٢-٤٠٥.

(٣)انظر: تفسير الطبري(١٤٧٢):ص٣٠٧/٢-٣٠٨.

(٤) أخرجه الطبري(١٤٧٤):ص٣٠٧/٢.

(٥) انظر أساب النزول للواحدي: ٢٨-٢٩، والعجاب في بيان الأسباب: ٢٨٠/١-٢٨١.

(٦) تفسير الطبري(١٥٢٠):ص٣٣٣/٢-٣٣٤، وابن أبي حاتم (لباب النقول: ٢١) وأبو نعيم في "الدلائل " (١٩/١) من طريق ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده حسن، ويشهد له: ما أخرجه ابن المنذر وأبو نعيم (فتح القدير: ١١٣/١) والبيهقي في "الدلائل" (٧٥/٢) من طريق إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من الأنصار بمعناه. وحسنه الوادعي (الصحيح المسند: ٢)، والخبر في سيرة ابن هشام: ١٩٦/٢. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٦/١.

والثاني: قال السدي: "كانت العرب تمر بيهود فيلقون منهم أذى، وكانت اليهود تجد نعت محمد في التوراة، ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلون معه العرب، فلما جاءهم محمد - صلى الله عليه وسلم - كفروا به حسدا، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل"[١].

والثالث: قال أبو العالية: "كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم! فلما بعث الله محمدا، ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال الله : {فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين}"[٢]. وروي عن ابن عباس[٣]، وقتادة[٤]، والسدي[٥]، وعطاء[٦]، وابن زيد[٧]، نحو ذلك.

الرابع: أن اليهود كانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال: هذا نبي قد أظل زمانه ينصرنا عليكم، فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه، كفروا به. يقول الله تعالى: {فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به}، قاله ابن عباس[٨]، وقتادة الأنصاري[٩] وروي عن مجاهد[١٠] نحوه.

الخامس: أن اليهود من قبل مبعث محمد عليه السلام ونزول القرآن، كانوا يستفتحون به على الناس. قاله علي الأزدي[١١].

١٧-{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)} [البقرة : ٩٤]

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢٩، وأخرجه الطبري(١٥٢٧):ص٣٣٥/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٦):ص٣٣٥/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٢):ص٣٣٤/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٥):ص٣٣٤/٢-٣٣٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٧):ص٣٣٥/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٨):ص٣٣٥/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٣٢):ص٣٣٦/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٠):ص٣٣٣/٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٥١٩):ص٣٣٢/٢-٣٣٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٣٠):ص٣٣٦/٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣):ص٣٣٤/٢.

عن أبي العالية، قال :"قال الله تعالى لليهود: {إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ} [البقرة : ٩٤] ، فلم يفعلوا حيث قالوا: {قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} [البقرة : ١١١]، وقالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُه} [المائدة : ١٨]، فقال الله لهم ذلك"[١]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢].

١٨-{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)} [البقرة : ٩٨]

في سبب نزول الآية أقوال[٣]:

أحدها: أخرج الطبري "عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إن يهوديا لقي عمر فقال له: إن جبريل الذي يذكره صاحبك، هو عدو لنا، فقال له عمر:{كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين}، قال : فنزلت على لسان عمر"[٤].

والثاني: وأخرج الطبري أيضا عن عبيد الله، عن رجل من قريش قال : "سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود فقال : أسالكم بكتابكم الذي تقرءون ، هل تجدون به قد بشر بي عيسى ابن مريم أن يأتيكم رسول اسمه أحمد ؟ فقالوا : اللهم وجدناك في كتابنا ، ولكنا كرهناك لأنك تستحل الأموال وتهَريق الدماء. فأنزل الله : {من كان عدوا لله وملائكته} الآية"[٥].

والثالث: وقال مقاتل: "قالت اليهود: إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، فأنزل الله هذه الآية"[٦].

والرابع: ال ابن عباس: إن حبرا من أحبار اليهود من فدك يقال له: عبد الله بن صوريا حاج النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله عن أشياء فلما اتجهت الحجة عليه قال: أي ملك يأتي من السماء؟ قال: جبريل: ولم يبعث الله نبيا إلا وهو وليه قال: ذاك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل مكانه لآمنا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٣٥):ص١٧٧/١.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٧/١.

(٣) انظر: أسباب النول للواحدي: ٢٩-٣٠، والعجاب: ٢٩٧/١ وما بعدها.

(٤) تفسير الطبري(١٦٣٥):ص٣٩٥/٢، وابن أبي حاتم(٩٦١):ص١٨٢/١، وأخرجه نحوه ابن أبي حاتم(٩٦٠):ص١٨١/١، عن عامر، وأخرج الواحدي بما معناه مطولا عن الشعبي عن عمر بن خطاب، انظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٩-٣٠.

(٥)تفسير الطبري(١٦٣٤):ص٣٩٤/٢-٣٩٥.

(٦) أسباب النزول للواحدي: ٣١.

بك، إن جبريل نزل بالعذاب والقتال والشدة، فإنه عادانا مرارا كثيرة، وكان أشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يدي رجل يقال له بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلب بختنصر ليقتله، فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة، فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم الذي أذن في هلاككم فلا تسلط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله؟ فصدقه صاحبنا ورجع إلينا، وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذه عدوا فأنزل الله هذه الآية"[1].

١٩-{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)} [البقرة : ٩٩]

روي عن ابن عباس قال : "قال ابن صوريا الفِطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها! فأنزل الله عز وجل :{وَلَقَدْ أنزلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إلا الْفَاسِقُونَ}!"[2].

٢٠-{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)} [البقرة : ١٠٠]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها: قال المفسرون: "إن اليهود عاهدوا فيما بينهم، لئن خرج محمد - صلى الله عليه وسلم - ليؤمنُنّ به، وليكونُنّ معه على مشركي العرب، فلما بُعِثَ نقضوا العهد وكفروا به "[3].

والثاني: وقال عطاء: "هي العهود التي كانت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين اليهود، فنقضوها كفعل قريظة والنضير، عاهدوا ألا يعينوا عليه أحدًا، فنقضوا ذلك، وأعانوا عليه قريشًا يوم الخندق"[4].

والثالث: أنها: "نزلت في مالك بن الصيف ، قال : والله ما أخذ علينا عهد في كتابنا أن نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلّم ، ولا ميثاق"[1].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣١.

(٢) أخرجه الطبري(١٦٣٧):ص ٣٩٨/٢، وابن أبي حاتم(٩٧٠):ص١٨٣/١، والأثر ذكره ابن هشام ٢ / ١٩٦. وتفسير ابن كثير: ٣٤٤/١.

(٣) التفسير البسيط: ١٨١/٣، وانظر: تفسير الثعلبي" ١/ ١٠٥٢، "الوسيط" ١/ ١٨١، "زاد المسير" ١/ ١٢٠، القرطبي ٢/ ٣٥.

(٤) التفسير البسيط: ١٨١/٣، و ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١/ ١٠٥٣، وابن الجوزي في "زاد المسير" ١/ ١٠٥، الرازي في "تفسيره" ٣/ ٢٠١، القرطبي في "تفسيره" ٢/ ٤٠ وأبو حيان في "البحر المحيط" ١/ ٢٧٨

قال الواحدي: "واتصال هذه الآية بما قبلها: من حيث إنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات"[٢].

٢١-**{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)} [البقرة : ١٠٢]**

في سبب نزول الآية أقوال[٣]:

أحدها: أخرج الواحدي عن ابن عباس: "إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق فإذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فيشربها قلوب الناس، فاطلع على ذلك سليمان، فأخذها فدفنها تحت الكرسي؛ فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا: نعم قال: تحت الكرسي فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر. فتناسخته الأمم فأنزل الله عذر سليمان {واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان}"[٤]. وروي عن السدي[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، وقتادة[٧]، ومجاهد[٨]، نحو ذلك.

والثاني: أخرج ابن أبي حاتم "عن ابن عباس، قال: قال: آصف كاتب سليمان، أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحرا وكفرا، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها. قال: فأكفره جهال

---

(١) البحر المحيط: ٢٧٨/١.

(٢) التفسير البسيط: ١٨١/٣.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣١-٣٣، والعجاب: ٣٠٥/١-٣١٤.

(٤) أسباب النزول:٣١-٣٢، وانظر تخريجه وطرقه في تفسير ابن كثير:١٣٤/١ - ١٣٦، وانظر نحوه في تفسير الطبري(١٦٦٢):ص٤١٥/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٩٨٤):ص١٨٥/١-١٨٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير:٢٦٥/٢، وسكت عنه، وقال الذهبي في (التلخيص): "صحيح" ، وقال الزهراني في تخريجه لابن أبي حاتم: "إسناده صحيح لكن حصين هو ابن عبد الرحمن ثقة تغير حفظه، وساء آخر حياته".

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٦):ص٤٠٥/٢-٤٠٦، وانب أبي حاتم(٩٨٧):ص١٨٦/١.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٩):ص٤١٣/٢-٤١٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٣)، و(١٦٦٤):ص٤١٥/٢-٤١٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٥):ص٤١٦/٢.

الناس وسبوه، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل على محمد: {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا}"[1]. وروي عن الكلبي[2]، نحو ذلك.

الثالث: أخرج الواحدي "عن خصيف قال: كان سليمان إذا نبتت الشجرة قال: لأي داء أنت؟ فتقول لكذا وكذا؛ فلما نبتت شجرة الخرنوبة قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لمسجدك أخربه قال: تخربينه؟ قالت: نعم، قال: بئس الشجرة أنت، فلم يلبث أن توفي، فجعل الناس يقولون في مرضاهم: لو كان لنا مثل سليمان، فأخذت الشياطين فكتبوا كتابا وجعلوه في مصلى سليمان وقالوا: نحن ندلكم على ما كان سليمان يداوي به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر رقى فأنزل الله تعالى: {واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان} إلى قوله: {فلا تكفر}"[3].

والرابع: أخرج الطبري عن ابن إسحاق: "عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام ، فكتبوا أصناف السحر : " من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا ، فليفعل كذا وكذا " . حتى إذا صنعوا أصناف السحر، جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا في عنوانه : " هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم " ، ثم دفنوه تحت كرسيه. فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا : ما كان سليمان بن داود إلا بهذا! فأفشوا السحر في الناس وتعلموه وعلموه ، فليس في أحد أكثر منه في يهود. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما نزل عليه من الله ، سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين ، قال من كان بالمدينة من يهود : ألا تعجبون لمحمد! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم : {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا}"[4]، وروي عن ابن عباس[5]،وشهر بن حوشب[1]، نحو ذلك.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٩٨٢):ص١٨٥/١.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٣٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٣٣، إسناده ضعيف لإعضاله (انقطاع أكثر من اثنين متتاليين) ولضعف خصيف (تقريب التهذيب: ٢٢٤/١ - رقم: ١٢٦) ولضعف رواية عتاب بن بشير عن خصيف خاصة (تهذيب التهذيب: ٩١/٧).

(٤) أخرجه الطبري(١٦٥٠):ص٤٠٧/٢-٤٠٨، و(١٦٦٧):ص٤١٧/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٠):ص٤١٤/٢.

الخامس: وأخرج الطبري " عن الربيع : إن اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوه عنه ، فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل إلينا منا! وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به ، فأنزل الله جل وعز : {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر}، وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك ، فدفنوه تحت مجلس سليمان - وكان سليمان لا يعلم الغيب. فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا به الناس ، وقالوا : هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه! فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ، فرجعوا من عنده وقد حزنوا ، وأدحض الله حجتهم"[٢]. وروي عن أبي العالية مثل لك[٣].

السادس: قال أبو مجلز: "أخذ سليمان من كل دابة عهدا ، فإذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد ، خلي عنه. فرأى الناس السجع والسحر ، وقالوا : هذا كان يعمل به سليمان! فقال الله جل ثناؤه : {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر}"[٤].

٢٢-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)} [البقرة : ١٠٤]

قال ابن عباس في رواية عطاء: "وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي - صلى الله عليه وسلم - أعجبهم ذلك وكان {راعنا} في كلام اليهود سبا قبيحا فقالوا: إنا كنا نسب محمدا سرا فالآن أعلنوا السب لمحمد لأنه من كلامهم، فكانوا يأتون نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون: يا محمد {راعنا} ويضحكون ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة وكان عارفا بلغة اليهود وقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٦):٢/٤١٦-٤١٧.

(٢) تفسير الطبري(١٦٤٧):ص٢/٤٠٦-٤٠٧.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٨٥):ص١/١٨٦.

(٤) أخرجه الطبري(١٦٦١):ص٢/٤١٤-٤١٥.

رجل منكم لأضربن عنقه فقالوا: ألستم تقولونها له؟ فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا} الآية" "[1].

٢٣-**{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)} [البقرة : ١٠٥]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما : قال الواحدي:" قال المفسرون: إن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه ليس بخير مما نحن عليه، ولوددنا لو كان خيرا، فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم هذه الآية"[2].

والثاني: قال الرغب: " سبب نزول هذه الآية أن جماعة من اليهود كانوا يظهرون مودة المسلمين ، ويزعمون أنهم يودون لهم الخير ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ، ونفي ما أدعوه وكان المسلمون يوالونهم ويركنون إليهم ، فأكذبهم الله تعالي في ذلك [ونفى ما ادعوه] ونهاهم تعريضاً عن موادتهم ، كما قال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ}"[3].

٢٤-**{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)} [البقرة : ١٠٦]**

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الواحدي: " قال المفسرون: إن المشركين قالوا: أترون إلى محمد يأمر أصحابه؟ يأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا فأنزل الله: {وإذا بدلنا آية مكان آية}[النحل: ١٠١]، الآية: وأنزل أيضا: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها} الآية"[4].

---

(١) أسباب النول للواحدي: ٣٣-٣٤، وأخرجه ابن جرير(١٧٣٣):ص٤٦١/٢، ونحوه ابن أبي حاتم:(١٠٣٩):ص١٩٧/١، قواه الحافظ ابن حجر في "العجاب" :٣٤٣/١ وما بعدها، ويشهد له: ما أخرجه الطبري(١٧٢٩):ص٤٦٠/٢، عن قتادة بمعناه. وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٢) أسباب النزول: ٣٤. بدون إسناد.

(٣) تفسير الرابغ الأصفهاني: ٢٨٢/١.

(٤) أسباب النزول:٣٤. بدون إسناد.

واورده الزمخشري[1] فلخصه، فذكر أنهم طعنوا في النسخ وكذلك القرطبي، وزاد أنهم أنكروا شأن القبلة[2].

والثاني: قال الثعلبي:" روي أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب: إنّ رجلا كانت معه سور فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها، فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها، فأصبحوا فأتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال بعضهم: يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله ما جئت إلّا لذلك، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّها نسخت البارحة""[3].

والثالث: وقال قتادة:" كانت الآية تنسخ الآية، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقرأ الآية من السورة ثم ترفع فينسيها الله تعالى نبيه، فقال الله تعالى يقص على نبيه {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا}"[4]. وروي عن مجاهد[5]، والحسن[6] نحو ذلك.

---

(١) انظر: الكشاف: ١٧٦/١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي:٦١/٢.

(٣) تفسير الثعلبي:٢٥٤/١، وانظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٣٤، والدر المنثور:١٠٥/١، والعجاب: ٣٤٩/١-٣٥٠، والخبر إسناده صحيح، الليث هو ابن سعد وعقيل هو ابن خالد الأيلي ويونس هو ابن يزيد وابن شهاب هو الزهري وهو مرسل صحابي وقد عزاه السيوطي إلى أبي داود في "ناسخه" وابن المنذر وابن الأنباري في "المصاحف" وأبي در الهروي في "فضائل القرآن" كما في "الدر" "١/ ٢٥٦" ولم يذكر أبا عبيد، ثم عزاه إلى أبي داود في ناسخه والبيهقي في "الدلائل"، قال: "من وجه آخر عن أبي أمامة".

وقد روى الطبراني عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكن يقرأان بها. فقاما ذات ليلة يصليان. فلم يقدرا منهما على حرف. فأصبحا غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكرا ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها مما نسخ" فكان الزهري يقرؤها "ما نُنسخ من آية أو ننسها" بضم النون الخفيفة.

وأورد هذا "ابن كثير" "١/ ١٤٩-١٥٠" ثم قال: فيه "سليمان بن أرقم: ضعيف".

(٤) العجاب: ٣٤٩/١، وأخرجه الطبري(١٧٥١):ص٤٧٤/٢، ولفظه:" كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك ، ثم تنسى وترفع".

وعزاه السيوطي أيضًا إلى أبي داود في "الناسخ والمنسوخ" "انظر الدر" "١/ ٢٥٥" وفيه تتمة:

"يقول: فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها نهي".

(٥) تفسير الطبري(١٧٥٣):ص٤٧٤/٢.

(٦) تفسير الطبري(١٧٥٤):ص٤٧٤/٢.

قال ابن حجر: "ولعل قتادة أخذ ما قال من هذا الخبر[أي: الخبر الذي ذكره الثعلبي في القول السابق]، وليس في الخبر تعيين الآية الناسخة صريحا، بل ما يومئ إلى ذلك، والعلم عند الله تعالى"(١).

٢٥-{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)} [البقرة : ١٠٨]

اختلف أهل التفسير في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية، على أقوال(٢):

أحدها: قال ابن عباس : "قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك! فأنزل الله في ذلك من قولهما:{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}، الآية(٣).

والثاني: أخرج الطبري وابن أبي حاتم، عن السدي : "{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}، أن يريهم الله جهرة. فسألت العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالله فيروه جهرة"(٤). وروي عن قتادة(٥) مثل ذلك.

والثالث: قال مجاهد:" سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فقال : " نعم! وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل إن كفرتم! فأبوا ورجعوا ، فأنزل الله : {أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل}، أن يريهم الله جهرة"(٦). وذكر الواحدي عن ابن عباس(٧) نحو ذلك.

والرابع: قال ابن حجر: "وحكى ابن ظفر أنه قيل: إنها نزلت في من قال من المسلمين لما رأوا شجرة يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط. فقال: هذا كقول قوم موسى

---

(١) العجاب: ٣٥٠/١.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٤-٣٥، وتفسير الطبري: ٢/ ٤٨٩- ٤٩١.

(٣)أخرجه الطبري(١٧٧٧):ص٤٨٩/٢-٤٩٠، وابن أبي حاتم(١٠٧٤):ص٢٠٢/١، وانظر: سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٧.

(٤) تفسير الطبري(١٧٧٨):ص٤٩٠/٢، وابن أبي حاتم(١٠٧٧):ص٢٠٣/١.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٧٩):ص٤٩٠/٢، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٠٣/١.

(٦)أخرجه الطبري(١٧٨١)، وانظر: (١٧٨٠)، و(١٧٨٢):ص٤٩٠/٢-٤٩١، وابن أبي حاتم(١٠٧٥):ص٢٠٣/١.

(٧) انظر: أسباب النزول: ٣٤. وفيه:" قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيرا نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية".

{اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[الأعراف:١٦٨]، قال ابن ظفر: لأن التبرك بالشجر واتخاذها عيدا يستدرج من يجيء بعدهم إلى عبادتها"[١].

والخامس: قال أبو العالية: "قال رجل : يا رسول الله ، لو كانت كفاراتنا كفارات بني إسرائيل! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم لا نبغيها! ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل إذا فعل أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها ، فإن كفرها كانت له خزيا في الدنيا ، وإن لم يكفرها كانت له خزيا في الآخرة ، وقد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بني إسرائيل ، قال :{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء : ١١٠]. قال : وقال:" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ، كفارات لما بينهن "[٢]. وقال : " من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها ، ولا يهلك على الله إلا هالك "[٣]، فأنزل الله : {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}"[٤].

---

(١) العجاب في بيان الأسباب: ٣٥٣/١.

قلت: ومثل هذا لا يصلح أن يستند إليه في سبب النزول؟

إذ لم أجد ذكرا عن هذا السبب في: تفسير مقاتل والطبري وابن أبي حاتم والسمرقندي والماوردي والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي، والقرطبي والخازن وابن كثير والسيوطي ورشيد رضا وسعيد حوى.

وقد ذكره الرازي "٣/ ٢٥٤" وأبو حيان "١/ ٣٤٦" مثل ما هنا وذكره الآلوسي "١/ ٣٥٥" بزيادة منها أن ذلك في غزوة خيبر، ولم ينسبوه إلى قائل معين، والثلاثة بعد ابن ظفر.

وهذا الحديث يرويه ابن إسحاق -كما في "السيرة" لابن هشام "ق٢/ ٤٤٢" وأحمد بن حنبل ٥"/ ٢١٨"، والترمذي في "السنن" "كتاب الفتن "٣/ ٣٢١-٣٢٢" وقال: حسن صحيح -والنسائي في "الكبرى"- كتاب التفسير كما في "تحفة الأشراف" "١١/ ١١٢" "١٥٥١٦" أربعتهم عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ثم الجندعي عن أبي واقد الليثي "أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها "ذات أنواط" قال: "فمررنا بسدرة خضراء عظيمة. قال: فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا إلها ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قلتم والذي نفسي بيده، كما قال قوم موسى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} إنها لسنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة". واللفظ لأحمد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية [١٣٨ من الأعراف] : ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعًا ولم يذكر في هذا الحديث -كما هو واضح- نزول آية.

(٢) صحيح مسلم(٢٣٣):ص٢٠٩/١، والترمي(٢١٤):ص٤١٩/١.

(٣) صحيح مسلم(١٣١):ص١١٨/١، وسنن الدارمي(٢٧٨٦):ص٤١٤/٢، والمعجم الكبير(١٢٧٦٠):١١٦٢/١٢.

(٤) أخرجه الطبري(١٧٨٣):ص٤٩١/٢، وابن أبي حاتم(١٠٧٦):ص٢٠٣/١، وهذا حديث مرسل ، من مراسيل أبي العالية . وقد نقله ابن كثير ١ : ٢٧٩ ، عن الطبري . ونقله السيوطي ١ : ١٠٧ ، ونسبه للطبري وابن أبي حاتم

قال ابن حجر: " وأولى بأن يكون سببا لنزول هذه الآية وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم[١] بسند قوي عن أبي العالية"[٢]، ثم ذكر الخبر.

قال الإمام ابن كثير: "نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الأشياء قبل كونها ، كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ } [المائدة : ١٠١] أي : وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ، ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه ؛ فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة، ولهذا جاء في الصحيح : "إن أعظم المسلمين جُرْمًا من سأل عن شيء لم يحرم ، فحرم من أجل مسألته"[٣]، ولما سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلا فإن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكتَ سكتَ على مثل ذلك ؛ فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها، ثم أنزل الله حكم الملاعنة[٤]، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال[٥]، وفي صحيح مسلم : "ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه"[٦]، وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج. فقال رجل : أكُل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا. ثم قال ، عليه السلام : "لا ولو قلت : نعم لوجَبَتْ ، ولو وَجَبَتْ لما استطعتم". ثم قال : "ذروني ما

. وأبو العالية الرياحي : ثقة من كبار التابعين ، كما قلنا في : ١٨٤ . ونزيد هنا أنه مترجم في التهذيب والكبير ٢٩٨/١/٢ ، والصغير : ١٠٩ ، وابن سعد ٧ /١ /٨١ - ٨٥ ، والإصابة ٢ : ٢٢١ . ولكن الاحتجاج بحديثه - كغيره من التابعين فمن بعدهم - هو في الإسناد المتصل ، أما المرسل والمنقطع ، فلا حجة فيهما .

(١)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٧٦):ص٢٠٣/١، وأخرجه الطبري(١٧٨٣):ص٤٩١/٢. وهو حديث مرسل كما سبق.

(٢) العجاب في بيان الأسباب: ٣٥٢/١.

(٣") صحيح البخاري برقم (٧٢٨٩) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٠٨ ، ٥٢٥٩) ومسلم في صحيحه برقم (١٤٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥)صحيح البخاري برقم (١٤٧٧) وصحيح مسلم برقم (٥٩٣).

(٦)صحيح مسلم برقم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تركتكم" الحديث. وهكذا قال أنس بن مالك : نُهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع(١).

وأخرج الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : عن البراء بن عازب ، قال : "إن كان ليأتي عليَّ السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فأتهيب منه ، وإن كنا لنتمنى الأعراب، وقال البزار : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ما سألوه إلا عن ثنْتَي عشرة مسألة ، كلها في القرآن : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } [البقرة : ٢١٩] ، و { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ } [البقرة : ٢١٧] ، و { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى } [البقرة : ٢٢٠] يعني : هذا وأشباهه"(٢)"

فيمكن القول بأن الأسئلة المنهية عنها هي أسئلة التعنت والاعتراض(٣)، كما قال تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء : ١٥٣]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة : ١٠١]، فهذه ونحوها، هي المنهي عنها، وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٤٣]، ويقررهم عليه، كما في قوله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة : ٢١٩] و {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ

---

(١)رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢).

(٢)ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥٤/١١) من طريق عبد الله بن عمر بن أبان ، عن محمد بن فضيل به مطولاً.

(٣) يقول الإمام الرازي: " اعلم أن السؤال الذي ذكروه إن كان ذلك طلبا للمعجزات فمن أين أنه كفر؟ ومعلوم أن طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا، وإن كان ذلك طلبا لوجه الحكمة المفصلة في نسخ الأحكام، فهذا أيضا لا يكون كفرا؛ فإن الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلقة البشر ولم يكن ذلك كفرا، فلعل الأولى حمل الآية على أنهم طلبوا منه أن يجعل لهم إلها كما لهم آلهة، وإن كانوا طلبوا المعجزات فإنهم يطلبونها على سبيل التعنت واللجاج فلهذا كفروا بسبب هذا السؤال".(انظر: تفسيره: ٢١٤/٣).

الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة : ٢٢٠]، ونحو ذلك، ولما كانت المسائل المنهي عنها مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [البقرة : ١٠٨] [(١)].

٢٦-{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)} [البقرة : ١١١]

قال السدي: "نزلت في الذين قالوا: {لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى} أي: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا"[(٢)].

وروي عن أبي العالية[(٣)] ومجاهد[(٤)] والربيع[(٥)] نحو ذلك.

٢٧-{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)} [البقرة : ١١٢]

في سبب نزول الآية، ذكر الحافظ ابن حجر، رواية السدي[(٦)]، التي ذكرناها في سبب نزول الآية السابقة[(٧)]، وعلى قول الحافظ، فلا بد أنهما نزلتا معًا، فتأمل [(٨)].

٢٨-{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)} [البقرة : ١١٣]

في سبب نزول الآية قولان:

---

(١) انظر: تفسير السعدي: ٦٢/١.

(٢) العجاب: ٣٥٧/١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٠٩٤):ص٢٠٧/١.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٩٤):ص٢٠٧/١.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٠٧/١.

(٥)انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٠٧/١.

(٦) العجاب: ٣٥٧/١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٠٩٤):ص٢٠٧/١، وقد روي عن أبي العالية ومجاهد، والربيع، نحو رواية السدي. انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٤):ص٢٠٧/١.

(٧) وهي [الآية:١١١]: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

(٨) انظر: العجاب: ٣٥٧/١.

أحدهما: روي عن ابن عباس قال:" لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى ابن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما أنتم على شيء ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ}، إلى قوله : {فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}"[1].

والثاني: أخرج الطبري عن الربيع قوله : "{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ}، قال : هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم"[2]. وروي عن أبي العالية[3]، وقتادة[4]، نحو ذلك.

٢٩-{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)} [البقرة : ١١٤]

اختلفوا في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها: أنها :"نزلت في طيطوس الرومي وأصحابه من النصارى، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة، وخربوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف". وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي[5].

والثاني:أنها نزلت في" بختنصر وأصحابه، غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس، وأعانتهم على ذلك النصارى من أهل الروم"[6]. قاله قتادة[7]، والسدي[8].

---

(١) تفسير الطبري(١٨١١): ٢/٥١٣-٥١٤، وابن أبي حاتم(١١٠٣):ص١/٢٠٨، وسنده(حسن)، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٦، والعجاب:١/٣٥٧-٣٥٨، والأثر في سيرة ابن هشام ٢ / ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) تفسير الطبري: ١٨١٢: ٢/٥١٤، وانظر: العجاب: ١/٣٥٨.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٠٥):ص١/٢٠٩.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١/٢٠٩.

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٦، وتفسير الثعلبي: ١/٢٦٠.

(٦) أسباب النول للواحدي: ٣٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٣)، و(١٨٢٤):ص٢/٥٢٠-٥٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٥):ص٢/٥٢١.

الثالث: وأخرج ابن أبي حاتم " عن مجاهد: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها}، النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه"[١].ونحوه في رواية محمد بن سعيد عن ابن عباس[٢].

الرابع: وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: "أن قريشا منعوا النبي- صلى الله عليه وسلم- الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل الله: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه}"[٣]. وروي عن ابن زيد[٤] مثله.

والراجح، أن الله تعالى عنى بقوله {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا} [البقرة : ١١٤]، النصارى . "وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصر على ذلك ، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده"[٥]. والله أعلم.

٣٠-{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)} [البقرة : ١١٥]

اختلفوا في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها: أخرج الواحدي عن جابر بن عبد الله قال: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطا وقال بعضنا: القبلة هاهنا قبل الجنوب فصلوا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، فسكت فأنزل الله تعالى: {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله}"[٦].

والثاني: وأخرج الطبري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال ، " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة ، فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجدا يصلي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١١١٢):ص٢١٠/١، وتفسير الطبري(١٨٢١)، و(١٨٢٢):ص٥٢٠/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١١١):ص٢١٠/١، وتفسير الطبري(١٨٢٠):ص٥٢١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٠):ص٢١٠/١، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٢٦):ص٥٢١/٢.

(٥) تفسير الطبري:٥٢١/٢-٥٢٢.

(٦) أسباب النزول: ٣٧. أخرجه ابن مردويه (لباب النقول: ٢٧) وإسناده منقطع (العجاب لابن حجر: ورقة ٤٠ أ) ويشهد له: الرواية الآتية.

فيه ، فلما أصبحنا ، إذا نحن قد صلينا على غير القبلة ، فقلنا : يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة . فأنزل الله عز وجل : {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}"[1].

الثالث: وأخرج الطبري والواحدي عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال:" كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة في سفر ، فلم ندر أين القبلة فصلينا ، فصلى كل واحد منا على حياله، ثم أصبحنا فذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل :{ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}"[2].

قال الواحدي: "ومذهب ابن عمر أن الآية نازلة في التطوع بالنافلة"[3].

أخرج الطبري عن ابن عمر أنه قال : " إنما نزلت هذه الآية : {أينما تولوا فثم وجه الله} أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة "[4].

---

(١) تفسير الطبري(١٨٤١):ص٥٣١/٢.

(٢) تفسير الطبري(١٨٤٢):ص٥٣٢/٢، وأسباب النزول للواحدي: ٣٦-٣٧، والحديث أخرجه الترمذي (١٧٦/٢ - ح: ٣٤٥) وابن ماجه (٣٢٦/١ - ح: ١٠٢٠) والدارقطني (٢٧٢/١ - ح: ٥) والطيالسي (منحة المعبود: ٨٥/١ - ح: ٣٦٨) (العجاب: ورقة ٤٠ أ) وعبد بن حميد (فتح القدير: ١٣٢/١) والطبراني (المعجم الأوسط: ٢٨٤/١ - ح: ٤٦٣) كلهم من طريق أشعث به. وإسناده ضعيف جدا فأشعث متروك (تقريب التهذيب: ٧٩/١ - رقم ٥٩٨) (وعاصم ضعيف (المصدر السابق: ٣٨٤/١ - رقم: ١٥) ويشهد للروايتين السابقتين:

١ - ما أخرجه الدارقطني (٢٧١/١ - ح: ٣) وابن مردويه (تفسير ابن كثير: ١٥٩/١) من طريق محمد بن عبيد الله العرزمي عن عطاء عن جابر به وضعفه الدارقطني وكذلك شمس الحق العظيم أبادي في "التعليق المغني على الدارقطني".

٢ - ما أخرجه الدارقطني (٢٨١/١ - ح: ٤) والحاكم (المستدرك: ٢٠٧/١) من طريق محمد بن سالم عن عطاء عن جابر نحوه. وضعفه الحافظ الذهبي في "التلخيص" (حاشية المستدرك: ٢٠٧/١) والحافظ ابن كثير في "تفسيره" (١٥٩/١) . قلت: وأنا لا أرى أن هذه الطرق يجبر بعضها بعضا لضعفها، ولورود ما يعارضها مما هو أصح، كما في رواية علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما وسيأتي تخريجها.[انظر: حاشية أسباب النزول للواحدي: ٣٧].

(٣) أسباب النزول: ٣٧.

(٤)تفسير الطبري(١٨٤٠):ص٥٣٠/٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٧.

الرابع: قال ابن عباس في رواية عطاء: "إن النجاشي لما توفي قال جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن النجاشي توفي، فصل عليه، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحضروا وصفهم ثم تقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال لهم: "إن الله أمرني أن أصلي على النجاشي وقد توفي فصلوا عليه" فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم عليه، فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أنفسهم: كيف نصلي على رجل مات، وهو يصلي على غير قبلتنا؟ وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات وقد صرفت القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: {فأينما تولوا فثم وجه الله}"[1].

وأخرج الطبري عن قتادة:" إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه. قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم ! قال فنزلت{ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} [سورة آل عمران : ١٩٩] ، قال : قتادة ، فقالوا : إنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله عز وجل : {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله}"[2].

قال الواحدي:" ومذهب قتادة أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: {وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره}[3]، فهذا قول ابن عباس عند عطاء الخراساني، وقال: أول ما نسخ من القرآن شأن القبلة، قال الله تعالى: {فأينما تولوا فثم وجه الله}، قال: فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، ثم صرفه الله تعالى إلى البيت العتيق"[4].

الخامس: أخرج الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : "لما هاجَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان أكثرَ أهلها اليهودُ ، أمَره الله أن يستقبل بيتَ المقدس. ففرحت اليهود. فاستقبلها رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة عَشر شَهرًا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبّ قبلة إبراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر إلى السماء. فأنزل الله عز وجل : { قَدْ نَرَى

(١) أسباب النول للواحدي: ٣٧-٣٨.

(٢) تفسير الطبري(١٨٤٤):ص٢/٥٣٢-٥٣٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٣٦)، و(١٨٣٧):ص٢/٥٢٩.

(٤) أسباب النول للواحدي: ٣٧-٣٨.

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ } [سورة البقرة : ١٤٤] الآية. فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " ؟ فأنزل الله عز وجل : { قُلْ لله المشرق والمغرب} "[١].

السادس: وقال مجاهد: " لما نزلت : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }[سورة غافر : ٦٠] ، قالوا : إلى أين ؟ فنزلت:{فأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ}[البقرة : ١١٥]"[٢].

٣١-{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦)} [البقرة : ١١٦]

في سبب نزول الآية أربعة أقوال[٣]:

أحدها: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيرا ابن الله. قاله ابن عباس[٤].

والثاني: أنها نزلت في نصارى نجران، حيث قالوا: عيسى ابن الله. قاله مقاتل[٥]، ويمان[٦]. واقتصر الطبري على قوله: "هم النصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله"[٧].

والثالث: أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت عيسى ابن الله، والمشركين قالوا الملائكة بنات الله. ذكره إبراهيم بن السري[٨]، والزجاج[٩].

والرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب. ذكره الثعلبي[١٠]، وتبعه ابن ظفر، والكواشي[١] وغيرهما[٢].

---

(١) تفسير الطبري(٢١٦٠):ص١٣٨/٢-١٣٩، وابن أبي حاتم(١٣٢٩):ص٢٤٨/١، وأسباب النزول للواحدي: ٣٩، وإسناده صحيح، انظر: لباب النقول: ٢٧، وهذا أصح الأسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: التفسير والمفسرون: ٧٧/١ .

(٢) أخرجه الطبري(١٨٤٧):ص٥٣٤/٢.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٣٥/١، وأسباب النزول: ٣٩، وانظر: العجاب: ٣٦٦/١، وتفسير الثعلبي: ٢٦٤/١.

(٤) انظر: زاد المسير: ١٣٥/١.

(٥) انظر: تفسير مقاتل: ١٣٣/١، زاد المسير: ١٣٥/١، وتفسير الثعلبي:٢٦٤/١، والعجاب: ٣٦٦/١.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٦٤/١.

(٧) تفسير الطبري:٥٣٧/٢، وانظر: العجاب في بيان الأسباب: ٣٦٦/١.

(٨) انظر: زاد المسير: ١٣٥/١، والعجاب: ٣٦٦/١.

(٩) انظر: معاني القرآن: ١٩٨/١.

(١٠) انظر: تفسير الثعلبي: ٢٦٤/١.

قال الواحدي:" نزلت في اليهود حيث قالوا: عزير ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله"[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: "واتفقوا[٤] على أن الآية نزلت فيمن زعم أن لله ولداً من يهود خيبر ونصارى نجران، ومن قال من مشركي العرب: الملائكة بنات الله[٥]، فرد الله تعالى عليهم"[٦].

قال الحافظ ابن كثير: "إن الآية الكريمة- والتي تليها- اشتملت، على الرد على النصارى، وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب، ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب الله جميعهم في دعواهم"[٧].

قلت: والآية يصح أن تكون نزلت رداً على جميع هذه الطوائف، والأقوال المحكية في الآية لا تخرج عن ذلك. والله أعلم.

---

(١)هو الإمام أحمد بن يوسف الموصلي ترجمه السيوطي في "بغية الوعاة" "١/ ٤٠١" ونقل عن الذهبي قوله فيه: برع في العربية والقراءات والتفسير. وكان عديم النظير زهدًا وصلاحًا وتبتلًا وصدقًا. وله "التفسير الصغير" و"الكبير"، جود فيه الأعراب وحرر أنواع الوقوف وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس.

قال السيوطي: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في "تفسيره"، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع "الوجيز" و"تفسير البيضاوى" و"ابن كثير".

مات الكواشي بالموصل في جمادى الآخرة سنة "٦٨٠".

(٢) انظر: العجاب في بيان الأسباب: ٣٦٦/١.

(٣) أسباب النزول: ٣٩، وانظر: العجاب: ٣٦٦/١، ومعاني القرآن للزجاج: ١٩٨/١.

(٤) مراد الحافظ بالاتفاق: أن أقوال المفسرين في الآية لا تخرج عما ذكره، لا أن كل مفسر قال ذلك، فقد ذكر الواحدي في أسباب النزول:٣٩ ذلك دون حكاية الاتفاق، واقتصر الطبري في جامع البيان: ٥٣٧/٢ على ذكر النصارى، وظاهر صنيع ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣٣٨/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/٢، ترجيح ذلك، وإن حكوا أقوالاً ثلاثة. ورجح الرازي في مفاتيح الغيب: ٢٥/٤ حكايته عن اليهود وإن ذكر الأقوال الثلاثة، وحكى أبو حيان في البحر المحيط: ٣٦٢/١ أربعة أقوال، الثلاثة التي ذكرها الحافظ، والرابع أنها نزلت في النصارى والمشركين، وهذا الأخير قاله الزجاج في معاني القرآن: ١٩٨/١

(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣٠٠/١، بدائع الفوائد لابن القيم: ١٥٢/٤-١٥٥، بدائع التفسير من تفسير ابن القيم-جمع: يسري السيد-: ٣٣٤/١-٣٣٨.

(٦) الفتح: ١٨/٨.

(٧)رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٧٤) من طريق شعيب عن أبي الزناد به ، وفيه : "ولم يكن لي كفوا أحد".

٣٢-{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)} [البقرة : ١١٨]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال[١]:

أحدها: أخرج الطبري وابن ابي حاتم ، عن ابن عباس قال: "قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كنت رسولا من عند الله كما تقول ، فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله : {وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية}، الآية كلها"[٢].

ورجحه ابن حجر فقال:" والراجح من حيث السند قول ابن عباس رضي الله عنهما"[٣].

والثاني: واخرج الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: "هم النصارى، والذين من قبلهم: اليهود"[٤].

والثالث: وعن قتادة قال: "هم كفار العرب"[٥]. وروي عن الربيع[٦]، والسدي[٧] مثل ذلك.

والراجح: أن النصارى هم المعنيون بالآية، لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم ، وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولدا. والله تعالى أعلم.

٣٣-{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)} [البقرة : ١١٩]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال محمد بن كعب:"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فنزلت : {ولا تَسألْ عن أصحاب الجحيم}"[٨].

قال الواحدي:" وهذا على قراءة من قرأ: {ولا تَسألْ عن أصحاب الجحيم} جزما"[٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢/٥٥١-٥٥٢، والعجاب: ١/٣٦٧-٣٦٨.

(٢) تفسير الطبري(١٨٦٢):ص٢/٥٥١، وتفسير ابن أبي حاتم(١١٤٠):ص١/٢١٥.

(٣) العجاب: ١/٣٦٨.

(٤) تفسير الطبري(١٨٦٠)، و(١٨٦١):ص٢/٥٥٠-٥٥١، و(١٨٦٧)، و(١٨٦٨):ص٢/٥٥٤.

(٥) أخرجه الطبري(١٨٦٣):ص٢/٥٥١.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٦٤):ص٢/٥٥١.

(٧)انظر: تفسير الطبري(١٨٦٥):ص٢/٥٥١-٥٥٢.

(٨) أخرجه الطبري(١٨٧٥):ص٢/٥٥٨. حديث مرسل لاتقوم به حجة. واسناده ضعيف.

(٩) أسباب النزول:٤٠.

وروي عن ابن عباس[١]، ومحمد بن كعب القرظي[٢]، وداود بن أبي عاصم[٣]، مثل ذلك. وهي روايات ضعيفة الإسناد[٤].

وقد استبعد الفخر الرازي صحة هذا السبب[٥].

الثاني: قال الواحدي:" قال مقاتل: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا" فأنزل الله تعالى: {ولا تسأل عن أصحاب الجحيم}"[٦].

٣٤-{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)} [البقرة : ١٢٠]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الواحدي: "قال المفسرون: إنهم كانوا يسألون النبي - صلى الله عليه وسلم - الهدنة ويطمعون أنهم إذا هادنهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٧].

الثاني: وقال ابن عباس: "هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم، فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٨].

والثالث: وقال مقاتل:" كان اليهود من أهل المدينة والنصارى من أهل نجران دعوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى دينهم وزعموا أنهم على الهدى فنزلت"[١].

---

(١)مما أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في "تفسيره" عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومعظم رواياته عنه ضعيفة (مقدمة العجاب لابن حجر) وهذه الرواية ضعفها الحافظ ابن حجر العجاب: ٣٦٩/١. ويشهد لها.

(٢)انظر: تفسير الطبري(١٨٧٦):ص٥٥٨/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٧):ص٥٥٩/٢.

(٤)انظر: التقريب، ابن حجر(١٤٨٣):ص٢٨٦/٢، والعجاب: ٤٦٨/١-٣٧٢، والدر المنثور: ٢٧١/١، وأسباب النزول للواحدي: ٣٩-٤٠.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/٤، والعجاب: ٣٦٩/١.

(٦) أسباب النزول: ٤٠. ولم اجده في تفسير مقاتل.

(٧) أسباب النزول: ٤٠، والعجاب: ٣٧٣/١.

(٨) أسباب النول للواحدي: ٤٠، والعجاب: ٣٧٣/١، قال السيوطي في "الدر:١/ ٢٧٢، وفي اللباب: :٢٨:" أخرج الثعلبي عن ابن عباس". وذكره.

والرابع: وقال ابن عطية:" روي أن سبب هذه الآية أن اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدنة، ووعدوه أن يتبعوه بعد مدة خداعا منهم، فأعلمه الله تعالى أن إعطاء الهدنة لا ينفع عندهم، وأطلعه على سر خداعهم"[٢].

٣٥-{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)} [البقرة : ١٢١]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال[٣]:

أحدها: قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: "نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر ابن أبي طالب من أرض الحبشة كانوا أربعين رجلا من الحبشة وأهل الشام"[٤].

الثاني: وقال الضحاك[٥] وابن زيد[٦]: "نزلت فيمن آمن من اليهود"[٧].

الثالث: وقال قتادة[٨] وعكرمة[٩]: "نزلت في أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -"[١٠].

٣٦-{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (١٢٣)} [البقرة : ١٢٣]

قال الزجاج: " كانت اليهود تزعم أن آباءَها الأنبياء تشفع لها عند الله فأيئَسُهم اللَّه من ذلك"[١].

---

(١) العجاب: ٣٦٣/١، [وفي النقل تصرف]، وانظر: تفسير مقاتل: ١٣٨/١. ولفظه:" وذلك أنهم[أي اليهود من أهل المدينة والنصارا من أهل نجران] دعوا النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى دينهم وزعموا أنهم على الهدى فأنزل الله- عز وجل- قل لهم: إن هدى الله يعني الإسلام هو الهدى ثم حذر نبيه- صلى الله عليه وسلم- فقال: ولئن اتبعت أهواءهم يعني أهل الكتاب على دينهم بعد الذي جاءك من العلم وعلم البيان ما لك من الله من ولي يعنى من قريب فينفعك ولا نصير".

(٢) المحرر الوجيز: ٢٠٤/١. وليس لما ذكر هنا سند يمكن الاعتماد عليه.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٠، والعجاب:٣٧٣/١-٣٧٤.

(٤) أسباب النزول للواحدي:٤٠.

(٥)انظر: أسباب النزول للواحدي:٤٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٩):ص٥٦٤/٢.

(٧) أسباب النزول للواحدي:٤٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٨٧٨):ص٥٦٤/٢، وابن أبي حاتم(١١٦١):ص٢١٨/١.

(٩)أسباب النزول للواحدي:٤٠.

(١٠) أسباب النزول للواحدي:٤٠.

٣١٧-**{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)} [البقرة : ١٢٥]**

وفي سبب نزول الآية، تعددت الروايات على وجوه:

أحدها: قال عمر بن الخطاب : "قلت : يا رسول الله ، لو اتخذت المقام مصلى! فأنزل الله : " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "[٢].

والثاني: وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن جعفر بن محمد عن أبيه، سمع جابرا يحدث عن حجة النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "لما طاف النبي- صلى الله عليه وسلم قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم قال: أفلا تتخذه مصلى. فأنزل الله تعالى:{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}"[٣].

وأخرج الفاكهي عن عمر قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فقال: "هذا مقام أبينا إبراهيم"، فقال عمر: أفلا تتخذه مصلى؟ فنزلت {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}"[٤].

الثالث: وحكى الثعلبي عن ابن كيسان قال: "ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام ومعه عمر فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام إبراهيم؟ قال: بلى قال: أفلا نتخذه مصلى؟ قال: لم أؤمر بذلك، فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت"[٥].

٣١٨-**{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)} [البقرة : ١٣٠]**

قال الثعلبي: "إن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما إنّ الله عزّ وجلّ قال في التوراة: إنّي باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد

---

(١) معاني القرآن: ١٢٨/١، وانظر: العجاب: ٢٥٥/١-٢٥٦.

(٢)رواه أحمد في المسند : ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٥٠ ، عن هشيم ، وعن ابن أبي عدي ، وعن يحيى - ثلاثتهم ، عن حميد ، عن أنس . ورواه البخاري أيضًا ، عن مسدد ، عن يحيى . كما ذكره ابن كثير ١ : ٣٠٩ - ٣١٠ ، من رواية البخاري وأحمد ، ثم ذكر أنه رواه أيضًا الترمذي، والنسائي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : " حسن صحيح " .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١١٩٦):ص٢٢٦/١.

(٤) العجاب في بيان الأسباب: ٣٧٦/١-٣٧٧. سنده ضعيف.

(٥) العجاب في بيان الأسباب: ٣٧٨/١، وانظر: اللباب: ٢٩.

اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجرا أن يسلم، فأنزل الله تعالى. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ أي يترك دينه وشريعته"[١].

والخبر في تفسير مقاتل بن سليمان[٢]، وذكره الزمخشري[٣]، والسيوطي[٤]، وابن حجر في العجاب[٥].

٣٩-{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)} [البقرة : ١٣٣]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال الواحدي:" نزلت في اليهود حين قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية"[٦]. وذكره الثعلبي[٧] في تفسيره.

الثاني: قال الطبري: "وهذه آيات نزلت، تكذيبا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب : أنهم كانوا على ملتهم، فقال لهم في هذه الآية : "{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ}، فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له[٨].

الثالث: وقال الكلبي: "لمّا دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيّران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك"[٩] " فقال: ما تعبدون من بعدي؟ ""[١٠].

الرابع: وقال ابن ظفر: "قيل: إن سبب نزولها أن اليهود اعتذروا عن امتناعهم من الإسلام بأن يعقوب أوصى الأسباط عندما حضره الموت بأن لا يبتغوا بملة اليهود بدلا فنزلت {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاء}"[١].

---

(١) تفسير الثعلبي:٢٧٨/١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٩/١-١٤٠.

(٣) انظر: الكشاف: ٣١٢/١.

(٤) انظر: اللباب: ٣٧٨/١.

(٥) انظر: العجاب: ٣٧٨/١-٣٧٩.

(٦) أسباب النول: ٤١.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي:٢٨١/١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٨/٣.

(٩) تفسير الثعلبي:٢٨١/١.

(١٠) زاده ابن حجر في العجاب: ٣٨٠/١.

قال الحافظ ابن حجر: " فإن الآية تضمنت أن يعقوب خاطب أولاده عند موته محرضاً لهم على الثبات على الإسلام، وقال له أولاده: إنهم يعبدون إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل[٢] وإسحاق[٣]"[٤].

٤٠-{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)} [البقرة : ١٣٥]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: أخرج الطبري عن ابن عباس قال : "قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه! فاتبعنا يا محمد تهتد! وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل فيهم : " وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين "[٥].

---

(١)الفتح السماوي للمناوي:١/ ١٨٣-١٨٤": "قال السيوطي: لم أقف عليه".

فإذا لم يكن له سند، فلا يعتمد، وانظر: العجاب في بيان الأسباب: ٣٨٠/١.

(٢) إسماعيل عم ليعقوب لا والد له، وسمي أباً من باب تغليب الأكثر على الأقل أو لأن العرب تطلق على العم أباً كما نص على ذلك غير واحد. انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٦٥/١، لسان العرب لابن منظور: ١٦/١، تاج العروس للزبيدي: ١٣٢/١٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٣٨/٢، الدر المصون للسمين: ٣٨٠/١، لباب التأويل للخازن: ٨٤/١، روح المعاني للألوسي: ٣٩١/١. ويؤيد الثاني ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٥١٨/٧ (باب: ما ذكر في العباس) رقم: ٢ بسند صحيح مرسل إلى مجاهد: (احفظوني في العباس فإنه بقية آبائي)، وهو عند الطبراني في الكبير: ٨٠/١١ رقم: ١١١٠٧ عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: (استوصوا بعمي العباس خيراً فإنه بقية آبائي)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٩/٩: (وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجاله وثقوا)، وهو عند الطبراني أيضاً في الأوسط: ٢٥٤/١ من حديث الحسن بن علي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٩/٩: (وفيه جماعة لم أعرفهم)، وعند الخطيب البغدادي في تاريخه: ٦٨/١٠ من حديث المطلب بن ربيعة، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٣٢ رقم: ٢١٤ و: ٢١٥ من حديث الحسن والمطلب.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري: ٩٨/٣-٩٩، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٦٥/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٣٧/٢-١٣٨، تفسير ابن كثير لابن كثير: ٢٣٢/١، أنوار التنزيل للبيضاوي: ٤٨/١.

(٤)الفتح: ٤٧٧/٦.

(٥) تفسير الطبري(٢٠٩٠): ١٠١/٣-١٠٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤١.

وذكره الثعلبي[١]، والواحدي مطولا[٢].

الثاني: قال مقاتل بن سليمان:" أن رءوس اليهود كعب ابن الأشرف، وكعب بن أسيد، وأبا ياسر بن أخطب، ومالك بن الضيف، وعازارا، وإشماويل، وخميشا، ونصارى نجران السيد والعاقب، ومن معهما قالوا للمؤمنين: كونوا على ديننا فإنه ليس دين إلا ديننا فكذبهم الله- تعالى- فقال: قل بل الدين ملة إبراهيم يعني الإسلام"[٣].

قال الإمام الطبري : "احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ حجة وأوجزها وأكملها ، وعلمها محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، قل - للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك : " كونوا هودا أو نصارى تهتدوا " - : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به - فإن دينه كان الحنيفية المسلمة - وندع سائر الملل التي نختلف فيها ، فينكرها بعضنا ، ويقر بها بعضنا. فإن ذلك - على اختلافه - لا سبيل لنا على الاجتماع عليه ، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم"[٤].

٤١-{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)} [البقرة : ١٣٦]

في سبب نزول الآية أقوال[٥]:

أحدها: قال ابن عباس قال : "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفرٌمن يهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع ، وعازر ، وخالد ، وزيد ، وأزار بن أبي أزار ، وأشْيَع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال : أومن بالله وَمَا أنزلَ إلينا وما أنزلَ إلى إبرَاهيمَ وإسماعيل وإسحاقَ ويعقوب والأسباط ، ومَا أوتي مُوسى وعيسى وَمَا أوتي النبيون من رَبهم لا نُفرّق بين أحد منهم ونحن له مُسلمون. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ، ولا نؤمن بمن آمن به.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي:٢٨٢/١.

(٢) انظر: أسباب النول: ٤١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤١/١، وانظر: العجاب: ٣٨١/١.

(٤) تفسير الطبري: ١٠٢/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٣-١١١، والعجاب: ٣٨١/١-٣٨٢.

فأنزل الله فيهم : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}[سورة المائدة : ٥٩]"[١].

الثاني: وقال قتادة: {قُولُوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم} إلى قوله :{ونَحنُ له مسلمون}، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ، ولا يفرِّقوا بين أحد منهم"[٢].

الثالث: وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة ، قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبْرَانيَّة ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تُكَذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا"[٣].

وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم ، عن سعيد بن يَسار عن ابن عباس ، قال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصلى الركعتين اللتين قبل الفجر بـ {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} الآية ، والأخرى بـ {آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران : ٥٢]"[٤]"[٥].

٤٢-{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)} [البقرة : ١٣٧]

قال مقاتل: " لما نزلت هذه الآية[{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّه}]، قرأها النبي- صلى الله عليه وسلم- على اليهود والنصارى، فقال: إن الله- عز وجل- أمرني أن أوصي بهذه الآية، فإن انتم آمنتم يعني صدقتم بالنبي- صلى الله عليه وسلم- والكتاب، فقد اهتديتم وإن توليتم وأبيتم عن الإيمان فإنما أنتم في شقاق، فلما سمعت اليهود ذكر عيسى- صلى الله عليه وسلم- قالوا: لا نؤمن بعيسى. وقالت النصارى: وعيسى بمنزلتهم مع الأنبياء، ولكنه ولد الله. يقول: إن أبوا أن يؤمنوا بمثل ما آمنتم به فسيكفيكهم الله يا محمد يعني أهل الكتاب ففعل الله- عز وجل- ذلك فقتل أهل قريظة، وأجلى [بني] النضير من المدينة إلى الشام"[٦]. ونقله عنه ابن حجر ملخصا[٧].

---

(١) تفسير الطبري(٢١٠١):ص ١١٠/٣. وانظر: سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦.

(٢) تفسير الطبري(٢١٠٣): ١١١/٣.

(٣)صحيح البخاري برقم (٤٤٨٥)، وأخرج ابن ابي حاتم بمعناه عن عطاء بن يسار، انظر: تفسيره(١٢٩٨):ص٢٤٢/١.

(٤)صحيح مسلم برقم (٧٢٧) وسنن أبي داود برقم (١٢٥٩) وسنن النسائي (١٥٥/٢).

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٤٩/١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٢/١.

(٧) انظر: العجاب: ٣٨٢/١.

٤٣-{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)} [البقرة : ١٣٨]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدها: قال الواحدي: "قال ابن عباس: إن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم يقال له: المعمودي ليظهروه بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. نزلت في تحويل القبلة"(١). وأخرج الطبري عن قتادة(٢)،وعطاء(٣)، نحو ذلك.

الثاني: قال ابن حجر: "أخرج ابن مردويه في تفسير هذه الآية من طريق أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قالت بنو إسرائيل: يا موسي هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله، فناداه ربه يا موسى الألوان كلها من صبغى وأنزل الله على نبيه {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}"(٤).

قال الطبري:" وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصِّر أطفالهم ، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس ، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم في النصرانية، فقال الله تعالى ذكره - إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به : " كونوا هودًا أو نَصَارَى تَهتدوا " - : قل لهم يا محمد : أيها اليهود والنصارى ، بل اتبعوا ملة إبراهيمَ ، صبغة الله التي هي أحسن الصِّبَغ ، فإنها هي الحنيفية المسلمة ، ودعوا الشركَ بالله ، والضلالَ عن محجَّة هُداه"(٥).

---

(١) أسباب النزول: ٤١.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢١١٣):ص١١٧/٣-١١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢١١٤):ص١١٨/٣.

(٤) العجاب في بيان الأسباب: ٣٨٤/١. وقد رواه مرفوعًا أيضًا المقدسي في "المختارة".

وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في "العظمة" عن ابن عباس موقوفًا كما في: الدر:١/ ٣٤٠ وتفسير ابن أبي حاتم(١٣١٤):ص٢٤٥/١، وقال ابن كثير بعد أن أورده من طريق ابن مردويه "١/ ١٨٨": "كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعًا، وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده والله أعلم وسيأتي أيضًا في الآية "٢٥٥" من طريق ابن أبي حاتم وأبي نعيم في "الحلية". هذا من حيث السند، وأما من حيث المتن فإني لا أجد أي علاقة بسبب نزول هذه الآية.

(٥) تفسير الطبري: ١١٧/٣.

٤٤-{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)} [البقرة : ١٤٢]

أخرج الواحدي عن البراء، قال: "لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالى: {قد نرى تقلب وجهك في السماء} إلى آخر الآية، فقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قال الله تعالى: {قل لله المشرق والمغرب} إلى آخر الآية"[(١)].

٤٥-{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)} [البقرة : ١٤٣]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي: " قال ابن عباس في رواية الكلبي: كان رجال من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد ماتوا على القبلة الأولى، منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة أحد بني النجار، والبراء بن معرور أحد بني سلمة، وأناس آخرون، جاءت عشائرهم فقالوا: يا رسول الله توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} الآية. ثم قال: {قد نرى تقلب وجهك في السماء} وذلك أن

---

(١) أسباب النزول: ٤٢. والحديث أخرجه البخاري (فتح الباري: ٩٥/١ - ح: ٤٠، ٥٠٢/١ - ح: ٣٩٩) ومسلم (٣٧٤/١ - ح: ٥٢٥) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١١٥/٣ - ح: ٤٢١)، وابن أبي حاتم(١٣٢٧):ص٢٤٨/١، والترمذي (٢٠٧/٥ - ح: ٢٩٦٢) وابن ماجه (٣٢٢/١ - ح: ١٠١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة(٢٨٧/٢)عن البراء مختصرا. وله شواهد، منها:

١ - ما أخرجه ابن جرير(٢١٦٠):ص١٣٨/٣، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وسنده صحيح.

٢ - ما أخرجه ابن جرير أيضا(٢١٤٩):ص١٣٢/٣، من طريق ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وسنده حسن.

٣- ما أخرجه ابن أبي حاتم أيضا(١٣٢٩):ص٢٤٨/١، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وسنده ضعيف.

النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل عليه السلام: "وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها" وكان يريد الكعبة، لأنها قبلة إبراهيم، فقال له جبريل: "إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئا فسل ربك أن يحولك عنها إلى قبلة إبراهيم" ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأله فأنزل الله تعالى هذه الآية"[1].

الثاني: عن البراء بن عازب، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة : ١٤٤]، قال: فوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس- وهم اليهود- ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة : ١٤٢]"[2].

عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: لما هاجَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان أكثرَ أهلها اليهودُ، أمَره الله أن يستقبل بيتَ المقدس. ففرحت اليهود. فاستقبلها رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة عَشر شَهرًا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبّ قبلة إبراهيم عليه السلام، وكان يدعو وينظر إلى السماء. فأنزل الله عز وجل: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) [سورة البقرة: ١٤٤] الآية. فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا} [البقرة : ١٤٢]؟ فأنزل الله عز وجل: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِب} [البقرة : ١٤٢]"[3].

عن أنس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي نحو بيت المقدس»، فنزلت: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة: ١٤٤]، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر، وقد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة"[4].

٤٦-{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)} [البقرة : ١٤٥]

---

(١) أسباب النزول: ٤٢-٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨):ص٢٤٨/١. إسناده صحيح

(٣) أخرجه الطبري(٢١٦٠):ص١٣٨/٣-١٣٩.

(٤) صحيح مسلم(٥٢٧):ص٣٧٥/١، وسنن أبي داود (١٠٤٥):ص٦٣٣/١.

أخرج الطبري من طريق أسباط عن السدي قال:" وإنما أنزلت هذه الآية من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حُوِّل إلى الكعبة ، قالت اليهود : إن محمدًا اشتاقَ إلى بلد أبيه ومولده! ولو ثبت على قبلتنا لكُنا نرجو أن يكون هو صاحبَنا الذي ننتظر! فأنزل الله عز وجل فيهم : {وإنّ الذين أوتوا الكتابَ ليعلمون أنه الحق من ربهم}، إلى قوله :{ ليكتمون الحق وهم يعلمون}"[1].

وروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[2]، وقتادة[3]، نحوه.

٤٧-{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)} [البقرة : ١٤٦]

قال الواحدي:" نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان؛ قال عبد الله بن سلام: لأنا أشد معرفة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذاك يا ابن سلام؟ قال: لأني أشهد أن محمدا رسول الله حقا يقينا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأني لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام"[4].

٤٨-{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)} [البقرة : ١٥٠]

قال السدي:" السدي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي قِبَل بيت المقدس ، فنسختها الكعبة. فلما وُجِّه قبل المسجد الحرام ، اختلف الناس فيها ، فكانوا أصنافًا ، فقال المنافقون : ما بالهم كانوا على قبلة زمانًا ، ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها ؟ وقال المسلمون : ليت شعرَنا عَن إخواننا الذين مَاتوا وهم يصلُّون قبَلَ بيت المقدس! هل تقبَّل الله منا ومنهم ، أوْ لا ؟ وقالت اليهود : إنّ محمدًا اشتاق إلى بلد أبيه ومولده ، ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي ننتظر! وقال المشركون من أهل مكة : تَحيَّر على محمد دينُهُ ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه ، ويوشك أنْ يدخل في دينكم! فأنزل الله جل ثناؤه في المنافقين : " سَيقول السفهاء من الناس مَا ولاهم

(١) تفسير الطبري(٢٢٥٨):ص١٨٦/٣، و(٢٢٠٤):ص١٥٧/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٢٥٨):ص١٨٦/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢١٦٣):ص١٣٩/٣-١٤٠.

(٤) أسباب النزول: ٤٤، وانظر: العجاب: ٣٩٨/١-٣٩٩.

عن قبلتهم التي كانوا عليها " إلى قوله : " وإنْ كانتْ كبيرةً إلا على الذين هَدى الله " ، وأنزل في الآخرين الآيات بعدها"[١].

٤٩-{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)} [البقرة : ١٥٤]

في سبب نزول الآية، ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الواحدي:" نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا بضعة عشر رجلا، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأنزل الله هذه الآية"[٢].

وكذا ذكره الثعلبي[٣] بغير إسناد.

وذكره مقاتل بن سليمان[٤]، وبه زيادة أن سمى الستة من المهاجرين وهم: عبيدة بن الحارث[٥]، وعمير بن أبي وقاص[٦]، وذو الشمالين[٧] بن عبد عمرو[٨] وعاقل بن البكير[٩]، ومهجع مولى عمر[١٠]، وصفوان بن بيضاء[١١]، وسمى الثمانية من الأنصار وهم: سعد بن خيثمة[١٢] ومبشر بن عبد المنذر[١٣] وحارثة بن سراقة[١]، وعوف[٢] ومعوذ[٣] ابنا عفراء[٤]، وهي أمهما، واسم أبيهما أبيهما الحارث بن مالك ويزيد بن الحارث[٥]، وعمير بن الحمام[٦] ورافع بن المعلى[٧].

---

(١) أخرجه الطبري(٢٢٠٤):ص١٥٧/٣-١٥٨.

(٢)أسباب النزول: ٤٤. والخبر أخرجه ابن مندة في "الصحابة" (لباب النقول: ٣٠) من طريق السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وقد علمنا سابقا أن هذه سلسلة الكذب (الإتقان: ١٨٩/٢) .

(٣) انظر: تفسير الثعلبي:٢١/٢.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٠/١-١٥١.

(٥)في الأصل: عبيد وهو خطأ وترجمته في "الإصابة" "٢/ ٤٤٩".

(٦)في الأصل:" عتبة هو خطأ "الإصابة" "٣/ ٣٥".

(٧)واسمه عمير "الإصابة" "٣/ ٣٥".

(٨)جاء في "تفسير مقاتل": "وذي الشمالين عبد عمر بن نضلة" وقد سقط منه لفظ "بن" وواو عمرو.

(٩)انظر: في الأصل وفي "تفسير مقاتل": عقيل وهو خطأ "الإصابة" "٢/ ٢٤٧".

(١٠)مهجع العكي "الإصابة" "٢/ ٤٦٦".

(١١) ترجمه الحافظ في "الإصابة" باسم: صفوان بن وهب "٢/ ١٩١".

(١٢)انظر: في الأصل: سعيد وهو خطأ "الإصابة" "٢/ ٢٥".

(١٣)انظر: الإصابة:٣/ ٣٦٠. ولم ينقط في الأصل.

وذكره ابن عطية[٨]، والرازي[٩]، والقاسمي[١٠] وغيرهم من المفسرين.

وذكره الماوردي مختصرا ولفظه:"وسبب ذلك أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأُحُد : مات فلان ، ومات فلان ، فنزلت الآية"[١١].

---

(١)انظر: الإصابة:١/ ٢٩٧.

(٢)انظر: الإصابة" "٣/ ٤٢".

(٣)انظر: في الأصل: مسعود وهو تحريف "الإصابة" "٣/ ٤٥٠".

(٤)هي عفراء بنت عبيدة من بني النجار، الصحابية التي شهد سبعة من أولادها بدرًا رضي الله عنها "الإصابة" "٤/ ٣٦٤" و"المجتبى من المجتنى" لابن الجوزي "ص١٦٥".

(٥)انظر: الإصابة" "٣/ ٦٥٤".

(٦)انظر: الإصابة" "٣/ ٣١. في الأصل: عمرو وفي "تفسير مقاتل": عمر وكلاهما خطأ. قال السيوطي في "اللباب" "ص٣٠": "أخرج ابن منده في الصحابة من طريق السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قتل تميم بن الحمام ببدرا، وفيه وفي غيره نزلت {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ} الآية قال أبو نعيم: اتفقوا على أنه عمير بن الحمام، وأن السدي صحفه".

(٧) انظر: الإصابة" "١/ ٤٩٩".

وانظر أسماء الشهداء الأربعة عشر في "السيرة" لابن هشام "١/ ٧٠٦-٧٠٨".

(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٢٢٧/١.

(٩) مفاتيح الغيب: ١٣٢/٤، قال الرازي: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: "نزلت الآية في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، فمن المهاجرين: عبيدة بن الحرث ابن عبد المطلب، وعمر بن أبي وقاص، وذو الشمالين، وعمرو بن نفيلة، وعامر بن بكر، ومهجع بن عبد الله. ومن الأنصار: سعيد بن خيثمة، وقيس بن عبد المنذر، وزيد بن الحرث، وتميم بن الهمام، ورافع بن المعلى، وحارثة بن سراقة، ومعوذ بن عفراء، وعوف بن عفراء، وكانوا يقولون: مات فلان ومات فلان فنهى الله تعالى أن يقال فيهم أنهم ماتوا".

(١٠) تفسير القاسمي: ١٣١/١، قال القاسمي: " قال الضحاك هم النفر الذين قتلوا عند بئر معونة وقال الكلبي هم الذين قتلوا ببدر قتل يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلا وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فأنزل الله تعالى " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء " يعني هم في الحكم كالأحياء لأنه يجري ثوابهم إلى يوم القيامة ولأنهم يسرحون في الجنة حيث شاؤوا كما قال في آية أخرى {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران : ١٦٩]".

(١١) النكت والعيون: ٢٠٩/١.

الثاني: وقال ابن عطية في سبب نزولها:أن" المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلية لهم، تعظم منزلة الشهداء، وتخبر عن حقيقة حالهم، فصاروا مغبوطين لا محزونا لهم"[١].

الثالث: وحكي الفخر الرازي: "أن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة، فنزلت هذه الآية"[٢].

٥٠-{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)} [البقرة : ١٥٥]

قال الماوردي:" لما تقدم من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعلها عليهم سنين كسني يوسفَ[٣] حين قحطوا سبع سنين ، فقال الله تعالى مجيباً لدعاء نبيه:{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالجُوعِ}، الخوف يعني الفزع في القتال، والجوع يعني المجاعة بالجدب "[٤].

وعبّر عنه أبو حيان بقوله:" وقيل : هؤلاء أهل مكة ، خاطبهم بذلك إعلاماً أنه أجاب دعوة نبيه صلى الله عليه وسلّم فيهم ، وليبقوا يتوقعون المصيبة ، فتضاعف عليهم المصيبات"[٥].

٥١-{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)} [البقرة : ١٥٨]

اختلف في سبب نزول هذه الآية على أقوال[٦]:

أحدها: قالت:عائشة-رضي الله عنها-: "أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١].

---

(١) المحرر الوجيز: ٢٢٧/١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب: ١٣٢/٤.

(٣) لفظ الحديث:" "اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف". رواه البخاري في "صحيحه" كتاب "الأذان" باب يهوي بالتكبير حين يسجد "الفتح" "٢/ ٢٩٠" بهذا اللفظ وبدون "عليهم في كتاب الاستسقاء" باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم" اجعلها عليهم سنين كسني يوسف "الفتح" "٢/ ٤٩٢" وكتاب "التفسير" باب "ليس لك من الأمر شيء". "الفتح" "٨/ ٢٢٦".

(٤) النكت والعيون: ٢٠٩/١، وانظر: العجاب: ٤٠٥/١-٤٠٦.

(٥) البحر المحيط: ٣٩١/١، وانظر: العجاب: ٤٠٦/١.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي:٤٤-٤٧، والعجاب: ٤٠٦/١-٤١١.

الثاني: قال الشعبي: "أن وَثَنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى (إسافًا)، ووثنًا على المرْوة يسمى(نائلة)، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مَسحوا الوثنين. فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان ، قال المسلمون : إنّ الصفا والمرْوة إنما كانَ يُطاف بهما من أجل الوَثنين ، وليس الطواف بهما من الشعائر! قال : فأنزل الله : إنهما من الشعائر ، " فمن حَجّ البيتَ أو اعتمر فلا جُناحَ عليه أن يطوّف بهما "[٢].

وروي عن عامر[٣]، ويزيد[٤]، وأنس بن مالك[٥]، وابن عمر[٦]، ومجاهد[٧]، وابن زيد[٨]، نحو ذلك.

وقد ذكر ابن إسحاق في كتاب السيرة أن إسافا ونائلة كانا بشرين، فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قُريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عبدا ، ثم حولا إلى الصفا والمروة ، فنصبا هنالك ، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ، ولهذا يقول أبو طالب، في قصيدته المشهورة :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل[٩]

الثالث: وقال قتادة: "قوله :{إنّ الصفا والمرْوَة من شعائر الله}، الآية ، فكان حَيٌّ من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما ، فأخبرهم الله أنّ الصفا والمروة من شعائر الله ، وكانَ من سُنة إبراهيم وإسماعيلَ الطواف بينهما"[١]. وروي عن عائشة[٢]، نحو ذلك.

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٤٤-٤٥. و أخرجه البخاري (فتح الباري: ٦١٤/٣ - ح: ١٧٩٠ ٤٩٧/٣ - ح: ١٦٤٣) ومسلم (٩٢٨/٢ - ح: ٢٦٠ ٩٢٩/٢ - ح: ٢٦١، ٩٣٠/٢ - ح: ٢٦٣) والإمام مالك (الموطأ: ٢٥٧ - ح: ٨٣٥ رواية يحيى الليثي) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٨/ ٧٨ - ح: ١٧٣، ٧٩/١٨ - ح: ٧٤) وأبو داود (٤٥٣/٢ - ح: ١٩٠١) والترمذي (٢٠٨/٥ - ح: ٢٩٦٥) والنسائي (جامع الأصول: ١٨/٢) وابن ماجه (٩٩٤/٢ - ح: ٢٩٨٦) وابن جرير (٢٩/٢، ٣١) كلهم عن عائشة رضي الله عنها به.

(٢) أخرجه الطبري(٢٣٣٥):ص٣/ ٣٣١.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٣٣٦):ص٣/ ٢٣١-٢٣٢.

(٤)انظر: تفسير الطبري(٢٣٣٧):ص٣/ ٢٣٢.

(٥)انظر: تفسير الطبري(٢٣٣٨)،و(٢٣٣٩):ص٣/ ٢٣٢.

(٦)انظر: تفسير الطبري(٢٣٤٠):ص٣/ ٢٣٣.

(٧)انظر: تفسير الطبري(٢٣٤٣)، و(٢٣٤٤):ص٣/ ٢٣٥.

(٨)انظر: تفسير الطبري(٢٣٤٥):ص٣/ ٢٣٥.

(٩)السيرة النبوية لابن إسحاق (رقم النص ٤) ط ، حميد الله ، المغرب.

الرابع: وقال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن الخمس: وهم قريش، وكنانة، وخزاعة، وعامر بن صعصعة، قالوا: ليست الصفا والمروة من شعائر الله، وكان على الصفا صنم يقال له نائلة، وعلى المروة صنم يقال له يساف في الجاهلية. قالوا، إنه حرج علينا في الطواف بينهما، فكانوا لا يطوفون بينهما فأنزل الله- عز وجل- {إن الصفا والمروة من شعائر الله}"[٣].

الخامس: وقال ابن كثير: "قال آخرون من الأنصار: إنما أمرنا بالطواف بالبيت ، ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى : {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}[٤].

السادس:قال ابن عباس:" أنه كانَ في الجاهلية شَيَاطين تعزفُ الليل أجمعَ بين الصفا والمروة، وكانت بَينهما آلهة ، فلما جاء الإسلام وظَهر ، قال المسلمون : يا رَسولَ الله ، لا نطوف بين الصفا والمروة ، فإنه شركٌ كنا نفعله في الجاهلية! فأنزل الله :{ فلا جُناح عليه أن يطوَّف بهما}"[٥].

والصواب : "إنّ الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله ، كما جعل الطواف بالبيت من شعائره، فأما قوله :{فلا جناحَ عليه أن يطَّوَّف بهما}، فجائزٌ أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي، وبَعضُهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية ، على ما رُوي عن عائشة، وأيُّ الأمرين كان من ذلك ، فليس في قول الله تعالى ذكره : {فلا جُناح عليه أن يطَّوَّف بهما}، الآية ، دلالةٌ على أنه عَنى به وَضعَ الحرَج عَمن طاف بهما ، من أجل أن الطواف بهما كان غير جائزٍ بحظر الله ذلك ، ثم جُعل الطواف بهما رُخصة ، لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظُر ذلك في وقت ، ثم رخص فيه بقوله :{فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما}"[٦].

---

(١) أخرجه الطبري(٢٣٤٩):ص ٢٣٦/٣، و(٢٣٥٢):ص٢٣٨/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٣٥٠)، و(٢٣٥١):ص ٢٣٦/٣-٢٣٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٢/١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٧٠/١.

(٥) أخرجه الطبري(٢٣٤٢):ص٢٣٤/٣، و تفسير القرطبي: ١٧٩/٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٦، حكاه عن السدي.

(٦) تفسير الطبري: ٢٣٩/٣-٢٤٠.

وروي عن حَبِيبة بنت أبي تجراة، قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة ، والناس بين يديه ، وهو وراءهم ، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره، وهو يقول : "اسعَوا ، فإن الله كتب عليكم السعي" [١].

وفي رواية أخرى عن صفية بنت شيبة، أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول: "كتب عليكم السعي ، فاسعوا" [٢].

وقد استُدلّ بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج[٣]، لأنه عليه السلام طاف بينهما، وقال : "لتأخذوا عني مناسككم". فكل ما فعله في حَجته تلك واجب لا بد من فعله في الحج ، إلا ما خرج بدليل ، والله أعلم[٤].

---

(١)المسند (٤٢١/٦).

(٢)المسند (٤٣٧/٦).

(٣) مع الاتفاق على مشروعية السعي للحج والعمرة إلا أن أهل العلم اختلفوا في حكمه، فقال مالك والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه: هو ركن من أركان الحج لا ينوب عنه الدم، وقال أبو حنيفة: هو واجب ينوب عنه الدم، وقال أحمد في إحدى روايتيه: هو سنة لا يجب بتركه دم، والأول أظهر لقول عائشة-رضي الله عنها-عند البخاري-فتح-: ٧١٩/٣ رقم: ١٧٩٠، ومسلم: ٩٢٨/٢-٩٢٩ رقم: ١٢٧٧، واللفظ له: (فلعمري! ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة)، وانظر: الذخيرة للقرافي: ٢١٣/٣، نهاية المحتاج للرملي: ٣٢١/٣، الإفصاح لابن هبيرة: ٢٧٨/١، المغني لابن قدامة: ٢٣٨/٣، فتح القدير لابن الهمام: ٤٦٧/٢.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٧١/١. قد فصّل الإمام الرازي في هذا الموضوع قائلا:

قوله تعالى: {لا جناح عليهن} أنه لا إثم عليه، والذي يصدق عليه أنه لا إثم في فعله يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح، ثم يمتاز كل واحد من هذه الثلاثة عن الآخر بقيد زائد، فإذن ظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب، أو ليس بواجب، لأن اللفظ الدال على القدر المشترك بين الأقسام لا دلالة فيه البتة على خصوصية من الرجوع إلى دليل آخر، إذا عرفت هذا فنقول: مذهب الشافعي رحمه الله أن هذا السعي ركن، ولا يقوم الدم مقامه، وعند أبي حنيفة رحمه الله أنه ليس بركن، ويقوم الدم مقامه، وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء، أن من تركه فلا شيء عليه، حجة الشافعي رضي الله عنه من وجوه:

أحدها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا"، فإن قيل: هذا الحديث متروك الظاهر، لأنه يقتضي وجوب السعي وهو العدو، ذلك غير واجب قلنا: لا نسلم أن السعي عبارة عن العدو بدليل قوله: {فاسعوا إلى ذكر الله} (الجمعة: ٩) والعدو فيه غير واجب، وقال الله تعالى: {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} (النجم: ٣٩) وليس المراد منه العدو، بل الجد والاجتهاد في القصد والنية، سلمنا أنه يدل على العدو، ولكن العدو مشتمل على صفة ترك العمل به في حق هذه الصفة، فيبقى أصل المشي واجبا.

وثانيها: ما ثبت أنه عليه السلام سعى لما دنا من الصفا في حجته، وقال: "إن الصفا والمروة من شعائر الله ابدؤا بما بدأ الله به" فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، وإذا ثبت أنه عليه السلام سعى وجب أن يجب علينا السعي للقرآن والخبر، أما القرآن: فقوله تعالى: {واتبعوه} وقوله: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى} (آل عمران: ٣١) وقوله: {لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة} (الأحزاب: ٢١) وأما الخبر فقوله عليه السلام: "خذوا عني مناسككم" والأمر للوجوب.

وثالثها: أنه أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم، أو يؤتى به في إحرام كامل فكان جنسها ركنا كطواف الزيارة، ولا يلزم طواف الصدر لأن الكلام للجنس لوجوبه مرة، واحتج أبو حنيفة رضي الله عنه بوجهين:

أحدهما: هذه الآية وهي قوله: {لا جناح عليهن * أن يطوف بهما} وهذا لا يقال في الواجبات. ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله: {ومن تطوع خيرا} فبين أنه تطوع وليس بواجب.

وثانيهما: قوله: "الحج عرفة" ومن أدرك عرفة فقد تم حجه، وهذا يقتضي التمام من جميع الوجوه، ترك العمل به في بعض الأشياء، فيبقى معمولا به في السعي والجواب عن الأول من وجوه:

الأول: ما بينا أن قوله: {فلا جناح عليه} ليس فيه إلا أنه لا إثم على فاعله، وهذا القدر المشترك بين الواجب وغيره، فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب والذي يحقق ذلك قوله تعالى: {فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلواة إن خفتم} (النساء: ١٠١) والقصر عند أبي حنيفة واجب، مع أنه قال فيه: {فلا جناح عليه} فكذا ههنا.

الثاني: أنه رفع الجناح عن الطواف بهما لا عن الطواف بينهما، وعندنا الأول غير واجب، وإنما الثاني هو الواجب.

الثالث: قال ابن عباس: كان على الصفا صنم وعلى المروة صنم وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويتمسحون بهما فلما جاء الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، إذا عرفت هذا فنقول انصرفت الإباحة إلى وجود الصنمين حال الطواف لا إلى نفس الطواف كما لو كان في الثوب نجاسة يسيرة عندكم، أو دم البراغيث عندنا، فقيل: لا جناح عليك أن تصلي فيه، فإن رفع الجناح ينصرف إلى مكان النجاسة لا إلى نفس الصلاة.

الرابع: روي عن عروة أنه قال لعائشة: إني أرى أن لا حرج علي في أن لا أطوف بهما، فقالت: بئس ما قلت لو كان كذلك لقال: أن لا يطوف بهما، ثم حكى ما تقدم من الصنمين، وتفسير عائشة راجح على تفسير التابعين، فإن قالوا: قرأ ابن مسعود: (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) واللفظ أيضا محتمل له كقوله: {يبين الله لكم أن تضلوا} (النساء: ١٧٦) أي أن لا تضلوا، وكقوله تعالى: {أن تقولوا يوم القيامة} (الأعراف: ١٧٢) معناه: أن لا تقولوا، قلنا: القراءة الشاذة لا يمكن اعتبارها في القرآن لأن تصحيحها يقدح في كون القرآن متواترا.

الخامس: كما أن قوله: {فلا جناح عليه} لا يطلق على الواجب، فكذلك لا يطلق على المندوب، ولا شك في أن السعي مندوب، فقد صارت الآية متروكة العمل بظاهرها.

وأما التمسك بقوله: {فمن تطوع خيرا} فضعيف، لأن هذا لا يقتضي أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا، بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئا آخر قال الله تعالى: {وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين} (البقرة: ١٨٤) ثم قال: {فمن تطوع خيرا فهو خير له} (البقرة: ١٨٤) فأوجب عليهم الطعام، ثم ندبهم إلى التطوع

٥٢-{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)} [البقرة : ١٥٩]

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية على قولين:

أحدهما: قال مقاتل:" وذلك أن معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وحارثة بن زيد، سألوا اليهود عن أمر محمد- صلى الله عليه وسلم- وعن الرجم وغيره فكتموهم يعني اليهود، منهم كعب بن الأشرف، وابن صوريا، ما أنزلنا من البينات يعني ما بين الله- عز وجل- في التوراة يعني الرجم والحلال والحرام والهدى يعني أمر محمد- صلى الله عليه وسلم- في التوراة فكتموه الناس"[١].

وذكره الماوردي، فزاد:" فيهم كعب بن أسيد وزيد بن التابوت"[٢].

وأخرج الطبري عن ابن عباس قال : "سألَ مُعاذ بن جبل أخو بنى سَلِمة ، وسعد بن مُعاذ أخو بني عبد الأشهل ، وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج ، نفرًا من أحبار يَهود - قال أبو كريب : عما في التوراة ، وقال ابن حميد : عن بَعض مَا في التوراة - فكتموهم إياه ، وأبوْا أن يُخبروهم عنه ، فأنزل الله تعالى ذكره فيهم : {إنّ الذين يَكتمون مَا أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيَّناه للناس في الكتاب أولئك يَلعنهم الله ويَلعنهم اللاعنون} "[٣].

وروي عن مجاهد[٤]، والربيع[٥]، وقتادة[٦]، والسدي[٧]، وأبو العالية[١]، نحو ذلك. وهو قول الجمهور.

بالخير فكان المعنى: فمن تطوع وزاد على طعام مسكين كان خيرا، فكذا ههنا يحتمل أن يكون هذا التطوع مصروفا إلى شيء آخر وهو من وجهين:

أحدهما: أنه يزيد في الطواف فيطوف أكثر من الطواف الواجب مثل أن يطوف ثمانية أو أكثر.

الثاني: أن يتطوع بعد حج الفرض وعمرته بالحج والعمرة مرة أخرى حتى طاف بالصفا والمروة تطوعا وأما الحديث الذي تمسكوا به فنقول: ذلك الحديث عام وحديثنا خاص والخاص مقدم على العام والله أعلم.(مفاتيح الغيب: ١٤٦/٤-١٤٧).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٢/١.

(٢) النكت والعيون: ٢١٤/١، وانظر: العجاب: ٤١٢/١.

(٣) تفسير الطبري(٢٣٧٠):ص٢٤٩/٣-٢٥٠، وانظر: العجاب: ٤١٢/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٣٧١):ص٢٥٠/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٢٣٧٢)، و(٢٣٧٣):ص٢٥٠/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٢٣٧٤):ص٢٥١/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٣٧٥):ص٢٥١/٣.

الثاني: وقيل: المراد كل من كتم الحق، فهي عامة في كل من كتم علما من دين الله يحتاج إلى بثه ، وذلك مفسر في قوله صلى الله عليه وسلم : "من سُئِل عن علم فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[٢].

٥٣-{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)} [البقرة : ١٦١]

في سبب نزول الآية، قولان[٣]:

أحدهما: أنها نزلت في الذين جحدوا نبوة محمد وكذبوا، من اليهود والنصارى وغيرهم. قاله الطبري[٤].

الثاني: أنها نزلت فيمن مات من اليهود على الكفر. قاله مقاتل[٥].

٥٤-{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)} [البقرة : ١٦٣]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن حجر: "قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس:" قالت كفار قريش: يا محمد صف أو انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وسورة الإخلاص"[٦]. وكذا نقله الواحدي في "الوسيط"[٧]، والثعلبي في تفسيره[٨].

والثاني: قال ابن حجر: "ومن طريق جويبر عن الضحاك: كان للمشركين ثلاثمائة وستون صنما يعبدونها من دون الله فبين الله تعالى أنه إله واحد فأنزل هذه الآية"[٩]. وكذا ذكره الثعلبي[١٠].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٤١):ص٢٦٨/١، وتفسير ابن كثير: ٤٧٢/١.

(٢)) المسند (٢٦٣/٢) وقد توسع الحافظ الزيلعي في كتابه "تخريج أحاديث الكشاف" (٢٥٢/١ - ٢٥٧) في ذكر طرق هذا الحديث.

(٣)السببين ذكرها ابن حجر في "العجاب": ٤١٣٤١٣/١.

(٤)انظر: تفسير الطبري:٢٦١/٣، وهو معنى قوله، وانظر: العجاب: ٤١٣/١.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٣/١، وانظر: العجاب: ٤١٣/١، ولم يقل مقاتل: "نزلت" وإنما قال: "ثم ذكر مَنْ مات من اليهود على الكفر ... ".

(٦) العجاب: ٤١٣/١.

(٧)انظر : الوسيط: ٢٤٥/١، والتفسير البسيط: ٤٥١/٣، وتفسير الثعلبي: ٣١/٢، والعجاب: ٤١٣/١.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي:٣١/٢.

(٩) العجاب: ٤١٣/١، وتفسير الثعلبي:٣٢/٢، ولم أجد هذا في "تفسير الطبري" وابن كثير والسيوطي.

(١٠) انظر: تفسير الثعلبي:٣٢/٢.

٥٥-{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)} [البقرة : ١٦٤]

اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية الكريمة على أقوال[١]:

أحدها: أنزلها عليه احتجاجًا له على أهل الشرك به من عبدة الأوثان.

قال عطاء: "نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة : {وإلهكم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم}، فقال كفار قريش بمكة : كيف يَسعُ الناسَ إله واحد ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : " إنّ في خَلق السموَات والأرض واختلاف الليل والنهار " ، إلى قوله : " لآياتٍ لقوم يَعقلون " ، فبهذا تعلمُون أنه إله واحدٌ ، وأنه إله كل شيء ، وخالق كل شيء"[٢].

الثاني: أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، من أجل أنّ أهلَ الشرك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [آية] ، فأنزل الله هذه الآية ، يعلمهم فيها أنّ لهم في خَلق السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك ، آيةً بينةً على وحدانية الله ، وأنه لا شريك له في ملكه ، لمن عَقل وتدبَّر ذلك بفهم صحيح.

أخرج ابن مَرْدُويه عن ابن عباس قال : "أتت قريش محمدًا صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد إنما نريد أن تدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ، فنشتري به الخيل والسلاح ، فنؤمن بك ونقاتل معك. قال : "أوثقوا لي لئِنْ دعوتُ ربي فجعلَ لكم الصفا ذهبًا لتُؤْمنُنّ بي" فأوثقوا له ، فدعا ربه ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك قد أعطاهم الصفا ذهبًا على أنهم إن لم يؤمنوا بك عذبهم عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين. قال محمد صلى الله عليه وسلم : "ربّ لا بل دعني وقومي فلأدعهم يومًا بيوم". فأنزل الله هذه الآية : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ} الآية"[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٣ -٢٧٠، والعجاب: ٤١٤/١-٤١٥.

(٢) أخرجه الطبري(٢٣٩٨):ص ٢٦٨/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٧٥/١.

وأخرج الطبري عن أبي الضحى[١]، وعطاء بن أبي رباح[٢]، وسعيد[٣]، والسدي[٤]، نحو ذلك.

والراجح-والله أعلم-" أنّ الله تعالى ذكره نَبَّه عباده على الدلالة على وَحدانيته وتفرده بالألوهية ، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية. وجائزٌ أن تكون نزلت فيما قاله عطاء ، وجائزٌ أن تكون فيما قاله سعيد بن جبير وأبو الضحى ، ولا خبرَ عندنا بتصحيح قول أحد الفريقين يقطع العذرَ ، فيجوز أن يقضيَ أحدٌ لأحد الفريقين بصحة قولٍ على الآخر. وأيُّ القولين كان صحيحًا ، فالمراد من الآية ما قلت"[٥].

٥٦-{وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)} [البقرة : ١٦٧]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أخرج ابن أبي حاتم عن " الأوزاعي، سمعت ثابت بن معبد قال: ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت وما هم بخارجين من النار"[٦].

الثاني: قال الواحدي: "قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في المشركين الذين أخرجوا النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة"[٧].

٥٧-{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)} [البقرة : ١٦٨]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي: "قال الكلبي عن أبي صالح: نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي"[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٢٣٩٩)، و(٢٤٠٠)، و(٢٤٠١):ص٣/٢٦٨-٢٦٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٤٠٢):ص٣/٢٦٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٠٣):ص٣/٢٦٩-٢٧٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٤٠٤):ص٣/٢٧٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣/٢٧٠.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠١):ص١/٢٧٩. والعجاب: ١/٤١٦.

(٧) التفسير البسيط: ٣/٤٨٢.

(٨) أسباب النول: ٤٨، والعجاب: ١/٤١٦.

وذكره الرازي عن ابن عباس"[١].

وقال مقاتل:" نزلت في ثقيف، وفي بني عامر بن صعصعه، وخزاعة، وبني مدلج، وعامر، والحارث ابني عبد مناة"[٢].

ونقل ابن عطية عن النقاش: أنها "نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب"[٣].

والثاني: قال ابن حجر: "قال ابن ظفر: ورُوي عن عطاء أنها نزلت في المؤمنين، وقيل في عثمان بن مظعون وأصحابه الذين عزموا على الترهب"[٤].

وهذه الآية جاءت في سورة البقرة؛ وسورة البقرة مدنية؛ وقد سبق أنه جاء أيضاً مثلها: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم} [البقرة: ٢١] ؛ وقد ذكر كثير من المؤلفين في أصول التفسير أن الغالب في السور المدنية أن يكون الخطاب فيها بـ {يا أيها الذين آمنوا} [البقرة: ١٠٤] ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة صارت المدينة بلاد إسلام؛ وهي أول بلد إسلامي يحكمه المسلمون في هذه الرسالة؛ فصار التوجه إليها بالخطاب بـ{يا أيها الذين آمنوا}؛ لكنها ليست قاعدة؛ ولكنها ضابط يخرج منه بعض المسائل؛ لأن من السور المدنية فيها {يا أيها الناس}، كسورة النساء، وسورة الحجرات[٥].

٥٨-{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)} [البقرة : ١٧٠]

أخرج ابن إسحاق[٦]، والطبري[٧]، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام، فرغبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرا منا، فأنزل الله

وانظر معاني هذه الألفاظ في "زاد المسير" لابن الجوزي "٢/ ٤٣٦-٤٤٠" وقد ذكر في معنى البحيرة أربعة أقوال، وفي معنى كل من السائبة والوصيلة خمسة أقوال، وفي معنى الحام ستة أقوال، ونقلها يطول.

(١) مفاتيح الغيب: ٤/٥.

(٢) تفسير مقاتل: ١٥٥/١.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٣٧/١.

(٤) العجاب: ٤١٧/١.

(٥) تفسير ابن عثيمين: ١٠٢/٢.

(٦) انظر: السيرة" لابن هشام "٢/ ٥٥٢".

(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٤٤٦):ص٣٠٥/٣.

تبارك وتعالى في ذلك من قولهما: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون"[١].

٥٩-**{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)} [البقرة : ١٧١]**

ذكر الطبري: "أنها نزلت في اليهود، بدليل الآية التي قبلها والآيات التي بعدها[٢].

٦٠-**{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)} [البقرة : ١٧٤]**

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الواحدي :" قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: "نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - فغيروها ثم أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المتغير وجدوه مخالفا لصفة محمد - صلى الله عليه وسلم - فلا يتبعونه"[٣]. وذكره الثعلبي في تفسيره[٤].

الثاني: قال الثعلبي:" قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: سئلت الملوك اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم عن الذي يجدونه في التوراة فقالت اليهود: إنا لنجد في التوراة إن الله عز وجل يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له: محمد، يحرم الزنى والخمر والملاهي وسفك الدماء، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ونزل المدينة قالت الملوك لليهود: أهذا الذي تجدون في كتابكم؟ فقالت اليهود طمعا في أموال الملوك: ليس هذا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأعطاهم الملوك الأموال، فأنزل الله تعالى هذه الآية إكذابا لليهود"[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١٥١١):ص٢٨١/١، وانظر: العجاب: ٤١٧/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٣١٣/٣-٣١٤. والعجاب: ٤١٨/١.

(٣) أسباب النول: ٤٨، ضعيف جدا.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي:٤٧/٢.

(٥) تفسير الثعلبي:٤٦/٢.

الثالث: أخرج الطبري عن قتادة مرسلا: "قوله : {إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب}، الآية كلها، هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم وبَين لهم من الحق والهدى، من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأمره"[١]، وروي عن الربيع [٢]والسدي[٣] وعكرمة[٤] وأبو العالية[٥]، نحو ذلك.

٧١-{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)} [البقرة : ١٧٧]

في سبب نزول الآية أقوال[٦]:

أحدها: أخرج الطبري عن قتادة: "كانت اليهود تصلي قبَل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق، فنزلت :{ ليس البر أن تولوا وُجُوهكم قبل المشرق والمغرب} " [٧].

الثاني: وروي عن قتادة أيضا: " ذُكر لنا أن رَجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآية، وذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا الرجل فتلاها عليه، وقد كان الرجلُ قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرْجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله :{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ}، وكانت اليهود تَوجَّهت قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق {ولكن البر من آمنَ بالله واليوم الآخر} الآية"[٨].

والراجح أن الآية نزلت في اليهود والنصارى، لأنه أليق بسياق الآية إذ أن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير الطبري(٢٤٩٤):ص ٣٢٧/٣.

(٢) تفسير الطبري(٢٤٩٥):ص ٣٢٧/٣-٣٢٨.

(٣) تفسير الطبري(٢٤٩٦):ص ٣٢٨/٣.

(٤) تفسير الطبري(٢٤٩٧):ص ٣٢٨/٣.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٣٣):ص١٨٥/١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٣-٣٣٨، وأسباب النول للواحدي: ٤٩.

(٧) تفسير الطبري(٢٥١٨):ص ٣٣٧/٣.

(٨) تفسير الطبري(٢٥١٩):ص ٣٣٧/٣. وأخرجه وابن المنذر وعبد بن حميد (فتح القدير: ١٧٣/١) عن قتادة به مرسلا، وسنده صحيح.

قال ابن كثير: " إن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حوَّلهم إلى الكعبة، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل، وامتثال أوامره، والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق إلى المغرب بر ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ؛ ولهذا قال : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } الآية، كما قال في الأضاحي والهدايا : { لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } [الحج : ٣٧]"[١].

٢٢-**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)} [البقرة : ١٧٨]**

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها: قال الشعبي: " نزلت قي قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا قتال عُمِّيَّة ، فقالوا : نقتل بعبدنا فلانَ ابن فلان ، وبفلانة فلانَ بن فلان ، فأنزل الله :{الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى}"[٢].

وروي عن قتادة[٣]، وعامر[٤]، ومجاهد[٥] نحو ذلك.

الثاني:وقال أبو مالك:" كان بين حيين من الأنصار قتالٌ ، كان لأحدهما على الآخر الطَّوْلُ، فكأنهم طلبوا الفضْل. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم ، فنزلت هذه الآية :{ الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى}، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى[٦]". وروي عن السدي[٧]، والشعبي[٨]، نحوه.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٨٥/١.

(٢) انظتفسير الطبري(٢٥٥٨):ص ٣٥٨/٣.

(٣) انظتفسير الطبري(٢٥٥٩)، و(٢٥٦٩):ص ٣٥٨/٣-٣٦٠.

(٤) انظتفسير الطبري(٢٥٦١):ص ٣٦٠/٣.

(٥) انظتفسير الطبري(٢٥٦٢):ص ٣٦٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري(٢٥٦٥):ص٣٦٠/٣-٣٦١.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٥٦٣)، و(٢٥٦٤):ص٣٦٠/٣-٣٦١.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٢٥٦٦)، و(٢٥٦٧):ص٣٦١/٣.

الثالث: وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله تعالى ذكره بمقاصَّة دية الحرّ ودية العبد، ودية الذكر ودية الأنثى، في قتل العمد - إن اقتُصَّ للقتيل من القاتل، والتراجع بالفضل والزيادة بين ديتي القتيل والمقتص منه، وهذا قول الربيع[١]، والحسن[٢]، والشعبي[٣].

الرابع: وقال ابن عباس:" وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ، فأنزل الله تعالى : {النفس بالنفس}، فجعل الأحرار في القصاص سَواءً فيما بينهم ، في العمد رجالهم ونساؤُهم ، في النفس وما دون النفس. وجعل العبيد مستوين فيما بينهم في العمد ، في النفس وما دون النفس ، رجالهم ونساؤُهم"[٤].

والصواب: أن الآية نزلت في قوم بأعيانهم خاصة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل ديات قتلاهم قصَاصًا بعضها من بعض، كما قاله السدي. والله أعلم.

٦٣-{فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)} [البقرة : ١٨٢]

قال الواحدي:" قال الكلبي: كان الأولياءُ والأوصياءُ يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن كانت مستغرقة للمال، فأنزل الله قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا} أي: خشي، وقيل: علم"[٥].

وذكره الثعلبي في تفسيره، لكنه قال: "ثم نسختها هذه الآية: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا}"[٦].

وروى عبد الرزاق في المصنف، عن سفيان الثوري نحوه[٧].

٦٤-{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)} [البقرة : ١٨٦]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٢٥٦٨):ص٣/٣٦١-٣٦٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٥٦٩):ص٣/٣٦٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٥٧٠):ص٣/٣٦٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٥٧٢):ص ٣/٣٦٢-٣٦٣.

(٥) التفسير البسيط: ٣/٥٥١.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي:٢/٦٠، وذكره البغوي ١/ ١٩٤.

(٧) انظر: المصنف: ٩/ ٨٩.

أحدها: أخرج الطبري عن الحسن قال :" سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم : أين ربُّنا ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : " وإذا سألك عبادي عَني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان " الآية"[١]. وروي عن صلب بن حكيم ، عن أبيه، عن جده[٢]، والضحاك[٣]، نحو قول الحسن.

والثاني: أخرج الفريابي[٤] والطبري عطاء: "لما نزلت : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [سورة غافر : ٦٠] قالوا : في أي ساعة ؟ قال : فنزلت : {وإذا سألك عبادي عَني فإني قريب}، إلى قوله : {لعلهم يَرْشدون}"[٥]، وروي عن السدي[٦]، وابن صالح[٧]، نحو ذلك.

الثالث: وقال مجاهد :" {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، قالوا : إلى أين ؟ فنزلت : {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة : ١١٥]"[٨].

الرابع: وقال قتادة :" ذكر لنا أنه لما أنزل الله{ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، قال رجال : كيف ندعو يا نبي الله ؟ فأنزل الله :{وإذا سَألك عبادي عَنّي فإنّي قريبٌ }إلى قوله : {يرشدون}"[٩].

الخامس: قال مقاتل بن سليمان:" اعترف رجال من المسلمين عند ذلك بما كانوا يصنعون بعد العشاء[أي: أنهم كانوا يأتون نساءهم بعد أن يناموا في الصيام]، فقالوا: بتنا ومخرجنا مما عملنا،

---

(١) تفسير الطبري(٢٩٠٥):س ٤٨١/٣(مرسل)، وذكره ابن حجر عن عبدالرزاق في تفسيره، ولم أجده في "تفسيره" وكذلك من قبلي عبدالحكيم محمد الأنيس محقق العجاب، وكذا أحمد شاكر، إذ قال هذا الأخير: "لم أجده في تفسير عبد الرزاق. فلعله. موضوع آخر من كتبه". فهل نقله ابن حجر من تفسيره مباشرة أم اعتمد على رواية الطبري عنه؟ والله أعلم.[انظر: العجاب في بيان الأسباب: ٤٣٣/١].

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٩٠٤):ص٤٨٠/٣، وعليه اقتصر السيوطي في "اللباب" "ص٣٣".

(٣) العجاب: ٤٣٤/١. قال ابن حجر:" وذكر ابن ظفر عن الضحاك، قال: سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه".

(٤) انظر: العجاب: ٤٣٣/١.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره(٢٩٠٧)، و(٢٩٠٨):ص ٤٨١/٣-٤٨٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٢٩٠٩):ص٤٨٢/٣.

(٧)انظر: تفسير الطبري(٢٩١٠):ص٤٨٢/٣-٤٨٣.

(٨) أخرجه الطبري(٢٩١١):ص ٤٨٣/٣.

(٩) أخرجه الطبري(٢٩١٢):تص ٤٨٣/٣.

فأنزل الله- عز وجل- {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيب}"[١]. وقد ذكر القصة مطولا عن عمر بن الخطاب، وصرمة بن أنس بن صرمة بن مالك من بني عدي بن النجار[٢].

وذكره ابن ظفر عنه أيضا وذكر فيه القصة عن عمر بن الخطاب وعن صرمة بن أنس أبي قيس[٣]، قال ابن حجر:"وهذا يستلزم أن هذه الآية مؤخرة في النزول، وإن كانت متقدمة في التلاوة"[٤].

السادس: قال ابن عباس في رواية أبي صالح:" أن يهود المدينة قالوا: يا محمد ،كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تتزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، فنزلت هذه الآية"[٥]. وفي رواية أخرى:" وإن غلظ كل سماء خمسمائة عام"[٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٣/١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٢/١-١٦٣. إذ يقول:" كان في الصوم الأول أن الرجل إذا صلى العشاء الآخرة أو نام قبل أن يصليها حرم عليه الطعام والشراب والجماع كما يحرم بالنهار على الصائم ثم إن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- صلى العشاء الآخرة ثم جامع امرأته فلما فرغ ندم وبكا فلما أصبح أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره، فقال: يا نبي الله، إني أعتذر إلى الله- عز وجل- ثم إليك من نفسي هذه الخاطئة واقعت أهلي بعد الصلاة، فهل تجد لي رخصة، فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم-: لم تك جديرا بذلك يا عمر، فرجع حزينا: ورأى النبي- صلى الله عليه وسلم- صرمة بن أنس بن صرمة بن مالك من بني عدي بن النجار عند العشاء، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: يا أبا قيس، مالك طليحا، فقال: يا رسول الله، ظللت أمس في حديقتي فلما أمسيت أتيت أهلي، وأرادت المرأة أن تطعمني شيئا سخنا، فأبطأت علي بالطعام، فرقدت فأيقظتني وقد حرم علي الطعام، فأمسيت وقد أجهدني الصوم. واعترف رجال من المسلمين عند ذلك بما كانوا يصنعون بعد العشاء فقالوا: بتنا ومخرجنا مما عملنا فأنزل الله- عز وجل- وإذا سألك عبادي عني فإني قريب".

وقد عقب ابن كثير على هذه الروايات بقوله: "وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم فى سبب نزول هذه الآية فى عمر بن الخطاب ومن صنع كما صنع وفى صرمة بن قيس فأباح الله الجماع والطعام والشراب فى جميع الليل رحمة ورخصة ورفقا..".[تفسير ابن كثير: ١/ ٢٢١].

وما كان عمر خليقا أن يفعل ذلك كما ورد فى حديث ابن عباس الوارد فى:(ابن كثير ٢٢٠/١)، ومع ذلك كانت زلة عمر سببا فى تيسير الله ورحمته بنا فى الصيام.

(٣) انظر: العجاب:٤٣٥/١.

(٤) العجاب: ٤٣٥/١. ولاشك بأن مثل هذا الأمر لا يمكن الاعتماد فيه على قول بلا سند!

(٥) زاد المسير: ١٨٩/١، وانظر: العجاب: ٤٣٥/١، وقال: ذكره الماوردي ونسبه إلى الكلبي". ولم نقف عليه في النكت والعيون، وقد ذكر أربعة أقوال في سبب نزول هذه الآية.

(٦) العجاب: ٤٣٥/١.

٦٥-**{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)} [البقرة : ١٨٧]**

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: ذكر أبو إسحاق عن البراء ابن عازب قال : "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائمًا فنام قبل أن يفطر، لم يأكل إلى مثلها، وإن قَيْس بن صِرْمة الأنصاري كان صائمًا، وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حَضَر الإفطار أتى امرأته فقال : هل عندك طعام ؟ قالت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك. فغلبته عينُه فنام، وجاءت امرأته، فلما رأته نائما قالت : خيبة لك! أنمت ؟ فلما انتصف النهار غُشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ } إلى قوله : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } ففرحوا بها فرحًا شديدًا"[(١)].

والثاني: أخرج البخاري من طريق أبي إسحاق : "سمعت البراء قال : لما نزل صومُ رمضان كانوا لا يقرَبُون النساء، رَمَضَان كُلّه، وكان رجَال يخونون أنفسهم، فأنزل الله : { عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ}"[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: " الآية نزلت في الأمرين معاً"[(٣)].

---

(١)رواه الطبري في تفسيره(٢٩٣٨):ص٤٩٥/٣. وحديث البراء في كتاب الصيام في البخاري-فتح-: ١٥٤/٤ رقم: ١٩١٥ ونصه (كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي-ثم ذكر قصة قيس بن صرمة وأنه غشي عليه منتصف النهار من الجوع لكونه نام قبل أن يأكل-فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) فرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ).

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٥٠٨).

(٣) أي: الأكل والشرب ومباشرة النساء. انظر: فتح الباري: ١٥٦/٤-١٥٧. وقد نص على ذلك الطبري في جامع البيان: ٤٩٣/٣ (... كانت خيانتهم أنفسهم التي ذكرها الله في شيئين أحدهما: جماع النساء، والآخر: المطعم والمشرب في الوقت الذي كان حراماً ذلك عليهم)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣١٧/٢، المحرر الوجيز لابن عطية: ٨٩/٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٧٥/١. أما نزول الآية في الأكل والشرب فواضح في قصة

والثالث: أخرج الواحدي عن سهل بن سعد قال: "نزلت هذه الآية: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود}، ولم ينزل {من الفجر} وكان رجال إذا أرادو الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعد ذلك: {من الفجر} فعلموا أنه إنما يعني بذلك الليل والنهار"[1].

قال ابن كثير: " هذه رُخْصة من الله تعالى للمسلمين، ورَفْع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل

قيس بن صرمة المذكورة في حديث البراء قبل، وأما نزولها في الجماع فجاء من حديث ابن أبي ليلى عن معاذ أن عمر واقع امرأته بعد أن نامت ظناً منه أنها تتعلل بذلك، لكن ابن أبي ليلى لم يلق معاذاً كما أبان ذلك الحافظ في الفتح: ٣١/٨، وحديث ابن أبي ليلى عن معاذ في المسند-تحقيق الزين-: ٢٠٧/١٦-٢٠٩ رقم: ٢٢٠٢٣ وسق أبي داود: ٣٤٤/١-٣٤٧ رقم: ٥٠٦ والمستدرك للحاكم: ٢٧٤/٢ وغيرها، وظاهر صنيع الحافظ في الفتح: ٣١/٨ تحسينه له إذ قال: (وقد جاء عنه-أي: ابن أبي ليلى-فيه: حدثنا أصحاب محمد... فكأنه سمعه من غير معاذ أيضاً، وله شواهد...) وحسنه أيضاً: الحميدان في تخريجه لأسباب نزول الواحدي: ٥٠-٥١. وانظر: جامع البيان للطبري: ٤٩٣/٣-٥٠٣ إذ روى من طريق ابن عباس نحو ذلك، ومن طريق أصحاب مجاهد وعطاء وعكرمة والسدي وقتادة وثابت نحو ذلك، لكن لم يزد واحد منهم في القصة على تسمية عمر، إلا في حديث عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عند ابن جرير إذ ورد فيه: (وضع كعب بن مالك مثل ذلك)، انظر: الفتح: ٣١/٨. وأسباب النزول للواحدي-تخريج الحميدان: ٤٩-٥٢، لباب النقول للسيوطي: ٣٤-٣٥، العجاب في أسباب النزول لابن حجر:-تحقيق الأنيس-: ٤٣٦/١-٤٤٧.

(١) أسباب النزول: ٥٢-٥٣. و أخرجه البخاري (فتح الباري: ١٨٢/٨ - ح: ٤٥١١) ومسلم (٧٦٧/٢ - ح: ١٠٩١) والطبراني (المعجم الكبير: ١٧٩/٦ - ح: ٥٧٩١) وابن جرير (١٠٠/٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه به.
ويشهد له:
* ما أخرجه البخاري (فتح الباري: ١٨٢/٨ -: ٤٥٠٩) ومسلم (٧٦٦/٢ - ح: ١٠٩٠) وأبو داود (٧٦٠/٢ - ح: ٢٣٤٩) والترمذي (٢١١/٥ - ح: ٢٩٧١) والنسائي (جامع الأصول: ٢٨/٢) والطبراني (المعجم الكبير: ٧٩/١٧ - ح: ١٧٢ - ١٧٩) وابن جرير (١٠٠/٢) عن عدي بن حاتم قال:
لما نزلت: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقالا أبيض وعقالا أسود أعرف الليل والنهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار". وهذا لفظ مسلم.
والراجح أن هذا ليس سبب نزول وإنما هو فهم خاطئ من عدي رضي الله عنه بعد نزول الآية بينه له النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.[انظر: حاشية أسباب النزول: ٥٢].

ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة. فوجدوا من ذلك مَشَقة كبيرة"[١].

٦٦-{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)} [البقرة : ١٨٨]

قال الواحدي: " قال مقاتل بن حيان: نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي، وفي عبدان بن أشوع الحضرمي، وذلك أنهما اختصما إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في أرض وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فحكم عبدان في أرضه، ولم يخاصمه"[٢].

٦٧-{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)} [البقرة : ١٨٩]

اختلف في سبب نزول قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} [البقرة : ١٨٩]، على قولين[٣]:

أحدهما: أنها "نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة ؟ فأنزل الله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ }"[٤].

وقال الواحدي:" قال معاذ بن جبل: يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٥].

والثاني: قال ابن عباس: "سأل الناسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ، فنزلت هذه الآية : {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس}، يعلمون بها حَلّ دينهم ، وعدة نسائهم ، ووقت حجهم"[٦]. وروي عن قتادة[١]، والربيع[٢]، وابن جريج[٣]، نحو ذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٠/١.

(٢) أسباب النزول: ٥٣، وانظر: تفسير القرطبي: ٣٣٧/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٣ وما بعدها، وأسباب النزول: ٥٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور للسيوطي ١ / ٤٩٠ ، وذكره في العجاب عن اكلبي، انظر: العجاب: ٤٥٤/١ وذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره.:١٦٥/١.

(٥) أسباب النزول: ٥٣.

(٦) أخرجه الطبري(٣٠٧٣):ص٥٥٤/٣.

وأما سبب نزول قوله تعالى: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} [البقرة : ١٨٩]، ففيه وجوه:

أحدهما: أخرج الواحدي والطبري، وغيرهما عن البراء بن عازب أنه قال: "كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل فدخل من قبل باب، فكأنه عير بذلك، فنزلت هذه الآية"(٤).

والثاني: أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عطاء قال: " كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم، دخلوا البيوت من ظهورها ويرون أن ذلك أدنى إلى البر، فقال الله تعالى: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها}"(٥).

والثالث: أخرج الواحدي عن جابر قال: "كانت قريش تدعى الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بستان، إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب فقال له: "ما حملك على ما صنعت؟ " قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت. فقال: "إني أحمسي" قال: فإن ديني دينك، فأنزل الله: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها}"(٦). وأخرج الطبري عن الزهري(٧) مثل ذلك.

والرابع: وقال المفسرون: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه، فإن كان من أهل المدن نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلما فيصعد فيه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك دينا إلا أن يكون من الحمس، وهم قريش

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٣٠٦٧):ص٣/٥٥٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٣٠٦٨):ص٣/٥٥٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٣٠٧٠):ص٣/٥٥٣-٥٥٤.

(٤) أسباب النزول: ٥٤، وأخرجه البخاري (فتح الباري: ٦٢١/٣ - ح: ١٨٠٣) ومسلم (٢٣١٩/٤ - ح: ٣٠٢٦) والطيالسي (منحة المعبود: ١٢/٢ - ح: ١٩٢٧)، والطبري(٣٠٧٥):ص٣/٥٥٨.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٧١٤):ص١/٣٢٤. اسناده ضعيف.

(٦) أسباب النزول: ٥٣، و أخرجه الحاكم (لباب النقول: ٣٦) وابن خزيمة (فتح الباري: ٦٢١/٣) من طريق الأعمش به. وسنده صحيح على شرط مسلم (فتح الباري: ٦٢١/٣) .

(٧) انظر: تفيير الطبري(٣٠٨٢):ص٣/٥٥٨.

وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو النضر بن معاوية سموا حمسا لشدتهم في دينهم، قالوا: فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم بيتا لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار على أثره من الباب وهو محرم، فأنكروا عليه، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لم دخلت من الباب وأنت محرم؟ " فقال: رأيتك دخلت من الباب فدخلت على أثرك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إني أحمسي" قال الرجل: إن كنت أحمسيا فإني أحمسي، ديننا واحد رضيت بهديك وسمتك ودينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١]. وأخرج الطبري عن الزهري مثله[٢].

قال ابن حجر معلقا على كلام الواحدي:" وهذا جمعه من آثار مفرقة ولم أجده عن واحد معين"[٣].

والسادس: قال الماوردي ما حاصله أنه قيل: إنها نزلت في من كان يأتي النساء في غير قبلهن، وكنى عن النساء بالبيوت للإيواء إليهن، وعن الوطء في غير القبل بالإتيان من جهة الظهر، ونسبه لابن زيد[٤].

واستبعده ابن عطية قائلاً :"... فبعيد مغير نمط الكلام[٥].

السابع: وقال الماوردي أيضا: "أنه في النسيء وتأخير الحج به ، حين كانوا يجعلون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحج ، والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحج عنه ، ويكون ذكر البيوت وإتيانها من ظهورها مثلاً لمخالفة الواجب في الحج وشهوره ، والمخالفة إتيان الأمر من خلفه ، والخلف والظهر في كلام العرب واحد ، حكاه ابن بحر "[٦].

وفي ذلك بعد أيضاً، فإن لم يُحْمَل ما لا بعد فيه مما ورد في سبب نزول الآية على تعدد الأسباب فما في الصحيح أصح[٧] كما قال الحافظ ابن حجر[١].

---

(١) أسباب النزول: ٥٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٣٠٨٢):ص٥٥٨/٣.

(٣) العجاب: ٤٥٨/١.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/١.

(٥) المحرر الوجيز:٢٦٢/١.

(٦) النكت والعيون: ٢٥٠/١.

(٧) وهو قول البراء بن عازب-رضي الله عنه-عند البخاري في صحيحه-فتح-: ٧٢٧/٣ رقم: ١٨٠٣ (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها فجاء رجل من

قال القرطبي: " اتصل هذا[أي دخول البيت من ظهورها] بذكر مواقيت الحج، لاتفاق وقوع القضيتين في وقت السؤال عن الأهلة وعن دخول البيوت من ظهورها ، فنزلت الآية فيهما جميعا."[٢].

٦٨-{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)} [البقرة : ١٩٠]

قال الواحدي :" قال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس: نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما صد عن البيت هو وأصحابه، نحر الهدي بالحديبية، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه، ثم يأتي القابل على أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء، وصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، في الحرام فأنزل الله تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم} يعني قريشا"[٣].

٦٩-{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)} [البقرة : ١٩٤]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة: " أقبل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاعتمروا في ذي القَعدة ومعهم الهدي ، حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون ، فصالحهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك ، حتى يرجع من العام المقبل فيكون بمكة ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بسلاح راكب ويخرج ، ولا يخرج بأحد من أهل مكة ، فنحروا الهدْي بالحديبية ، وحلَّقوا وَقصَّروا. حتى إذا كان من العام المقبل ، أقبل نبيُّ الله وأصحابه حتى دخلوا مكة ، فاعتمروا في ذي القَعدة ، فأقاموا

الأنصار فدخل من قِبل بابه، فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: (وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) [البقرة:١٨٩] وظاهر قول البراء هذا اختصاص ذلك بالأنصار، وقد أبان الحافظ في الفتح: ٧٢٧/٣ أن سائر العرب كانوا كذلك إلا قريشاً. وهناك أقوال أخرى في سبب نزول الآية ذكرها ابن حجر في العجاب-تحقيق الأنيس-: ٤٥٥/١ ــ ٤٦٥.

(١) انظر: الفتح: ٧٢٨/٣.

(٢) تفسير القرطبي ٣٤٤/٢.

(٣) أسباب النزول: ٥٥.

بها ثلاث ليال ، فكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية ، فأقصَّه الله منهم ، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردُّوه فيه في ذي القَعدة ، فقال الله : {الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحُرمات قصَاص} "[1]. وروي عن ابن عباس[2]، ومجاهد، ومقسم[3]، والسدي[4]، والربيع[5]، والضحاك[6]، وأبي العالية[7]، وعطاء[8]، نحو ذلك[9].

وقد ذكر ابن حجر أن عمرة القضاء سميت بذلك من قاضاه إذا عاوضه لا من قاضاه إذا عاهده، فقال: "ويرجح الثاني تسميتها قصاصا، قال الله تعالى: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ} [البقرة:١٩٤] قال السهيلي[10]:تسميتها عمرة القصاص أولى؛ لأن هذه الآية نزلت فيها، قلت: كذا رواه ابن جرير[11]، وعبد بن حميد[12] بإسناد صحيح عن مجاهد، وبه جزم سليمان التيمي[13] في مغازيه[1]، وقال ابن إسحاق[2]: بلغنا عن ابن عباس فذكره، ووصله الحاكم في الإكليل[3] عن ابن عباس، لكن في إسناده الواقدي[4]"[5].

---

(١) أخرجه الطبري(٣١٣٣):ص٥٧٦/٣، وانظر: أسباب النول للواحدي: ٥٥-٥٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٣١٣٨):ص٥٧٨/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٣١٣٤):ص٥٧٧/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٣١٣٥):ص٥٧٧/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٣١٣٧):ص٥٧٧/٣-٥٧٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٣١٣٦):ص٥٧٧/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٣٨):ص٣٢٨/١-٣٢٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٣١٤١):ص٥٧٩/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٣ وما بعدها.

(١٠) الروض الأنف: ٢٥/٧، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٢٦/٤، وانظر: السيرة النبوية في فتح الباري للشنقيطي: ٢٦/٣.

(١١) في جامع البيان: ٥٧٦/٣ رقم: ٣١٣١-٣١٣٢.

(١٢) عزاه له السيوطي في الدر المنثور: ٣٧٣/١، وذكره الواحدي في أسباب النزول-تحقيق الحميدان-: ٥٥-٥٦، والطبري في جامع البيان: ٥٧٦/٣ رقم: ٣١٣٣ بسند صحيح عن قتادة، وهو قول ابن عباس ومقسم والسدي والربيع والضحاك كما في العجاب لابن حجر-تحقيق الأنيس-: ٤٦٨/١-٤٧١، وجامع البيان للطبري: ٥٧٥/٣-٥٧٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ٦٩/٢، وغيرها.

(١٣) هو: أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري، نزل في التيم فنسب إليهم، ثقة عابد، له كتاب المغازي، توفي عام: ١٤٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد: ٢٥٢/٧، تهذيب الكمال للمزي: ٥/١٢، تقريب التهذيب لابن حجر: ٤٠٩.

والثاني: ذكر الماوردي عن الحسن البصري مرسلاً: "أن مشركي العرب، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أنُهيْتَ يا محمد عن قتالنا في الشهر الحرام؟ فقال: نعم، فأرادوا أن يقاتلوه في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ}"(٦).

٧٠-{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)} [البقرة : ١٩٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري عن عامر: "أن الأنصارَ كان احتبس عليهم بعضُ الرزق ، وكانوا قد أنفقوا نَفقاتٍ ، قال : فَساءَ ظنُّهم وأمسكوا. قال : فأنزل الله :{ وأنفقوا في سَبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}، قال : وكانت التهلكة سوء ظنهم وإمساكهم"(٧).

والثاني: أخرج الواحدي "عن النعمان بن بشير في قول الله - عز وجل - {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} قال: كان الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفر لي، فأنزل الله هذه الآية"(٨).

---

(١) كتاب المغازي لم يطبع، وقد نقل ذلك عنه العيني في عمدة القاري: ٢٧١/١٤، وانظر: السيرة النبوية في فتح الباري للشنقيطي: ٢٦/٣.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٣/٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٢٧/٤.

(٣) الإكليل كتاب في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأحاديثه، كما ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٦٧/١٧-١٦٨. وهو من الكتب النادرة توجد منه نسخة كاملة في مكتبة دار العلوم الألمانية كما أفاد ذلك صاحبا معجم المصنفات الواردة في فتح الباري: ٧٤، وقد أورد الواقدي الأثر بسنده إلى ابن عباس في المغازي: ٧٣١/٢-٧٣٢.

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المديني القاضي، إمام واسع العلم وأحد أوعيته، متروك متفق على ضعفه، قال الذهبي: "ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم"، توفي عام: ٢٠٧هـ. انظر: طبقات ابن سعد: ٣٣٤/٧، سير أعلام النبلاء للذهب: ٤٥٤/١١، التقريب لابن حجر: ٨٨٢.

(٥)الفتح: ٥٧١/٧.

(٦)النكت والعيون: ٢٥٢/١، وانظر: العجاب: ٤٧٠/١-٤٧١، والبحر المحيط لأبي حيان: ٦٩/٢، ومفاتيح الغيب: ٢٩٢/٥

(٧) تفسير الطبري(٣١٥٣):ص ٥٨٥/٣.

(٨) أسباب النزول: ٥٧، وأخرجه الطبراني (مجمع الزوائد: ٣١٧/٦) وابن جرير (١١٨/٢) وابن المنذر وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي (فتح القدير: ١٩٤/١) عن النعمان رضي الله عنه به.

والثالث: أنها نزلت في الإنفاق من الحرام، قاله: عكرمة[١].

والرابع: أنها نزلت في اقتحام معسكر العدو الذي لا طاقة لهم به[٢].

والخامس: أنها نزلت في الإسراف بإنفاق المال، قاله: أبو علي[٣].

والسادس: أنها نزلت في إحباط العبد عمله بالمن أو الرياء والسمعة[٤].

والأظهر أن الآية نزلت في النفقة، لكن لفظ (التهلكة) عام يشمل جميع ما يصلح لذلك، والله أعلم.

٧١-{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)} [البقرة : ١٩٦]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها:أخرج ابن أبي حاتم" عن صفوان بن أمية، أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضمخا بالزعفران، عليه جبة، فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ قال: فأنزل الله: وأتموا الحج والعمرة لله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين السائل عن العمرة؟ فقال: ها أنا ذا. فقال له: الق عنك ثيابك ثم أغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت- يعني صانعا- في حجك، فاصنعه في عمرتك"[٥].

وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٣١٧/٦) والحافظ ابن حجر (فتح الباري: ١٨٥/٨) ، ويشهد له: ما أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢٧٥/٢) والترمذي وابن مردوية (تفسير ابن كثير: ٢٢٩/١) عن البراء رضي الله عنه نحوه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٦٣/٢، البحر المحيط لأبي حيان: ٧٠/٢.

(٢)انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١١٦/١، النكت والعيون للماوردي: ٢٥٣/١، البحر المحيط لأبي حيان: ٧٠/٢.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٧٠/٢.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٧٠/٢.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٧٦١):ص٣٣٤/١، وقال ابن كثير: حديث غريب وسياق عجيب ١/ ٣٣٤. وقال ابن حجر: "وهذا الحديث رواته ثقات لكن وقع في سياق السند وهم فإنه في الصحيح من طريق عطاء عن صفوان بن

والثاني: وقال مقاتل بن سليمان:إن" أهل الجاهلية كانوا يشركون في إحرامهم. فأمر الله- عز وجل- النبي- صلى الله عليه وسلم- والمسلمين أن يتموهما لله فقال : وأتموا الحج والعمرة لله وهو ألا يخلطوهما بشيء"[١].

والثالث: قال القرطبي:" أن العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر والتفاضل والتنافر وقضاء الحاجة وحضور الأسواق، وكل ذلك ليس لله فيه طاعة، ولا حظ بقصد، ولا قربة بمعتقد. فأمر الله سبحانه وتعالى بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقه، ثم سامح في التجارة"[٢].

والرابع: أخرج الواحدي "عن كعب بن عجرة قال: "فيّ نزلت هذه الآية: {فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه} وقع القمل في رأسي فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " احلق وافده صيام ثلاثة أيام، أو النسك، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين صاع"[٣].

قال ابن حجر: " ثم اختلف في سَنَتِه[١] فالجمهور على أنها سنة ست[٢]؛ لأنها نزلت فيها {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}[٣]، وهذا ينبني على أن المراد بالإتمام ابتداء الفرض[٤]، ويؤيده قراءة

يعلى بن أمية عن أبيه فسقط من هذه الرواية كلمتان قوله: "ابن يعلى" وقوله: "عن أبيه" فصار ظاهره أنه من مسند صفوان بن أمية وهو ابن خلف الجمحي وإنما هو من رواية صفوان بن يعلى بن أمية التميمي، وقد أخرجه البخاري والنسائي من طرق عن عطاء وليس عند أحد منهم ذكر نزول هذه الآية في هذه القصة".[العجاب: ٤٨٦/١، وانظر: "صحيح البخاري" كتاب "الحج" باب غسل الخلوق "الفتح" "٣/ ٣٩٣ "، وكتاب "العمرة" باب يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج "الفتح" "٣/ ٦١٤" وفي مواضع أخرى و"صحيح مسلم" أول، كتاب الحج" "٢/ ٨٣٦-٨٣٨" و"سنن أبي داود" "المناسك" باب الرجل يحرم في ثيابه "٢/ ١٦٤-١٦٥"، و"جامع الترمذي" كتاب "الحج" باب ما جاء في الذي يحرم وعليه قميص أوجبه "٣/ ١٩٦-١٩٧"، "سنن النسائي" كتاب "المناسك"، الجبة في الإحرام "٥/ ١٣٠-١٣١" ورواه في الكبرى أيضًا كما في "التحفة" "٩/ ١١٠-١١٢". هذا وقد قال الحافظ في "الفتح" "٣/ ٦١٤": "ولم أقف في شيء من الروايات على بيان المنزل حينئذ من القرآن وقد استدل به جماعة من العلماء على أن من الوحي ما لا يُتلى، لكن وقد وقع عند الطبراني في الأوسط من طريق أخرى أن المنزل حينئذ قوله تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّه} ووجه الدلالة منه على المطلوب عموم الأمر بالإتمام، فإنه يتنازل الهيئات والصفات". ولم يذكر رواية ابن أبي حاتم وقد ذكرها هنا فكأنه ذهل عنها. ومما يلاحظ أنه لم يشر هنا إلى حديث الطبراني!".[انظر: حاشية العجاب: ٤٨٦/١-٤٨٧].

(١)وذكره القرطبي في تفسيره: ٣٦٩/٢. وذكره ابن حجر في العجاب عن القرطبي عن مقاتل. والصحيح أن القرطبي لم ينسب الكلام الى مقاتل، انظر: العجاب: ٤٨٧/١.

(٢)القرطبي في تفسيره: ٣٦٩/٢.

(٣) أسباب النزول: ٥٩، والعجاب: ٤٨٨/١.

علقمة[٥][٦] ومسروق[٧][٨] وإبراهيم النخعي[٩] بلفظ: {وأقيموا} أخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عنهم، وقيل: المراد بالإتمام الإكمال بعد الشروع[١]، وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك[٢]"[٣].

---

(١) أي: في سنة فرضه؛ والمراد: الحج، قال ابن حجر في الفتح: ٤٤٢/٣ (واختلف هل هو على الفور أو التراخي؟ وهو مشهور، وفي وقت ابتداء فرضه، فقيل: قبل الهجرة، وهو شاذ، وقيل: بعدها، ثم اختلف في سنته: فالجمهور على أنها سنة ست...).

(٢) هذا أحد الأقوال في المسألة، وفي نسبته إلى الجمهور نظر، فمن قال: يجب على التراخي والمراد بالإتمام: ابتداء الفرض، وهم الشافعية ومن وافقهم من أهل المذاهب قالوا: كان الفرض سنة ست بهذه الآية، ومن قال: يجب على الفور والمراد بالإتمام: الإكمال بعد الشروع، وهم جل أهل المذاهب قالوا: كان الفرض أواخر سنة تسع بقوله- عز وجل-: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) [آل عمران:٩٧]، ولكن الذي ينبغي أن لا يختلف فيه أن هذه الآية تدل على مشروعية الحج والعمرة، سواء قلنا بدلالتها على الفرض أم عدم دلالتها. انظر: فتح القدير لابن الهمام: ٣٢٣/٢-٣٢٥، الذخيرة للقرافي: ١٨١/٣، معرفة السنن والآثار للبيهقي: ٤٩٠/٣-٤٩١، عمدة القاري للعيني: ١٢٢/٩، وغيرها.

(٣) لا خلاف بين أهل العلم على أن هذه الآية نزلت سنة ست في عمرة الحديبية حين صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة، وقد حكى الاتفاق على ذلك جماعة منهم: ابن العربي في أحكام القرآن: ١١٩/١-١٢٠، وابن عاشور في التحرير والتنوير: ٢١٦/٢، والشنقيطي في أضواء البيان ١٠٩/٥-١١٠، وجزم بذلك ابن القيم في زاد المعاد: ١٠١/٢ و٥٩٥/٣، وابن الهمام في فتح القدير: ٣٢٥/٢، وابن عابدين في حاشيته: ٤٥٠/٣-٤٥١، والقرافي في الذخيرة: ١٨١/٣، والماوردي في الحاوي الكبير: ٢٤/٤-٢٥، وغيرهم.

(٤) قال به جماعة منهم: الفخر الرازي في مفاتيح الغيب: ١٥٠/٥-١٥١، والبيضاوي في أنوار التنزيل: ١٠٦/١.

(٥) هو: أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي، تابعي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، إمام حافظ، ثقة ثبت، فقيه عابد، عالم الكوفة ومقرؤها، لازم ابن مسعود، وكان أعلم الناس به وأشبههم بسمته وهديه، توفي عام: ٦٢هـ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٤٠٤/٦، الحلية لأبي نعيم: ٩١/٢، الكاشف للذهبي: ٢٤٢/٢، الإصابة لابن حجر: ١١٠/٣.

(٦) جامع البيان للطبري: ٧/٤ رقم: ٣١٨٧، البحر المحيط لأبي حيان: ٧٢/٢.

(٧) هو: أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي الكوفي، تابعي أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، إمام حافظ، فقيه مقرئ، عابد من كبار أصحاب ابن مسعود، توفي عام: ٦٣هـ، وقيل قبلها. انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢٣٢/١٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦٣/٤، الإصابة لابن حجر: ٤٩٢/٣.

(٨) لم أجد قراءته في جامع البيان للطبري: ٧/٤-٢١، وقد أوردها عنه القسطلاني في إرشاد الساري: ٥/٤، والشوكاني في نيل الأوطار: ٣/٥.

(٩) جامع البيان للطبري: ٧/٤ رقم: ٣١٨٦. وينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير كما أشار إلى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٠٩/٢، وأبو حيان في البحر المحيط: ٧٢/٢.

الخامس: أخرج ابن حجر عن مجاهد قال: "كان أهل الجاهلية إذا حجوا قالوا: إذا عفا الأثر وتولى الدبر ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِ} تغييرا لما كان أهل الجاهلية يصنعون وترخيصا للناس"(٤).

السادس: أخرج الطبري عن ابن زيد، قال:" كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون ، كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم. فقطعه الله حين أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بمناسكهم"(٥).

٧٢-{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)} [البقرة : ١٩٧]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون يقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله - عز وجل - {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}"(٦).

---

(١) اختار هذا القول جل المفسرين كالطبري في جامع البيان: ٢٠/٤، وابن العربي في أحكام القرآن: ١١٨/١-١١٩، والماوردي في النكت والعيون: ٢٥٤/١ ونسبه للشعبي وأبي بردة وابن زيد ومسروق، والنحاس في معاني القرآن: ١١٤/١، وابن جزي في التسهيل: ١١٣/١، والشوكاني في فتح القدير: ٢٨٨/١-٢٨٩، والألوسي في روح المعاني: ٧٨/٢. وهو الظاهر لدلالة ما بعده عليه، فإن الله-عز وجل-قال: (فَإِن أُحْصِرْتُم)، والإحصار إنما يمنع الإتمام بعد الشروع ويوجب ما استيسر من الهدي. انظر: أحكام القرآن لإلكيا الهراس: ١٣٢/١، التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢١٧/٢.

(٢) قال قوم: إنه فُرض سنة خمس، واستدلوا على ذلك بأن قصة ضمام بن ثعلبة-وفيها سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرض الجج عليه كانت سنة خمس-، والأرجح أن قدومه كان سنة تسع، انظر: سيرة ابن هشام: ١٦٢/٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٦٠/٥-٦١، الإصابة لابن حجر: ٢٠٢/٢-٢٠٣، أضواء البيان للشنقيطي: ١٢٢/٥.

(٣)الفتح: ٤٤٢/٣-٤٤٣.

(٤) العجاب: ٤٩٤/١، و انظر "صحيح البخاري" "كتاب "الحج"، باب التمتع والقرآن والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي "الفتح" "٣/ ٤٢٢".

(٥) تفسير الطبري(٣٧٠٣):ص١٤٦/٤.

(٦) أسباب النزول: ٦٢، وأخرجه البخاري (فتح الباري: ٣٨٤/٣ - ح: ١٥٢٣) وأبو داود (٣٤٩/٢ - ح: ١٧٣٠) والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم في تاريخه (فتح الباري: ٣٨٤/٣) وعبد بن حميد وابن حبان (تفسير ابن كثير:

الثاني: قال الواحدي:" قال عطاء بن أبي رباح: كان الرجل يخرج فيحمل كله على غيره، فأنزل الله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}"[1].

٧٣-{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)} [البقرة : ١٩٨]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أخرج الواحدي عن أبي أمامة التيمي قال: "سألت ابن عمر فقلت: إنا قوم نكرى في هذا الوجه، وإن قوما يزعمون أنه لا حج لنا قال: ألستم تلبون؟ ألستم تطوفون؟ ألستم تسعون بين الصفا والمروة؟ ألستم ألستم؟ قال: قلت: بلى قال: إن رجلا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عما سألت عنه فلم يدر ما يرد عليه حتى نزلت: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} فدعاه فتلا عليه حين نزلت. فقال: "أنتم الحجاج"[2].

الثاني: وأخرج الواحدي عن ابن عباس قال: "كان ذو المجاز وعكاظ متجرا للناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا، ذلك حتى نزلت: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} في مواسم الحج"[3].

٢٣٩/١) وابن جرير (١٦٢/٢) كلهم عن عكرمة به ويشهد له: ما أخرجه الطبري(٣٧٣٠): ١٥٦/٤، وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم (فتح الباري: ٣٨٤/٣) عن عكرمة مرسلا نحوه. وسنده صحيح.

(١) أسباب النزول: ٦٢.

(٢) أسباب النزول: ٦٣، وأخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٨٤/١٨ - ح: ١٨١) وأبو داود (٣٥٠/٢ - ح: ١٧٣٣) والحاكم (المستدرك: ٤٤٩/١) والدارقطني (٢٩٢/٢ - ح: ٢٥٠ ٢٥٥) وابن أبي حاتم (لباب النقول: ٣٩) وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي (فتح القدير: ٢٠٣/١) والطبري(٣٧٦٥):ث١٦٤/٤، كلهم من طريق أبي أمامة التيمي به وهو حديث صحيح صححه الحاكم والشيخ أحمد شاكر (تفسير الطبري بتحقيقه: ١٦٤/٤) والشيخ أحمد البنا (الفتح الرباني: ٨٥/١٨) ومحقق جامع الأصول (حاشية جامع الأصول: ٣٧/٢).

(٣) أسباب النزول: ٦٣، و أخرجه البخاري (فتح الباري: ٣٩٥/٣ - ح: ١٧٧٠) وأبو داود (٣٥١/٢ - ح: ١٧٣٤) والطبراني (المعجم الكبير: ١١٣/١١ - ح: ١١٢١٣) وابن جرير (١٦٤/٢، ١٦٥) وسعيد بن منصور وعبد الرزاق (تفسير ابن كثير: ٢٣٩/١) من طريق عمرو بن دينار به. ويشهد له:

١ - ما أخرجه الطبري(٣٧٦٨):ص١٦٥/٤، وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد (فتح القدير: ٢٠٣/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وفيه ضعف بسبب يزيد بن أبي زياد (تقريب التهذيب: ٣٦٥/٢ - رقم ٢٥٤) لكن يتقوى بما قبله.

٧٤-{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)} [البقرة : ١٩٩]

أخرج البخاري عن عائشة-رضي الله عنها- قالت : "كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يُسَمّون الحُمْس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات. فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَأتَي عرفات ، ثم يقف بها ثم يُفيض منها ، فذلك قوله : { مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ}"[١].

وفي المعنى نفيه أخرج الواحدي عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: "أضللت بعيرا لي يوم عرفة، فخرجت أطلبه بعرفة، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واقفا مع الناس بعرفة، فقلت: هذا من الحمس ماله هنا؟ !"[٢].

قال القرطبي: " قيل : الخطاب للحمس[١] [٢] ، فإنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات ، بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم ، وكانوا يقولون : نحن قطين الله ، فينبغي لنا أن نعظم الحرم

---

٢ - ما أخرجه الطبري(٣٧٦٥):ص١٦٥/٤- ١٦٦، وسعيد بن منصور وعبد الرزاق (تفسير ابن كثير: ٢٤٠/١) عن رجل من بني تيم - وهو أبو أمامة - عن ابن عمر بنحو الرواية السابقة عن أبي أمامة: إنا قوم نكري.. ح. وصححه الشيخ أحمد محمد شاكر (تفسير الطبري بتحقيقه: ١٦٩/٤) .

٣ - ما أخرجه ابن جرير الطبري(٣٧٦٥):ص١٦٤/٢، عن ابن عمر رضي الله عنهما مختصرا بمعناه، وقواه الحافظ ابن كثير (تفسير ابن كثير: ٢٤٠/١) .

(١)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٥١٥/٣ - ح: ١٦٦٥) (١٨٦/٨ - ح: ٤٥٢٠) ومسلم (٨٩٣/٢، ٨٩٤ - ح: ١٢١٩ "١٥١، ١٥٢") والترمذي (٢٣١/٣ - ح: ٨٨٤) والطبري (١٦٩/٤) كلهم من طريق ابن عروة عن أبيه به، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٦٥.

(٢) أسباب النزول:٦٤، و أخرجه البخاري (فتح الباري: ٥١٥/٣ - ح: ١٦٦٤) ومسلم (٨٩٤/٢ - ح: ١٢٢٠) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٢٣/١٢ - ح: ٣٢٥) والحميدي (مسند الحميدي: ٢٥٥/١ - ح: ٥٥٩) عن جبير بن مطعم به. ويشهد له:

* ما أخرجه ابن خزيمة وإسحاق بن راهوية (فتح الباري: ٥١٦/٣) عن جبير بن مطعم نحوه، وإسناده صحيح. ويشهد للرواية الأولى كذلك:

* ما أخرجه الطبري(٣٨٣٣):ص ١٧٠/٤، من طريق حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس مثله وإسناده ضعيف بسبب حسين (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٥٧/٣ - رقم: ٢٥٨) (تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر: ١٨٦/٤) لكن يتقوى بالأصل.

، ولا نعظم شيئا من الحل ، وكانوا مع معرفتهم وإقرارهم إن عرفة موقف إبراهيم عليه السلام لا يخرجون من الحرم ، ويقفون بجمع ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة ، فقيل لهم : أفيضوا مع الجملة"[٣].

١٧٥-{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)} [البقرة : ٢٠٠]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: روي عن مجاهد في قوله : "{فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} ، قال : "كانوا إذا قَضَوا مناسكهم وقفوا عند الجَمرة فذكروا آباءهم ، وذكروا أيامهم في الجاهلية وفَعال آبائهم ، فنزلت هذه الآية"[٤].

والثاني: وقال الحسن: "كانت الأعراب إذا حدثوا وتكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٥].

١٧٦-{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)} [البقرة : ٢٠٧]

وقد اختلف أهل التفسير فيمن نزلت هذه الآية فيه ومن عنى بها، وفيه وجوه[٦]:

أحدها:أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ، وعنى بها المجاهدون في سبيل الله. قاله قتادة[١].

---

(١) الحُمْس: هم قريش وكل ابن أخت وحليف لهم، والأحمس في كلام العرب: الشديد، وسموا بذلك لما شددوا على أنفسهم في مناسك الحج، وكانوا إذا أهلوا بحج أو عمرة لا يأكلون لحماً ولا يضربون وبراً ولا شعراً، وإذا قدموا مكة وضعوا ثيابهم التي كانت عليهم. انظر: جامع البيان للطبري: ١٨٧/٤، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٤٤٠/١، وتهذيب اللغة للأزهري: ٣٥٤/٤، وفتح الباري لابن حجر: ٣٠٣/٣، وغيرها.

(٢) ورد في حديث جبير بن مطعم في البخاري-فتح-: ٦٠٢/٣ رقم: ١١٦٤ قال: (أضللت بعيراً لي، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفة، فقلت: هذا والله من الحُمْس، فما شأنه ها هنا؟)، قال سفيان: الحمس يعنى: قريشاً، وكانت تسمى الحمس وكانت لا تجاوز الحرم، ويقولون: نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقف بعرفة وذلك قوله: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)، وانظر: معجم المصنفات الواردة في فتح الباري: ٣٦٥ رقم: ١١٦٨.

(٣) تفسير القرطبي: ٤٢٧/٢.

(٤) تفسير الطبري(٣٨٥٢):ص ١٩٧/٤، وانظر: تفسير الطبري(٣٨٥١)، و(٣٨٥٣)، و(٣٨٥٤) :ص١٩٧/٣.

(٥) أسباب النزول للواحدي:٦٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٧/٤ وما بعدها.

والثاني: قال الربيع:" كان رجل من أهل مكة أسلم ، فأراد أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويهاجر إلى المدينة ، فمنعوه وحبسوه ، فقال لهم : أعطيكم داري ومالي وما كان لي من شيء! فخلُّوا عني ، فألحق بهذا الرجل ! فأبوْا. ثم إنّ بعضهم قال لهم : خذوا منه ما كان له من شيء وخلُّوا عنه ! ففعلوا ، فأعطاهم داره وماله ، ثم خرج; فأنزل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة :{ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله}، الآية. فلما دنا من المدينة تلقاه عُمر في رجال ، فقال له عمر : رَبح البيعُ! قال : وبيعك فلا يخسر! قال : وما ذاك ؟ قال : أنزل فيك كذا وكذا"[٢].

والثالث: قال عكرمة:" نزلت في صُهيب بن سنان ، وأبي ذرّ الغفاري جُندب بن السَّكن أخذ أهل أبي ذرّ أبا ذرّ ، فانفلت منهم ، فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع مهاجرًا عرَضوا له ، وكانوا بمرِّ الظهران ، فانفلت أيضًا حتى قدم على النبي عليه الصلاة والسلام. وأما صُهيب فأخذه أهله ، فافتدى منهم بماله ، ثم خرج مهاجرًا فأدركه قُنفذ بن عُمير بن جُدعان ، فخرج له مما بقي من ماله ، وخلَّى سبيله"[٣].

والرابع: قال سعيد بن المسيب:"أن صهيبا أقبل مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعه نفر من قريش مشركون، فنزل وانتثل[٤] كنانته، فقال: يا معشر قريش، قد علمتم أني أرماكم رجلا بسهم، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي، ما بقي في يدي منه شيء، ثم شأنكم بعد. وقال: إن شئتم دللتكم على مالي بمكة، وتخلون سبيلي؟ قالوا: فدلنا على مالك بمكة ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم، وأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد}، فلما رأى رسول الله صهيبا، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ربح البيع يا أبا نحيى- ربح البيع يا أبا نحيى ربح البيع يا أبا يحي. وقرأ عليه القرآن، يعني قوله: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد}"[٥]. وروي عن أبي العالية[٦]، نحو ذلك.

---

(١)تفسير الطبري(٤٠٠٠):ص ٢٤٧/٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٢):ص٣٦٩/٢.

(٢)تفسير الطبري(٤٠٠٠):ص ٢٤٧/٤.

(٣)انظر: تفسير الطبري(٤٠٠١):ص ٢٤٧/٤.

(٤)أي استخرج ما فيها من السهام.

(٥) أهرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩):ص٣٦٨/٢-٣٦٩.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٣٦٩/٢.

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : "ربح البيع صهيب ، ربح البيع صهيب"[١].

قال الثعلبي:" قال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان المخزومي مولى عبد الله [بن جدعان] التيمي"[٢].

والخامس: أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته[٣]، وهذا قول ابن عباس و الضحاك[٤].

والسادس: أنها نزلت في سرية الرجيع[٥]. قاله ابن عباس[١].

---

(١)رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٧/٢) عن هوذة ، عن عوف ، عن أبي عثمان قال : بلغني أن صهيبا ، فذكر نحوه ، ورواه أبو نعيم في الحلية (١٥١/١) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ، فذكر نحو القصة.

(٢) تفسير الثعلبي:١٢٤/٢.

(٣) انظر فتح الباري : ٧ / ٣٧٨ - ٣٧٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس : ٢ / ٥٦ - ٦٦.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي: ١٢٤/٢، وزاد المسير: ٢٢٣/١.

(٥) قال البغوي:" وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة : إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرا من علماء أصحابك يعلموننا دينك ، وكان ذلك مكرا منهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، قال أبو هريرة : "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت : قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فركب سبعون رجلا منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا : تمر يثرب ، فاتبعوا آثارهم ، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ، ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال : اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار ، ثم أحاط به المشركون فقتلوه ، فلما قتلوه أرادوا حز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فأرسل الله رجلا من الدبر - وهي الزنابير - فحمت عاصما فلم يقدروا عليه فسمي حمي الدبر فقالوا دعوه حتى تسمي فتذهب عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطرا كالعزالي فبعث الله الوادي غديرا فاحتمل عاصما به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا".[ذكره البغوي في تفسيره: ٢٦٤/١-٢٦٥، والحديث لم أره بهذا السياق. وأصل الحديث محفوظ دون ذكر نزول الآيات، ودون

والسابع: أنها" نزلت في علي بن أبي طالب حين هرب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من المشركين إلى الغار مع أبي بكر الصديق ونام عليّ على فراش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. قاله ابن عباس[٢].

والثامن: وقيل: عنى بذلك كل شار نفسه في طاعة الله وجهادٍ في سبيله ، أو أمرٍ بمعروف[٣].

قال الحسن:" نزلت في أن المسلم لقي الكافرَ فقال له : " قل لا إله إلا الله " ، فإذا قلتها عصمتَ دمك ومالك إلا بحقهما! فأبى أن يقولها ، فقال المسلم : والله لأشريَنَّ نفسي لله! فتقدم فقاتل حتى قتل"[٤].

وقال المغيرة: "بعث عمر جيشًا فحاصروا أهل حصن ، وتقدم رجل من بجيلة ، فقاتل ، فقُتِل ، فأكثر الناس فيه يقولون : ألقى بيده إلى التهلكة! قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : كذبوا ، أليس الله عز وجل يقول : " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد " ؟"[٥].

والقول الأخير أصح؛ لكونها للعموم حتى لو صح أن سبب نزولها قصة صهيب؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والله أعلم.

بعض ألفاظه وقد أخرجه البخاري (٣٠٤٥ و٣٩٨٩) و (٤٠٨٦ و٧٤٠٢) وأبو داود (٢٦٦٠ و٢٦٦١) والطيالسي ٢٥٩٧ وأحمد (٢/ ٢٩٤) و (٢٩٥ و٣١٠- ٣١١) وعبد الرزاق ٩٧٣٠ وابن حبان ٧٠٤٩ والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٢٣- ٣٢٤) من طرق من حديث أبي هريرة بنحوه دون ذكر عجزه وهو خبر الزبير والمقداد بن عمرو، وانظر هذا الخبر في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١٣٤- ١٤٦)].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يقول : عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته".[تفسير البغوي: ٢٦٤/١-٢٦٥].

(١) انظر: تفسيرر ابن أبي حاتم(١٩٤١):ص٣٦٩/٢.

(٢) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره:١٢٦/٢، وانظر: سد الغابة: ٤/ ٢٥، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٣٢، ومسند أحمد: ١/ ٣٣١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤،٢٥١، وتفسير الثعلبي:١٢٥/٢.

(٤) أخرجه الطبري(٤٠٠٦):ص٢٤٩/٤-٢٥٠.

(٥) تفسير الطبري(٤٠٠٤):ص ٢٤٩/٤.

وذكر الطبري أخبارا أخرى تؤكد بأن المعنيين في الآية: هم كل من شار نفسه في طاعة الله و وجهاد في سبيله، انظر: تفسيره(٤٠٠٣)، و(٤٠٠٥)، و(٤٠٠٦)، و(٤٠٠٧):ص٢٤٩/٤-٢٥٠.

واختاره الطبري قائلا: والصواب أن الله "عُنى بها الأمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر، وذلك أن الله جل ثناؤه وصَف صفة فريقين : أحدهما منافقٌ يقول بلسانه خلافَ ما في نفسه ، وإذا اقتدر على معصية الله ركبها ، وإذا لم يقتدر رَامَها ، وإذا نُهى أخذته العزّة بالإثمٌ بما هو به إثم ، والآخر منهما بائعٌ نفسه ، طالب من الله رضا الله. فكان الظاهر من التأويل أن الفريقَ الموصوف بأنه شرى نفسه لله وطلب رضاه ، إنما شراها للوثُوب بالفريق الفاجر طلبَ رضا الله. فهذا هو الأغلب الأظهر من تأويل الآية، وأما ما رُوي من نزول الآية في أمر صُهيب ، فإنّ ذلك غير مستنكرٍ ، إذ كان غيرَ مدفوع جوازُ نزول آية من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بسبب من الأسباب ، والمعنيُّ بها كلُّ من شمله ظاهرها"[1].

وقال ابن كثير: " وأما الأكثرون فحمَلوا ذلك على أنها نزلت في كل مُجَاهد في سبيل الله ، كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة : ١١١]"[2].

١٧١-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)} [البقرة : ٢٠٨]

قال عكرمة: "نزلت في ثعلبة ، وعبد الله بن سلام وابن يامين وأسد وأسَيْد ابني كعب وسَعْيَة بن عمرو وقيس بن زيد - كلهم من يهود - قالوا : يا رسول الله ، يوم السبت يومٌ كنا نعظمه ، فدعنا فلنُسبت فيه! وإن التوراة كتاب الله ، فدعنا فلنقم بها بالليل ! فنزلت : {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان}"[3]. وأخرج الطبري[4] والواحدي[5] عن ابن عباس مثله.

---

(١) تفسير الطبري: ٤/٢٥٠-٢٥١.

(٢) تفسير ابن كثير: ١/٥٦٥.

(٣) تفسير الطبري(٤٠١٦):ص ٤/٢٥٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٤٠١٧):ص٤/٢٥٦. ولفظه:" يعني أهل الكتاب". وروي مثله عن الضحاك، انظر: تفسير الطبري(٤٠١٨):ص٤/٢٥٦.

(٥) انظر: أسباب النزول: ٦٧. وفيه:" عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قاموا بشرائعه وشرائع موسى، فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوى على هذا وهذا وقالوا للنبي لله - صلى الله عليه وسلم - إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية".[في إسناده عبد الغني بن سعيد - وهو

وذكره مقاتل بن سليمان قال: سبب نزولها" أن عبد الله بن سلام، وسلام بن قيس، وأسيد وأسد ابنا كعب، ويامين بن يامين، وهم مؤمنو أهل التوراة استأذنوا النبي- صلى الله عليه وسلم- في قراءة التوراة في الصلاة. وفي أمر السبت وأن يعملوا ببعض ما في التوراة. فقال الله- عز وجل- خذوا سنة محمد- صلى الله عليه وسلم- وشرائعه، فإن قرآن محمد ينسخ كل كتاب كان قبله، فقال:{ادخلوا في السلم كافة}"[١]. كذا أورده ابن ظفر[٢].

١٧٨-{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)} [البقرة : ٢١٢]

ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية وجوها[٣]:

أحدها: قال ابن عباس في رواية الكلبي: "نزلت هذه الآية في مشركي العرب: أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعّمون بما ينقل لهم في الدنيا من المال ونسوا يوم المعاد وَيَسْخَرُونَ من المؤمنين الذين يعزفون عن الدنيا، ويقبلون على الطاعة والعبادة، ويقولون: لو كان محمد نبيّا لاتبعه أشرافنا وإنما تبعه الفقراء مثل أبي عمارة وصهيب وعمار وجابر بن عبد الله وأبي عبيدة بن الجراح وبلال وخبّاب وأمثالهم"[٤].

ويسنده ما أخرجه ابن أبي حاتم: عن ابن جريج، قال : "قالت قريش : لو كان محمد نبيا ، لاتبعه ساداتنا واشرافنا . والله ما اتبعه الا اهل الحاجة مثل ابن مسعود واصحابه "[٥].

قال القرطبي في قوله تعالى{ لِلَّذِينَ كَفَرُوا}: "المراد رؤساء قريش"[٦].

وقال الشوكاني: " والمراد بـ{الذين كفروا} رؤساء قريش أو كل كافر"[٧].

الثقفي - وهو ضعيف (لباب النقول: ١٩) وضعفه الحافظ بن كثير من جهة المعنى كذلك. (تفسير ابن كثير: ٢٤٨/١)].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٠/١. وانظر: العجاب:٥٣٠/١.

(٢)انظر: العجاب:٥٣٠/١.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٦٧/٦، وتفسير الثعلبي: ١٣١/٢.

(٤)تفسير الثعلبي: ١٣١/٢، وانظر: مفاتيح الغيب: ٣٦٧/٦.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٧٥):ص ٣٧٥/٢.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٨/٣.

(٧) فتح القدير: ٢١٣/١.

والثاني: قال عطاء: "نزلت في رؤساء اليهود ووفدهم من بني قريضة والنضير والقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريضة والنضير بغير قتال أسهل شيء وأيسره"[١].

والثالث: قال مقاتل: "نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، وكانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم"[٢].

قال الرازي: " واعلم أنه لا مانع من نزولها في جميعهم[٣].

١٧٩-{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)} [البقرة : ٢١٤]

اختلف أهل العلم في سبب نزول هذه الآية على قولين:

أحدهما: قال: قتادة[٤]، والسدي[٥]، وجمهور المفسرين، أنها "نزلت يومَ الأحزاب، حين لقي المؤمنون ما لقوا من شدة الجهد ، من خوف الأحزاب، وشدة أذى البرد، وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ، يقول الله جل وعز للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} إلى قوله :{وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا}[الأحزاب : ٩ - ١١]"[٦].

---

(١)تفسير الثعلبي: ١٣١/٢، وانظر: مفاتيح الغيب: ٣٦٧/٦.

(٢)تفسير الثعلبي: ١٣١/٢، وانظر: مفاتيح الغيب: ٣٦٧/٦.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٦٧/٦.

(٤)انظر: تفسير الطبري(٤٠٦٥):ص٢٨٩/٤. وفيه:" نزلت في يوم الأحزاب ، أصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بلاءٌ وحصرٌ ، فكانوا كما قال الله جل وعزّ : {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ }". ورواه ابن المنذر: (فتح القدير: ٢١٥/١) عنه به، وإسناده صحيح.

(٥)انظر: تفسير الطبري(٤٠٦٤):ص٢٨٩/٤. وفيه:" نزل هذا يوم الأحزاب حين قال قائلهم : " ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ". [الأحزاب : ١٢]".

(٦) تفسير الطبري: ٢٨٩/٤، وانظر: أسباب النزول: ٦٧.

والثاني: وقال عطاء:" لما دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه المدينة اشتد الضر عليهم، بأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأسر قوم من الأغنياء النفاق، فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم {أم حسبتم} الآية"[١].

٨٠-{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)} [البقرة : ٢١٥]

وفي سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال ابن عباس في رواية أبي صالح: "نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية"[٢]. وذكره مقاتل[٣]، والثعلبي[٤]، وابن عسكر في ذيل الأعلام، ونسبه إلى ابن فطيس[٥][٦].

والثاني: أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي بسنده الواهي عن عطاء عن ابن عباس: "نزلت في رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي دينارا، فقال: "أنفقه على نفسك"، قال: إن لي دينارين، قال: "أنفقهما على أهلك"، قال: فإن لي ثلاثة، قال: "أنفقها على خادمك"، قال: فإن لي أربعة، قال: "أنفقها على والدتك"، قال: فإن لي خمسة، قال: "أنفقها على قرابتك"، قال: فإن لي ستة، قال: "أنفقها في سبيل الله هو أحسنها"[٧][١].

---

(١) أسباب النول للواحدي: ٦٧، تفسير القرطبي: ٣٤/٣.

(٢) أسباب النزول: ٦٨، ورواية أبي صالح ضعيفة، وانظر: تفسير القرطبي: ٣٩/٣.

(٣) انظر- تفسير مقاتل بن سليمان: ١٠٧/١، والعجاب: ٥٣٣/١-٥٣٤.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي:١٣٦/٢.

(٥)ابن فطيس هو الإمام العلامة الوزير القاضي أبو المطرف: عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس القرطبي المالكي ولد سنة "٣٤٧" وتوفي سنة "٤٠٢" ومن مؤلفاته: "القصص" ثلاث مجلدات، و"أسباب النزول" في مائة جزء، وغير ذلك انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" "١٧/ ٢١٠-٢١٢" و"تذكرة الحافظ" "٣/ ١٠٦٠" للذهبي و"طبقات المفسرين" للداودي "١/ ٣٨٥-٣٨٧" وغيرهما مما هو في هامش السير، وقد تصحف فطيس في "مفحمات الأقران" "ص١٠٧" إلى نطيس!

(٦)نقله عنه السيوطي في كتابه "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" "ص٢٠".

(٧)وهذا سياق منكر والمعروف في هذا المتن غير هذا السياق، وهو ما أخرجه أحمد (المسند ٤٧١/٢)، وأبو داود (السنن- الزكاة، ب في صلة الرحم ٣٢٠/٢)، والنسائي (الزكاة، ب الصدقة عن ظهر غنى ٦٢/٢)، وابن حبان (موارد الظمآن ح ٨٢٨)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤١٥/١) عن أبي هريرة عن رسول الله -

والثالث: وقال قتادة في سبب نزولها: "أهمتهم النفقة فسألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فنزلت {مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ}"[٢]، وأخرج الطبري نحوه عن مجاهد[٣]، وأبي نجيح[٤]، وابن جريج[٥].

١١٨- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)} [البقرة : ٢١٧]

اختلف العلماء في سبب نزول الآية على أقوال[٦]:

أحدها: قال مجاهد: "إن رجلا من بني تميم أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية ، فمرّ بابن الحضرميّ يحمل خمرًا من الطائف إلى مكة ، فرماه بسهم فقتله. وكان بين قريش ومحمد عَقْدٌ ، فقتله في آخر يوم من جُمادى الآخرة وأول يوم من رجب ، فقالت قريش : في الشهر الحرام! ولنا عهد! فأنزل الله جل وعز : " قتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكُفر به " وصد عن المسجد الحرام " وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله " من قتل ابن الحضرميّ ، والفتنة كفرٌ بالله ، وعبادة الأوثان أكبر من هذا كله"[٧]. وروي نحوه عن جندب بن عبد الله[٨].

والثاني: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن مقسم مولى ابن عباس: "لقي واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي في أول ليلة من رجب، وهو يرى أنه في جمادى، فقتله. وهو أول قتيل قتل من

صلى الله عليه وسلم - أنه قال يوماً لأصحابه: "تصدقوا". فقال رجل: يا رسول الله عندي دينار. قال: "أنفقه على نفسك" قال: إن عندي آخر. قال: "أنفقه على زوجتك". قال: إن عندي آخر. قال: "أنفقه على ولدك". قال: إن عندي آخر. قال: "أنفقه على خادمك". قال: إن عندي آخر قال: "أنت أبصر".

(١) وذكره الواحدي في رواية عطاء دون سند:٦٨.

(٢)العجاب: ٥٣٦/١، وعزاه السيوطي "١/ ٥٨٥" إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٤٠٦٩):ص٢٩٣/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٤٠٧٠):ص٢٩٣/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٤٠٦٩):ص٢٩٣/٤.

(٦)انظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس: ٣٠، ونواسخ القرآن، ابن الجوزي: ٢٧٠/١.

(٧) تفسير الطبري(٤٠٨٧):ص ٣٠٧/٤.

(٨)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٨٦):ص٣٠٨/٤، وتفسير ابن أبي حاتم(٢٠٢٢):ص٣٨٤/٢.

المشركين، فعير المشركون المسلمين، فقال: أتقتلون في الشهر الحرام، فأنزل الله: {يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه}"[1].

قال الزهري :" كان النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا يحرم القتال في الشهر الحرام، ثم أحل له بعد ذلك"[2].

والثالث: قال السدي : " {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبيرٌ}، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية - وكانوا سبعة نفر - وأمَّر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي ، وفيهم عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبني نوفل ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعي ، حليفٌ لعمر بن الخطاب. وكتب مع ابن جحش كتابًا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل [بطن] مَلَل، فلما نزل ببطن ملل فتحَ الكتاب ، فإذا فيه : أنْ سِرْ حتى تنزل بطن نخلة ، فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ، فإني موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسار وتخلّف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، أضلا راحلةً لهما ، فأتيا بُحران يطلبانها ، وسار ابن جحش إلى بطن نخلة ، فإذا هم بالحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمي ، فاقتتلوا ، فأسَرُوا الحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت المغيرة ، وقُتل عمرو بن الحضرميّ ، قتله واقد بن عبد الله. فكانت أوّل غنيمةٍ غنمها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما غنموا من الأموال ، أراد أهل مكة أن يفادوا بالأسيرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حتى ننظر ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادَى بالأسيرين ، ففجَر عليه المشركون وقالوا : محمد يزعم أنه يتَّبع طاعة الله ، وهو أول من استحلَّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب ! فقال المسلمون : إنما قتلناه في جُمادى ! - وقيل : في أول ليلة من رجب ، وآخر ليلة من جمادى - وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل رَجب. فأنزل الله جل وعز يعيِّر أهل مكة : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير " لا يحل ، وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام ، حين كفرتم بالله ، وصددتم عنه محمدًا وأصحابه ، وإخراجُ أهل المسجد الحرام منه ، حين أخرجوا محمدًا ، أكبر من القتل عند

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٢٣):ص٣٨٤/٢.

(٢)تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٢٣):ص٣٨٤/٢.

الله ، والفتنة - هي الشرك - أعظم عند الله من القتل في الشهر الحرام ، فذلك قوله :{ وصد عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل} " [١].

قال القرطبي: "والقول بأن نزولها في قصة عبدالله بن جحش أكثر وأشهر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه مع تسعة رهط ، وقيل ثمانية ، في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ، وقيل في رجب"[٢].

٨٢-{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)} [البقرة : ٢١٨]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أخرج الطبري بسنده الصحيح عن "المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه حدثه رجل ، عن أبي السَّوار ، يحدثه عن جندب بن عبد الله قال : لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان ، قال بعض المسلمين : إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم - أظنه قال: - وِزْرًا ، فليس لهم فيه أجرٌ. فأنزل الله : {إنّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم} "[٣].

والثاني: وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن جندب بن عبد الله قال : "بعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رهطا ، وبعث عليهم عبد الله بن جحش ، فقال بعض المشركين : ان لم يكونوا اصابوا وزرا فليس لهم اجر، فأنزل الله عز وجل : {ان الذين امنوا والذين هاجروا وجهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم} "[٤].

والثالث: ونقل ابن ظفر عن الزهري قال: طلما فرج الله عن أهل تلك السرية ما كانوا فيه من الغم؛ لقتالهم في الشهر الحرام طمعوا في الثواب. فقالوا: يا نبي الله أنطمع أن تكون هذه غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فنزلت هذه الآية"[٥].

---

(١) تفسير الطبري(٤٠٨٣):ص ٣٠٥/٤-٣٠٦.

(٢) تفسير القرطبي: ٤١/٣.

(٣) تفسير الطبري(٤١٠٢):ص ٣١٩/٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٤٠):ص ٣٨٨/٢.

(٥) العجاب: ٥٤٤/١، وانظر: "الدر المنثور" "١/ ٦٠٣-٦٠٤" رواية يزيد بن رومان عن عروة وقرون ابن إسحاق به الزهري انظر "تفسير الطبري" "٤/ ٣٠٢" "٤٠٨٢" و"السيرة" لابن هشام "١/ ٦٠٥" و"أسباب النزول"

قال الزمخشري" روى أن عبد اللّه بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ، ظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر ، فنزلت: {أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ} "[1].

٨٣-**{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)} [البقرة : ٢١٩]**

وفي سبب نزولها، ثلاثة أقوال[2]:

أحدها: عن عمر -رضي الله عنه-؛ قال: اللهمَّ بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً؛ فإنها تذهب المال والعقل؛ فنزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} التي في سورة البقرة؛ فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: اللهم بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً؛ فنزلت الآية التي في سورة النساء: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} [النساء:٤٣]؛ فكان منادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أقام إلى صلاة نادى: "أن لا يقربن الصلاة سكران"؛ فدعي عمر؛ فقرئت عليه، فقال: اللهمَ بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً؛ فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر؛ فقرئت عليه، فلما بلغ {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١]؛ قال عمر: انتهينا انتهينا"[3]. [صحيح]

للواحدي "ص٦٢" هذا وقد علق الناسخ في الهامش هنا "قد تقدم في القولة السابقة ما يتعلق بسبب نزول هذه الآية أيضًا".

(١) تفسير الكشاف: ٢٥٩/١.

(٢) انظر: أسباب النزول: ٧١، والعجاب: ٥٤٥/١، وزاد المسير: ٢٣٩/١.

(٣)أخرجه أبو داود (رقم ٣٦٧٠) -ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ٢٨٥)، و"السنن الصغير" (٣/ ٣٢٧ رقم ٣٣٢٨) -، والترمذي (رقم ٣٠٤٩)، والنسائي (٨/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وأحمد (١/ ٥٣) -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٨، ١٣٩) -، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٢ رقم ٣٨٢٤) -مختصراً-، والحاكم في "المستدرك" (٤/ ١٤٣)، والبيهقي في "المعرفة" (٦/ ٤٣٠ رقم ٥١٩٣)، والنحاس في "ناسخ القرآن" (ص ٤٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢/ ٣٨٨، ٣٨٩ رقم ٢٠٤٤، ٣/ ٩٥٨ رقم ٥٣٥١)، وعلي بن المديني؛ كما في "مسند الفاروق" (٢/ ٥٦٧)، وأبو يعلى في "مسنده"؛ كما في "الدر المنثور" (١/ ٦٠٥) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١/ ٣٦٧، ٣٦٨ رقم ٢٥٦) -، والبزار في "مسنده" (١/ ٤٦٨ رقم ٣٣٤ - البحر الزخار) - مختصراً-، والدارقطني في "العلل" (٢/ ١٨٦)، و"الأفراد" (٢/ ٣٠ - أطراف الغرائب)، وابن جرير الطبريفي "جامع البيان" (١٢٥١٢):ص٥٦٦/١٠، وأبو الشيخ؛ كما في "الدر المنثور" (١/ ٦٠٥) -ومن طريقه الواحدي في "الوسيط" (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣) -، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٤/ ١٣٦ رقم ١٤٩٣) كلهم من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي ميسرة عن عمر به.

قال علي بن المديني؛ كما في "مسند الفاروق" (٢/ ٥٦٧) -: "هذا حديث كوفي صالح الإسناد".

وقال ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (١/ ٢٦٢ و٢/ ٩٦١)، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٨/ ٢٧٩): "قال علي بن المديني: هذا إسناد صالح صحيح، وصححه الترمذي".

قلنا: وصححه الضياء المقدسي.

قال الدارقطني في "العلل" (٢/ ١٨٤، ١٨٥): "رواه إسرائيل وزكريا بن أبي زائدة وسفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن عمر القصة بطولها، وذكر الآيات في تحريم الخمر، وخالفهم حمزة الزيات -وهو صدوق ربما وهم-؛ فرواه عن أبي إسحاق عن حارثه بن مضرب عن عمر حدثنا به- ثم ساقه بإسناده".

قلنا: وكذا أخرجه الحاكم (٤/ ١٤٣) من طريق حمزة.

"وقال إسحاق بن منصور -السلولي- عن إسرائيل [أخرجه الطحاوي في "المشكل" (٤/ ١٣٩ رقم ١٤٩٤)] والفريابي عن الثوري وقيس -وهو ابن الربيع، وهو صدوق تغير لما كبر؛ أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه؛ فحدث به- عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمر.

والصواب قول من قال: عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر، والله أعلم". اهـ.

قلنا: في هذا الحديث اختلاف كما قال الدارقطني.

رواه خلف بن الوليد وإسماعيل بن جعفر والفريابي وعبيد الله بن موسى ووكيع خمستهم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر.

وخالفهم إسحاق بن منصور -وهو صدوق- فقال: عن أبي إسحاق عن عمرو الأودي عن عمر.

والصواب: رواية الجماعة؛ أما الثوري؛ فروي عنه على الوجهين، والذي رواه عنه على الوجه الآخر -رواية أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون- هو الفريابي، وفيه قال الحافظ (٢/ ٢٢١): "ثقة فاضل، يقال: أخطأ في شيء من حديث سفيان".

قلنا: لعل هذا منها.

أما رواية قيس؛ فهي ضعيفة، ولا تصح؛ لمخالفتها لرواية الجماعة، والله أعلم.

قلنا: أما ابن كثير -رحمه الله-؛ فقد وهم حينما ذكر عن الترمذي تصحيحه للحديث؛ ذلك أن الترمذي قال عقب روايته للحديث: "وقد روي عن إسرائيل مرسلاً؛ حدثنا. . . ثم قال: وهذا أصح".

والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، والشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في تعليقه على المسند (رقم ٣٧٨).

وقد أعله قوم بأن أبا ميسرة الراوي عنه لم يسمع منه؛ كما قال أبو زرعة في "المراسيل" (رقم ١٤٣) -ونقله عنه العلائي في "جامع التحصيل" (رقم ٥٧١) -.

قلنا: وهذا ليس بشيء؛ فقد صرح البخاري في "التاريخ الكبير" (٦/ رقم ٣٥٧٦) أنه سمع منه ومن ابن مسعود، ومن علم حجة على من لم يعلم، والمثبت مقدم على النافي.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (١/ ٦٠٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

والثاني: أن نفر من الأنصار أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال ؟ فأنزل الله هذه الآية"[١].

قال مقاتل: "نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ونفر من الأنصار"، [٢]"أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} الآية"[٣].

وقال الثعلبي: "نزلت في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فأنزل الله تعالى هذه الآية "[٤]. وذكره الواحدي بتمامه[٥].

والثالث: أخرج ابن أبي حاتم[٦] بسنده عن "يحيى ، انه بلغه ان معاذ بن جبل[٧]، وثعلبة[٨] اتيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالا : يا رسول الله ان لنا أرقاء وأهلين ، فما ننفق من اموالنا ؟ فأنزل الله عز وجل: {ويسئلونك ماذا ينفقون}"[٩] [ضعيف].

وفي السياق نفسه روي عن ابن عباس:" أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا،

---

(١)انظر : الوسيط للواحدي : ١ / ٣١٦ ، أسباب النزول ص (١٠٢ - ١٠٣) المستدرك للحاكم : ٢ / ٢٧٨.

(٢)ما بعد هذا لم أجده في "تفسير مقاتل، وإنما زاده ابن حجر في العجاب: ٥٤٥/١.

(٣)العجاب: ٥٤٥/١.

(٤) تفسير الثعلبي: ١٤١/٢، وانظر: العجاب: ٥٤٥/١.

(٥) انظر: أسباب النزول: ٧١.

(٦)وعزاه له أيضاً ابن حجر في العجاب-تحقيق: الأنيس-: ٥٤٦/١، والسيوطي في الدر المنثور: ٤٥٣/١.

(٧) هو: أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، من أعيان الصحابة، شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها، إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن. توفي عام: ١٨هـ. انظر: طبقات ابن سعد: ٥٨٣/٣، أسد الغابة لابن الأثير: ١٨٧/٥، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٤٣/١، تقريب التهذيب لابن حجر: ٩٥٠.

(٨) ثعلبة لم أهتد إلى تعيينه إذ في الصحابة-رضي الله عنهم-أكثر من رجل بهذا الاسم، انظر: الإصابة لابن حجر: ٢٠٣-١/١٩٩.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم:(٢٠٦٨) ص٣٩٣/٢. ثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي ثنا أبان بن يزيد العطار ثنا يحيى به.

قلنا: ورجاله ثقات معروفون؛ لكن فيه انقطاع.

فما ننفق منها؟ فأنزل الله: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}، وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى ما يجد ما يتصدق به، ولا ما يأكل حتى يتصدق عليه "[1]. [ضعيف]

قال الصابوني: " لما ذكر تعالى أحكام القتال ، وبين الهدف السامي من مشروعيته ، وهو نصرة الحق وإعزاز الدين ، وحماية الأمة من أن يلتهمها العدو الخارجي ، ذكر بعدها ما يتعلق بإصلاح (المجتمع الداخلي) على أسس من الفضيلة والخلق الكريم ، لتقوم دعائمها على أسس متينة ، وتبقى صرحاً شامخاً لا تؤثر في الأعاصير"[2].

قال الدكتور عبدالكريم الخطيب: "في هذه الآية : إشارة حادّة من إشارات السماء ، إلى أمرين من أمور الجاهلية ، كانت حياتهم متلبسة بهما ، دائرة فى فلكهما ، وهما الخمر والميسر ، وقد كان هذان المنكران متلازمين ، لا يكاد يفترق أحدهما عن الآخر .. فحيث كان خمر كان معه ميسر ، وحيث كان قمار ومقامرة دارت كؤوس الخمر ودارت معها رءوس النّدمان .. ولهذا قرنهما اللّه سبحانه فى هذا المقام .. الخمر والميسر ، ودمغهما بالإثم، والحكم ـ كما ترى ـ أنهما يحملان فى كيانهما قدرا كبيرا من الإثم ، إلى جانب ما يحملان من نفع .. وإن كفة الإثم فيهما ترجح عن كفة النفع"[3].

٨٤-{فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)} [البقرة : ٢٢٠]

اختلف أهل التفسير في سبب نزول الآية على أقوال[4]:

أحدها: أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس قال : "لما نزلت : { وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [الإسراء : ٣٤] و{ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } [النساء : ١٠] انطلق من كان عنده يتيم فعزَل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضُل له الشيء من طعامه فيُحبَس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ

(١)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (١/ ٦٠٧) -ومن طريقه ابن أبي حاتم في "التفسير" (٢/ ٣٨١ رقم ٢٠٠٦) -: عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق..

(٢) صفوة التفاسير: ١٢٥/١.

(٣) التفسير القرآني للقرآن: ٢٣٦/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٣٤٩/٤ وما بعدها، وتفسير القرطبي: ٦٢/٣.

خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ }، فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم"[١]. وروي عن سعيد بن جبير[٢]، وابن أبي ليلى[٣]،وقتادة[٤]، والربيع[٥]، مثل ذلك.

والثاني: قال ابن عباس:" كان يكون في حِجْر الرجل اليتيمُ فيعزل طعامه وشرابه وآنيته ، فشقّ ذلك على المسلمين ، فأنزل الله : {وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح} ، فأحل خُلطتهم"[٦]. وروي عن الشعبي[٧]، وعطاء بن أبي رباح[٨].

والثالث: وقال ابن عباس:" إن الناس كانوا إذا كان في حِجْر أحدهم اليتيمُ جعل طعامه على ناحية ، ولبنه على ناحية ، مخافة الوزر ، وإنه أصاب المؤمنين الجَهْد ، فلم يكن عندهم ما يجعلون خدمًا لليتامى ، فقال الله : {قل إصلاحٌ لهم خير وإن تخالطوهم} إلى آخر الآية"[٩]. وروي عن السدي[١٠]، والضحاك[١١]، نحو ذلك.

---

(١) تفسير الطبري(٤١٨٣):ص ٣٥٠/٤. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٧٢، نقله ابن كثير في تفسيره: ٥٨١/١. وإسناده ضعيف؛ لأن عطاء بن السائب قد اختلط في آخر عمره، وجرير إنما سمع منه بعد الاختلاط (تهذيب التهذيب: ٢٠٣/٧ - ٢٠٧) حاشية جامع الأصول (٣٨/٢) لكنه يتحسن بشواهده ومنها:

وهذا الأثر رواه بمعناه: أبو داد في الزكاة ، باب صلة الرحم : ٢ / ٢٦٠ ، وقال المنذري : في إسناده محمد بن عجلان. والنسائي في الزكاة ، باب اليد العليا : ٥ / ٦٢. والإمام أحمد في المسند : ٢ / ٢٥١ ، ٤٧١ عن أبي هريرة وصححه الحاكم على شرط مسلم : ١ / ٤١٥. وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٨٢٨) ، والشافعي ٢ / ٤١٨ ، ٤١٩. والبغوي في شرح السنة : ٦ / ١٩٣ ، وانظر تعليق المحقق. ومحمد بن عجلان ، صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة ، من الخامسة (التقريب ٢ / ١٩٠ وميزان الاعتدال ٣ / ٦٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري(٤١٨٤):ص٣٥٠/٤، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٧١-٧٢. وإسناده ضعيف بسبب موسى بن مسعود.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٤١٨٥):ص٣٥٠/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٤١٨٦):ص٣٥٠/٤-٣٥١.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٤١٨٨):ص٣٥١/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٤١٩٠):ص٣٥١/٤-٣٥٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٤١٩٠):ص٣٥٢/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٤١٩٦):ص٣٥٤/٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٤١٩٦):ص٣٥٤/٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٤١٩٥):ص٣٥٣/٤-٣٥٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٤١٩٧):ص٣٥٤/٤.

والرابع: وقيل : إن السائل عبدالله بن رواحة[١].

٨٥-**{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)} [البقرة : ٢٢١]**

اختلف أهل التفسير في سبب نزول الآية على قولين[٢]:

أحدها: قال السدي : "نزلت في عبد الله بن رواحة ، وكانت له أمة سوداءُ ، وأنه غضب عليها فلطمها. ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبرها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " ما هي يا عبد الله ؟ قال : يا رسول الله ، هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوءَ وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال : هذه مؤمنة! فقال عبد الله : فوالذي بعثك بالحق لأعتِقنَّها ولأتزوجنَّها! ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا : تزوج أمة!! وكانوا يريدون أن يَنكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم ، فأنزل الله فيهم : {ولأمةٌ مؤمنة خيرٌ من مشركة} و {عبدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك}"[٣].

والثاني: قال مقاتل بن حيان: "نزلت في أبي مرثد الغنوي، استأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في عناق أن يتزوجها، وهي امرأة مسكينة من قريش، وكانت ذات حظ من جمال وهي مشركة وأبو مرثد مسلم، فقال: يا نبي الله إنها لتعجبني، فأنزل الله - عز وجل - {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن}"[٤].

والثالث: قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس :"أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلا من غني يقال له: مرثد بن أبي مرثد حليفا لبني هاشم إلى مكة، ليخرج ناسا من المسلمين بها أسراء؛ فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خليلة له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأتته فقالت: ويحك يا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها: إن الإسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استأذنته في ذلك ثم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٦/١، وزاد المسير: ٢٤٤/١، وتفسير القرطبي: ٦٢/٣.

(٢) انظر:أسباب النزول: ٧٣، والعجاب: ٥٥١/١-٥٥٣، وتفسير الطبري: ٣٦٨/٤-٣٦٩، وتفسير القرطبي: ٦٧/٣.

(٣) تفسير الطبري(٤٢٢٥):ص٣٦٨/٤-٣٦٩، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٧٣، عن ابن عباس، وإسناده ضعيف.

(٤) أسباب النزول: ٧٣، وابن أبي حاتم(٢١٠٠):ص٣٩٨/٢،وإسناده ضعيف معضل، وأخرجه ابن المنذر(فتح القدير: ٢٢٤/١)، وانظر: والعجاب: ٥٥٢/١.

تزوجتك، فقالت له: أبي تتبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة انصرف إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعا وأعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي في سببها، فقال: يا رسول الله، أتحل أن أتزوجها؟ فأنزل الله ينهاه عن ذلك قوله: {ولا تنكحوا المشركات}"[1].

والرابع: قال مقاتل بن حيان:"{قوله: ولأمة مؤمنة}، بلغنا والله أعلم أنها كانت أمة لحذيفة سوداء فأعتقها وتزوجها حذيفة، يعني: ونسخ من هذه الآية نساء أهل الكتاب وأحلهن للمسلمين"[2].

٨٦-{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)} [البقرة : ٢٢٢]

اختلف في سبب نزولها على أقوال[3]:

أحدها: أخرج الواحدي عن أنس: "أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فأنزل الله - عز وجل - {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض} إلى آخر الآية"[4]، ورواه مسلم[5] وأبو داود[1].

---

(١) أسباب النزول: ٧٤، والعجاب: ٥٥٢/١، إسناده ضعيف جدا. قال الحافظ في كتابه "الكافي الشاف" "١/ ٢٦٤ ": "نزولها في هذه القصة ليس بصحيح فقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان رجلًا شديدًا، يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، الحديث بطوله وفيه: حتى نزلت {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها علي وقال: "لا تنكحها". وكذا أخرجه أحمد وإسحاق والبزار وقال: لا نعلم لمرثد بن أبي مرثد حديثًا أسنده إلا هذا انتهى" ونقله المناوي في "الفتح السماوي" "١/ ٢٦٢-٢٦٣" ولم يصرح باسم مصدره.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٢١٠٣):ص٣٩٩/٢، وأورد القصة ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة:٧٧٢/٢. وذكره القرطبي: ٦٩/٤، فقال:" نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان، فقال لها حذيفة : يا خنساء ، قد ذكرت في الملأ الأعلى مع سوادك ودمامتك ، وأنزل الله تعالى ذكرك في كتابه ، فأعتقها حذيفة وتزوجها".

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٢/٤-٣٧٣، وتفسير القرطبي: ٨٠/٣-٨١.

(٤) أسباب النزول: ٧٤.

(٥) مسلم: ٢٤٦/١ رقم:٣٠٢.

وأخرج الطبري نحوه عن قتادة[٢]، والربيع[٣].

والثاني: قال مجاهد: " كانوا يجتنبون النساء في المحيض ويأتونهن في أدبارهن ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله : {ويسألونك عن المحيض} إلى :{فإذا تطهرن فأتوهنّ من حيث أمركم الله}، - في الفرج لا تعدوه"[٤].

الثالث: أن السائل الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كان ثابتَ بن الدَّحداح الأنصاري. قاله ابن عباس[٥]، والسدي[٦]، ومقاتل بن حيان[٧].

والرابع: أخرج الواحدي عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله: {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى} قال:" إن اليهود قالت: من أتى امرأته من دبرها كان ولده أحول، فكان

نساء الأنصار لا يدعن أزواجهن يأتونهن من أدبارهن، فجاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألوه عن إتيان الرجل امرأته وهي حائض، وعما قالت اليهود، فأنزل الله - عز وجل - {ويسألونك عن المحيض} {ولا تقربوهن حتى يطهرن} يعني الاغتسال {فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله} يعني القبل {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم} فإنما الحرث حيث ينبت الولد ويخرج منه"[٨].

---

(١) أبو داود: ٦٢٠/٢ رقم: ٢١٦٥، وهو عند أحمد في مسنده-تحقيق الزين-: ٢٢٠/١١ رقم: ١٣٥١٠، والطيالسي في مسنده: ٢٧٣ رقم: ٢٠٥٢، والترمذي في جامعه: ٢١٤/٥ رقم: ٢٩٧٧، والنسائي في المجتبى: ١٥٢/١، وابن ماجة في سننه: ٢١١/١ رقم: ٦٤٤، والدارمي في سننه: ٢٥٨/١ رقم: ١٠٤٣، والواحدي في أسباب النزول-تحقيق الحميدان-: ٧٤، وابن أبي حاتم في تفسيره-القسم الثاني من سورة البقرة-: ٦٧٦/٢ رقم: ١٧٩٢ وغيرهم.

(٢) تفسير الطبري(٤٢٣١):ص ٣٧٣/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٤٢٣٢): ص٣٧٣/٤.

(٤) تفسير الطبري(٤٢٣٣):ص ٣٧٣/٤.

(٥)كما في زاد المسير لابن الجوزي: ٢٤٧/١-٢٤٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٤٢٣٤):ص ٣٧٤/٤، وانظر: الدر المنثور للسيوطي: ٤٦١/١، وقاله أيضاً: ابن عباس كما في زاد المسير لابن الجوزي: ٢٤٧/١-٢٤٨، ومقاتل بن حيان كما في تفسير ابن أبي حاتم-القسم الثاني من سورة البقرة-: ٦٧٧/٢ رقم: ١٧٩٤، وابن المنذر كما في الدر المنثور للسيوطي: ١/٤٦١.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢١١٠):ص٤٠٠/٢، ورواه وابن المنذر كما في الدر المنثور للسيوطي: ١/٤٦١.

(٨) أسباب النزول: ٧٥، و إسناده ضعيف بسبب خصيف، بالإضافة لضعف متنه ونكارته، إذ أن فيه خلطا بين سببين مختلفين، والله أعلم.

قال القرطبي: " قال علماؤنا : كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض ، وكانت النصارى يجامعون الحيض ، فأمر الله بالقصد بين هذين"[١].

٨١٧-**{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)} [البقرة : ٢٢٣]**

في سبب نزولها أقوال:

أحدها: أخرج الطبري بسنده عن مرة الهمداني قال : "أن رجلا من اليهود لقي رجلا من المسلمين فقال له : أيأتي أحدكم أهلهُ باركًا ؟ قال : نعم. قال : فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنزلت هذه الآية : {نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم}، يقول : كيف شاء ، بعد أن يكون في الفرج"[٢].

والثاني: وأخرج الطبري بسنده عن عبد الله بن علي: أنه بلغه أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا يومًا ورجل من اليهود قريبٌ منهم ، فجعل بعضهم يقول : إنيّ لآتي امرأتي وهي مضطجعة. ويقول الآخر : إني لآتيها وهي قائمة. ويقول الآخر : إني لآتيها على جنبها وباركةً. فقال اليهودي : ما أنتم إلا أمثال البهائم ! ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة ! فأنزل الله تعالى ذكره : {نساؤكم حرثٌ لكم}، فهو القُبُل"[٣].

والثالث: وقال الربيع:" ذكر لنا - والله أعلم - أن اليهود قالوا : إن العرب يأتون النساء من قِبَل إعجازهن ، فإذا فعلوا ذلك ، جاء الولد أحول ، فأكذب الله أحدوثتهم فقال : {نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم}"[٤]. وأخرج الواحدي عن جابر بن عبدالله[٥] نحو ذالك.

---

(١) تفسير القرطبي: ٨١/٣.

(٢) تفسير الطبري(٤٣١٥):ص ٤٠٠/٤.

(٣) تفسير الطبري(٤٣١٨):ص ٤٠٠/٤.

(٤) تفسير الطبري(٤٣٢٢):ص ٤٠٢/٤.

(٥) انظر: اسباب النزول: ٧٦-٧٧، والحديث أخرجه البخاري (فتح الباري: ١٨٩/٨ - ح: ٤٥٢٨) ومسلم (١٠٥٨/٢، ١٠٥٩ - ح: ١٤٣٥) والحميدي (مسند الحميدي: ٥٣٢/٢ - ح: ١٢٦٣) وأبو داود (٦١٨/٢ - ح: ٢١٦٣) والترمذي (٢١٥/٥ -: ٢٩٧٨) وابن جرير (٢٣٤/٢، ٢٣٥) وابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير: ٢٦٠/١) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ٢١/٤ - ح: ٢٠٢٤) كلهم عن سفيان به.

والرابع: قال نافع:" كان ابن عمر إذا قرئ القرآن لم يتكلم. قال : فقرأت ذات يوم هذه الآية : {نساؤكم حرثٌ لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم}، فقال : أتدري فيمن نزلت هذه الآية ؟ قلت : لا! قال : نزلت في إتيان النساء في أدبارهن"[١]. وروي عن ابن عباس[٢] مثل ذلك.

والخامس: وقال عطاء بن يسار : "أن رجلا أصاب امرأته في دبرها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر الناس ذلك وقالوا : أثْفَرها! فأنزل الله تعالى ذكره : {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم}، الآية"[٣].

والسادس: وقال مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عَرَضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية وأساله عنها ، حتى انتهى إلى هذه الآية : {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم}، فقال ابن عباس : إن هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلاتٍ ومدبراتٍ. فلما قدموا المدينة تزوّجوا في الأنصار ، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بالنساء بمكة ، فأنكرن ذلك، وقلن : هذا شيء لم نكن نُؤْتَى عليه ! فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك :{نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم}، إن شئت فمقبلة ، وإن شئت فمدبرة ، وإن شئت فباركة ، وإنما يعني بذلك موضع الولد للحرث. يقول : ائت الحرث من حيث شئت "[٤]. وأخرجه الواحدي في رواية الكلبي عن ابن عباس[٥].

---

(١) تفسير الطبري(٤٣٢٥):ص ٤٠٣/٤-٤٠٤.

(٢) تفسير الطبري(٤٣١٩):ص ٤٠٣/٤-٤٠١.

(٣) تفسير الطبري(٤٣٣٤):ص ٤٠٨/٤. وهذا حديث مرسل ، لأن عطاء بن يسار تابعي . وقوله " أثفرها " : من " الثفر " ، بفتح الثاء المثلثة والفاء ، وهو ما يوضع للدابة تحت ذنبها يشد به السرج . شبه ذلك الفعل بوضع الثفر على دبر الدابة .

(٤) تفسير الطبري(٤٣٣٧):ص ٤٠٩/٤. وأخرجه الواحدي: ٧٦، أخرجه أبو داود (٦١٨/٢ - ح: ٢١٦٤) والحاكم (المستدرك: ١٩٥/٢، ٢٧٩) والطبراني (المعجم الكبير: ٧٧/١١ - ح: ١١٠٩٧)، والدارمي وابن المنذر والبيهقي (فتح القدير: ٢٢٨/١) عن ابن عباس به. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، ويشهد له: ما أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٨٧/١٨، ٨٨ - ح: ١٨٦، ١٨٧) وابن جرير (٢٣٥/٢) والترمذي (٢١٥/٥ - ح: ٢٩٧٩) وغيرهم عن أم سلمة نحوه، وحسنه الترمذي وهو كما قال.

(٥) انظر: أسباب النزول: ٧٨.

والسابع: وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس:"جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هلكتُ!! قال : وما الذي أهلكك ؟ قال : حوَّلتُ رحلي الليلة! قال : فلم يردّ عليه شيئًا ، قال : فأوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم}، أقبل وأدبر ، واتق الدُّبر والحيْضة "[1]. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول[2].

والثامن: وقال حنش الصنعاني عن ابن عباس : أن ناسًا من حميرَ أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أشياء ، فقال رجل منهم : يا رسول الله ، إنّي رجل أحب النساء ، فكيف ترى في ذلك ؟ فأنزل الله تعالى ذكره في سورة (البقرة) بيان ما سألوا عنه ، وأنزل فيما سأل عنه الرجل :{نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتها مُقبلةً ومُدبرةً ، إذا كان ذلك في الفرج "[3] .

٨٨-{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)} [البقرة : ٢٢٤]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال[4]:

أحدها: قال الكلبي: "نزلت في عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه بشير بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبدا، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين امرأته ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) تفسير الطبري(٤٣٤٧):ص٤١٢/٤-٤١٣. والحديث رواه أحمد في المسند : ٢٧٠٣ عن شيخه حسن بن موسى الأشيب بهذا الإسناد وقد خرجناه هناك، ورواه أيضًا ابن حبان في صحيحه ٦ : ٣٦٤ - ٣٦٥ (مخطوطة الإحسان) والبيهقي ٧ : ١٩٨ . ويشهد له ما أخرجه النسائي في "العشرة" (حاشية جامع الأصول: ٤٣/٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رجلا أتى امرأته في دبرها فوجد في نفسه من ذلك فأنزل الله الآية". وسنده قوي.

(٢) انظر: أسباب النزول: ٧٧-٧٨، والحديث أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٨٨/١٨ - ح: ١٨٩) والترمذي (٢١٦/٥ - ح: ٢٩٨٠)، والطبراني (المعجم الكبير: ١٠/١٢ - ح: ١٢٣١٧) وعبد بن حميد والضياء المقدسي في "المختارة" (فتح القدير: ٢٢٨/١) كلهم من طريق يعقوب القمي به. وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٣١٩/٦) وهو حسن.

(٣) تفسير الطبري(٤٣٤٨):ص٤١٣/٤. والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٥١٤ - ٥١٥ من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره ، عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة . بهذا الإسناد . وذكره السيوطي ١ : ٢٦٢ - ٢٦٣ ، وزاد نسبته للطبراني والخرائطي . وروى أحمد في المسند : ٢٤١٤ - نحوه ولكن فيه أن السائلين كانوا من الأنصار . وإسناده ضعيف ، من أجل رشدين بن سعد في إسناده .

(٤) انظر: أسباب النزول: ٧٨-٧٩، والعطاب: ٥٧٦/١-٥٧٩، وتفسير القرطبي: ٩٧/٣.

قوله تعالى: {للذين يؤلون من نسائهم} الآية"[١].

والثاني: وقال سعيد بن المسيب: "كان الإيلاء من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا، وكان يتركها كذلك لا أيما ولا ذات بعل، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل الله تعالى: {للذين يؤلون من نسائهم} الآية"[٢].

والثالث: قال مقاتل بن سليمان:" نزلت في أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- وفي ابنه عبد الرحمن. حلف أبو بكر- رضي الله عنه- ألا يصله حتى يسلم. وذلك أن الرجل كان إذا حلف قال: لا يحل إلا إبرار القسم. فأنزل الله- عز وجل- {ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم}، يقول: لا يحلف على ما هو في معصية"[٣].

والرابع: ةقال ابن جريج:" نزلت في أبي بكر ، في شأن مِسْطَح"[٤].

وذلك" حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض مع أهل الإفك"[٥].

والخامس: قال ابن عباس:" كان الرجل يحلف على الشيء من البر والتقوى لا يفعله ، فنهى الله عز وجل عن ذلك فقال :{ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا}"[٦] .

والسادس: قال الربيع:" ذلك في الرجل يحلف أن لا يبر ، ولا يصل رحمه ، ولا يصلح بين الناس. فأمره الله أن يدع يمينه ، ويصل رحمه ، ويأمر بالمعروف ، ويصلح بين الناس"[٧].

٨٩-**{لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦)} [البقرة : ٢٢٦]**

---

(١) أسباب النزول: ٧٩.

(٢) أسباب النزول: ٧٩.

(٣) تفسير مقاتل: ١٩٢/١، والعجاب/ ٥٧٦/١.

(٤) تفسير الطبري(٤٣٦٨):ص٤٢٣/٤.

(٥) أسباب النزول: ٥٧٦/١.

(٦) تفسير الطبري(٤٣٦١):ص٤٢٢/٤.

(٧) تفسير الطبري(٤٣٦٦):ص٤٢٣/٤.

قال قتادة: "كان أهل الجاهلية [يعدون]الإيلاء طلاقا فحد لهم أربعة أشهر، فإن فاء فيها كفر يمينه وكانت امرأته، وإن مضت أربعة أشهر ولم يفئ بها فهي تطليقه"(١). وأخرجه الطبري(٢)، وذكر الثعلبي(٣)، والواحدي(٤).

٩٠-{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)} [البقرة : ٢٢٨]

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: قال عبد الرزاق: "حدثنا معمر عن قتادة في قوله: {وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِن} قال: كانت المرأة تكتم حملها حتى تجعله لرجل آخر فنهاهن الله عن ذلك"(٥). واخرجه الطبري(٦).

والثاني: أخرج الطبري من طريق أسباط بن نصر عن السدي في هذه الآية:" فالرجل يريد أن يطلق امرأته فيسألها : هل بك حمل ؟ فتكتمه إرادةَ أن تفارقه ، فيطلقها وقد كتمته حتى تضع. وإذا علم بذلك فإنها تردّ إليه ، عقوبةً لما كتمته ، وزوجها أحق برجعتها صاغرةً "(٧).

والثالث: قال القرطبي:" حكي أن رجلا من أشجع أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني طلقت امرأتي وهي حبلى ، ولست آمن أن تتزوج فيصير ولدي لغيري فأنزل الله الآية ، وردت امرأة الأشجعي عليه"(٨).

٩١-{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)} [البقرة : ٢٢٩]

---

(١) العجاب: ٥٧٩/١،

(٢)انظر: تفسير الطبري(٤٥٩٨):ص٤٨٥/٤. من طريق سعيد.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي: ١٦٨/٢. من طريق سعيد.

(٤) انظر: أسباب النزول: ٧٩. من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٥) تفسيره: ٢٩، وانظر: العجاب: ٥٨٠/١.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٤٧٥٠):ص٥٢١/٤.

(٧) تفسير الطبري(٤٧٥٣):ص٥٢٣/٤. وانظر: العجاب: ٥٨٠/١.

(٨) تفسير القرطبي: ١١٢/٣. لم نقف عليه.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن "هشام بن عروة عن أبيه، أن رجلا قال لامرأته: لا أطلقك أبدا، ولا أؤيدك أبدا وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، حتى إذا دنا أجلك راجعتك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت له، فأنزل الله تعالى: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ}. قال هشام: ولم يكن لهم شيء ينتهون إليه من الطلاق"(١).

والثاني: أخرج الطبري بسنده الصحيح عن عبد الله بن رباح، عن جميلة بنت أبي ابن سلول، أنها كانت عند ثابت بن قيس فنشزت عليه ، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " يا جميلة ، ما كرهت من ثابت ؟ قالت : والله ما كرهت منه دينا ولا خلقا ، إلا أني كرهت دمامته! فقال لها : أتردين الحديقة " قالت : نعم! فردت الحديقة وفرق بينهما"(٢).

والثالث: أخرج الواحدي عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، أنها أتتها امرأة فسألتها عن شيء من الطلاق، قالت: "فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فنزلت: {الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان}"(٣).

٩٢-**{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)} [البقرة : ٢٣١]**

قال ابن عباس:" كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ، ثم يطلقها. يفعل ذلك يضارها ويعضلها ، فأنزل الله هذه الآية "(٤).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٢٢٠٦):ص ٤١٨/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره(٤٧٧٩):ص ٥٣٩/٤، والواحدي في أسباب النزول: ٧٩-٨٠، وأخرجه الإمام مالك (الموطأ برواية يحيى بن يحيى: ٤٠٣ - ح: ١٢٤٢) والترمذي (٤٩٧/٣ - ح: ١١٩٢)، والشافعي وعبد بن حميد(تفسير ابن كثير: ٢٧١/١) والبيهقي (فتح القدير: ٢٣٩/١) كلهم من طريق هشام به. وهو صحيح الإسناد، إلا أنه مرسل. (حاشية جامع الأصول: ٤٦/٢).

(٢) تفسير الطبري(٤٨١٠):ص ٥٥٦/٤.

(٣) أسباب النزول: ٨٠، وأخرجه الترمذي (٤٩٧/٣) والحاكم (المستدرك: ٢٧٩/٢) وابن مردويه والبيهقي (فتح القدير: ٢٣٩/١) من طريق يعلى بن شبيب المكي به. وإسناده ضعيف بسبب يعلى (تقريب التهذيب: ٣٧٨/٢) - رقم: ٤٠٥).

(٤) تفسير الطبري(٤٩١٣):ص ٩/٥.

قال ابن كثير: "هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقا له عليها فيه رجعة ، أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها ، ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها ، فإما أن يمسكها ، أي : يرتجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف ، وهو أن يشهد على رجعتها ، وينوي عشرتها بالمعروف ، أو يسرحها ، أي : يتركها حتى تنقضي عدتها ، ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن ، من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح"(١).

٩٣-**{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)} [البقرة : ٢٣٢]**

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

احدها: أخرج الواحدي عن الحسن أنه قال في قول الله - عز وجل - {فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا} الآية، قال: "حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: كنت زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليها أبدا قال: وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، فزوجتها إياه"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦٢٩/١.

(٢) اسباب النزول: ٨٠-٨١، و أخرجه البخاري (فتح الباري: ١٨٣/٩ - ح: ٥١٣٠) وأبو داود (٥٦٩/٢ - ح: ٢٠٨٧) وابن جرير (٢٩٧/٢) والحاكم (المستدرك: ٢٨٠/٢) وابن أبي حاتم وابن مردويه (تفسير ابن كثير: ٢٨٢/١) والدارقطني (الصحيح المسند للوادعي: ١٩) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن به.

وفي رواية أخرى أخرج الواحدي عن معقل بن يسار أنه قال: "كانت لي أخت فخطبت إلي وكنت أمنعها الناس، فأتاني ابن عم لي فخطبها فأنكحتها إياه فاصطحبا ما شاء الله، ثم طلقها طلاقا له رجعة، ثم تركها حتى انقضت عدتها فخطبها مع الخطاب، فقلت: منعتها الناس وزوجتك إياها، ثم طلقتها طلاقا له رجعة، ثم تركتها حتى انقضت عدتها، فلما خطبت إلي أتيتني تخطبها، لا أزوجك أبدا فأنزل الله تعالى: {وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن} فكفرت عن يميني وأنكحتها إياه".[أسباب النزول: ٨١، و أخرجه الطبراني (المعجم الكبير: ٢٠٥/٢٠ - ح: ٤٦٨) وابن جرير (٢٩٨/٢) والطيالسي (منحة المعبود: ١٤/٢ - ح: ١٩٣٤) من طريق عباد به. وإسناده حسن].

الثاني: قال السدي: "نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة ، فانقضت عدتها ، ثم رجع يريد رجعتها. فأما جابر فقال : طلقت ابنة عمنا ، ثم تريد أن تنكحها الثانية! وكانت المرأة تريد زوجها ، قد راضته. فنزلت هذه الآية"[١].

الثالث: أنها نزلت عموماً في نهي كل ولي عن مضارة وليّته من النساء أن يعضلها عن النكاح ، وهذا قول ابن عباس[٢]، والضحاك[٣]، والزهري[٤]، ومسروق [٥]، وإبراهيم[٦].

٩٤-**{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)} [البقرة : ٢٣٤]**

أخرج الواحدي عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: حدثت عن مقاتل بن حيان في هذه الآية: أن رجلا من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة، فرفع ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعطى الوالدين وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئا، غير أنه أمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول"[٧].

قال الشوكاني: " لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذكر ذكر الإرضاع عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق"[٨].

٩٥-**{لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)} [البقرة : ٢٣٦]**

---

(١) تفسير الطبري(٤٩٣٩):ص٥/٢١-٢٢. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٨٢، و وابن المنذر (فتح القدير: ٢٤٤/١) وابن مردويه (لباب النقول: ٤٧) من طريق عمرو بن حماد به.

وقد سبق تضعيف هذا السند، ولذا قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - "والصحيح الأول" (تفسير ابن كثير: ٢٨٢/١) - يعني حديث معقل بن يسار - وتبعه الإمام السيوطي (لباب النقول: ٤٧) .

(٢) انظر: تفسير الطبري(٤٩٤١):ص٥/٢٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٤٩٤٥):ص٥/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٤٩٤٤):ص٥/٢٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٤٩٤٢):ص٥/٢٢-٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٤٩٤٣):ص٥/٢٣.

(٧) أسباب النزول: ٨٣-٨٤.

(٨) فتح القدير: ٢٤٨/١.

قال مجاهد: "نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أطلقتها؟ " قال: نعم إني لم أجد نفقة. قال: "متعها بقلنسوتك أما إنها لا تساوي شيئا، ولكن أردت أن أحيي سنة"(١).

٩٦-{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)} [البقرة : ٢٣٨]

أخرج الطبري عن إبراهيم ، ومجاهد أنهما قالا:" كانوا يتكلمون في الصلاة، يأمر أحدهم أخاه بالحاجة ، فنزلت :{وقوموا لله قانتين}، قال : فقطعوا الكلام، و(القنوت): السكوت ، و(القنوت) الطاعة"(٢). وروي نحوه عن ابن مسعود(٣)، وزيد بن أرقم(٤)، والسدي(٥)، وابن زيد(٦).

٩٧-{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)} [البقرة : ٢٤٥]

أخرج ابن أبي حاتم بسنده "عن ابن عباس، قال: أتت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله إليه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقالوا: يا محمد افتقر ربك، يسأل عباده؟ فأنزل الله عز وجل: لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء"(٧).

---

(١) العجاب: ٥٩٦/١، ربما كان هذا القول من تفسير ابن ظفر نقله عنه ابن حجر، ولم اجد الخبر في تفسير الطبري وابن كثير والسيوطي، ورأيت مثله غير منسوب لقائل في "تفسير مقاتل بن سليمان" "١/ ١٢٣" وفيه بدل قوله: "أطلقتها". وجوابه: "هل متعتها بشيء؟ " قال: لا قال: "متعها ... " إلخ وقد نقله ابن الجوزي في زاده "١/ ٢٧٩"، وانظر: تفسير الخازن: ١٧٠/١.

(٢) تفسير الطبري(٥٥٣٤):ص٢٣٦/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٥٥٢٢):ص٢٣١/٥-٢٣٢.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٣٧٧):ص٤٤٩/٢، وتفسير الطبري(٥٥٢٤):ص٢٣١/٥، والحديث رواه البخاري-فتح-: ٨٨/٣ رقم: ٢٠٠، ومسلم: ٣٨٣/١ رقم: ٥٣٩، ونصه: "إن كنا لنتكلم في الصلاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} الآية، فأمرنا بالسكوت".

قال ابن حجر: " وحديث زيد بن أرقم ظاهر في أن المراد بالقنوت: السكوت". [الفتح: ٩٠/٣].

(٥) انظر: تفسير الطبري(٥٥٢١):ص٢٣١/٥.

(٦)ذهب إلى أن القنوت في الآية السكوت، انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٥-٢٣٤، والنكت والعيون للماوردي: ٣١٠/١. واختاره من المفسرين ابن العربي في أحكام القرآن: ٢٢٧/١، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢٤٢/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢١٤/٣، والشوكاني في فتح القدير: ٣٨٤/١، وصديق خان في فتح البيان: ٥٦/١-٥٧ وذلك لحديث زيد بن أرقم المذكور قبل.

(٧) تفسير ابن ابي حاتم(٢٤٢٩):٤٦٠/٢.

قال الحسن : وقد جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية فقالوا : إن الله يستقرض منا ، فنحن أغنياء ، وهو فقير ، فأنزل الله تعالى :{ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحَنْ أَغْنِيَاءُ}[آل عمران : ١٨١].

وروي "عن ابن عمر قال: لما نزلت مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رب زد أمتي، فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال: رب زد أمتي فنزل {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}[الزمر:١٠٠]"[١].

قال السعدي: " ولما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل الأموال في ذلك، أمر تعالى بالإنفاق في سبيله ورغب فيه، وسماه قرضا فقال: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا} فينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات، خصوصا في الجهاد، والحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى"[٢].

٩٨-{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٥٦]

في سبب نزول الآية أقوال:

القول الأول: قيل: نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصروهم ، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه ، فنهاهم الله عن ذلك ، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ذلك على النحو الآتي[٣]:

أولا: أخرج الطبري بسنده " عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاتا ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا : لا ندع أبناءنا! فأنزل الله تعالى ذكره :{ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيّ }"[٤]. وروي عن سعيد بن جبير[١]، وعامر[٢] والشعبي[٣] نحو ذلك.

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(٢٤٣٥):ص٤٦١/٢.

(٢) تفسير السعدي: ١٠٦/١.

(٣) أنظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/٥ وما بعدها، وتفسير القرطبي: ٢٨٠/٣-٢٨١.

(٤) أخرجه الطبري(٥٨١٢):ص٤٠٧/٥-٤٠٨. عن سعد بن جبير مرسلا ، والبيهقي في السنن : ٩ / ١٨٦ ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر. وانظر تفسير النسائي ١ / ٢٧٣

ثانيا: روي "عن مجاهد في قول الله : " لا إكراه في الدين " قال : كانت في اليهود بني النضير، أرضعوا رجالا من الأوس ، فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإجلائهم ، قال أبناؤهم من الأوس : لنذهبن معهم ، ولندينن بدينهم! فمنعهم أهلوهم ، وأكرهوهم على الإسلام ، ففيهم نزلت هذه الآية"[٤].

وروي عن الحسن[٥] نحو ذلك.

ثالثا: أخرج ابن أبي حاتم بسنده "عن مجاهد، قال: كانت الأنصار يكرهون اليهود على إرضاع أولادهم، فأنزل الله {لا إكراه في الدين}"[٦][٧].

رابعا: روي "عن ابن عباس قوله :{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، قال : نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله فيه ذلك "[٨].

وروي عن السدي[٩] نحو ذلك.

، ٢٧٦ ، والنحاس في معاني القرآن ١ / ٢٦٦ وللشوكاني كلام مفيد حول هذه الآية فلينظر فتح القدرير ١ / ٢٧٥. وأخرج الواحدي بسنده قطعة منه دون قول النبي صلى الله عليه وسلم "قد خير أصحابكم ... أسباب النزول :٨٣.

(١) أنظر: تفسير الطبري(٥٨١٣):ص٥/٤٠٨، و(٥٨١٨):ص٥/٤١٠.

(٢)أنظر: تفسير الطبري(٥٨١٤):ص٥/٤٠٨.

(٣) أنظر تفسير الطبري(٥٨٢٣):ص٥/٤١١-٤١٢. و(٥٨٢٤):ص٥/٤١٢، وزاد فيه:" : قال : كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الإسلام ، إجلاء بني النضير ، فمن خرج مع بني النضير كان منهم ، ومن تركهم اختار الإسلام".

(٤) أخرجه الطبري(٥٨٢٠):ص٥/٤١١. و(٥٨٢١) و(٥٨٢٢):ص٥/٤١١.

(٥) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٢٦):ص٥/٤١٢.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٢):ص٢/٤٩٣.

(٧)قال ابن قدامة: "كره الإمام أحمد الارتضاع بلبن الفجور والمشركات، وقال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز: اللبن يشتبه فلا تستق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية؛ لأنه ربما أفضى إلى شبه أمه المرضعة في الفجور، ولأنه يخشى أن يميل إلى مرضعته في الدين. ويكره الارتضاع بلبن الحمقاء كيلا يشبهها الولد في الحمق، فإنه يقال: إن الرضاع يغيّر الطباع".[المغني:٨/١٥٥].

(٨)رواه الطبري(٥٨١٧):ص٥/٤٠٩.

(٩)أنظر: تفسير الطبري(٥٨١٩):ص٥/٤١٠. وزاد في روايته:" فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين ، فدعوهما إلى النصرانية ، فتنصرا فرجعا إلى الشام معهم.

القول الثاني: وقيل: "نزلت هذه الآية في خاص من الناس"[١]، فلا يكره أهل الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية ، ولكنهم يقرون على دينهم.

أخرج الطبري عن " قتادة في قوله : " لا إكراه في الدين " ، قال : هو هذا الحي من العرب ، أكرهوا على الدين ، لم يقبل منهم إلا القتل أو الإسلام ، وأهل الكتاب قبلت معهم الجزية ، ولم يقتلوا"[٢].

وروي نحو لك عن ابن عباس[٣]، والضحاك[٤].

القول الثالث: وقيل: " أنها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا إذا كانوا كبارا"[٥].

القول الرابع: وقيل: أن معناها "لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف مجبرا مكرها"[٦].

قال ابن كثير: " وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار ، وإن كان حكمها عامًّا"[٧]، "لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحا، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو

فأتى أبوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (٢) إن ابني تنصرا وخرجا ، فأطلبهما ؟ فقال : " لا إكراه في الدين ".

(١) تفسير الطبري: ٤١٤/٥.

(٢) تفسير الطبري:(٥٨٢٨):ص٤١٣/٥. ونحوه في رواية أخرى(٥٨٢٧):ص٤١٢/٥-٤١٣، و(٥٨٣٠):ص٤١٣/٥. وأخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره(٢٦١٢):ص٤٩٤/٢. بلفظ:" كانت العرب ليس لهم دين، فأكرهوا على الدين بالسيف، قال: ولا تكره اليهود ولا النصارى ولا المجوس، إذا أعطوا الجزية".

(٣) أنظر: :تفسير الطبري(٥٨٣٢):ص٤١٣/٥-٤١٤.

(٤) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٢٩):ص٤١٣/٥).

(٥) تفسير القرطبي: ٢٨١/٣.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٨١/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦٨٢/١.

موجب لقبوله لكل منصف قصده اتباع الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء"[١].

٩٩-**{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)} [البقرة : ٢٥٧]**

روي عن "المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت منصورا ، عن رجل ، عن عبدة بن أبي لبابة قال في هذه الآية : {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}، إلى {أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}، قال : هم الذين كانوا آمنوا بعيسى ابن مريم ، فلما جاءهم محمد -صلى الله عليه وسلم- كفروا به ، وأنزلت فيهم هذه الآية"[٢].

قال ابن عطية:" فكأن هذا القول أحرز نورا في المعتقد خرج منه إلى ظلمات. ولفظ الآية مستغن عن هذا التخصيص. بل هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب، ومترتب في الناس جميعا. وذلك أن من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ومن كفر بعد وجود الداعي النبي المرسل فشيطانه ومغويه كأنه أخرجه من الإيمان، إذ هو معد وأهل للدخول فيه. وهذا كما تقول لمن منعك الدخول في أمر ما: أخرجتني يا فلان من هذا الأمر وإن كنت لم تدخل فيه البتة"[٣].

١٠٠-**{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٦١]**

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال[٤]:

---

(١) تفسير السعدي: ١١٠/١.

(٢) أخرجه الطبري(٥٨٥٩):ص٤٢٦/٥. وفي رواية ابن أبي حاتم(٢٦٣٠):٤٩٧/٢: "حدثنا أبى، ثنا يحي بن المغيرة، ابنا جرير، عن منصور، عن عبدة ابن أبي لبابة، عن مقسم أو مجاهد، في قول الله عز وجل: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور قال: كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم، آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى فقال: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور يخرجهم من كفرهم بعيسى إلى إيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم. وروي عن أبي مالك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك".

(٣) المحرر الوجيز: ٣٤٥/١.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٣/٣.

أحدها: أنها نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبدالرحمن بأربعة آلاف فقال : "يا رسول الله ، عندي أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما ربي ، وألفين لعيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت"[١]، وقال عثمان : "يا رسول الله علي جهاز من لا جهاز له، فنزلت هذه الآية فيهما"[٢].

الثاني: وقيل : نزلت في نفقة التطوع[٣].

الثالث: وقيل : نزلت قبل آية الزكاة ثم نسخت بآية الزكاة[٤].

قال القرطبي: " ولا حاجة إلى دعوى النسخ ، لأن الإنفاق في سبيل الله مندوب إليه في كل وقت. وسبل الله كثيرة وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا"[٥].

قال الراغب: " إن قيل : كيف تعلق هذه الآية بما قبلها ؟ قيل : إن ذلك متعلق بقوله : { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ } وما بينه وبين هذه الآية ، اعتراضات مرغبة للإنسان في فرضه من حث على

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٨):ص١٨٥١/٦. ومسند البزار برقم (٢٢١٦) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/٧) : "وفيه عمرو بن أبي سلمة ، وثقه العجلي ، وأبو خيثمة وابن حبان وضعفه شعبة وغيره ، وبقية رجالهما ثقات".

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٨٧. وذكره البغوي في تفسيره: ٢٤٩/١-٢٥٠. ونسبه للكلبي، والعجاب فيس بيان الأسباب: ٦٢١/١.

وانظر عن هذا التجهيز "الفتح" "٥/ ٤٠٨ و٧/ ٥٤"، والأقتاب جمع قتب وهو كما في "القاموس" "ص١٥٧": "الأكاف الصغير على قدر سنام البعير" والأحلاس جمع حِلس وهو كما في "القاموس" أيضًا "ص٦٩٤": "كساء على ظهر البعير تحت البرذعة".

وقال البخاري في "صحيحه"، كتاب "الوصايا"، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا ... " وقال عبدان: أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفر رومة فله الجنة"، فحفرته ألستم تعلمون أنه قال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة"، فجهزته قال: فصدقوه بما قال" "الفتح" "٥/ ٤٠٦-٤٠٨" وذكره دون سند في كتاب "فضائل الصحابة" مناقب عثمان "الفتح" "٧/ ٥٢" وهل حفر عثمان رومة أم اشتراها؟ خلاف ويمكن الجمع انظر "الفتح" "٥/ ٤٠٧-٤٠٨".

(٣) المحرر الوجيز: ٣٥٥/١.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٣/٣.

(٥) تفسير القرطبي: ٣٠٣/٣.

قناعة هي أس الجود ، وذكر عظمة المستقرض وإرشاد لمن يستقرض منهم ، وبين في يده أن فرضه هو الإنفاق في سبيله وأن مضاعفته هو بأن يجعل للواحد سبع مائة وأنه يضاعف مع ذلك لمن يشاء مضاعفة لا يضبط عدها ، ولا يعرف حدها"[١].

١٠١-{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)} [البقرة : ٢٦٢]

وقد اختلف في سبب نزول الآية على أقوال[٢]:

الأول: قيل : إن هذه الآية، نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال عبدالرحمن بن سمرة : جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول : " ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان"[٣].

الثاني: وقيل: أن إنها نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبدالرحمن بأربعة آلاف فقال : "يا رسول الله ، عندي أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما ربي ، وألفين لعيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت"[٤]، وقال عثمان : "يا رسول الله علي جهاز من لا جهاز له، فنزلت هذه الآية فيهما"[٥].

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: ٥٤٨/١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٣/٣.

(٣) أخرجه أحمد(٢٠٦٣٠)، والترمذي (٣٧٠١) وحسّنه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٨):ص١٨٥١/٦. ومسند البزار برقم (٢٢١٦) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/٧) : "وفيه عمرو بن أبي سلمة ، وثقه العجلي ، وأبو خيثمة وابن حبان وضعفه شعبة وغيره ، وبقية رجالهما ثقات".

(٥) أسباب النزول للواحدي: ٨٧. وذكره البغوي في تفسيره: ٢٤٩/١-٢٥٠. ونسبه للكلبي، والعجاب فيس بيان الأسباب: ٦٢١/١.

وانظر عن هذا التجهيز "الفتح" "٥/ ٤٠٨ و٧/ ٥٤"، والأقتاب جمع قتب وهو كما في "القاموس" "ص١٥٧": "الأكاف الصغير على قدر سنام البعير" والأحلاس جمع حِلس وهو كما في "القاموس" أيضًا "ص٦٩٤": "كساء على ظهر البعير تحت البرذعة".

وقال البخاري في "صحيحه"، كتاب "الوصايا"، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا ... " وقال عبدان: أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله،

قال ابن حجر: "وقال مقاتل بمعناه مختصرا"[1].

الثالث: وقال ابن ظفر: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن، أما أبو بكر فأنفق جميع ماله، وأما الباقون فأنفق نصف ما عنده وكذا ابن عوف وأما عثمان فاشترى بئر رومة وجهز جيش العسرة وأما علي فباع حائطا له باثني عشر ألفا فتصدق بجميعها وأصبح يوما وليس عنده سوى أربعة دراهم فتصدق بها وكان كثير الإيثار على نفسه"[2].

وقال أبو سعيد الخدري: "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رافعا يده يدعو لعثمان ويقول: "يا رب إن عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه" فما زال رافعا يده حتى طلع الفجر، فأنزل الله تعالى فيه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ} الآية"[3].

١٠٢-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)} [البقرة : ٢٦٧]

روي عن البراء أنه قال: "نزلت فينا هذه الآية كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرة نخله وقلته فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام إذا جاع أحدهم أتى القنو فضربه فيسقط من البسر والتمر ما يأكله، وكان أناس ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم

ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفر رومة فله الجنة"، فحفرته ألستم تعلمون أنه قال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة"، فجهزته قال: فصدقوه بما قال" "الفتح" "٥/ ٤٠٦-٤٠٨" وذكره دون سند في كتاب "فضائل الصحابة" مناقب عثمان "الفتح" "٧/ ٥٢" وهل حفر عثمان رومة أم اشتراها؟ خلاف ويمكن الجمع انظر "الفتح" "٥/ ٤٠٧-٤٠٨".

(١) العجاب في بيان الأسباب: ٦٢٢/١.

(٢) العجاب في بيان الأسباب: ٦٢٢/١.

(٣)أسباب النزول للواحدي: ٨٧، والحديث أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢٨٣/٢) وصححه وهو كما قال، ويشهد له: ما أخرجه النسائي (فتح القدير: ٢٩١/١) والحاكم (المستدرك: ٢٨٤/٢) والدارقطني (١٣٠/٢ - ح: ١١) والطبراني (المعجم الكبير: ٩٣/٦ - ح: ٥٥٦٧) والبيهقي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم (فتح القدير: ٢٩١/١) عن سهل بن حنيف بمعناه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (انظر حاشية جامع الأصول: ٦١٩/٤ والتعليق المغني على الدارقطني: ١٣٠/٢ - ١٣٢) .

بالقنو فيه الحشف [و] بالقنو فيه الشيص [و] بالقنو وقد انكسر فيعلقه، قال: فنزلت {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ}"[1].

١٠٣-{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)} [البقرة : ٢٧١]

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع كتاب "التفسير" "٥/ ٢٠٣-٢٠٤" "٢٩٨٧" وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح"، وكذلك نقله القرطبي في:الجامع:٣/ ٢١١، ونقل قوله ابن كثير:١/ ٣٢٠، "وليس فيه "صحيح"! وعزاه السيوطي في: اللباب: ٤٩، إلى ابن ماجه ايضًا وفي :الدر المنثور:٢/ ٨٥، إلى آخرين فانظره.

والحاكم في المستدرك:(٢٨٤/٢)، ولفظه: "نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا عند جذاذ النخل من حيطانها يخرجون أفناء من التمر والبسر فيعلقونها على حبل بين أسطوانتين في المسجد فيأكل منه فقراء المهاجرين الحديث فنزلت".

وقال الحاكم بعد ذكره: "هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، ونسب ابن كثير "١/ ٣٢٠" إلى الحاكم قوله: "صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه".

وأخرج الحاكم في المستدرك:٢/٢٨٣-٢٨٤، من طريق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر، قال: [أمر] النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر بصاع من تمر فجاء رجل بتمر رديء فنزلت".

وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. ونقله السيوطي عنه:(٢/ ٥٩)، ورواه الواحدي ايضًا:(٨١-٨٢).

وأخرجه الفريابي، عن جعفر عن أبيه مرسلا لم يذكر جابر وزاد فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجزين هذا التمر". فنزلت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم [الذي يخرص التمر] أن لا يجيزه". أنظر: العجاب في بيان الأسباب: ٦٢٣/١.

وعزاه السيوطي:٢/ ٥٨-٥٩، إلى عبد بن حميد فقط وليس فيه: فقال رسول الله: "لا يجزين هذا التمر" ومنه استدركت ما بين المعقوفين.

وأخرج عبد بن حميد والنسائي، من طريق أبي أمامة بن سهل:" كان المنافقون يتلومون شرار ثمرهم الصدقة فنزلت". أنظر سنن النسائي:(٢٤٩٢): ص٤٣/٥.

وأخرجه ابن ابي حاتم بسنده(٢٨٠٣):ص٥٢٨/٢، و(٢٧٩٠):ص٥٢٦/٢، عن ابن عباس، ولفظه:" ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون، فأنزل الله على نبيه: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم".

وذكره أبو داود مختصرا في سننه(١٦٠٧):ص١١٠/٢-١١١، وأخرجه الثعلبي في تفسيره(١٤٢/١). وانظر: العجاب في بيان الأسباب: ٦٢٣/١.

وفي سبب نزول الآية أقوال[١]:

أحدها: قال الكلبي : "لما نزلت : {وَمَآ أنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ} الآية قالوا : يا رسول الله أصدقة السر أفضل أم صدقة العلانية ؟ فنزلت : {إن تُبْدُوا الصَّدَقَـاتِ}"[٢].

والثاني: أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله: إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال: أنزلت في أبي بكر وعمر، أما عمر فجاء بنصف ماله، حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر؟ قال: خلفت لهم نصف مالي. وأما أبو بكر فجاء بماله كله، يكاد أن يخفيه من نفسه، حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر؟ قال: عدة الله وعدة رسوله. فبكى عمر، وقال: بأبي أنت وأمي يا أبا بكر، ما استبقنا إلى باب خير قط، إلا كنت سابقنا اليه"[٣].

قال السيوطي:" وقصة إتيان أبي بكر وعمر بالمال وردت من طريق موصولة، ولكن ليس فيها ذكر نزول الآية أخرجها أبو داود[٤]، وصححها الترمذي[٥]، والحاكم[٦]، من رواية زيد ين أسلم عن أبيه عن عمر به"[٧].

---

(١) أنظر: أسباب النزول للواحدي: ٨٩، والبحر المحيط: ٢٤٤/٢.

(٢)أسباب النزول للواحدي: ٨٩، والعجاب في بيان الأسب: ٦٢٧/١، حديث مرسل جيد الإسناد، وقد وصله ابن أبي حاتم وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٣/١٠، وفتح القدير: ٢٩٣/١، عن ابن عباس رضي الله عنهما ويشهد له: ما أخرجه النسائي وعبد بن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي (فتح القدير: ٢٩٣/١) والحاكم (المستدرك: ٢٨٥/٢) والطبراني (المعجم الكبير: ٥٤/١٢ - ح ١٢٤٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم وهم مشركون فأنزل الله عليهم، صححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا (وانظر حاشية معجم الطبراني الكبير: ٥٤/١٢) .

(٣) تفسير ابن ابي حاتم(٢٨٤٨):ص٥٣٦/٢، حديث منقطع، وانظر: العجاب في بيان الاسباب: ٦٢٨/١، وزاد السيوطي :٢/ ٨٥، نسبته إلى ابن مردويه والأصبهاني في "الترغيب"وابن عساكر.

(٤)في سننه، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك بعد باب الرجل يخرج من ماله(١٦٧٨):ص ٢/ ١٢٩.

(٥)في "جامعه" كتاب "المناقب" باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما(٣٦٧٥):ص ٥٧٤/ ٥، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٦)في "مستدركه"، كتاب "الزكاة" "١/ ٤١٤" وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

(٧) العجاب في بيان الأسباب: ٦٢٨/١.

الثالث: وروي عن يزيد بن ابي حبيب: "إنما نزلت هذه الآية : {إن تبدوا الصدقات فنعما هي}، في الصدقة على اليهود والنصارى"[١].

١٠٤-{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)} [البقرة : ٢٧٢]

في سبب نزول الآية وجهان[٢]:

أحدهما: روي عن ابن عباس قال: "كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} إلى قوله: {وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُون}"[٣]. وروي نحوه عن قتادة[٤]، والربيع[٥].

---

(١) أخرجه الطبري(٦١٩٩):ص٥٨٣/٥.

(٢) أنظر: أسباب النزول للواحدي: ٨٩، والعجاب في بيان الأسباب: ٦٢٨/١.

(٣) تفسير الفريابي(٧٢):ص٢٦، المعجم الكبير(١٢٤٥٣):ص٥٤/١٢، وأورده الهيثمي في: المجمع :٦/ ٣٢٤" فسقط منه قوله: {يَكْرَهُون} وقال: "رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف ورواه البزار، بنحوه ورجاله ثقات".

وأخرجه الطبري موصولا بسنده عن ابن عباس:(٦٢٠٢):ص٥٨٧/٥، و(٦٢٠٤)، و(٦٢٠٥):ص٥٨٨/٥، وبسنده عن سعيد بن جبير(٦٢٠٣):٥٨٧/٥.

وأخرجه ابن أبي حاتم(٢٨٥٢):ص٥٣٧/٢، ولفظه(لأنسابهم).

وأخرج الواحدي بسنده:" عن ابن الحنفية قال:

كان المسلمون يكرهون أن يتصدقوا على الفقراء المشركين حتى نزلت هذه الآية، فأمروا أن يتصدقوا عليهم".[أسباب النزول:٨٩].

وقال الكلبي:" وقال الكلبي: اعتمر رسول الله عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمها قتيلة وجدتها يسألانها، وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكم شيئا حتى أستأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنكما لستما على ديني. فاستأمرته في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فأمرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول هذه الآية، أن تصدق عليهما، فأعطتهما ووصلتهما. قال الكلبي: ولها وجه آخر، وذلك أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع في اليهود، وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوهم على أن يسلموا فاستأمروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآية فأعطوهم بعد نزولها".[أسباب النزول للواحدي:٩٠].

(٤) أنظر: تفسير الطبري(٦٢٠٦):ص٥٨٨/٥.

(٥) أنظر: تفسير الطبري(٦٢٠٧):ص٥٨٨/٥.

الثاني: أخرج ابن ابي حاتم بسنده " عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يأمر بألا يصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت هذه الآية: {ليس عليك هداهم}إلى آخرها، فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك، من كل دين"[١].

قال ابن ابي حاتم: "وروي عن السدي، أنه قال: المشركين"[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن يزيد بن أبي الحبيب: " إنما أنزلت هذه الآية على اليهود والنصارى"[٣][٤].

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم(٢٨٥٣):ص٥٣٨/٢-٥٣٨. مرسل جيد الإسناد. ويشهد له القول الأول من السبب النزول.
وأخرج الطبري(٦٢٠١):ص٥٨٧/٥: " عن شعبة ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين ، فنزلت : " وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله " ، فتصدق عليهم".
وأخرج الطبري أيضا بسنده عن سعيد بن جبير(٦٢٠٩):ص٥٨٩/٥. ولفظه:" كانوا يتصدقون [على فقراء أهل الذمة ، فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم . فنزلت : هذه الآية ، مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام]".
وأخرج ابن شيبة في مصنفه (٧٣):ص٦٨/٣: "عن سعيد بن جبير قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لا تصدقوا إلا على أهل دينكم"، فأنزل الله تعالى: {ليس عليك هداهم} فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "تصدقوا على أهل الأديان".

(٢) تفسير ابن ابي حاتم: ٥٣٨/٢. وأخرجه الطبري(٦٢٠٨):ص٥٨٨/٥-٥٨٩، ولفظه:" أما " ليس عليك هداهم " ، فيعني المشركين ، وأما " النفقة " فبين أهلها".

(٣) تفسير ابن ابي حاتم(٢٨٦٣):ص٥٣٩/٢.

(٤)قال القرطبي: " قال علماؤنا : هذه الصدقة التي أبيحت لهم حسب ما تضمنته هذه الآثار هي صدقة التطوع. وأما المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر ، لقوله عليه السلام : "أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها في فقرائكم". قال ابن المنذر : أجمع كل من أحفظ عنه أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئا ، ثم ذكر جماعة ممن نص على ذلك ولم يذكر خلافا. وقال المهدوي : رخص للمسلمين أن يعطوا المشركين من قراباتهم من صدقة الفريضة لهذه الآية. قال ابن عطية : وهذا مردود بالإجماع. والله أعلم. وقال أبو حنيفة : تصرف إليهم زكاة الفطر. ابن العربي : وهذا ضعيف لا أصل له. ودليلنا أنها صدقة طهرة واجبة فلا تصرف إلى الكافر كصدقة الماشية والعين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أغنوهم عن سؤال هذا اليوم" يعني يوم الفطر.
قلت-القرطبي- : وذلك لتشاغلهم بالعيد وصلاة العيد وهذا لا يتحقق في المشركين. وقد يجوز صرفها إلى غير المسلم في قول من جعلها سنة ، وهو أحد القولين عندنا ، وهو قول أبي حنيفة على ما ذكرنا ، نظرا إلى عموم الآية في البر وإطعام الطعام وإطلاق الصدقات. قال ابن عطية : وهذا الحكم متصور للمسلمين مع أهل ذمتهم ومع المسترقين من الحربيين".[أنظر: تفسيره: ٣٣٧/٣-٣٣٨].

١٠٥-{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)} [البقرة : ٢٧٣]

في سبب نزول الآية وجوه[١]:

أحدها: قال مقاتل:"هم أهل الصفة منهم أبو هريرة وابن مسعود والموالي أربعمائة رجل لا أموال لهم بالمدينة، فإذا كان الليل أووا إلى الصفة فأمر الله بالنفقة عليهم"[٢].

الثاني: أخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد:" قوله: {للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله} قال: مهاجري قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم، أمر بالصدقة عليهم"[٣]. وروي نحوه عن أبي جعفر[٤]، والسدي[٥].

الثالث: وأخرج ابن ابي حاتم " عن سعيد، في قوله: {للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله}، قال: قوم أصابتهم الجراحات في سبيل الله فصاروا زمنى، فجعل لهم في أموال المسلمين حقا"[٦].

والرابع: وروي عن السدي، قوله:{للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله}، حصرهم المشركون في المدينة"[٧].

الخامس: وروي "عن رجاء بن حيوة في قول الله: {للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض}، قال: لا يستطيعون تجارة"[٨]. وروي عن السدي، مثل ذلك[١].

---

(١) أنظر: العجاب في بيان الأسباب: ٦٣٣/١-٦٣٤.

(٢) تفسيره: ١٤٤/١. وفي المعنى نفسه ذكر السيوطي في [العجاب في بيان الأسباب: ٦٣٣/١]: "قال ابن ظفر: قال ابن عباس: نزلت في الفقراء أهل الصفة مهاجرة الأعراب. قال الثعلبي: كانوا نحوا من أربعمائة رجل لا مساكن لهم بالمدينة ولا عشائر، أووا إلى صفة المسجد، فيجيئون السوق بالنهار ويتعلمون القرآن بالليل وقالوا: نخرج في كل سرية فحض الله الناس على[فراغ في الأصل، ويصح المعنى لو قدرنا: "النفقة" أو "الصدقة"]، فكان الرجل إذا كان عنده فضل أتاهم به"..

(٣) تفسير ابن ابي حاتم(٢٨٦٥):ص٥٤٠/٢، والطبري(٦٢١٢):ص٥٩١/٥.

(٤) أنظر: تفسير الطبري(٦٢١٣):ص٥٩١/٥.

(٥) أنظر: تفسير الطبري(٦٢١٤):ص٥٩١/٥.

(٦) تفسير ابن ابي حاتم(٢٨٦٦):ص٥٤٠/٢.

(٧)تفسير ابن ابي حاتم(٢٨٦٨):ص٥٤٠/٢.

(٨) تفسير ابن أبي حاتم(٢٨٦٩):ص٥٤٠/٢.

السادس: وقيل الفقراء عامة دون تحديد. حكي عن السدي[٢]، نحو هذا المعنى.

قال ابن عطية:" ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر، وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم، لأن الأنصار كانوا أهل أموال وتجارة في قطرهم"[٣].

١٠٦-{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)} [البقرة : ٢٧٤]

اختلفوا في سبب نزولها على ستة أقوال[٤] :

أحدها : أنها نزلت في عليٍّ كرم الله وجهه ، كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على أهل الصفّة ، أنفق في سواد الليل درهماً ، وفي وضح النهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانية درهماً ، قاله ابن عباس[٥] ومقاتل[٦]، والكلبي[٧]، ومجاهد بن جبر[٨].

الثاني: وقال ابن جريج: "نزلت في رجل فعل ذلك ولم يسم عليا ولا غيره"[٩]، قلت: وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عون مثله[١٠] .

الثالث: وقيل نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- حين تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السر، وعشرة في العلانية[١].

---

(١) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم:٥٤٠/٢. لا أعلم هل قصد بذلك ما أخرجه الطبري عن السدي (٦٢١٤):ص٥٩١/٥:" ولفظه: "فقراء المهاجرين"؟ الذي ثبتناه في النقطة(الثانية).

(٢) أنظر: تفسير الطبري(٦٢١١)ص:٥٩٠/٥، ولفظه:" وأما (النفقة) فبين أهلها ، فقال :{للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله}".

(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٨/١.

(٤) أنظر: أسباب النول للواحدي: ٩٠-٩١، والعجاب في بيان الأسباب: ٦٣٤/١ -٦٣٥، والنكت والعيون: ٣٤٧/١.

(٥)أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٩٢، بسند حسن، ورواه الطبراني في المعجم الكبري(١١١٦٤):ص٩٧/١١، وأورده الهيثمي في المجمع:٦/ ٣٢٤، وقال: "فيه عبد الوهاب ابن مجاهد وهو ضعيف" وهو من طريق عبد الرزاق، وانظر: الدر المنثور: ١٠٠/٢.

(٦) انظر: تفسيره: ١٤٥/١، والعجاب في بيان الأسباب: ٦٣٤/١.

(٧) أنظر: أسباب النول للواحدي: ٩٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٨٨٣):ص٥٤٣/٢. قال ابن كثير: ضعيف:٧٠٨/١. وانظر تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٨.

(٩) المحرر الوجيز: ٣٧١/١.

(١٠) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٨٨٢):ص٥٤٣/٢.

الرابع : أنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله لأنهم ينفقون بالليل والنهار سِرّاً وعلانية ، قاله عبدالله بن بشر الغافقي[٢]، وأبود الدرداء[٣]، وأبو ذر[٤]، وابن عباس[٥]، والأوزاعي [٦]، وروي عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول، نحو ذلك[٧].

وروي عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "نزلت هذه الآية : { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون} في أصحاب الخيل"[٨].

والخامس : وقيل: "أنها خاصة في إباحة الارتفاق بالزروع والثمار ، لأنه يرتفق بها كل مار في ليل أو نهار ، في سر وعلانية ، فكانت أعم لأنها تؤخذ عن الإرادة وتوافق قدر الحاجة"[٩].

السادس : أنها عامة نزلت في "المنفقين في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير". قاله قتادة[١٠].

قال ابن عطية: " والآية وإن كانت نزلت في علي رضي الله عنه، فمعناها يتناول كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته في الظلم إلى مظنة ذي الحاجة وأما علف الخيل والنفقة عليها فإن ألفاظ الآية تتناولها تناولا محكما، وكذلك المنفق في الجهاد المباشر له إنما يجيء إنفاقه على رتب الآية"[١١].

قال الآلوسي:" أن الآية عامة في الذين يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة تحرضهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقت ولا حال، وهذا هو

---

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره: ١ / ١٨٥، والزمخشري في الكشاف: ٣١٩/١، ووأبو حيان في البحر: ٢٥٠/٢، والرازي في مفاتيح الغيب: ٧١/٧.وآخرون، وهي رواية مرسلة لم أعرف قائلها من الصحابة والتابعين.

(٢) أنظر: المحرر الوجيز: ٣٧١/١.

(٣) أنظر: المحرر الوجيز: ٣٧١/١، والدر المنثور: ١٠٠/٢.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٣٧١/١.، والنكت والعيون: ٣٤٧/١.

(٥) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٨٨١):ص٥٤٣/٢، وانظر: المحرر الوجيز: ٣٧١/١.

(٦)عزاه إليه الواحدي بدون سند، أنظر: أسباب النزول: ٩٠-٩١.

(٧) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم:٥٤٣/٢، وانظر: المحرر الوجيز: ٣٧١/١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٨٨٠):ص٥٤٢/٢. ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١٢٨٣) من طريق سليمان بن عبد الرحمن به ، وفي إسناده سعيد بن سنان متروك.

(٩) أنظر: النكت والعيون: ٣٤٧/١.

(١٠) أنظر: المحرر الوجيز: ٣٧١/١.

(١١) المحرر الوجيز:٣٧١/١.

أحسن الوجوه، لأن هذا آخر الآيات المذكورة في بيان حكم الإنفاقات فلا جرم ذكر فيها أكمل وجوه الإنفاقات والله أعلم"[١].

قال ابن كثير: " هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله ، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار ، والأحوال من سر وجهار ، حتى إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا"[٢].

١٠٧-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة:٢٧٨]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال[٣]:

أحدها: قال السدي:" نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجلٍ من بني المغيرة ، كانا شريكين في الجاهلية ، يُسلِفان في الرِّبا إلى أناس من ثقيف من بني عمرو وهم بنو عمرو بن عمير ، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله {ذروا ما بقي} من فضل كان في الجاهلية {من الربا}"[٤]. وروي نحوه عن ابن جريج[٥]، والضحاك[٦]، ومقاتل[٧].

الثاني: روي الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: "بلغنا والله أعلم أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما أظهر الله تعالى رسوله على مكة، وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو بن عمير: صولحنا على أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول

---

(١) روح المعاني: ٧١/٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧٠٧/١. وكما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص - حين عاده مريضًا عام الفتح ، وفي رواية عام حجة الوداع - : "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة ، حتى ما تجعل في في امرأتك".[المسند (١٢٢/٤) وصحيح البخاري برقم (٥٥) وصحيح مسلم برقم (١٠٠٢)].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة".[المسند (١٢٢/٤) وصحيح البخاري برقم (٥٥) وصحيح مسلم برقم (١٠٠٢)].

(٣) أنظر: أسباب النزول للواحدي: ٩٣-٩٤.

(٤) أخرجه الطبري(٦٢٥٨)ص:٢٢/٦-٢٣، وابن أبي حاتم(٢٩١٣):ص٥٤٨/٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٩٣-٩٤.

(٥) أنظر: تفسير الطبري(٦٢٥٩):ص٢٣/٦.

(٦)أنظر: تفسير الطبري(٦٢٦٠):ص٢٣/٦.

(٧) أنظر: تفسير ابن ابي حاتم(٢٩١١)،ص٥٤٨/٢، و(٢٩١٥):ص٥٤٨/٢-٥٤٩.

الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآية والتي بعدها: {فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله} فعرف بنو عمرو أن لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله يقول الله تعالى: {وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون} فتأخذون أكثر {ولا تظلمون} فتبخسون منه"[١].

الثالث: وقال آخرون: "نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: لا يبقى لي ما يكفي عيالي إذا أنتما أخذتما حظكما كله، فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا؛ فلما حل الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنهاهما وأنزل الله تعالى هذه الآية، فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما"[٢]. روي ذلك عن عطاء وعكرمة[٣].

١٠٨-{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٨٠]

قال الكلبي: "قالت بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا ولكن الربا ندعه لكم، فقالت بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا إلى أن تدرك الثمرة، فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله تعالى: {وإن كان ذو عسرة} الآية"[٤].

١٠٩-{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)} [البقرة : ٢٨٤]

وفي سبب نزول الآية قولان[٥]:

أحدهما: أنها نزلت في كتمان الشهادة.

فقد أسند الطبري من طريق يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس، "أنه قال في هذه الآية {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} قال: نزلت في كتمان الشهادة"[٦]. وروي مثله عن الشعبي[٧]، وعكرمة[١].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٩٣، وأخرجه ابن منده وأبو يعلى (لباب النقول: ٥٠) من طريق الكلبي به.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٩٣.

(٣) أنظر: أسباب النزول للواحدي:٩٣.

(٤) أسباب النول للواحدي: ٩٤.

(٥)انظر: العجاب في بيان الأسباب: ٦٤٤/١-٦٤٥.

(٦) أخرجه الطبري(٦٤٥٤):ص١٠٣/٦، وانظر: العجاب في بيان الأسباب: ٦٤٤/١-٦٤٥.

(٧)الطبري(٦٤٥٣):ص١٠٣/٦.

الثاني: أنها نزلت فيمن يتولّى الكافرين من المؤمنين. وهو قول مقاتل والواقدي[٢].

(١) أنظر: تفسير الطبري(٦٤٥١)، و(٦٤٥٢)، و(٦٤٥٥):ص١٠٣/٦.

(٢) نقل عنهم الثعلبي في تفسيره: ٢٩٩/٢.

سورة «آل عمران»

١- {الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)} [آل عمران : ١ - ٢]، الآيات

قال المفسرون: "قدم وفد نجران، وكانوا ستين راكبا، على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، العاقب: أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح. والسيد: ثمالهم وصاحب رحلهم، واسمه الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم، وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم، حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه، وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخلوا مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جباب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأينا وفدا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم. فصلوا إلى المشرق. فكلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قالا: إن لم يكن عيسى ولدا لله، فمن أبوه؟ وخاصموه جميعا في عيسى، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا و [هو] يشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ قالوا: لا، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث. قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا فأنزل الله عز وجل فيهم صدر صورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها"[(١)].

٢-{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)} [آل عمران : ١٢]

في سبب نزول هذه الآية أقوال :

(١) أسباب النزول للواحدي: ٩٩-١٠٠، وذكره ابن كثير في أول تفسير سورة آل عمران.

أحدها : أنها نزلت في قريش قبل بدر بسنة ، فحقق الله قوله ، وصدق رسوله ، وأنجز وعده بمن قتل منهم يوم بدر ، قاله ابن عباس[١]، والضحاك[٢].

والثاني : أنها نزلت في بني قينقاع لمَّا هلكت قريش يوم بدر ، فدعاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام ، وحذرهم مثل ما نزل بقريش ، فأبوا وقالوا : لسنا كقريش الأغمار الذين لا يعرفون الناس ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، قاله قتادة[٣]، وابن إسحاق[٤].

والثالث : أن أبا سفيان في جماعة من قومه جمعوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم بعد وقعة بدر فنزلت هذه الآية قاله ابن السائب [٥].

والرابع: أنها نزلت في عامة الكفار .

والخامس: أنه لما شمت اليهود بالمسلمين يوم أحد، قيل لهم{ستغلبون وتحشرون إلى جهنم}، يعني على القراءة بالياء المثناة التحتانية فيهما. وهذا قول ابن المظفر[٦].

٣-{قُلْ أُؤَنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)} [آل عمران : ١٥]

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال:" لما نزلت: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ} إلى آخر الآية، قال عمر: الآن يا رب حين زينتها لنا، فنزلت: {قُلْ أُؤَنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ}الآية كلها"[٧].

٤-{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)} [آل عمران : ١٨]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٦٦٦٦):ص٦/ ٢٢٧، والأسباب للواحدي: ٩١-٩٢، والعجاب في بيان الأسباب: ٦٦٥/٢، وسيرة ابن هشام: ٤٧/٢، وقد عزاه السيوطي في "اللباب:ص٥١، إلى أبي داود في "سننه" والبيهقي في "الدلائل".

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/١، وزاد المسير: ٣٥٦/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٦٦٦٧):ص٦/٢٢٧، و

(٤) انظر: تفسير الطبري(٦٦٦٨):ص٦/٢٢٧، و

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٥٦/١.

(٦) انظر: العجاب في بيان الأسباب: ٦٦٦/٢.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم(٣٢٤٧):ص٦٠٦/٢، وانظر: العجاب في بيان الأسباب(١٨٢):ص ٦٦٧/٢.

قال الواحدي:"قال الكلبي: لما ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي - صلى الله عليه وسلم - عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال: "نعم"، قالا: وأنت أحمد؟ قال: "نعم"، قالا: إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "سلاني"، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله تعالى على نبيه: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم} فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله - صلى الله عليه وسلم –"[1].
وذكره الثعلبي عن الكلبي[2].

٥-{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)} [آل عمران : ١٩]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري من طريق الربيع بن أنس في هذه الآية قال: قال أبو العالية: {بَغْيًا بينهم}، يقول : بغيًا على الدنيا ، وطلبَ ملكها وسلطانها ، فقتل بعضهم بعضًا على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماءَ الناس"[3]، قال الربيع: "إن موسى لما حضره الموتُ دعا سبعين حَبرا من أحبار بني إسرائيل ، فاستودعهم التوراة ، وجعلهم أمناء عليه ، كلّ حبر جُزءًا منه، واستخلف موسى يوشع بن نون. فلما مضى القرن الأول ومضى الثاني ومضى الثالث ، وقعت الفرقة بينهم - وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين – حتى أهَرقوا بينهم الدماء ، ووقع الشرّ والاختلاف. وكان ذلك كله من قبل الذين أتوا العلم ، بغيًا بينهم على الدنيا ، طلبًا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها ، فسلّط الله عليهم جبابرتهم ، فقال الله : {إن الدّين عند الله الإسلام} إلى قوله :{والله بصير بالعباد} "[4].

الثاني: أخرج الطبري من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر ابن الزبير في هذه الآية، قال: "يعني بذلك النصارى"[5].

---

(١) أسباب النزول للواحدي:٩٩.

(٢) تفسير الثعلبي:٣٢/٣.

(٣) تفسير الطبري(٦٧٦٧):ص٦/٢٧٧.

(٤) تفسير الطبري(٦٧٦٩):ص٦/٢٧٧-٢٧٨.

(٥)تفسير الطبري(٦٧٧٠):ص٦/٢٧٨، ورواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق ٢ / ٢٢٧، وقوله : " يعني بذلك النصارى " ، ليس في ابن هشام ، وكأنه من تفسير الطبري للخبر.

الثالث: نقل الثعلبي عن الكلبي قال: " نزلت في يهوديين تركوا اسم الإسلام وتسموا باليهودية والنصرانية، قال الله تعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} قال: دين الله هو الإسلام بغيا منهم، فلما وجدا نظيره قوله: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ٤]، فقالت اليهود والنصارى: لسنا على ما سميتنا به يا محمد إن اليهودية والنصرانية سب هو الشرك، والدين هو الإسلام ونحن عليه"[١].

٦-{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)} [آل عمران : ٢٠]

قال ابن حجر: "قال ابن الكلبي: لما نزلت: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ} قالت اليهود والنصارى: لسنا على ما تسمينا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية ليست لنا، والدين هو الإسلام ونحن عليه، فأنزل الله تعالى: {فَإِنْ حَاجُّوكَ} أي: خاصموك في الدين: {فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ} قال: فقالوا: أسلمنا، فقال لليهود: "أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله، فقالوا: لا فنزلت: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ}"[٢].

٧-{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)} [آل عمران : ٢٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال مقاتل: نزل في"اليهود: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك ابن الضيف، ويحيى بن عمرو، ونعمان بن أوفى، وأبو ياسر بن أخطب، وأبو نافع بن قيس، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لهم: أسلموا تهتدوا ولا تكفروا. فقال للنبي- صلى الله عليه وسلم-: نحن أهدى وأحق بالهدى منكم، ما أرسل الله نبيا بعد موسى. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-:لم تكذبون، وأنتم تعلمون أن الذي أقول حق، فأخرجوا التوراة نتبع نحن، وأنتم ما فيها، وهي بينكم فإني مكتوب فيها أني نبي ورسول. فأبوا ذلك، فأنزل الله- عز وجل- فيهم:{ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب}"[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي: ، وانظر: العجاب: ٦٦٩/٢.

(٢) العجاب: ٦٧٠/٢. وهذا القول غريب جدا.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦٩/١.

الثاني: قال ابن عباس:" دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المِدْرَاس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له نعيم بن عمرو ، والحارث ابن زيد : على أيّ دين أنت يا محمد ؟ فقال : " على ملة إبراهيم ودينه. فقالا فإنّ إبراهيم كان يهوديًّا! فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلمُّوا إلى التوراة ، فهي بيننا وبينكم! فأبيا عليه، فأنزل الله عز وجل : {ألم تَر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يُدْعونَ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يَتولى فريق منهم وهم معرضون} إلى قوله :{ ما كانوا يفترون}"[1].

الثالث: نقل الواحدي عن السدي: "دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود إلى الإسلام فقال له النعمان ابن أوفى: هلم يا محمد نخاصمك إلى الأحبار، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "بل إلى كتاب الله"، فقال: بل إلى الأحبار، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[2].

الرابع: قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: "إن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا، فذكر القصة الآتية في سورة المائدة، وفيها: فحكم عليهما بالرجم، فقال له نعمان بن أبي أوفى وبحري بن عمرو: جرت علينا يا محمد، فقال: بيني وبينكم التوراة، القصة، وفيها ذكر ابن صوريا، وفي آخرها فأنزل الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} إلى قوله: {وَهُمْ مُعْرِضُونَ}"[3].

٨- {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)} [آل عمران : ٢٦]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال قتادة:" وذكر لنا : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارسَ والروم في أمته ، فأنزل الله عز وجل : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} إلى{ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }"[4]. وهكذا ذكره مقاتل[5].

الثاني: ونقل الثعلبي عن ابن عباس، وأنس بن مالك: "لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم. قالت: المنافقين واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك

(١) اخرجه الطبري(٥٧٨١):ص٦/٢٨٨-٢٨٩، وانظر: سيرة ابن هشام:١/٥٥٢-٥٥٣، و عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم(٢٨٦) :ص٢/ ١/ ١٦٥ وابن المنذر انظر "اللباب:٥١.

(٢) أسباب النزول:٩٩، ولم يذكر المصدر.

(٣) العجاب في بيان الأسباب: ٦٧٤/٢.

(٤) أخرجه الطبري(٦٧٩٠):ص٦/٣٠٠، وابن أبي حاتم(٣٣٥٢):ص٦٢٤/٢.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦٩/١.

فارس، هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١].

الثالث: وذكر الثعلبي هنا حديث عمرو بن عوف المزني في قصة ضرب الصخرة بالخندق وفي آخره: "فأنزل القرآن:{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}، وأنزل الله في هذه القصة قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ} في ذلك"[٢].

---

(١) تفسير الثعلبي:٣/٤٠.

(٢)تفسير الثعلبي:٣/٤٠-٤١. ونص الرواية:" روي كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق في عام الأحزاب. ثم قطع أربعين ذراعا بين كل عشرة، قال: فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلا قويا، فقال المهاجرون: سلمان منا. وقال الأنصار: سلمان منا.فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سلمان منا أهل البيت» [رواه الطبراني، وفيه: كثيرَ بن عبد اللّه المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد: ٦/ ١٨٩]. .

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعا، فحفرنا حتى بلغنا الصدى أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا. فقلنا يا سلمان: آت إلى رسول الله وأخبره خبر هذه الصخرة. فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمر، فإنا لا نحب أن نجاوز خطة.

قال: فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية. فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق، وكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك، قال: فهبط رسول الله مع سلمان الخندق وبقينا نحن التسعة على شفة الخندق. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها صلى الله عليه وسلم فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون معه. فأخذ بيد سلمان ورقى. فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم فقال: رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا وقد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيئا غير ذلك، قال: ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل (عليه السلام) أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور بصرى من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل (عليه السلام) أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا. فاستبشر المسلمون،

٩-{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)} [آل عمران : ٢٨]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال مقاتل:" نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة فنهاهم الله- عز وجل- عن ذلك"(١).

الثاني: قال محمد بن إسحاق:" قال محمد بن أبي محمد وكان الحجاج بن عمرو، وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير وسعد ابن خثيمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء النفر من اليهود واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر، فأنزل الله عز وجل فيهم لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلى قوله: والله على كل شيء قدير"(٢). ونقله الثعلبي عن ابن عباس(٣) .

الثالث: روي الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: "نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم"(٤).

الرابع: وروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: "نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري، وكان بدريا تقيا، وكان له حلفاء من اليهود، فلمّا خرج النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب، قال عبادة:

وقالوا:الحمد لله موعود صدق بأن وعدنا النصر بعد الحصر. فطبقت الأحزاب فقال: المسلمون:{هذا ما وعدنا الله ورسوله} الآية[الأحزاب:٢٢] .

وقال المنافقون: ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، قال: فأنزل القرآن: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا} [الأحزاب:١٢]، وأنزل الله في هذه القصة قوله تعالى: {قل اللهم مالك الملك}".

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٠/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٣٧٧):ص٦٢٩/٢.

(٣) تفسير الثعلبي:٤٦/٣.

(٤) تفسير الثعلبي:٤٧/٣.

يا نبي الله إنّ معي خمسمائة رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي فاستظهرتهم على العدوّ، فأنزل الله تعالى: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ} الآية"[1].

١٠-{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)} [آل عمران : ٣١]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها: قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: "إن اليهود لما قالت: نحن أبناء الله وأحباؤه، أنزل الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ} الآية، فلما نزلت عرضها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأبوا أن يقبلوها"[2].

وقال مقاتل بن سليمان: "لما دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- كعب بن الأشرف وأصحابه إلى الإسلام قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ولنحن أشد حبا لله مما تدعونا إليه، فقال الله- عز وجل- لنبيه- صلى الله عليه وسلم-{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي} "[3].

الثاني: قال الحسن:" قال قومٌ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إنا نحبّ ربنا! فأنزل الله عز وجل : " قُل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " ، فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عَلَمًا لحبه ، وعذاب من خالفه"[4]. وروي عن ابن جريج مثل ذلك[5].

الثالث: وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: "وقف النبي - صلى الله عليه وسلم - على قريش وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها الشنوف والقرطة، وهم يسجدون لها، فقال: "يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام"، فقالت قريش: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى، فأنزل

---

(١) تفسير الثعلبي:٤٧/٣، وأسباب النزول للواحدي: ١٠٢-١٠٣، والعجاب: ٦٧٧/٢، وزاد "في تفسيره" أي جويبر، وهذه الرواية ضعيفة جدًا بسبب جويبر، ومنقطعة أيضًا؛ لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ١٠٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٠/١-٢٧١.

(٤)أخرجه الطبري(٦٨٤٥):ص٣٢٣/٦.

(٥)أخرجه الطبري(٦٨٤٧):ص٣٢٣/٦، وابن المنذر(٣٦٢):ص١٦٩/١، وابن أبي حاتم (٣٤٠٢):ص٦٣٣/٢، من طريق بكر بن الأسود عن الحسن به، ونقله الواحدي في أساب النزول:١٠٣، وإسناده ضعيف جدا بسبب بكر، انظر: ميزان الاعتدال: ٣٤٢/١ - رقم: ١٢٧١، وضعف الإمام ابن جرير هذا السبب، انظر: تفسيرالطبري: ٣٢٤/٦ .

الله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله} وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه {فاتبعوني يحببكم الله} "فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم"[١].

قال ابن حجر:" وهذا من منكرات جويبر فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيهما في أوائل الزمر"[٢].

الرابع: ونقل الواحدي عن محمد بن جعفر بن الزبير:" نزلت في نصارى نجران، وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح ونعبده حبا لله وتعظيما له، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم[٣].

١١-{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)} [آل عمران : ٣٢]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الثعلبي:" فلما نزلت هذه الآية[٤] قال عبد الله بن أبي لأصحابه: إنّ محمّدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبّه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم، فنزل: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ}"[٥].

الثاني: وقال مقاتل بن سليمان: يعني: "قل لليهود"[٦]. ورجحه ابن حجر[٧].

١٢-{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)} [آل عمران : ٥٨]

قال الحسن:" أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم راهبا من نجران فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعجل حتى يأمره ربه ، فنزل عليه: {ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم} إلى قوله: {من الممترين}"[٨].

١٣-{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)} [آل عمران : ٥٩]

---

(١) اسباب النزول: ١٠٣.

(٢) العجاب:٦٧٨/٢.

(٣) اسباب النزول: ١٠٣، والعجاب:٦٧٧/٢، وانظر: سيرة ابن هشام:٥٧٨/١-٥٧٩ في قصة وفد نجران.

(٤) وهو قوله: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[آل عمران: ٣١].

(٥) تفسير الثعلبي:٥١/٣.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧١/١.

(٧) انظر: العجاب: ٦٧٩/٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٦٠٢):ص٦٦٤/٢.

قال ابن عباس:" وذلك أن رهطًا من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيّد والعاقب فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا : عيسَى ، تزعم أنه عبدُ الله! فقال محمد : أجل ، إنه عبد الله. قالوا له : فهل رأيت مثلَ عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربِّنا السميع العليم فقال : قل لهم إذا أتوك : {إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم}، إلى آخر الآية" [١].

وروي عن قتادة[٢]، والسدي[٣]، وابن جريج[٤]، وابن زيد[٥]، والحسن [٦]، والأزرق بن قيس[٧]، مثل ذلك.

١٤-{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)} [آل عمران : ٦٤]

في سبب نزول الآية، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الوفد من نصارى نجران. قاله السدي [٨]، وابن زيد[٩]، ومحمد بن جعفر بن الزبير[١٠]، والحسن[١١].

الثاني: أنها: نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا حَوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا قول قتادة[١٢]، والربيع[١٣]، وابن جريج [١].

---

(١) انظر:تفسير الطبري(٧١٦١):ص٦/٤٦٨-٤٦٩.

(٢)انظر:تفسير الطبري(٧١٦٢):ص٦/٤٦٩.

(٣)انظر:تفسير الطبري(٧١٦٣):ص٦/٤٦٩-٤٧٠.

(٤)انظر:تفسير الطبري(٧١٦٤):ص٦/٤٧٠.

(٥)انظر:تفسير الطبري(٧١٦٦):ص٦/٤٧١.

(٦) انظر: أسباب النزول:١٠٤. اسناده ضعيف.

(٧) انظر: العجاب في بيان الأسباب:٢/٦٧٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٧١٩٥):ص٦/٤٨٤. إلا أنه لم يذكر مكان اجتماعهم.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٧١٩٦):ص٦/٤٨٤-٤٨٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٧١٩٤):ص٦/٤٨٤.

(١١) انظر: النكت والعيون:١/٣٩٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(٧١٩١):ص٦/٤٨٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(٧١٩٢):ص٦/٤٨٤.

الثالث: أنها نزلت في قصة وفد نجران مع يهود المدينة وذلك حين اختصموا في إبراهيم.

قال الثعلبي:" قال المفسرون: قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في إبراهيم فأتاهم النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: يا محمد إنّا اختلفنا في إبراهيم ودينه فزعمت النصارى أنّه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى النّاس به. وقالت اليهود: بل كان يهوديا وأنّهم على دينه وأولى النّاس به. فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفا وأنا على دينه فأتبعوا دينه الإسلام. فقالت اليهود: يا محمد ما تريد إلا أن نتّخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا. وقالت النصارى: والله يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير. فأنزل الله تعالى:{ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ عدل بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ}"[٢].

قال ابن حجر:" أنزلها الله في قصة وفد نجران قبل أن يقع اجتماعهم باليهود، فلما أبوا وبذلوا الجزية واطمأنوا اجتمعوا بيهود المدينة عند النبي -صلى الله عليه وسلم- أو فيما بينهم، فتجادلوا إلى أن ذكروا إبراهيم ونزلت الآيات التي بعدها في إبراهيم"[٣].

١٥- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)} [آل عمران : ٦٥ - ٦٦]

في سبب نزول الآيات[٦٥-٦٦] أقوال:

أحدها: أنها نزلت في اختصام اليهود والنصارى في إبراهيم ، وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم. وهذا قول ابن عباس[٤]، والسدي[٥]، وقتادة[٦]، والشعبي[٧].

الثاني: أنها نزلت في دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم. قاله مجاهد[٨]، وقتادة[١]، والربيع[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٢٨):ص٦٦٩/٢.

(٢) تفسير الثعلبي:٨٥/٣-٨٦. ونقله ابن حجر، ثم علّق عليه قائلا:" وإطلاقه على قائل هذا -مع ضعفه- أنه قول المفسرين مما ينكر عليه".[العجاب:٦٨٨/٢].

(٣) العجاب:٦٨٨/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٢٠٢):ص٤٩٠/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٣٦٣٧):ص٦٧١/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٢٠٣):ص٤٩١/٦.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٣٦٣٧):ص٦٧١/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٧٢٠٦):ص٤٩١/٦.

والثالث: وقال مقاتل:"وذلك أن رؤساء اليهود كعب بن الأشرف، وأبا ياسر، وأبا الحقيق وزيد بن التابوه، ونصارى نجران، يقولون: إبراهيم أولى بنا والأنبياء منا كانوا على ديننا، وما تريد إلا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا، وقالت النصارى: ما تريد بأمرك إلا أن نتخذك ربا كما اتخذت اليهود عزيرا ربا. قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: معاذ الله من ذلك، ولكني أدعوكم إلى أن تعبدوا الله جميعا، ولا تشركوا به شيئا، فأنزل الله- عز وجل:{يا أهل الكتاب لم تحاجون}"[٣].

١٦-{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)} [آل عمران : ٦٧]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدها: قال عامر:": قالت اليهود : إبراهيم على ديننا. وقالت النصارى : هو على ديننا. فأنزل الله عز وجل : {ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا}الآية ، فأكذبهم الله ، وأدحض حجتهم - يعني : اليهودَ الذين ادّعوا أن إبراهيم ماتَ يهوديًّا"[٤]. وروي عن الربيع[٥] مثله.

الثاني: قال مقاتل: " قال كعب وأصحابه ونفر من النصارى: إن إبراهيم منا وموسى منا والأنبياء منا، فقال الله عز وجل: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}"[٦].

١٧-{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)} [آل عمران : ٦٨]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: نقل الثعلبي[٧] والواحدي عن ابن عباس: "قال رؤساء اليهود: والله يا محمد لقد علمت أنا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وأنه كان يهوديا، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٧٢٠٤):ص٤٩١/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٢٠٥):ص٤٩١/٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٢/١-٢٨٣.

(٤) أخرجه الطبري(٧٢١١):ص٤٩٤/٦. وانظر: سبب نزول الآية:٦٥.

(٥) انظر:تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٤٩):ص٦٧٣/٢، وتفسير الطبري(٧٢١٢):ص٤٩٤/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٦٤٨):ص٦٧٣/٢.

(٧) تفسير الثعلبي:٨٨/٣.

(٨) أسباب النزول:١٠٦.

الثاني: نقل السيوطي[١] وابن حجر عن عبد بن حميد من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم[٢]:"أنه لما أن خرج أصحاب رسول الله صلة الله عليه وسلم إلى النجاشي انتدب لهم عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط -كذا قال وإنما هو عمارة بن الوليد بن المغيرة[٣]- أرادوا عنتهم والبغي عليهم، فقدموا على النجاشي فأخبروه أن هؤلاء الرهط الذين قدموا عليك من أهل مكة، إنما يريدون أن يخبلوا عليك ملكك، ويفسدوا عليك أرضك، ويشتموا ربك، فأرسل إليهم، فذكر القصة مطولة، وفيها: إن الذي خاطبهم من المسلمين حمزة وعثمان بن مظعون فقال النجاشي لما سمع كلامهم: لا دهوره -أي: لا خوف- على حزب إبراهيم فقال عمرو: من هم حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده، ومن اتبعه، فأنزلت ذلك اليوم يوم خصومتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيّ} الآية"[٤].

١٨-{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)} [آل عمران : ٦٩]

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: تقدم في قوله تعالى في سورة البقرة{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا} البقرة:١٠٩]. وذلك على النحو الآتي:

أ- أنها أنزلت في عامة اليهود والمشركين. قاله الطبري[٥].

ب- أخرج الواحدي وابن أبي حاتم، عن عبدالله بن كعب بن مالك: "أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرا، وكان يهجو النبي - صلى الله عليه وسلم - ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤذون النبي -

---

(١) انظر الدر المنثور:٢/٢٣٧-٢٣٨.

(٢)قال في "التقريب" "ص٣٤٨": "مختلف في صحبته، وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين مات سنة "٧٨".

(٣)قال الحافظ في "الإصابة" القسم الرابع "٣/ ١٧١": "مات كافرا؛ لأن قريشا بعثوه إلى النجاشي فجرت له معه قصة فأصيب بعقله وخام مع الوحش وقد بينت أنه ممن دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم من قريش لما وضع عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره وهو يصلي". وأما ابن أبي معيط فقد أسلم في "الفتح" انظر "الإصابة" "٢/ ٥١٦".

(٤) العجاب:٢/٦٩٠. وانظر: قصة عمرو بن العاص وجعفر بن ابي طالب عند النجاشي في سيرة ابن هشام:١/٣٣٤، والمعجم الكبير للطبراني:{١٤٧٨}:ص٢/١١٠-١١١، و(١٤٧٩):٢/١١١-١١٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢/٤٩٨-٤٩٩.

صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى نبيه بالصبر على ذلك والعفو عنهم وفيهم أنزلت: {ود كثير من أهل الكتاب} إلى قوله: {فاعفوا واصفحوا}"[١]. وروي نحوه عن الزهري[٢] وقتادة[٣].

ت- وأخرج الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس: " كان حُيَيّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا، إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهِدَين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم} الآية"[٤].

ث- وقال الواحدي "قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة بدر ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم"[٥].

والثاني: وقال مقاتل بن سليمان:" نزلت في عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان وذلك أن اليهود جادلوهما ودعوهما إلى دينهم. وقالوا: إن ديننا أفضل من دينكم ونحن أهدى منكم سبيلا فنزلت:{ودت طائفة من أهل الكتاب ...} إلى آخر الآية"[٦].

١٩-{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)} [آل عمران : ٧١]

قال ابن عباس:" قال عبد الله بن الصيِّف ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدْوةً ونكفُر به عشيةً ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنعُ ، فيرجعوا عن دينهم! فأنزل الله عز وجل فيهم :{ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل} إلى قوله :{والله واسع عليم}"[٧].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٨٣):ص٢٠٤/١-٢٠٥، واخرجه أبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة :١٥٤/ ٣ (٣٠٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٨٢):ص٢٠٤/١، وتفسير الطبري(١٧٨٦)، و(١٧٨٧):ص٤٩٩/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٧٨٦):ص٤٩٩/٢.

(٤) أخرجه الطبري(١٧٨٨):ص٤٩٩/٢، وابن أبي حاتم(١٠٨١):ص٢٠٤/١.

(٥) أسباب النول للواحدي: ٣٥.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٣/١.

(٧) أخرجه الطبري(٧٢٢٣):ص٥٠٤/٦.

٢٠-{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)} [آل عمران : ٧٢]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال السدي :"كان أحبارُ قُرَى عربية اثني عشر حبرًا ، فقالوا لبعضهم : ادخلوا في دين محمد أول النهار ، وقولوا : نشهد أن محمدًا حقّ صادقٌ، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا : إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم ، فحدَّثونا أن محمدًا كاذب ، وأنكم لستم على شيء ، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكّون ، يقولون : هؤلاء كانوا معنا أوّل النهار ، فما بالهم ؟ فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك"[١]. وروي عن ابن عباس[٢]، وأبي مالك الغفاري، والحسن[٣] نحو ذلك[٤].

الثاني: نقل الواحدي عن مجاهد ومقاتل والكلبي:"هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم، قال كعب بن الأشرف وأصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة، وصلوا إليها أول النهار، ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار، وارجعوا إلى قبلتكم الصخرة، لعلهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم منا، فربما يرجعون إلى قبلتنا فحذر الله تعالى نبيه مكر هؤلاء، وأطلعه على سرهم، وأنزل: {وقالت طائفة من أهل الكتاب} الآية"[٥].

٢١-{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣)} [آل عمران : ٧٣]

في سبب نزول قولان:

أحدهما: قال السدي : "قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم : {قل إنّ الهدى هُدَى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم}، يقول ، مثل ما أوتيتم يا أمة محمد {أو يحاجوكم عند ربكم}، تقول اليهود : فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة ، حتى أنزل علينا المن والسلوى، فإن الذي أعطيتكم أفضلُ، فقولوا: {إن الفضْل بيد الله يؤتيه من يشاء}، الآية"[٦].

---

(١)أخرجه الطبري(٧٢٣٣):ص٥٠٧/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٨٣)، و(٣٦٨٥):ص٦٧٩/٢. في اسناده قابوس، وهو ضعيف.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي:٩١/٣، وأسباب النزول:١٠٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٢٣٤):ص٥٠٧/٦-٥٠٨.

(٥) اسباب النزول:١٠٩-١١٠.

(٦) تفسير الطبري(٧٢٥١):ص٥١٣/٦.

الثاني:قال أبو مالك:" كان اليهود يقول أحبارهم للذين من دونهم لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأنزل الله تعالى: {قل إن الهدى هدى الله}"[1].

٢٢-{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)} [آل عمران : ٧٤]

قال السدي : "قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم :{قل إنّ الهدى هُدَى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم}، يقول ، مثل ما أوتيتم يا أمة محمد{أو يحاجوكم عند ربكم}، تقول اليهود : فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة ، حتى أنزل علينا المن والسلوى فإن الذي أعطيتكم أفضلُ فقولوا :{إن الفضْل بيد الله يؤتيه من يشاء}، الآية"[2].

٢٣-{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)} [آل عمران : ٧٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

أ- اختلف أهل العلم في سبب نزول قوله: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} [الآية: ٧٥]، على وجوه:

أحدها: قال مقاتل بن سليمان:" يعني عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك

يعني كفار اليهود يعني كعب بن الأشرف وأصحابه، يقول منهم من يؤدي الأمانة ولو كثرت، ومنهم من لا يؤديها ولو ائتمنته على دينار لا يؤده إليك"[3].

الثاني: نقل ابن حجر عن ابن عباس:أن "الأول عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداه إليه فمدحه الله، والثاني فنحاص بن عازورا أودعه رجل من قريش دينارا فخانه فيه"[4].

الثالث: قال الثعلبي:" قال أكثر المفسّرين: نزلت هذه الآية في اليهود كلّهم، أخبر الله تعالى إنّ فيهم أمانة وخيانة، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل"[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٦٩١):ص٦٨٠/٢، وانظر: (٣٦٩٣):ص٦٨١/٢.

(٢) أخرجه الطبري(٧٢٥١):ص٥١٣/٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٥/١.

(٤) العجاب في بيان الأسباب:٦٩٦/٢.

(٥) تفسير الثعلبي:٩٤/٢.

الرابع:قال السيوطي:" أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة في قوله: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} قال: هذا من النصارى: {وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} قال: هذا من اليهود: {إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} قال: إلا ما طلبته واتبعته"[١].

ب-كما اختلف أهل العلم في سبب نزول قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الآية: ٧٥]، على وجهين:

أحدهما: قال ابن عباس : " {ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل}، وذلك أن أهل الكتاب كانوا يقولون : ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء ، لأنهم أمِّيُّون. فذلك قوله : {ليس علينا في الأميين سبيل}، إلى آخر الآية"[٢].

الثاني: قال ابن جريج:"{ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل}، قال : بايع اليهودَ رجالٌ من المسلمين في الجاهلية ، فلما أسلموا تقاضوهم ثمنَ بُيوعهم ، فقالوا : ليس لكم علينا أمانةٌ ، ولا قضاءَ لكم عندنا ، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه! قال : وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم، فقال الله عز وجل :{ويقولون على الله الكذبَ وهم يعلمون }"[٣]. وروي عن قتادة[٤]، والسدي[٥] ومقاتل[٦]نحو ذلك.

٢٤-{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)} [آل عمران : ٧٧]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها:أنها نزلت في أحبار من اليهود وهم: أبو رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحُييّ بن أخطب. قاله عكرمة[٧]، وقال مقاتل:" يعني رءوس اليهود"[٨].

---

(١) الدر المنثور:٢٣٤/٢، وانظر: العجاب:٦٩٦/٢.

(٢) أخرجه الطبري(٧٢٧١):ص٥٢٣/٦.

(٣) أخرجه الطبري(٧٢٧٢):ص٥٢٣/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٢٦٦):ص٥٢٢/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٢٦٨):ص٥٢٢/٦.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٥/١.

(٧) أخرجه الطبري(٧٢٧٨):ص٥٢٨/٦-٥٢٩.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٥/١.

الثاني:أنها نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له، إذ روي عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حَلف على يمين هو فيها فاجرٌ ليقتطع بها مالَ امرئ مسلم ، لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان فقال الأشعث بن قيس : فيّ والله كان ذلك : كان بيني وبين رجل من اليهود أرضٌ فجحدني ، فقدّمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألك بيِّنة ؟ قلت : لا! فقال لليهودي : " احلفْ. قلت : يا رسول الله ، إذًا يحلف فيذهبَ مالي! فأنزل الله عز وجل : " إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا " الآية"[١].

الثالث: وروى بادان عن ابن عباس قال: "نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي استعدى عليه عبدان بن أشرع فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالحلف، فلمّا همّ أن يحلف نزلت هذه الآية. فامتنع امرئ القيس أن يحلف وأقرّ لعبدان بحقّه ودفعه إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: لك عليها الجنّة"[٢].

الرابع:" وقال الثعلبي:" وروى منصور بن أبي وائل قال: قال عبد الله: من حلف على عين يستحقّ بها مالا وهو فيها فاجر لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان. فأنزل الله تعالى تصديق ذلك: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا} الآية"[٣].

الخامس: وقال عامر :" أنّ رجلا أقام سِلعته أوّل النهار ، فلما كان آخرُه جاء رجل يساومه ، فحلفَ لقد منعها أوّل النهار من كذا وكذا ، ولولا المساء ما باعها به ، فأنزل الله عز وجل : {إن الذي يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا}" [٤]. وروي عن مجاهد[٥] نحوه.

السادس: وقال الثعلبي:"قال الكلبي: إنّ ناسا من علماء اليهود أولي فاقة كانوا ذوي حظ من علم التوراة فأصابهم سنة. فأتوا كعب بن الأشرف يستميرونه فسألهم كعب: هل تعلمون أنّ هذا الرّجل رسول الله في كتابكم؟ فقالوا: نعم، وما تعلمه أنت؟ قال: لا. قالوا: فإنّا نشهد إنّه عبد الله ورسوله، قال كعب: قد كذبتم عليّ فأنا أريد أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا. قالوا: فإنّه شبّه لنا. فرويدا حتى نلقاه. قال: فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته، ثم أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلّم فكتموه ثم رجعوا إلى كعب، فقالوا: قد كنّا نرى رسول الله فأتيناه، فإذا هو ليس بالنعت الّذي نعت لنا

(١) أخرجه الطبري(٧٢٧٩):ص٥٢٩/٦.

(٢) تفسير الثعلبي:٩٩/٣.

(٣) تفسير الثعلبي:٩٨/٣.

(٤)أخرجه الطبري(٧٢٨٣):ص٥٣٣/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٢٨٤):ص٥٣٣/٦.

وأخرجوا الذي كتبوه. ففرح بذلك كعب، ومكرهم فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، نظيرها قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا }[البقرة:١٧٤] الآية"[١].

٢٥-{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)} [آل عمران : ٧٨]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: نقل الثعلبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: "إنّ الآية نزلت في اليهود والنّصارى جميعا والذين هم حرّفوا التوراة والإنجيل، وضربوا كتاب الله بعضه ببعض وألحقوا به ما ليس منه فأسقطوا منه الدين الحنفي، فبيّن الله تعالى كذبهم للمؤمنين"[٢].

الثاني: ونقل الثعلبي عن الضحّاك ومقاتل: "{ما كانَ لِبَشَرٍ} يعني عيسى -عليه السلام- {أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ} يؤتى الحكمة. نزلت في نصارى أهل نجران"[٣].

الثالث: وأخرج الطبري عن ابن عباس قال : "قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك ، كما تعبد النصارَى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرِّئِيس : أوَ ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعونا! أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن نَعبُد غيرَ الله ، أو نأمر بعبادة غيره! ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني أو كما قال. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : { ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة}، الآية إلى قوله : {بعد إذ أنتم مسلمون }"[٤].

الرابع: وقال قتادة:" هم أعداء الله اليهود ، حرَّفوا كتابَ الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله"[٥]. وروي عن ابن عباس[٦]، والربيع[٧] نحو ذلك.

---

(١) تفسير الثعلبي:٣/٩٧-٩٨.

(٢) تفسير الثعلبي:٣/١٠٠.

(٣) تفسير الثعلبي:٣/١٠٠.

(٤) تفسير الطبري(٧٢٩٦):ص٦/٥٣٩، وانظر: تفسير الثعلبي:٣/١٠٠.

(٥) أخرجه الطبري(٧٢٩٢):ص٦/٥٣٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٢٩٤):ص٦/٥٣٦.

(٧)انظر: تفسير الطبري(٧٢٩٣):ص٦/٥٣٦.

الخامس: وقال مقاتل:"يعني من اليهود، {لفريقا}: يعني طائفة منهم، يعنى: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وأبو ياسر، جدي ابن أخطب، وشعبة بن عمرو"[١].

السادس: وقال الحسن: " بلغني أن رجلا قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: "لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله"، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢].

٢٦-{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)} [آل عمران : ٧٩]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال ابن عباس:"قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك ، كما تعبد النصارَى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرِّئِيس : أوَ ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعونا! أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن نَعبُد غيرَ الله ، أو نأمر بعبادة غيره! ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني أو كما قال. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة}، الآية إلى قوله : {بعد إذ أنتم مسلمون}"[٣]. وروي عن قتادة[٤]، والربيع[٥]، نحوه.

والثاني: نقل الثعلبي والواحدي عن الضحاك ومقاتل[٦]:"{ما كانَ لِبَشَرٍ}، يعني: عيسى -عليه السلام- ، {أنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ}، يؤتى الحكمة[٧]. نزلت في نصارى أهل نجران"[٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٦/١.

(٢)أخرجه عبد الرزاق في لباب النقول: ٥٤، وعبد بن حميد في فتح القدير: ٣٥٦/١)، وانظر: تفسير الثعلبي:١٠١/٣، وأسباب النزول:١١٣، ومجمع البيان:٣٣١/٢،

(٣) أخرجه الطبري(٧٢٩٦):ص٥٣٩/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٢٩٨):ص٥٣٩/٦-٥٤٠.

(٥)انظر: تفسير الطبري(٧٢٩٩):ص٥٤٠/٦.

(٦) نظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٦/١.

(٧) وفي أسباب النزول:" يعني الإنجيل".

(٨) تفسير الثعلبي:١٠١/٣، وانظر: أسباب النزول:١١٢.

والثالث:قال ابن جريج:" كان ناس من يهود يتعبَّدون الناسَ من دون ربهم ، بتحريفهم كتابَ الله عن موضعه ، فقال الله عز وجل:{ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عبادًا لي من دون الله}، ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله في كتابه"(١).

والرابع: أخرج عبد بن حميد عن روح عن عوف عن الحسن: "بلغني أن رجلًا قال: يا رسول الله: نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: "لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله"، فأنزل الله عز وجل هذه الآية إلى قوله: {بأنًا مُسْلِمُون}"(٢).

٢١٧-{وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)} [آل عمران : ٨٠]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي نافع القرظي: "حين اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ قال: فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له: الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوا وكما قال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني وألا أمرني أو كما قال عليه السلام، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: {ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون}"(٣).

الثاني: ونقل ابن حجر عن مقاتل أنها "نزلت ردًا على كردم بن قيس والأصبغ بن زيد"(٤).

---

(١) أخرجه الطبري(٧٣٠٠):ص٥٤٠/٦.

(٢) العجاب:٧٠٥/٢، لم ينسبه السيوطي في الدر: ٢/ ٢٥٠، إلى غيره واقتصر في اللباب: ٥٤، على عزوه إلى عبد الرزاق في تفسيره، والثعلبي:١٠١/٣، وأورده الواحدي :١١٣، معزوا إلى الحسن وسياقه سياق الحافظ ابن حجر.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٥٦):ص٦٩٣/٢.

(٤) العجاب:٧٠٦/٢، أخذ الحافظ هذا من مقاتل ولكن نصه :١/ ٢٨٦-٢٨٧: "{وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} -يعني عيسى والعزيز، ولو أمركم بذلك لكان كافرا فذلك قوله: {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ} يعني بعبادة الملائكة والنبيين: {بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} يعني مخلصين له بالتوحيد. فقال الأصبغ بن زيد وكردم بن قيس: أيأمرنا بالكفر بعد الإيمان فأنزل الله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} ".

٢٨-**{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)} [آل عمران : ٨١]**

قال مقاتل:" {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} -يعني عيسى والعزيز، ولو أمركم بذلك لكان كافرا فذلك قوله: {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ} يعني بعبادة الملائكة والنبيين: {بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} يعني مخلصين له بالتوحيد. فقال الأصبغ بن زيد وكردم بن قيس: أيأمرنا بالكفر بعد الإيمان فأنزل الله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} "[١].

٢٩-**{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)} [آل عمران : ٨٣]**

نقل الثعلبي عن ابن عباس: "اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم -عليه السلام- كل فرقة زعمت أنّه أولى بدينه، قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم، فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ}"[٢].

٢٩-**{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)} [آل عمران : ٨٤]**

قال ابن ظفر: "لما تكلم اليهود بما قالوه، والنصارى بما ليس لهم، أمر الله نبيه أن يقول للمسلمين: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} الآية، فأخبر أنهم يؤمنون بجميع الأنبياء ولا يفرقون بين أحد منهم"[٣].

والظاهر أنه إعلان للجميع بما في ذلك اليهود والنصارى الذين فرقوا بين أنبياء الله. والله أعلم.

٣٠-**{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)} [آل عمران : ٨٥]**

والظاهر من هذا أن الآية (٨١) هي التي نزلت ترد على المذكورين لا الآية (٨٠). والله أعلم.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) تفسير الثعلبي:١٠٥/٣.

(٣) العجاب:٧٠٧/٢.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الثعلبي:"نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة ولحقوا بمكة كفارا منهم: الحرث بن سويد الأنصاري أخو الحلاس بن سويد، وطعمة بن أشرف الأنصاري، ومقيس بن صبابة الليثي، وعبد الله بن أنس بن خطل من بني تميم بن مرة، ووجوج بن الأسلت، وأبو عاصم بن النعمان، فأنزل الله فيهم: {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}"[١].

الثاني:وقال مقاتل بن سليمان:" نزلت في طعمة بن أبيرق الأنصاري من الأوس من بني صقر، ارتد عن الإسلام ولحق بكفار مكة "[٢].

الثالث:أخرج الطبري عن ابن عباس: "قوله : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} إلى قوله : {وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة البقرة : ٦٢] ، فأنزل الله عز وجل بعد هذا:{ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه}"[٣].

٣١- {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)} [آل عمران : ٨٦ - ٨٩]

في سبب نزول الآيات(٨٦-٨٩) اقوال:

أحدها: أخرج النسائي[٤]، والطبري[٥]، وابن أبي حاتم[٦]، وصححه ابن حبان[٧]، والحاكم[١]، من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: "كان رجل[٢] من الأنصار أسلم، ثم ارتد

---

(١) تفسير الثعلبي:١٠٧/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٨/١.

(٣) تفسير الطبري(٧٣٥٩):ص٥٧١/٦-٥٧٢.

(٤)في "تحريم الدم": باب "توبة المرتد" "٧/ ١٠٧" "٤٠٦٨" وفي التفسير "ص٣٣" الرقم "٨٥" عزاه إليه في "تحفة الأشراف" "٥/ ١٣٣" ورجال سنده ثقات

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٣٦٠):ص٥٧٢/٦-٥٧٣.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٣٧٨٩):ص٦٩٩/٢.

(٧)انظر "الإحسان"، كتاب "الحدود"، "باب الردة" "١٠/ ٣٢٩" "٤٤٧٧" وقال محققه الأستاذ شعيب: "إسناده صحيح، رجاله ثقات على شرط مسلم غير بشر بن معاذ العقدي، فقد روى له أصحاب "السنن" وهو ثقة".

ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه سلوا لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل لي من توبة فسألوا فقالوا: إن صاحبنا قد ندم، وإنه قد أمرنا أن نسأل هل له توبة فنزلت: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} إلى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فأرسل إليه فأسلم.

وفي رواية الواحدي:" فلما قرئت عليه قال: والله ما كذبني قومي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا كذب رسول الله، والله تعالى أصدق الثلاثة فرجع تائبًا فقبل منه"[٣].

وأخرجه البزار عن ابن بزيع هذا فقال في أوله: "إن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون" فذكره[٤].

الثاني:أخرج الطبري[٥]، والواحدي[٦]، وعبدالرزاق[٧]، وابن المنذر[٨]، عن مجاهد: "جاء الحارث بن سُوَيد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه ، فأنزل الله عز وجل فيه القرآن : {كيف يَهدي الله قومًا كفروا بعدَ إيمانهم} إلى {إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ}، قال : فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه ، فقال الحارث : إنك والله ما علمتُ لصَدُوقٌ ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدقُ منك ، وإنّ الله عز وجل لأصدق الثلاثة. قال : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه"[٩].

---

(١)انظر "المستدرك"، كتاب "قسم الفيء" "٢/ ١٤٢" وكتاب "الحدود" "٤/ ٣٦٦" وقال في المكانين:
"صحيح الإسناد ولم يخرجا" ووافقه الذهبي، وأخرجه كذلك أحمد في "المسند" وانظر "مرويات الإمام أحمد في التفسير" "١/ ٢٨٠" والبيهقي في "الكبرى" "٨/ ١٩٥" وانظر "الإصابة" "١/ ٢٨٠".

(٢)هذه الرواية، ورواية أخرى بعدها تذكر: "رجلا" والآية تقول "قوما" فتأمل

(٣) أسباب النزول:١١٣-١١٤.

(٤) نقلا عن العجاب:٧٠٩/٢، ولم يصل المطبوع من مسنده إلى مسند ابن عباس.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٢٦٣):ص٥٧٣/٦.

(٦) أسباب النزول:١١٤، من طريق مسدد بن مسرهد.

(٧) انظر: لباب النقول:٥٥.

(٨) انظر: فتح القدير:٣٥٩/١.

(٩) تفسير الطبري(٧٢٦٣):ص٥٧٣/٦.

وذكر ابن إسحاق في السيرة الكبرى: "إن الحارث بن سويد بن صامت كان منافقا، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس غدا على مسلمين فقتلهما، ثم لحق بمكة بقريش، ثم بعث إلى أخيه الجلاس يطلب التوبة، فأنزل الله فيه هذه الآيات"[١].

وذكر إن المقتول هو المجذر بن زياد وقيس بن زيد من بني ضبيعة، وتعقب ابن هشام فذكر أن قيس بن زيد لم يعد في قتلى أحد[٢].

الثالث: أخرج الطبري عن مجاهد:" هو رجل من بني عمرو بن عوف ، كفر بعد إيمانه، لحق بأرض الرّوم فتنصَّر ، ثم كتب إلى قومه : " أرسلوا ، هل لي من توبة ؟ " قال : فحسبتُ أنه آمن ، ثم رَجع"[٣].

الرابع: وأخرج الطبري عن عكرمة:" نزلت في أبي عامر الرّاهب ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووَحْوَح بن الأسلت في اثني عشر رجلا رَجعوا عن الإسلام ولحقوا بقريش ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت : {إلا الذي تابوا من بعد ذلك}، الآيات"[٤].

الخامس: قال مقاتل:" نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة كهيئة البداة ثم انصرفوا إلى طريق مكة، فلحقوا بكفار مكة منهم طعمة بن أبيرق الأنصاري، ومقيس بن ضبابة الليثي، وعبد الله بن أنس بن خطل من بنى ثيم ابن مرة القرشي. ووجوج بن الأسلت الأنصاري، وأبو عامر بن النعمان الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري من بني عمرو بن عوف، أخو الجلاس بن سويد بن الصامت، ثم أن الحارث ندم فرجع تائبا من ضرار ثم أرسل إلى أخيه الجلاس إني قد رجعت تائبا فسل النبي- صلى الله عليه وسلم- هل لي من توبة وإلا لحقت بالشام فانطلق الجلاس إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره فلم يرد عليه شيئا فأنزل الله- عز وجل- في الحارث فاستثنى {إلا الذين تابوا} فلا يعذبون {من بعد ذلك} يعني من بعد الكفر {وأصلحوا} في العمل فيما بقي {فإن الله غفور} لكفره {رحيم}"[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام:٥٢٠/١، و٨٩/٢.

(٢)وعن مصير الحارث بن سويد بعد قتله المجذر والخلاف فيه انظر "سيرة ابن هشام" "٢/ ٨٩" و"الإصابة" في ترجمته "١/ ٢٨٠" وترجمة المجذر "٣/ ٣٦٤" و"الباهر في حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر" للسيوطي "ص٥٦-٥٧".

(٣) تفسير الطبري(٧٣٦٧):ص٥٧٤/٦.

(٤) تفسير الطبري(٧٣٦٧):ص٥٧٤/٦.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٨/١-٢٨٩.

السادس: أخرج الطبري عن ابن عباس:" {كيف يهدي الله قومًا كفرُوا بعد إيمانهم}، فهم أهلُ الكتاب ، عرَفوا محمدًا صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به"[١]. وروي عن الحسن مثل ذلك[٢].

٣٢-{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)} [آل عمران : ٩٠]

في سبب نزول الآية اقوال:

أحدها: قال الحسن[٣] وقتادة[٤] وعطاء الخراساني[٥]: نزلت هذه الآية في اليهود، كفروا بعيسى -عليه السلام- والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

الثاني: وقال أبو العالية[٦]: نزلت في اليهود والنصارى، كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه وعرفوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، ثم ازدادوا ذنوبا في حال كفرهم.

الثالث: وقال مجاهد[٧]: نزلت في الكفار كلهم، أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، {ثم ازدادوا كفرا}، أي أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه.

الرابع: ونقل ابن حجر عن ابن الكلبي أنها: "نزلت في الأحد عشر رفقة الحارث بن سويد لما رجع الحارث قالوا: نقيم بمكة ما بدا لنا فمتى أردنا رجعنا فنزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتحت مكة دخل في الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته ونزلت فيمن مات منهم كافرا هذه الآية"[٨]. ونقل مقاتل نحو ذلك[٩].

٣٣-{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣)} [آل عمران : ٩٣]

---

(١) تفسير الطبري(٧٣٦٨):ص٥٧٤/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٣٦٩)-(٧٣٧١):ص٥٧٥/٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٣٧٢):ص٥٧٨/٦.

(٤)انظر: تفسير الطبري(٧٣٧٣):ص٥٧٨/٦-٥٧٩.

(٥)انظر: تفسير الثعلبي:١٠٨/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٣٧٧)-(٧٣٨١):ص٥٧٩/٦-٥٨٠، وتفسير ابن أبي حاتم(٣٧٩٩):ص٧٠١/٢.

(٧)انظر: تفسير الثعلبي:١٠٨/٣.

(٨) العجاب:٧١٣/٢-٧١٤. وعلى هذا أن الآية تأخر نزولها إلى ما بعد فتح مكة! مثل هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٨/١-٢٨٩.

في سبب نزول الآية أقوال:

احدها: قال السدي:" " قالت اليهود : إنما نحرِّم ما حرّم إسرائيل على نفسه ، وإنما حرّم إسرائيل العرُوق[١]، كان يأخذه عِرق النَّسا ، كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار ، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عِرْقًا أبدًا ، فحرّمه الله عليهم ثم قال : {قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين}، ما حرَّم هذا عليكم غيري ببغيكم ، فذلك قوله : {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [سورة النساء : ١٦٠]"[٢].

الثاني:وقال الضحاك:" إسرائيل هو يعقوب ، أخذه عرق النسا فكان لا يَبيتُ الليل من وجعه، وكان لا يؤذيه بالنهار، فحلف لئن شفاهُ الله لا يأكل عِرْقًا أبدًا ، وذلك قبل نزول التوراة على موسى، فسأل نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم اليهود : ما هذا الذي حرم إسرائيل على نفسه ؟ فقالوا : نزلت التوراة بتحريم الذي حرَّم إسرائيل. فقال الله لمحمد -صلى الله عليه وسلم- : {قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين}إلى قوله : {فأولئك هم الظالمون}، وكذبوا وافتروا ، لم تنزل التوراة بذلك"[٣]. وروي عن ابن عباس نحو ذلك[٤]، ونقل مقاتل نحوه[٥].

الثالث:نقل الثعلبي والواحدي[٦] عن أبي روق والكلبي: "كان هذا حين قال النبي صلى الله عليه وسلّم: «أنا على ملة إبراهيم». فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها، فقال النبي صلى

---

(١)العروق جمع العرق وهو كما في "القاموس" "ص١١٧٢": "العظم بلحمه، فإذا أكل لحمه فعراق، أو كلاهما لكليهما". وانظر "النهاية" لابن الأثير "٣/ ٢٢٠".

(٢) أخرجه الطبري(٧٣٩٩):ص٧/٧-٨.

(٣) أخرجه الطبري(٧٤٠٠):ص٧/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٤٠١)،و(٧٤٠٢):ص٧/١٠.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١/٢٩٠، إذ يقول:" وذلك أن يعقوب بن إسحاق خرج ذات ليلة، ليرسل الماء في أرضه، فاستقبله ملك فظن أنه لص يريد أن يقطع عليه الطريق فعالجه في المكان الذي كان يقرب فيه القربان يدعى شانير فكان أول قربان قربه بأرض المقدس. فلما أراد الملك أن يفارقه، غمز فخذ يعقوب برجليه ليريه أنه لو شاء لصرعه، فهاج به عرق النساء، وصعد الملك إلى السماء، ويعقوب ينظر إليه فلقي منها البلاء، حتى لم ينم الليل من وجعه، ولا يؤذيه بالنهار، فجعل يعقوب لله- عز وجل- تحريم لحم الإبل وألبانها- وكان من أحب الطعام والشراب إليه- لئن شفاه الله. قالت اليهود جاء هذا التحريم من الله- عز وجل- «في التوراة قالوا:

حرم الله على يعقوب وذريته» لحوم الإبل وألبانها. قال الله- عز وجل- لنبيه- صلى الله عليه وسلم- قل لليهود {فأتوا بالتوراة فاتلوها} فاقرءوها {إن كنتم صادقين} بأن تحريم لحوم الإبل في التوراة، فلم يفعلوا".

(٦) انظر: أسباب النزول:١١٥.

الله عليه وسلّم: «كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحلّه». فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرّمه فإنّه كان محرّما على نوح وإبراهيم هاجرا حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم: {كُلُّ الطَّعامِ المحلل لكم اليوم كانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ وهو يعقوب عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ}"[1].

٣٤-{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦)} [آل عمران : ٩٦]

في سبب نزول الآية وجهان :

أحدهما: ذكر الثعلبي وتبعه الواحدي[2] وابن ظفر[3] عن مجاهد[4]: "تفاخر المسلمون واليهود، فقال اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنّها مهاجر الأنبياء في الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ}"[5].

الثاني: قال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن المسلمين واليهود اختصموا في أمر القبلة. فقال المسلمون: القبلة الكعبة. وقالت اليهود: القبلة بيت المقدس. فأنزل الله- عز وجل- أن الكعبة أول مسجد كان في الأرض، والبيت قبلة لأهل المسجد الحرام، والحرم كله قبلة الأرض"[6].

٣٥-{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)} [آل عمران : ٩٧]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها:أخرج الطبري عن عكرمة: " {ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه}، قالت اليهود : فنحن المسلمون! فأنزلَ الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحُجُّهم أنْ : {لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}"[7].

---

(١) تفسير الثعلبي:١١٢/٣.

(٢) أسباب النزول:١١٥.

(٣) انظر: العجاب:٧١٧/٣.

(٤)قال السيوطي :٢/ ٢٦٦: "أخرج ابن المنذر والأزرقي عن ابن جريج قال: بلغنا" وذكره. ولم يرفعه إلى مجاهد!.

(٥) تفسير الثعلبي:١١٤/٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩١/١.

(٧) تفسير الطبري(٧٣٥٧):ص٥٧١/٦.وانظر: (٧٣٥٦)، و(٧٣٥٨):ص٥٧١/٦.

والثاني: ونقل ابن حجر من طريق ليث بن اسلم عن مجاهد:"آية فرقت بين المسلمين وأهل الكتاب لما نزلت: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} قالت اليهود: [قد أسلمنا][1] فنزلت: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} الآية فقالوا: لا نحجه أبدًا"[2].

والثالث: ونقل ابن حجر عن سعيد بن المسيب: "نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب فأنزل الله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}"[3].

والرابع: أخرج الطبري عن الضحاك:" لما نزلت آية الحج ، جَمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الأديان كلَّهم فقال : يا أيها الناس ، إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجُّوا ، فآمنتْ به ملة واحدة ، وهي من صدّق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وآمن به ، وكفرَتْ به خمس ملل ، قالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلي إليه ، ولا نستقبله. فأنزل الله عز وجل:{ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين}"[4] .

٣٦- {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)} [آل عمران : ٩٨]

قال محمد بن إسحاق: "وحدثني الثقة، عن زيد بن أسلم قال: وأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع: {يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله}"[5].

---

(١)ما بين المعقوفين هو ما ترجح عند المحقق، وفي "الدر المنثور" "٢/ ٢٧٦": "فنحن مسلمون".

(٢) العجاب:٧١٩/٢.

(٣) العجاب:٧٢٠/٢. ولم اجد هذه الرواية في تفسير سفيان المطبوع.

(٤) تفسير الطبري(٧٥١٥):٤٩/٧-٥٠. قال المناوي في "الفتح السماوي" "١/ ٣٨٩": "وهو معضل وجويبر متروك الحديث ساقط. قاله الحافظ بن حجر" في "الكافي الشافي" "ص٢٩" كما بينه المحقق و"١/ ٣٩١" من طبعته مع "الكشاف" نشر دار الكتاب العربي.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٧٨):ص٧١٦/٣. وأخرجه الطبري(٧٥٢٤):ص٥٦/٧-٥٦ مطولا، ونص الرواية:" عن محمد بن إسحاق ، قال ، حدثني الثقة عن زيد بن أسلم ، قال : مرّ شأسُ بن قيس وكان شيخًا قد عَسَا في الجاهلية ، عظيمَ الكفر ، شديد الضِّغن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جَماعتهم وألفتهم وصَلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة بهذه البلاد! لا والله ما لنا معهم ، إذا اجتمع ملأهم بها ، من قرار! فأمر فَتى شابًّا من يهودَ وكان معه ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذكّرهم يَوْم بعاث وما كان قبله ، وأنشدْهم بعض ما كانوا تقاوَلوا فيه من الأشعار وكان يوم بُعَاث يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج ففعل. فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا ،

٣٧-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)} [آل عمران : ١٠٠]

اختلف في سبب نزول الآية على قولين:

أحدهما: قال محمد ابن إسحاق:" حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم قال: وأنزل في أويس ابن قيظي وجبار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب}"[(١)]. وري عن مجاهد نحو ذلك[(١)].

حتى تواثب رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب : أوسُ بن قَيْظي ، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس - وجبّار بن صخر ، أحد بني سَلمة من الخزرج. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْناها الآن جَذَعَةً! وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاحَ السلاحَ!! موعدُكم الظاهرة والظاهرةُ : الحَرَّة فخرجوا إليها. وتحاوز الناس. فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم ، فقال : " يا معشرَ المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُركم بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألَّف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكَوْا ، وعانقَ الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضًا ، ثم انصرفوا مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شَأس بن قيس وما صنع. فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع : {قل يا أهل الكتاب لم تكفرُون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا} الآية. وأنزل الله عز وجل في أوس بن قَيْظيّ وجبّار بن صخر ومَنْ كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية : {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين} إلى قوله : {أولئك لهم عذابٌ عظيم}".

قال الواحدي في أسباب النزول:ص١١٧:" قال جابر بن عبد الله: ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأومأ إلينا بيده، فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما رأيت قط يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم".

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٩٣):ص٧١٨/٣، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٨٧٨):ص٧١٦/٣. وأخرجه الطبري(٧٥٢٤):ص٥٦/٧-٥٦ مطولا، ونص الرواية:" عن محمد بن إسحاق ، قال ، حدثني الثقة عن زيد بن أسلم ، قال : مرّ شأسُ بن قيس وكان شيخًا قد عَسَا في الجاهلية ، عظيمَ الكفر ، شديد الضِّغن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جَماعتهم وألفتهم وصَلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ،

الثاني: وقال السدي:" نزلت في ثعلبة بن عَنمة الأنصاري، كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام ، فمشى بينهم يهوديٌّ من قَيْنُقاع ، فحمَل بعضَهم على بعضٍ، حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاحَ فيقاتلوا ، فأنزل الله عز وجل : {إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين}، يقول : إن حملتم السلاحَ فاقتتلتم ، كفرتم"[٢].

٣٨-**{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)} [آل عمران : ١٠١]**

فقال : قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة بهذه البلاد! لا والله ما لنا معهم ، إذا اجتمع ملأهم بها ، من قرار! فأمر فَتى شابًّا من يهودَ وكان معه ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذكّرهم يَوْم بعاث وما كان قبله ، وأنشدْهم بعض ما كانوا تقاوَلوا فيه من الأشعار وكان يوم بُعَاث يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج ففعل. فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب : أوسُ بن قَيْظي ، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس - وجبّار بن صخر ، أحد بني سَلمة من الخزرج. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْناها الآن جَذَعَةً! وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاحَ السلاحَ!! موعدُكم الظاهرة والظاهرةُ : الحَرَّة فخرجوا إليها. وتحاوز الناس. فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم ، فقال : " يا معشرَ المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُركم بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكَوْا ، وعانقَ الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضًا ، ثم انصرفوا مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوٍّ الله شَأس بن قيس وما صنع. فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع : {قل يا أهل الكتاب لم تكفرُون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا} الآية. وأنزل الله عز وجل في أوس بن قَيْظيّ وجبّار بن صخر ومَنْ كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية : {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين} إلى قوله : {أولئك لهم عذابٌ عظيم}".

قال الواحدي في أسباب النزول:ص١١٧:" قال جابر بن عبد الله: ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأومأ إلينا بيده، فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما رأيت قط يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم".

(١) انظر: تفسير الطبري(٧٥٣٠):ص٥٩/٧، وابن ابي حاتم(٣٨٩٤):ص٧١٩/٣.

(٢) أخرجه الطبري(٧٥٢٩):ص٥٨/٧-٥٩. وأخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٩٢):ص٧١٨/٣. مختصرا.

قال ابن عباس:" كانت بين الأوس والخزرج حرب في الجاهلية كل شيء، فبينما هم يوما جلوس إذ ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت: {وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله} الآية كلها"[١].

٣٩-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران : ١٠٢]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال عكرمة:" إن هذه الآية نزلت في الأوس والخزرج وكان بينهم قتال يوم بعاث قبيل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم :{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته}"[٢].

الثاني: نقل الثعلبي عن عطاء:" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وقال: «يا معشر المسلمين ما لي أوذى في أهلي» . يعني الطعن في قصة الإفك، وقال: «ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت منه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي» .

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله وأكفيك أمره وأنصرك عليه، إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكنه احتملته الحمية فقال لسعد ابن معاذ: كذبت لعمر الله. فقال سعد: والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ودعوا بالسلاح، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته}"[٣].

٤٠-{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)} [آل عمران : ١١٠]

نقل الثعلبي عن عكرمة ومقاتل: "نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن ابن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه ونحن خير وأفضل منكم. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤]. ونقله الطبري عن عكرمة[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٩٨):ص٣/٧٢٠.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٣٩٠٧):ص٣/٧٢١.

(٣) تفسير الثعلبي:٣/١٦٠-١٦١.

(٤) تفسير الثعلبي:٣/١٢٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٦٠٩):ص٧/١٠١.

٤١-{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١)} [آل عمران : ١١١]

قال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن رؤساء اليهود كعب بن مالك، وشعبة، وبحري، ونعمان، وأبا ياسر، وأبا نافع، وكنانة بن أبي الحقيق، وابن صوريا. عمدوا إلى مؤمنيهم فآذوهم لإسلامهم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. فأنزل الله- عز وجل- {لن يضروكم}"[١].

٤٢-{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)} [آل عمران : ١١٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري عن ابن عباس:" لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعْية ، وأسَيْد بن سعية ، وأسد بن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدَّقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه، قالت : أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا! ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ، وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم :{ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله} إلى قوله : {وأولئك من الصالحين} "[٢].

الثاني:وقال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن اليهود قالوا لابن سلام وأصحابه: لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره وقد عاهدتم الله بعهد ألا تدينوا إلا بدينكم، فقال الله- عز وجل- :{ليسوا سواء}"[٣].

الثالث: أخرج الطبري عن عبد الله بن مسعود قال : "احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، كان عند بعض أهله ونسائه : فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليلٌ ، فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع ، فبشَّرنا وقال:إنه لا يصلي هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب! فأنزل الله : {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون}"[٤].

الرابع: وأخرج الطبري عن منصور، قال:" بلغني أنها نزلت : {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون}، فيما بين المغرب والعشاء"[٥].

---

(١)تفسير مقاتل بن سليمان:١/٢٩٥.

(٢) تفسير الطبري(٧٦٤٤):ص٧/١٢٠-١٢١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٢٩٦.

(٤) تفسير الطبري(٧٦٦١):ص٧/١٢٧.

(٥) تفسير الطبري(٧٦٦٣):ص٧/١٢٩.

الخامس: نقل الثعلبي:" عن عطاء في قوله: {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة}. الآية. تريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى -عليه السلام- وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان من الأنصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أسعد ابن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس هرمة بن أنس، وكانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقرون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه"[١].

٤٣- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)} [آل عمران : ١١٦ - ١١٧]

في سبب نزول الآيتان[١١٦-١١٧]، وجوه:

أحدها: قال مقاتل:" ثم ذكر نفقة سفلة اليهود من الطعام والثمار على رءوس اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه يريدون بها الآخرة"[٢].

الثاني: نقل ابن حجر عن ابن ظفر:"لما تضمن قوله تعالى فيما قبله وصف المؤمنين، ذكر بعدها ما اعتمده الكفار وأهل الكتاب من إنفاق أموالهم في الصد عن سبيل الله وإن ذلك لا يغني عنهم شيئا"[٣].

الثالث: أخرج الطبري عن مجاهد، أن المراد:" نفقة الكافر في الدنيا"[٤].

الرابع: نقل الثعلبي وتبعه ابن حجر[٥] عن يمان بن المغيرة: أنه" يعني: نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدر وأُحُد على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم"[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي:١٢٣/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٣٧/٢.

(٣) العجاب:٧٣٩/٢.

(٤) تفسير الطبري(٦٧٧٦):ص١٣٥/٧، وابن أبي حاتم(٤٠٢٤):ص٧٤١/٣، وإسنادهما حسن.

(٥) انظر: العجاب:٧٣٩/٢.

(٦)تفسير الثعلبي:١٣٣/٣، ولم أجد هذا القول في تفسير الطبري وابن أبي حاتم، وأسباب النزول للواحدي، وتفسير ابن كثير- ولباب النقول للسيوطي.

٤٤-**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)} [آل عمران : ١١٨]**

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" : كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم ، ينهاهم عن مباطنتهم تخوُّف الفتنة عليهم منهم : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم} إلى قوله : {وتؤمنون بالكتاب كله} "[١].

الثاني: وأخرج الطبري عن مجاهد في قول الله عز وجل : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا }، في المنافقين من أهل المدينة. نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولَّوهم"[٢].

وري عن ابن عباس[٣] أيضا، والسدي[٤]، وقتادة[٥]، والربيع[٦]، وابن جريج[٧]، وابن زيد[٨]، نحو ذلك.

الثالث: وقال مقاتل:" يعني المنافقين عبد الله بن أبي، ومالك بن دخشم الأنصاري، وأصحابه دعاهم اليهود إلى دينهم منهم إصبغ ورافع ابني حرملة وهما رءوس اليهود فزينوا لهما ترك الإسلام حتى أرادوا أن يظهروا الكفر فأنزل الله- عز وجل- يحذرهما ولاية اليهود {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة}"[٩].

٤٥-**{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)} [آل** عمران : ١١٩]

---

(١) أخرجه الطبري(٧٦٨٠):ص١٤١/٧.

(٢) تفسير الطبري(٧٦٨١):ص١٤١/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٦٨٣):ص١٤١/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٦٨٦):ص١٤٣/٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٦٨٢):ص١٤١/٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٦٨٤):ص١٤١/٧-١٤٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٧٦٨٧):ص١٤٣/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٧٦٨٨):ص١٤٣/٧.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٧/١.

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أخرج الطبري عن مجاهد: "نزلت هذه الآية في المنافقين"[١].

الثاني: أنها نزلت في الإباضية. وهذا قول أبي الجوزاء[٢].

الثالث: أنها نزلت في اليهود. . وهذا قول مقاتل بن حيان[٣].

٤٦-{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)} [آل عمران : ١٢١]

أخرج ابن أبي حاتم عن المسور بن مخرمة قال: "قلت لعبد الرحمن بن عوف: يا خالي أخبرني عن قصتكم يوم أحد فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا :{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَال} إلى قوله: {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا}، قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين"[٤].

٤٧-{إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} [آل عمران : ١٢٢]

أخرج البخاري[٥] ومسلم[٦] وغيرهما[٧]، من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار:" سمعت جابر بن عبد الله يقول: فينا نزلت: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَان مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا} قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل لقول الله {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا}"[٨].

---

(١) تفسير الطبري(٧٦٩٨):ص١٥١/٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٧٠١):ص١٥٢/٧. وابن أبي حاتم(٤٠٥١):ص٧٤٥/٣، و" الإباضية " ، فرقة من الحرورية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي ، الخارج في أيام مروان بن محمد. ومن قولهم : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، وإن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد. وقالوا : إن مرتكب الكبيرة موحد ، لا مؤمن.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٤٩):ص٧٤٤/٣.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٧٤):ص٧٤٩/٣.

(٥)في "صحيحه" كتاب "المغازي" باب غزوة أحد "الفتح" "٧/ ٣٥٧" وكتاب التفسير "الفتح" "٨/ ٢٢٥".

(٦)في "صحيحه"، كتاب "فضائل الصحابة"، باب من فضائل الأنصار "٤/ ١٩٤٨".

(٧)كالطبري "٧/ ١٦٧" "٧٧٢٨" وابن حاتم "٢/ ١/ ٥١١" "١٣٢٠" و"٥١٤" "١٣٣٠".

وزاد السيوطي "٢/ ٣٠٥" نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في "الدلائل".

(٨) العجاب:٧٤٠/٢-٧٤١.

٤٨-{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤)} [آل عمران : ١٢٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري عن الشعبي قال : "حُدِّث المسلمون أن كرزَ بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين ببدر ، قال : فشق ذلك على المسلمين ؛ فأنزل الله عز وجلّ : {ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم} إلى قوله : {من الملائكة مسومِّين}، قال : فبلغته هزيمة المشركين ، فلم يمدّ أصحابه ، ولم يمدُّوا بالخمسة"[١]، وروي نحو ذلك المعنى عن مالك بن ربيعة[٢]، وابن عباس[٣]، والحسن[٤]، وقتادة[٥]، والربيع[٦]، ومجاهد[٧].

والثاني: أن ذلك الإمداد كان يوم الاحزاب. وهذا قول عبد الله بن أبي أوفى[٨].

والثالث: أن الآية في سياق معركة أحد، إذ وعدهم الله عز وجل المدد إن صبروا، فلم يصبروا فلم يمدوا. وهذا قول عكرمة[٩]، والضحاك[١٠]، وابن زيد[١١].

والرابع: ونقل الثعلبي وجها آخر، فقال:" وكان هذا يوم أحد حين انصرف أبو سفيان وأصحابه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخاف أن يدخل المشركون المدينة، فبعث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: «اخرج على آثار القوم فانظر ما يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد أجبنوا الخيل وركبوا وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فو الذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم» . قال علي -رضي الله

---

(١)

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٧٤٧):ص١٧٥/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٧٥٠):ص١٧٥/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٧٤٥):ص١٧٤/٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٧٥٤):ص١٧٧/٧-١٧٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٧٥٥):ص١٧٨/٧.

(٧)انظر: تفسير الطبري(٧٧٥٧):ص١٧٨/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٧٧٥٨):ص١٧٨/٧-١٧٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٧٧٥٩):ص١٧٩/٧-١٨٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٧٧٦١):ص١٨٠/٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٧٧٦٢):ص١٨٠/٧.

عنه-:«فخرجت في آثارهم أنظر ما يصنعون، فإذا هم قد أجبنوا الخيل وامتطوا الإبل وتوجهوا إلى مكة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أي ذلك كان فأخفه حتى تأتيني، فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم لما بي من الفرح، وانصرفوا إلى مكة وانصرفنا إلى المدينة، فأنزل الله تعالى في ذلك:{ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم}، يعني: أن انصرفوا إليكم ودخلوا المدينة"[١].

٤٩-{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)} [آل عمران : ١٢٨]

اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

أحدها: ذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لما أصابه بأحُد ما أصابه من المشركين ، قال ، كالآيس لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحق : " كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيهم!! وهذا قول ابن عباس[٢]، وأنس بن مالك[٣]، والحسن[٤]، وقتادة[٥]، وأبو جعفر[٦]، ومقسم[٧]، والربيع[٨]، والكلبي[٩].

الثاني: أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه دعا على قوم ، فأنزل الله عز وجل : ليس الأمر إليك فيهم. وهذا قول أبي هريرة[١٠]، وابن عمر[١١]، والحارث بن هشام[١٢]، وعكرمة[١٣]، وقتادة[١].

---

(١) تفسير الثعلبي:٣/١٤٢-١٤٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٨١٧):ص٧/١٩٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٨٠٥)-(٧٨٠٨):ص٧/١٩٥-١٩٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٨٠٩):ص٧/١٩٦-١٩٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٨١١):ص٧/١٩٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٨١٣):ص٧/١٩٧-١٩٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٧٨١٦):ص٧/١٩٨-١٩٩.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي:٣/١٤٥.

(٩) انظر: تفسير الثعلبي:٣/١٤٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٧٨٢١):ص٧/٢٠٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٧٨١٨):ص٧/١٩٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(٧٨٢٠):ص٧/٢٠١.

(١٣) انظر: تفسير الثعلبي:٣/١٤٥.

الثالث: نقل الثعلبي عن عبد الله بن مسعود: "أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوا على المدبرين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان منهم، فنهاه الله عز وجل عن ذلك وتاب عليهم، فأنزل هذه الآية"[٢].

الرابع: ونقل الثعلبي عن عبد الله بن الحسن، قال:" قال حمزة[٣]: اللهم إن لقينا هؤلاء غدا فإني أسألك أن يقتلوني ويبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني، فتقول لي يوم القيامة: فيم فعل بك هذا؟ فأقول:فيك. فلما كان يوم أحد قتل فبقر بطنه وجدعت أذنه وأنفه، فقال رجل سمعه: أما هذا فقد أعطي في نفسه ما سأل في الدنيا، والله يعطيه ما سأل في الآخرة، قالوا: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما بأصحابهم من جدع الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أدالنا الله عليهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤].

الخامس: ونقل الثعلبي عن مقاتل: "نزلت هذه الآية في بئر معونة وهم سبعون رجلا من قراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم المنذر بن عمرو، وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد، ليعلموا الناس القرآن والعلم، فقتلهم جميعا،عامر بن الطفيل، وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فلما قتل رفع بين السماء والأرض، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وحزن عليهم شهرا فنزلت ليس لك من الأمر شيء"[٥].

قال ابن حجر:"الجمهور على أنها نزلت في الدعاء على المشركين"[٦].

٥٠-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)} [آل عمران : ١٣٠]

---

(١)انظر: تفسير الثعلبي:١٤٥/٣.

(٢) تفسير الثعلبي:١٤٥/٣.

(٣)أي قبل حرب أحد.

(٤) تفسير الثعلبي:١٤٦/٣.

(٥) تفسير الثعلبي:١٤٧/٣.

(٦) العجاب: ٧٤٦/٢.

أخرج الطبري عن عطاء:" كانت ثقيف تدَّاين في بني المغيرة في الجاهلية ، فإذا حلّ الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخِّرون ؟ فنزلت : {لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة} "[١]. وروي عن مجاهد نحو ذلك[٢].

٥١-{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)} [آل عمران : ١٣٣]

أخرج الطبري بسنده عن عطاء بن أبى رباح : "أنهم قالوا : يا نبي الله ، بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه :اجدع أذنك، اجدع أنفك، افعل! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين}، إلى قوله :{والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بخير من ذلك " ؟ فقرأ هؤلاء الآيات"[٣].

ونقله الثعلبي عن عطاء"[٤]، وروي عن ابن مسعود نحو ذلك[٥].

٥٢-{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)} [آل عمران : ١٣٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: نقل الثعلبي عن عطاء:" نزلت هذه الآية في نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها: إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فهل لك فيه؟ قالت: نعم، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له: اتق الله، فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية"[٦].

---

(١) تفسير الطبري(٧٨٢٣):ص٢٠٤/٧.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤١٣٨):ص٧٥٩/٣.

(٣) تفسير الطبري(٧٨٤٩):ص٢١٩/٧.

(٤) تفسير الثعلبي:١٤٨/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٨٥٠):ص٢١٩/٧-٢٢٠.

(٦) تفسير الثعلبي:١٦٨/٣. قال ابن حجر:" وهو من رواية موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو كذاب، المشهور في هذه القصة نزول {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} وسيأتي في تفسير هود".[العجاب:٧٥٥/٣-٧٥٦].

الثاني:ونقل الثعلبي أيضا عن مقاتل والكلبي: "آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف، فخرج الثقفي في غزاة واستخلف الأنصاري على أهله، فاشترى لهم اللحم ذات يوم، فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على أثرها فدخلت المرأة بيتا فتبعها فاتقته بيدها، فقبل يدها ثم ندم وانصرف، فقالت له: والله ما حفظت غيبة أخيك ولا نلت حاجتك، فخرج الأنصاري ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه، فلما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله.

فقالت: لا أكثر الله في الاخوان مثله ووصفت له الحال، والأنصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا، وطلبه الثقفي حتى وجده، فأتى به أبا بكر -رضي الله عنه- رجاء أن يجدا راحة عنده فخرجا، وقال الأنصاري: هلكت، قال: وما أهلكك؟ فذكر له القصة، فقال أبو بكر:

ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، ثم لقى عمر -رضي الله عنه- فقال: مثل ذلك، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله تعالى:{والذين إذا فعلوا فاحشة}"[1].

ونقله الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وفي الأخير:" فقال عمر: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخاص هذا به أم للناس عامة؟ قال: «بل للناس عامة في التوبة»"[2].

الثالث: وقال مقاتل:" وذلك أن رجلا خرج غازيا وخلف رجلا في أهله وولده، فعرض له الشيطان في أهله، فهوى المرأة فكان منه ما ندم، فأتى أبا بكر الصديق- رضي الله عنه- فقال:هلكت. قال: وما هلاك. قال: ما من شيء يناله الرجل من المرأة إلا وقد نلته غير الجماع فقال أبو بكر- رضى الله عنه-: ويحك أما علمت أن الله- عز وجل- يغار للغازي ما لا يغار للقاعد، ثم لقي عمر- رضي الله عنه- فأخبره. فقال له مثل مقالة أبي بكر- رضي الله عنه- ثم أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال له، مثل مقالتهما فأنزل الله- عز وجل- فيه {والذين إذا فعلوا فاحشة}"[3].

٥٣-{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)} [آل عمران : ١٣٩]

في سبب نزول الآية ثلاثة وجوه:

---

(١) تفسير الثعلبي:١٦٨/٣.

(٢) انظر: العجاب:٧٥٧/٢.

(٣)تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠١/١-٣٠٢.

أحدها: أخرج الطبري عن الزهري قال : كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتلُ والجراح ، حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأسُ ، فأنزل الله عز وجل القرآن ، فآسَى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قومًا من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية ، فقال : {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنم مؤمنين} إلى قوله: {لبرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم }[1]"[2].

الثاني: أخرج الطبري عن ابن جريج:" : انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشِّعب ، فقالوا : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فنعى بعضهم بعضًا ، وتحدَّثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فكانوا في همّ وحزَن. فبينما هم كذلك ، إذ علا خالد بن الوليد الجبلَ بخيل المشركين فوقهم ، وهم أسفلُ في الشِّعب. فلما رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم فرحوا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم لا قوة لنا إلا بك ، وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر !. قال : وثاب نفرٌ من المسلمين رُماة ، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله ، وعلا المسلمون الجبلَ. فذلك قوله : {وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}"[3].

الثالث: أخرج الطبري عن ابن عباس قال : "أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم لا يعلُون علينا . فأنزل الله عز وجل: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}"[4].

٥٤-{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)} [آل عمران : ١٤٠]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أخرج الطبري عن عكرمة عن ابن عباس قال : "لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصابَ ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل ، فجاء أبو سفيان فقال : يا محمد! يا محمد! ألا تخرج ؟ ألا تخرج ؟ الحربُ سجال : يوم لنا ويوم لكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيبوه ، فقالوا : لا سواء ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار! فقال أبو سفيان : لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم! فقال رَسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم.

---

(١)لآية: (١٥٤)، يعني:نزل خمس عشرة آية.

(٢) تفسير الطبري(٧٨٨٤):ص٧/٢٣٤.

(٣) تفسير الطبري(٧٨٩٠):ص٧/٢٣٥.

(٤) تفسير الطبري(٧٨٩٢):ص٧/٢٣٦.

فقال أبو سفيان : اعْلُ هُبَل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلى وأجل! فقال أبو سفيان : موعدكم وموعدنا بدرٌ الصغرى قال عكرمة : وفيهم أنزلت {وتلك الأيام نداولها بين الناس}"[١]. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة[٢].

الثاني: نقل الثعلبي عن " راشد بن سعد: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وابنها وأبيها مقتولين وهي تلدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهكذا يفعل برسولك؟» «٥» [١٥٤] فأنزل الله تعالى :{إن يمسسكم قرح}"[٣].

الثالث: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقتولان على دابة، أو على بعير، فقالت امرأة من الأنصار: من هذان؟ قالوا: فلان وفلان أخوها وزوجها، أو زوجها وابنها. فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: حي. قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت: {ويتخذ منكم شهداء}"[٤].

٥٥-{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)} [آل عمران : ١٤٢]

سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن المنافقين قالوا للمؤمنين يوم أحد بعد الهزيمة: لم تقتلون أنفسكم، وتهلكون أموالكم، فإن محمدا لو كان نبيا لم يسلط عليه القتل. قال المؤمنون: بلى من قتل منا دخل الجنة. فقال المنافقون: لم تمنون أنفسكم الباطل، فأنزل الله- تعالى- :{أم حسبتم}، معشر المؤمنين {أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله}"[٥]. وأخرج الطبري نحوه عن الضحاك[٦].

٥٦-{وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)} [آل عمران : ١٤٣]

في سبب نزول الآية، أربعة وجوه:

---

(١) تفسير الطبري(٧٩٠٨):ص٧/٢٤٠.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٢٢٥٣):ص٣/٧٧١-٧٧٢.

(٣) تفسير الثعلبي:٣/١٧٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٤٢٣٩):ص٣/٧٧٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٠٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٧٩١٦):ص٧/٢٤٣-٢٤٤.

أحدها: أخرج الطبري عن عكرمة:" إن أناسًا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا ، فسيق إليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد ، فأنزل الله عز وجل : ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، الآية"(١).

الثاني: قال مقاتل:" وذلك حين أخبر الله- عز وجل- عن قتلى بدر وما هم فيه من الخير. قالوا: يا نبي الله أرنا يوما كيوم بدر. فأراهم الله- عز وجل- يوم أحد فانهزموا فعاتبهم الله- عز وجل- فقال- سبحانه-: {ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه}"(٢).

الثالث: قال الحسن:" بلغني أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن ، فابتلوا بذلك ، فلا والله ما كلُّهم صَدق الله ، فأنزل الله عز وجل:{ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون}"(٣).

الرابع: وقيل: سببه أن قوما سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأذن لهم أن يأتوا المشركين في رحالهم ويقاتلوهم، فقال - صلى الله عليه وسلم -:"لم أؤمر بذلك "(٤).

٥٧-**{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)} [آل عمران : ١٤٤]**

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أخرج الطبري عن قتادة::" ذاكم يوم أحُد ، حين أصابهم القَرْح والقتل ، ثم تناعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم تَفِئة ذلك ، فقال أناسٌ : لو كان نبيًّا ما قتل ! وقال أناس من عِلِيْة أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم : قاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به ! فقال الله عز وجل:{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن ماتَ أو قتل انقلبتم على أعقابكم}"(٥).

الثاني: قال الربيع:" وذكر لنا والله أعلم ، أنّ رجلا من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه ، فقال : يا فلان ، أشعرت أنّ محمدًا قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد

---

(١) تفسير الطبري(٧٩٣٤):ص٢٤٩/٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/١.

(٣) أخرجه الطبري(٧٩٣٥):ص٢٤٩/٧-٢٥٠.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني:٨٨٩/٣.

(٥) تفسير الطبري(٧٩٤١):ص٢٥٣/٧.

قتل ، فقد بلّغ ، فقاتلوا عن دينكم. فأنزل الله عز وجل:{ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم} "[١].

الثالث: وقال الضحاك:" نادى منادٍ يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ألا إنّ محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول ! فأنزل الله عز وجل : {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} ، الآية "[٢].

الرابع: وقال مجاهد:" القى في أفواه المسلمين يومَ أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فنزلت هذه الآية : {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} الآية"[٣].

الخامس: قال ابن عباس:" أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة ، والناس يفرُّون ، ورجل قائم على الطريق يسألهم : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم ، فيقولون : والله ما ندري ما فعل ! فقال : والذي نفسي بيده ، لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قُتل ، لنعطينَّهم بأيدينا ، إنهم لعشائرنا وإخواننا ! وقالوا : إن محمدًا إن كان حيًّا لم يهزم ، ولكنه قُتل ! فترخَّصوا في الفرار حينئذ. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} ، الآية كلها"[٤].

السادس: قال ابن جريج:" قال : أهل المرض والارتياب والنفاق ، حين فرّ الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم : قد قتل محمد ، فألحقوا بدينكم الأول ! فنزلت هذه الآية"[٥]

٥٨-{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥)} [آل عمران : ١٤٥]

قال الثعلبي:" نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة"[٦].

٥٩-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩)} [آل عمران : ١٤٩]

في سبب نزول الآية وجهان:

---

(١) أخرجه الطبري(٧٩٤٢):ص٢٥٣/٧.

(٢) أخرجه الطبري(٧٩٤٧):ص٢٥٧/٧.

(٣) أخرجه الطبري(٧٩٤٨):ص٢٥٧/٧.

(٤) أخرجه الطبري(٧٩٤٩):ص٢٥٧/٧.

(٥) أخرجه الطبري(٧٩٥٣):ص٢٥٨/٧.

(٦) تفسير الثعلبي:١٧٩/٣.

أحدهما: قال مقاتل بن سليمان:" وأنزل الله- عز وجل- في قول المنافقين للمؤمنين، عند الهزيمة:ارجعوا إلى إخوانكم فادخلوا فى دينهم. فقال- سبحانه-: {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا}، يعني: المنافقين في الرجوع إلى أبي سفيان، {يردوكم على أعقابكم} كفارا بعد الإيمان {فتنقلبوا خاسرين}"[١]. ونقله الثعلبي والزمخشري وغيرهما عن علي-كرّم الله وجهه[٢]. وأخرج ابن ابي حاتم عن السدي فيما معناه[٣].

الثاني: وروي عن الحسن رضى الله عنه: "إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم، لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين، ويقولون:لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه"[٤].

٦٠-{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١)} [آل عمران : ١٥١]

أخرج الطبري بسنده عن السدي، قال : "لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجِّهين نحو مكة، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق. ثم إنهم ندموا فقالوا : بئس ما صنعتم، إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم! ارجعوا فاستأصلوهم! فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب، فانهزموا. فلقوا أعرابيًّا، فجعلوا له جُعْلا وقالوا له : إن لقيت محمدًا فأخبره بما قد جمعنا لهم. فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، فأنزل الله عز وجل في ذلك، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وما قُذف في قلبه من الرعب فقال: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا}"[٥]. وذكر مقاتل نحوه[٦].

٦١-{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)} [آل عمران : ١٥٢]

في سبب نزول الآية عدة أقوال:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٦/١.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي:١٨٣/٣، والكشاف:٤٢٥/١.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٣٠٨):ص٧٨٤/٣.

(٤) الكشاف:٤٢٥/١.

(٥) تفسير الطبري(٨٠٠٣):ص٢٨٠/٧.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٦/١.

أحدها: أخرج الطبري عن الربيع:" قوله:{ولقد صدقكم الله وعده}، وذلك يوم أحد، قال لهم : إنكم ستظهرون، فلا أعرِفنَّ ما أصبتم من غنائمهم شيئًا، حتى تفرُغوا ! فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم، وعصوا، ووقعوا في الغنائم، ونسوا عَهْده الذي عَهده إليهم، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به"(١).

الثاني: أخرج الطبري عن ابن عباس : "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسًا من الناس - يعني : يوم أحُد - فكانوا من ورائهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا هاهنا، فردّوا وجه من فرَّ منا، وكونوا حرسًا لنا من قِبل ظهورنا . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه، قال الذين كانوا جُعلوا من ورائهم، بعضهم لبعض، لما رأوا النساء مُصْعِدات في الجبل ورأوا الغنائم، قالوا: انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوا الغنيمة قبل أن تسبقوا إليها ! وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا ! فذلك قوله : {منكم من يريد الدنيا}، للذين أرادوا الغنيمة {ومنكم من يريد الآخرة}، للذين قالوا:نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا . فأتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول : {وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون}، كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة"(٢).

الثالث: أخرج الطبري عبيد بن سليمان قال:" سمعت الضحاك يقول في قوله : {منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة}، فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين، فقال : كونوا مَسْلحة للناس، بمنزلةٍ أمرَهم أن يثبتوا بها، وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم. فلما لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين، هزمهم نبي الله صلى الله عليه وسلم! فلما رأى المسلحةُ أن الله عز وجل هزم المشركين، انطلق بعضهم وهم يتنادون : الغنيمة! الغنيمة! لا تفتكم ! وثبت بعضهم مكانهم، وقالوا : لا نَريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم!. ففي ذلك نزل : {منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة}، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضَها، حتى كان يوم أحد"(٣). وري عن ابن عباس نحو ذلك(٤).

---

(١) تفسير الطبري(٨٠١١):ص٧/٢٨٦.

(٢) تفسير الطبري(٨٠٢٤):ص٧/٢٩٠-٢٩١..

(٣) تفسير الطبري(٨٠٣٢):ص٧/٢٩٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٨٠٣٣):ص٧/٢٩٥.

الرابع: أخرج ابن المنذر بسنده عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، في قوله عز وجل: {حتى إذا فشلتم} قال: " وكان وضع خمسين رجلا من أصحابه، عليهم عبد الله، فجعلهم بإزاء خالد بن الوليد على جبل المشركين فلما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، قال نصف أولئك: نذهب حتى نلحق بالناس، ولا يفوتنا بالغنائم وقال بعضهم: قد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نريم حتى يحدث إلينا، قال: فلما رأى خالد بن الوليد رقتهم حمل عليهم، فقاتلوا حتى ماتوا، فأنزل الله جل وعز فيهم: {ولقد صدقكم الله وعده}، إلى قوله: {وعصيتم}، فجعل أولئك الذين انصرفوا عصاة"[1].

الخامس: نقل الواحدي عن محمد بن كعب القرظي: "لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أحد، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: {ولقد صدقكم الله وعده} الآية إلى قوله: {منكم من يريد الدنيا} يعني الرماة الذين فعلوا ما فعلوا يوم أحد"[2].

السادس: أخرج الطبري عن الحسن:" في قوله: {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ}، قال : صرف القوم عنهم، فقتل من المسلمين بعدَّة من أسروا يوم بدر، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وشُجّ في وجهه، وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فنزلت : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [سورة آل عمران : ١٢٨]، الآية. فقالوا : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر ؟ فأنزل الله عز وجل : {ولقد صدقكم الله وعده} إلى قوله :{ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم}"[3].

٦٢-{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)} [آل عمران : ١٥٣]

في سبب نزول الآية وجهان:

(١) تفسير ابن المنذر(١٠٥٦):ص٢/٤٤٣-٤٤٤.

(٢) أسباب النزول:١٢٦.

(٣)أخرجه الطبري(٨٠٤١):ص٧/٢٩٧.

أحدهما: أخرج ابن المنذر عن عطية العوفي، قال: " لما كان يوم أحد وانهزم الناس صعدوا في الجبل، والرسول يدعوهم في أخراهم، فقال الله عز وجل: {إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم} "[١].

الثاني: وقال مقاتل بن سليمان:" وذلك أنهم كانوا يذكرون فيما بينهم بعد الهزيمة ما فاتهم من الفتح والغنيمة، وما أصابهم بعد ذلك من المشركين، وقتل إخوانهم فهذا الغم الأول والغم الآخر إشراف خالد بن الوليد عليهم من الشعب في الخيل، فلما أن عاينوه ذعرهم ذلك وأنساهم ما كانوا فيه من الغم الأول والحزن، فذلك قوله- سبحانه-: {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم}، من الفتح والغنيمة، {ولا ما أصابكم}، من القتل والهزيمة {والله خبير بما تعملون} "[٢].

٦٣-{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور (١٥٤)} [آل عمران : ١٥٤]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال مقاتل:" نزلت في سبعة نفر، فى أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والحارث بن الصمة، وسهل بن ضيف ورجلين من الأنصار- رضى الله عنهم-"[٣].

قال ابن حجر:" ثبت في الصحيح ذكر أبي طلحة فيمن غشيه النعاس وهو أنصاري"[٤].

الثاني: أخرج الطبري عن الزبير قال: "والله إنّي لأسمع قول معتّب بن قشير[٥] [١]، أخي بني عمرو بن عوف، والنعاسُ يغشاني، ما أسمعه إلا كالحلم حين قال : لوْ كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا!"[٢].

---

(١) تفسير ابن المنذر(١٠٦٨):ص٤٤٨/٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٧/١.

(٣)تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٧/١.

(٤) العجاب:٧٧١/٢، وانظر :صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، الفتح:٧/ ٣٦٥، وكتاب التفسير ،الفتح :٨/ ٢٢٨.

(٥)معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة. وليس له عقب. وشهد بدرا وأحدا وكذلك قال محمد بن إسحاق.[الطبقات الكبري:٣٥٣/٣].

ونقله الواقدي عن الزبير وفي الأخير:" فأنزل الله تعالى فيه: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا}"[٣].

الثالث: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال:" متعب الذي قال يوم أحد: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا}، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: {وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله} إلى آخر القصة"[٤].

الرابع: وقال الربيع: "فقالوا: لو كنا على شيء من الأمر ما قتلنا هاهنا، ولو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتل، قال الله تعالى: {لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم}"[٥].

٦٤-{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)} [آل عمران : ١٥٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري عن عكرمة:" نزلت في رافع بن المعلَّى وغيره من الأنصار، وأبي حُذيفة بن عتبة ورجل آخر"[٦].

الثاني: وروي عن عكرمة أيضا:"جاءت فاختة بنت غزوان امرأة عثمان بن عفان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي يغسلان السلاح من الدماء، فقالت: ما فعل ابن عفان؟ أما والله لا تجدونه ألأم القوم. فقال لها علي: ألا إن عثمان فضح الذمار[٧] اليوم. فقال: له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه، وكان ممن ولى دبره يومئذ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان[٨] -إخوان

---

(١) إن لفظ الآية يفيد أنهم طائفة، فلعل معتب بن قشير هو أول من قال هذا فتابعه آخرون.

(٢) تفسير الطبري(٨٠٩٤):ص٣٢٣/٧.

(٣) مغازي الواقدي:٢٩٦/١.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٤٣٦٦):ص٧٩٤/٣.

(٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٣٧٥):ص٧٩٥/٣

(٦) تفسير الطبري(٨١٠٢):ص٣٢٩/٧.

(٧)الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.[انظر: القاموس:٥٠٨].

(٨) وفي رواية ابن اسحاق:" فرّ عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان - رجلان من الأنصار - حتى بلغوا الجلْعَب جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص - فأقاموا به ثلاثًا ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة!!".[أخرجه الطبري(٨١٠٣):ص٣٢٩/٧].

من الأنصار من بني زريق- حتى بلغوا الجلعب[١]، فرجعوا بعد، فقالت: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد ذهبتم بها عريضة" [٢]، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}"[٣].

الثالث: وأخرج الطبري عن عاصم بن كليب، عن أبيه قال : "خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها، فلما انتهى إلى قوله : {إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان}، قال : لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررتُ حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أرْوَى، والناس يقولون : قُتل محمد ! فقلت : لا أجد أحدًا يقول : قتل محمد ، إلا قتلته!. حتى اجتمعنا على الجبل، فنزلت : {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان}، الآية كلها"[٤].

الرابع: قال قتادة:" قوله : {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان}، الآية، وذلك يوم أحد، ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبيّ الله يومئذ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون : أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم"[٥].

وري عن الربيع نحو ذلك[٦].

الخامس: وقال السدي:" لما انهزموا يومئذ، تفرّق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان }، الآية"[٧]

٦٥-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)} [آل عمران : ١٥٦]

---

(١)جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص.[انظر :معجم البلدان لياقوت:٢/ ١٥٤].

(٢)قوله : لقد ذهبتم فيها عريضة ، أي واسعة. والضمير في قوله : فيها إلى الأرض ، يقول : لقد اتسعت منادح الأرض في وجوهكم حين فررتم ، فأبعدتم المذهب ، يتعجب من فعلهم.

(٣) العجاب:٢/٧٧٢-٧٧٣. وأخرجه الطبري(٨١٠٣):ص٧/٣٢٩. باختصار، وكذلك ابن المنذر في تفسيره(١٠٩٥):ص٢/٧٧٣-٧٧٤.

(٤) تفسير الطبري(٨٠٩٨):ص٧/٣٢٧.

(٥) تفسير الطبري(٨٠٩٩):ص٧/٣٢٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٨١٠٠):ص٧/٣٢٨.

(٧) أخرجه الطبري(٨١٠١):ص٧/٣٢٨-٣٢٩.

أخرج الطبري بسنده عن السدي، قال:" هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبيّ"[١]. وروي عن مجاهد نحوه[٢].

٦٦-{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)} [آل عمران : ١٥٩]

قال مقاتل:"{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، وذلك أن العرب في الجاهلية كان إذا أراد سيدهم أن يقطع أمرا دونهم ولم يشاورهم شق ذلك عليهم. فأمر الله- عز وجل- النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يشاورهم في الأمر إذا أراد فإن ذلك أعطف لقلوبهم عليه، وأذهب لضغائنهم"[٣].

٦٧-{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)} [آل عمران : ١٦١]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج عبد بن حميد والترمذي[٤] والطبري[٥] وأبو يعلى[٦] وابن أبي حاتم[٧] والطبراني[٨]، وأبو داود[٩]، والواحدي[١٠]، وابن عدي[١١]، من طريق خصيف عن مقسم: "حدثني ابن عباس إن هذه الآية نزلت: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: أخذها

---

(١) أخرجه الطبري(٨١٠٧):ص٣٣١/٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٨١٠٨):ص٣٣١/٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٠/١.

(٤)في "جامعه"، كتاب "التفسير" "٥/ ٢١٤" من طريق عبد الواحد بن زياد.

(٥) انظر: تفسيره(٨١٣٦):ص٣٤٨/٧.

(٦) انظر: مسنده(٢٦٥١):ص٦٠/٥، وورو٤٤٢٩):ص٨٠٣/٣.اه في (٢٤٣٨):ص٣٢٧/٤، عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس.

(٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم(

(٨) انظر: المعجم الكبير:٣٦٤/١١.

(٩) انظر: السنن، كتاب الحروف والقراءات:٣١/٤.

(١٠) انظر: أسباب النزول:١٢٦.

(١١) انظر: الكامل في ترجمة خصيف:٩٤٢/٣، وأعله به قال المناوي في "الفتح السماوي" "١/ ٤١٤": "فالحديث ضعيف ووهم من حسنه كالجلال السيوطي "في حاشيته على البيضاوي" اغترارا بتحسين الترمذي له".

محمد وأكثروا في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}"[١].

الثاني:قال مقاتل:" نزلت في الذين طلبوا الغنيمة يوم أحد، وتركوا المركز، وقالوا: إنا نخشى أن يقول النبي- صلى الله عليه وسلم- من أخذ شيئا فهو له ونحن هاهنا وقوف، فلما رآهم النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا من المركز حتى يأتيكم أمري». قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفا، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: «ظننتم أنا نغل»، فنزلت: {وما كان لنبي أن يغل}"[٢]. وكذا نقله الواحدي عن مقاتل والكلبي[٣].

الثالث: أخرج الطبري والواحدي[٤] بسندهما عن الضحاك قال : "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع، فغنم النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقسم للطلائع، فأنزل الله عز وجل : {وما كان لنبيّ أن يغل}"[٥].

الرابع: نقل الواحدي عن ابن عباس في رواية الضحاك: "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حنين غله رجل بمخيط، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٦].

قال ابن حجر:" وهذا من تخليط جويبر، فإن هذه الآية نزلت في يوم أحد اتفاقا"[٧].

الخامس: ونقل الواحدي أيضا عن قتادة:" نزلت وقد غل طوائف من أصحابه"[٨].

السادس: ونقل الواحدي أيضا عن ابن عباس: "أن أشراف الناس استدعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخصصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية"[٩].

٦٥-{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)} [آل عمران : ١٦٥]

---

(١) العجاب:٢/٧٧٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣١٠.

(٣) انظر: أسباب النزول:١٢٧.

(٤) انظر: أسباب النزول:١٢٧.

(٥) تفسير الطبري(٨١٤٥):ص٧/٣٥١.

(٦)أسباب النزول:١٢٧.

(٧) العجاب:٢/٧٧٩.

(٨)أسباب النزول:١٢٧.

(٩)أسباب النزول:١٢٧.

أخرج الإمام أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة[١] في مسنديهما عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: " فلما كان يوم أحدٍ من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} الآية بأخذكم الفداء "[٢].

وفي المعنى نفسه أخرج الطبري بسنده عن عبيدة السلماني عن علي قال : "جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد، إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيّرهم بين أمرين : أن يقدَّموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم عدتهم. قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم، فقالوا : يا رسول الله، عشائرنا وإخواننا!! لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا، ويستشهد منا عِدَّتهم، فليس في ذلك ما نكره! قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر"[٣].

٦٦-{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)} [آل عمران : ١٦٧]

أخرج الطبري عن عكرمة، قوله:"{ قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم}، قال : نزلت في عبدالله بن أبيّ ابن سلول"[٤].

قال ابن حجر:" اتفقوا على أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأتباعه الذين رجعوا قبل القتال"[٥].

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٣٦٦٨٤):ص٣٥٧/٧.

(٢) مسند الإمام أحمد(٢٠٨):ص٢٥٤/١. و انظر "صحيح مسلم"، كتاب "الجهاد والسير"، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم "٣/ ١٣٨٣-١٣٨٤" "١٧٦٣" وأخرج الترمذي بعضه في كتاب "التفسير" "٥/ ٢٥١-٢٥٢" وقال: "حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه من حديث عمر إلا من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل، وأبو زميل اسمه سماك الحنفي ... ".

(٣) تفسير الطبري(٨١٩١):ص٣٧٦/٧. والحديث أصله عند الترمذي، في "جامعه"، كتاب "السير"، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء "٤/ ١١٤" "١٥٦٧"، والنسائي في "السير" في "الكبرى"، كما في "التحفة" "٧/ ٤٣٠-٤٣١"

(٤) تفسير الطبري(٨١٩٦):ص٣٨٠/٧.

(٥) العجاب:٧٨٣/٢.

٦٧-**{الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)} [آل عمران : ١٦٨]**

أخرج الطبري عن قتادة، "قوله: {الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا} الآية، ذكر لنا أنها نزلت في عدوّ الله عبدالله بن أبيّ"[١]. وروي جابر بن عبدالله[٢]، والسدي[٣]، وابن جريج[٤]، والربيع[٥]، نحو ذلك.

٦٨- **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)} [آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠]**

في سبب نزول الآيتين، أقوال:

أحدها: أخرج الطبري، وأحمد[٦]، وأبو داود[٧]، والبيهقي[٨]، وأبو يعلى[٩]، والحاكم[١٠]،والطبراني[١١]، الواحدي[١٢]، عن ابن عباس قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترِدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحُسن مَقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا! لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب!

---

(١) تفسير الطبري(٨٢٠٠):ص٣٨٣/٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٨٢٠٢):ص٣٨٣/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٨٢٠١):ص٣٨٣/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٨٢٠٢):ص٣٨٣/٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٨٢٠٣):ص٣٨٣/٧.

(٦) انظر: المسند:٢٣٨٨.

(٧) انظر: السنن:٢٥٢٠.

(٨) انظر: السنن الكبرى:١٦٣/٩.

(٩) انظر: مسند أبي يعلى:٢١٩/٤.

(١٠) انظر: المستدرك:٢٩٧/٢-٢٩٨.

(١١) انظر: المجمع للهيثمي:٣٢٨/٦-٣٢٩. عن سعيد بن جبير.

(١٢) انظر: أسباب النزول:١٢٨-١٢٩.

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم». فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات"[١].

وأخرج الطبري عن محمد بن قيس بن مخرمة قال : "قالوا : يا رب، ألا رسول لنا يخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم، فأمر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ، الآيتين"[٢].

وأصل الحديث أخرجه مسلم وغيره[٣]، عن مسروق، قال: "سألنا عبد الله عن هذه الآية: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: " هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا "[٤].

الثاني: أخرج الترمذي[٥]، وابن ماجه[٦]، وابن حبان[٧]، والحاكم[٨]،والواحدي[١]، والبيهقي[٢]، من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري، قال: "سمعت طلحة بن حراش يقول: سمعت جابر بن

---

(١) تفسير الطبري(٨٢٠٥):ص٧/٣٨٤-٣٨٥.

(٢) تفسير الطبري(٨٢١٧):ص٧/٣٩٠.

(٣)كالترمذي في "جامعه"، كتاب "التفسير" "٥/ ٢١٥-٢١٦" وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وابن ماجه في "الجهاد"، باب فضل الشهادة في سبيل الله "٢/ ٩٣٦"، وانظر: تفسير الطبري(٨٢١٨):ص٧/٣٩٠، و(٨٢٢٥):ص٧/٣٩٣-٣٩٤.

(٤) صحيح مسلم(١٨٨٧):ص٣/١٥٠٢.

(٥)في "جامعه"، كتاب "التفسير" "٥/ ٢١٤-٢١٥" "٣٠١٠".

(٦)في "سننه"، كتاب "الجهاد"، باب فضل الشهادة في سبيل الله "٢/ ٢٣٦" "٢٨٠٠".

(٧)انظر "الإحسان"، كتاب "أخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة"، ذكر البيان بأن الله جل وعلا كلم عبد الله بن عمرو بن حرام بعد أن أحياه كفاحًا "١٥/ ٤٩٠-٤٩١" وعلق عليه محققه الأستاذ شعيب الأرنؤوط بقوله: "إسناده جيد".

(٨)في "مستدركه"، كتاب "معرفة الصحابة"، ذكر مناقب عبد الله بن عمرو "٣/ ٢٠٣-٢٠٤".

وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وسكت الذهبي ووقع في كلام الأستاذين حسين أسد وشعيب الأرنؤوط أن الذهبي وافقه، ولم نجد في هذه الموافقة.

عبد الله يقول: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما لي أراك منكسرا؟»قلت: يا رسول الله توفي أبي، استشهد بأحد، وترك علي دينا وعيالا! قال: «أفلا يسرك بما لقي الله به أباك؟» قال: بلى يا رسول الله قال: «يا عبدي تمن علي قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون»، قال: فأنزلت هذه الآية"[٣].

ورواية ابن عقيل عن أحمد[٤]، وأبي يعلى[٥]، والطبري[٦]، والحميدي[٧]،ولفظه: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعلمت أن الله أحيا أباك فقال: ما تحب يا عبد الله؟ قال يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى»"[٨].

الثالث: أخرج الطبري عن قتادة، قال:" ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا يوم أحد! فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن : {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون}، كنا نحدَّث أن أرواح الشهداء تَعارَف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة، وأنّ مساكنهم السِّدرة"[٩].

الرابع: وأخرج الطبري الربيع:" ذكر لنا عن بعضهم في قوله: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء}، قال : هم قتلى بدر وأحد"[١٠].

الخامس: وأخرج الطبري وغيره[١١]، عن إسحاق بن أبي طلحة قال:" حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة،

---

(١) أسباب النزول:١٢٩.

(٢) في مسنده:٣٧١/٢-٣٧٢. مختصرا.

(٣) العجاب:٧٨٦/٢.

(٤) انظر: المسند:٣٦١/٣. مختصرا.

(٥)انظر: المسند:٦/٤، وقال المحقق: "إسناده حسن".

(٦) انظر: تفسيره(٨٢١٤):ص٣٨٨/٧-٣٨٩. وقال مخرجه: إسناده ضعيف قال: وقد ورد معناه عن جابر بإسناد آخر صحيح ثم أورد رواية أحمد المشار إليها.

(٧) انظر: مسنده(١٢٦٥):ص٥٣٢/٢.

(٨) العجاب:٧٨٦/٢-٧٨٧.

(٩)تفسير الطبري(٨٢١٥):ص٣٨٩/٧-٣٩٠.

(١٠) تفسير الطبري(٨٢١٦):ص٣٩٠/٧.

(١١) كابن إسحاق فؤي المغازي، انظر: سيرة ابن هشام:١٨٣/٢-١٨٩، وذكره الواحدي:ص:١٣٠، وعزاه إلى جماعة من أهل التفسير وقال: "قصتهم مشهورة ذكرها ابن إسحاق في "المغازي".

قال : لا أدري أربعين أو سبعين. قال : وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء قعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلّغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أُراه أبو ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج حتى أتى حيًّا منهم، فاحتبى أمام البيوت ثم قال : يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله. فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال : الله أكبر، فزتُ ورب الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل قال : قال إسحاق : حدثني أنس بن مالك : إنّ الله تعالى أنزل فيهم قرآنًا، رُفع بعد ما قرأناه زمانًا، وأنزل الله : {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون}"[1].

السادس: ونقل الواحدي والثعلبي[2] عن بعضهم:" إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا: نحن في نعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى هذه الآية تنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم"[3].

٦٩-{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)} [آل عمران : ١٧٢]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أن إن هذا السياق نزل في شأن غزوة "حَمْراء الأسد"، وهو الصحيح.

أخرج الطبري عن ابن عباس قال : "إن الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب - يعني يوم أحد - بعد ما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرّفًا، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب ! وكانت وقعة أحد في شوال، وكان

(١)تفسير الطبري(٨٢٢٤):ص٧/٣٩٢-٣٩٣. وأصله عند مسلم في صحيحه، كتاب "الإمارة"، باب ثبوت الجنة للشهيد "٣/ ١٥١١" وحديثه هذا لم يروه غيره كما في "تحفة الأشراف" "١/ ١٢٦"، و انظر "صحيح البخاري"، كتاب "المغازي" باب غزوة الرجيع ... "الفتح" "٧/ ٣٨٥-٣٨٦" و"صحيح مسلم"، كتاب "المساجد ومواضع الصلاة" باب استحباب القنوت في جميع الصلاة "١/ ٤٦٨".[من غير ذكر هذه الآية: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ... } في المواضع الثلاثة].

(٢) انظر: تفسير الثعلبي:٣/٢٠٣.

(٣) أسباب النزول:١٣٠.

التجار يقدَمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، واشتد عليهم الذي أصابهم. وإنّ رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه، ويتَّبعوا ما كانوا متَّبعين، وقال : إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج، ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل، فجاء الشيطان فخوَّف أولياءه، فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ! فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال : إني ذاهبٌ وإن لم يتبعني أحد ، لأحضِّضَ الناس، فانتدب معه أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح، في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله تعالى : {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ}"[1].

وفي المعنى نفسه أخرج عن السدي : "انطلق أبو سفيان منصرفًا من أحد، حتى بلغ بعض الطريق، ثم إنهم ندموا وقالوا : بئسما صنعتم!إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم! ارجعوا واستأصلوهم. فقذف الله في قلوبهم الرعب، فهزموا، فأخبر الله رسوله، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، ثم رجعوا من حمراء الأسد، فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح}"[2].

وعن ابن جريج قال : "أخبرتُ أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد، قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم : إنهم عامدون إلى المدينة! فقال : إن ركبوا الخيل وتركوا الأثقال، فإنهم عامدون إلى المدينة، وإن جلسوا على الأثقال وتركوا الخيل، فقد رَعَبهم الله، وليسوا بعامديها . فركبوا الأثقال، فرعبهم الله. ثم ندب ناسًا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة، فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثًا، فنزلت : {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح} "[3].

وروي البخاري من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة-رضي الله عنها- في قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} [آل عمران : ١٧٢]، قالت لعروة:" يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

(١) تفسير الطبري(٨٢٣٨):ص٧/٤٠١-٤٠٢. وانظر: سيرة ابن هشام: ١٠٢/٢.

(٢) تفسير الطبري(٨٢٣٧):ص٧/٤٠١.

(٣) تفسير الطبري(٨٢٤٠):ص٧/٤٠٣.

أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم» فانتدب[١] منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير"[٢].

الثاني: نقل الفخر قال أبو بكر الأصم : "نزلت هذه الآية في يوم أحد لما رجع الناس إليه صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم، وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنها بعد أن مثلوا بحمزة، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا، وصلى عليهم صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم، وذكروا أن صفية جاءت لتنظر إلى أخيها حمزة فقال عليه الصلاة والسلام للزبير : ردها لئلا تجزع من مثلة أخيها، فقالت : قد بلغني ما فعل به، وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى، فقال للزبير : فدعها تنظر إليه، فقالت خيرا واستغفرت له . وجاءت امرأة قد قتل زوجها وأبوها وأخوها وابنها فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت : إن كل مصيبة بعدك هدر"[٣].

الثالث: أنها نزلت في بَدْر الموعد، إذ نقل الثعلبي عن مجاهد وعكرمة: "نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان قال يوم أحد حين أراد أن ينصرف: يا محمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذلك بيننا وبينك إن شاء الله» فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية من الظهران، ثم ألقى الله عز وجل الرعب في قلبه قبل الرجوع، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان: يا نعيم إني واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وإن هذه عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا، فيزيدهم ذلك جرأة، ولأن يكون الخلف من جهتهم أحب إلي من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل أضعها لك على يدي سهيل بن عمرو يضمنها، قال: فجاء سهيل فقال له نعيم: يا أبا يزيد أتضمن لي هذه الفرائض فانطلق إلى محمد واثبطه. قال: نعم، فخرج نعيم حتى قدم المدينة

---

(١)أي: تكفل بالمطلوب.

(٢) صحيح البخاري(٤٠٧٧):ص١٠٢/٥، وأورده ابن كثير "٢/ ١٦٦" وقال: "هكذا رواه البخاري منفردا بهذا السياق". والحديث مختصرا في صحيح مسلم:١٢٩/٧، كتاب "فضائل الصحابة"، باب من فضائل طلحة والزبير، ورواه وابن ماجة:١٢٤، والحاكم في المستدرك: كتاب "التفسير" "٢/ ٢٩٨" وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. وفيه "إنها قالت لعبد الله بن الزبير" والرواية في البخاري ومسلم أن القول لعروة. والحميدي في المسند(٢٦٣):ص١٢٨/١.

(٣) مفاتيح الغيب:٤٣٢/٩.

فوجد الناس يتجهزون بميعاد أبو سفيان، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبو سفيان بموسم بدر الصغرى أن نقتتل بها. قال: بئس الرأي رأيتم، أتوكم في دياركم وقراكم فلم يفلت منكم إلا شريد، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله لا يفلت منكم أحد. فكره أصحاب رسول الله الخروج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي»، فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى، فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون: قد جمعوا لكم. يريدون أن يرعبوا المسلمين، فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى لقوا بدر. وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام. فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان، وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة، فسماهم أهل مكة جيش السويق وقالوا: إنما خرجتم تشربون السويق، فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ببدر، ووافوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوها وأصابوا الدرهم والدرهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين. فذلك قوله تعالى:{الذين استجابوا لله والرسول}"[1].

والصحيح الأول، إذ أن سبب نزول الآية الكريمة ثناء الله سبحانه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجابوه لما دعاهم إليه للحاق المشركين، على الرغم مما فيهم من الجراح والآلام التي أصابتهم يوم أُحد؛ إظهاراً للجَلَد والقوة، وإرهاباً لأعداء الله.

٧٠-{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)} [آل عمران : ١٧٣]

في سبب نزول قولان:

أحدها: أخرج الطبري عن ابن عباس قال : استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عِيرًا واردةَ المدينة ببضاعة لهم، وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حِبال، فقال : إنّ لكم عليَّ رضاكم إن أنتم رددتم عني محمدًا ومن معه، إن أنتم وجدتموه في طلبي، وأخبرتموه أنّي قد جمعت له جموعًا كثيرة. فاستقبلت العيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: يا محمد إنا نخبرك أنّ أبا سفيان قد جمع لك جموعًا كثيرة، وأنه مقبل إلى المدينة، وإن شئت أن ترجع فافعل! فلم يزده ذلك ومن معه

(١) تفسير الثعلبي:٣/٢٠٩-٢١٠.،وانظر: تفسير ابن كثير:١٦٩/٢، تفسير السمرقندي:٢٦٦/١، وانظر: تفسير السمعاني:٣٨٠/١.

إلا يقينًا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأنزل الله تبارك وتعالى : {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم}، الآية"[١]، وروي عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[٢]، والسدي"[٣]، وقتادة[٤]، نحو ذلك.

الثاني: أخرج الطبري عن عكرمة قال : "كانت بدر متجرًا في الجاهلية، فخرج ناس من المسلمين يريدونه، ولقيهم ناسٌ من المشركين فقالوا لهم : إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ! فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل ! فأتوهم فلم يلقوا أحدًا، فأنزل الله عز وجل فيهم : {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم}"[٥]. وروي عن مجاهد[٦]، وابن جريج[٧] نحو ذلك.

والصواب –والله أعلم- هو القول الأول، يعني:أن "الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش، مُنْصَرَفهم عن أحد إلى حمراء الأسد، لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم : حسبنا الله ونعم الوكيل ، لما قيل لهم : إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله : الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد، وأما الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى، فإنه لم يكن فيهم جريح إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمُه. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها، لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها، بعد سنة من غزوة أحد، في شعبان سنة أربع من الهجرة. وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع، ولم يكن للنبيّ صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت

---

(١) أخرجه الطبري(٨٢٤٦):ص٧/٤١٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٨٢٤٣):ص٧/٤٠٦-٤٠٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٨٢٤٥):ص٧/٤٠٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٨٢٤٧):ص٧/٤١٠.

(٥) تفسير الطبري(٨٢٥٠):ص٧/٤١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٨٢٤٨):ص٧/٤١١.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٨٢٤٩):ص٧/٤١١.

بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه، ولكن قد كان قتل في وقعة الرَّجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى. وكانت وقعة الرَّجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا الصغرى"[١].

٧١- **{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)} [آل عمران : ١٧٤ - ١٧٥]**

سبب النزول:

قال عكرمة:" ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر الصغرى، وبهم الكلوم، خرجوا لموعد أبي سفيان فمر بهم أعرابي، ثم مر بأبي سفيان وأصحابه وهو يقول:

ونفرت ناقتي محمد من رفقتي ... وعجوة منثورة كالعنجد.

فتلقاه أبو سفيان فقال: ويلك، ما تقول؟ فقال: محمد وأصحابه تركتهم ببدر الصغرى، فقال أبو سفيان: يقولون ويصدقون، ونقول ولا نصدق، وأصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الأعراب وانقلبوا، قال عكرمة: ففيهم أنزلت هذه الآية: {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح}، إلى قوله: {فانقلبوا بنعمة من الله وفضل}، الآية"[٢].

وفي السياق نفسه قال الواقدي:" وفي قوله: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا}، إلى قوله: {واتبعوا رضوان الله}، فإن أبا سفيان بن حرب وعد النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بدر الموعد الصفراء، على رأس الحول، فقيل لأبي سفيان: ألا توافي النبي؟ فبعث نعيم بن مسعود الأشجعي إلى المدينة يثبط المسلمين، وجعل له عشرا من الإبل إن هو ردهم، ويقول إنهم قد جمعوا جموعا وقد جاءوكم في داركم، لا تخرجوا إليهم. حتى كاد ذلك يثبطهم أو بعضهم، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: والذي نفسي بيده، لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي، فأنهجت[٣] لهم بصائرهم، فخرجوا بتجارات وكان بدر موسما، {فانقلبوا بنعمة من الله

(١) تفسير الطبري:٧/٤١٢-٤١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٥١١):ص٣/٨١٦.

(٣)نهج الأمر وأنهج، إذا وضح. [النهاية:٤/ ١٨٥] .

وفضل} في التجارة، يقول: اربحوا، {لم يمسسهم سوء} لم يلقوا قتالا، وأقاموا ثمانية أيام ثم انصرفوا"[١].

٧٢-{وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦)} [آل عمران : ١٧٦]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الكلبي: "يعني به المنافقين ورؤساء اليهود، كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب فنزل: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر"[٢].

الثاني: ويقال: "إن أهل الكتاب لما لم يؤمنوا، شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الناس ينظرون إليهم ويقولون: إنهم أهل الكتاب، فلو كان قوله حقا لا تبعوه. فنزلت هذه الآية"[٣].

الثالث: ويقال: "نزلت في مشركي قريش، لأنهم كانوا أقرباءه، والناس يقولون: لو كان قوله حقا لا تبعه أقرباؤه، فشق ذلك عليه فنزلت: {ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر}"[٤].

٧٣-{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)} [آل عمران : ١٧٨]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الثعلبي:" نزلت هذه الآية في مشركي قريش[٥].

الثاني: ونقل الثعلبي عن مقاتل: "قال عطاء: في قريظة والنضير"[٦].

٧٤-{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)} [آل عمران : ١٧٩]

في سبب نزول الآية أقوال:

---

(١) مغازي الواقدي:٣٢٧/١.

(٢) تفسير السمرقندي:٢٦٦/١.

(٣) تفسير السمرقندي:٢٦٦/١.

(٤) تفسير السمرقندي:٢٦٦/١.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي:٢١٦/٣.

(٦)تفسير الثعلبي:٢١٦/٣.

أحدها: نقل الواحدي والثعلبي[١] عن السدي: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "عرضت علي أمتي في صورها كما عرضت على آدم، وأعلمت من يؤمن لي ومن يكفر"، فبلغ ذلك المنافقين فاستهزأوا وقالوا: يزعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولا يعرفنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢]. ونقله ابن حجر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٣].

وفي السياق نفسه قال مقاتل:" وذلك أن الكفار قالوا: إن كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن منا، ومن يكفر. فأنزل الله- عز وجل-: {وما كان الله ليطلعكم على الغيب}"[٤].

الثاني: نقل الواحدي والثعلبي[٥] عن الكلبي: "قالت قريش: تزعم يا محمد أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهو من أهل الجنة والله عنه راض، فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٦].

الثالث: نقل الواحدي والثعلبي[٧] عن أبي العالية:" سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرق بها بين المؤمن والمنافق، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٨].

٧٥-{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)} [آل عمران : ١٨٠]

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي:٢١٧/٣. وفيه زيادة:" فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال القوم حملوني وطعنوا في حلمي، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم».

فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال: يا رسول الله من أبي؟ فقال: «حذافة» ، فقام عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فهل أنتم منتهون ... ، فهل أنتم منتهون؟» ثم نزل عن المنبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية". وانظر: مصنف بن أبي شيبة: ٨/ ٦٩٨.

(٢) أسباب النزول:١٣٢.

(٣) انظر: العجاب:٧٩٩/٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/١.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي:٢١٧/٣.

(٦) أسباب النزول:١٣٢.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي:٢١٨/٣.

(٨) أسباب النزول:١٣٢.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[١] عن السدي: {ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم}، هم الذين آتاهم الله من فضله، فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله، ولم يؤدُّوا زكاتها"[٢]. وروي عن الحسن نحو ذلك[٣]. واختاره الطبري[٤].

الثاني: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[٥]، عن ابن عباس:" قوله : {ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله إلى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة}، يعني: بذلك أهل الكتاب، أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس"[٦].

وذكره الثعلبي عنه بلفظ:" أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم الذي أتاهم الله"[٧].

وروي عن مجاهد:" هم يهود، إلى قوله : {وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} [سورة آل عمران : ١٨٤]"[٨].

واختاره الزجاج فقال:" هذا يعني به علماء إليهود الذين بخلوا بما آتاهم الله من علم نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومشاقته وعداوته"[٩].

الثالث: وقيل: فيمن يبخل بالنفقة في الجهاد. نقله الحافظ[١٠].

الرابع: وقيل: فيمن بخل على العيال وذي الرحم المحتاج. نقله الحافظ[١١].

والراجح هو القول الأول، قال الواحدي:" أجمع جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة"[١٢]، وقال ابن كثير:" والصحيح الأول، وإن دخل هذا[أي القول الثاني] في معناه"[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٥٧٧):ص٨٢٦/٣.

(٢) تفسير الطبري(٨٢٧٧):ص٤٣٢/٧.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٥٧٦):ص٨٢٦/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٣٢/٧.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٥٧٥):ص٨٢٦/٣.

(٦) تفسير الطبري(٨٢٩٧):ص٤٣٩/٧.

(٧) تفسير الثعلبي:٢٢١/٣.

(٨) أخرجه الطبري(٨٢٨٠):ص٤٣٢/٧.

(٩) معاني القرآن:٤٩٢/١.

(١٠) انظر: الفتح:٢٣٠/٨.

(١١)انظر: الفتح:٢٣٠/٨.

(١٢) أسباب النزول:١٣٢.

٧٦-{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)} [آل عمران : ١٨١]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أخرج الطبري وابن المنذر[٢]، وابن أبي حاتم[٣] عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة : "أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المِدْراس، فوجد من يهودَ ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْرٌ يقال له أشْيَع. فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص : ويحك يا فِنحاص، اتق الله وأسلِم، فوالله إنك لتعلم أنّ محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص : والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال : والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عُنقك يا عدو الله! فأكذِبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيمًا، زعم أنّ الله فقير وأنهم عنه أغنياء! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربتُ وجهه. فجحد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك! فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص، ردًّا عليه وتصديقًا لأبي بكر : لقد سَمِع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء سنكتبُ ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق وفي قول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب : {لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور}[سورة آل عمران : ١٨٦]"[٤]. وروي عن السدي نحو ذلك مختصرا[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير:١١٥/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن المنذر(١٢٢٩):ص٥١٥/٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(٤٥٩٠):ص٨٢٨/٣-٨٢٩.

(٤) تفسير الطبري(٨٣٠٠):ص٤٤١/٧-٤٤٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٨٣٠٢):ص٤٤٣/٧.

الثاني: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[١]، عن الحسن قال:" لما نزلت : {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}[سورة البقرة : ٢٤٥\ سورة الحديد : ١١]، قالت اليهود : إنّ ربكم يستقرض منكم! فأنزل الله : {لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء}"[٢].

الثالث: أخرج الطبري وعبدالرزاق[٣]، وابن المنذر[٤]، عن قتادة:" قوله :{الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء}، ذكر لنا أنها نزلت في حُيَيّ بن أخطب، لما أنزل الله : {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً }، قال :يستقرضنا ربنا، إنما يستقرض الفقير الغنيَّ! "[٥].

الرابع:أخرج الواحدي عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: "نزلت في اليهود صك أبو بكر - رضي الله عنه - وجه رجل منهم، وهو الذي قال: {إن الله فقير ونحن أغنياء}، قال شبل: بلغني أنه فنحاص اليهودي وهو الذي قال: {يد الله مغلولة}"[٦]. وأخرجه الطبري عن ابن أبي نجيح[٧].

الخامس: قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كتب مع أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- إلى يهود قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا. قال فنحاص اليهودي:إن الله فقير حين يسألنا القروض ونحن أغنياء"[٨]. وذكر الواقدي نحوه[٩].

قال الطبري:" ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٠].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٥٨٨):ص٨٢٨/٣.

(٢) تفسير الطبري(٨٣٠٥):ص٤٤٣/٧.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٤٩١):ص٤٢٥/١.

(٤) انظر: تفسير ابن المنذر(١٢٣١):ص٥١٧/٢.

(٥) تفسير الطبري(٨٣٠٧):ص٤٤٣/٧.

(٦) أسباب النزول:١٣٤. وهو مرسل، وإسناده ضعيف بسبب أبي حذيفة [انظر:تقريب التهذيب: ٢٨٨/٢ - رقم: ١٥٠٥].

(٧) انظر: تفسير الطبري(٨٣٠٤):ص٤٤٣/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٩/١.

(٩) انظر: المغازي:٣٢٨/١.

(١٠) تفسير الطبري:٤٤٢/٧.

٧٧-{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣)} [آل عمران : ١٨٣]

في سبب نزول الآية جوه:

أحدها: ذكر الواحدي والثعلبي[١] عن الكلبي: "نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوة وفي فنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا، وأنزل عليك كتابا، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢].

الثاني: أخرج ابن أبي حاتم عن العلاء بن بدر قال: "كانت رسل تجيء بالبينات، ورسل علامة نبوتهم أن يضع أحدهم لحم البقر على يده، فتجيئ نار من السماء، فتأكله، فأنزل الله تعالى: {قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم}"[٣].

الثالث: وروي عن جويبر، عن الضحاك:" قالوا: يا محمد إن تأتنا بقربان تأكله النار صدقناك، وإلا فلست بنبي، فقال الله تعالى: {قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم}، أي: جاءكم بالبينات وبالقربان الذي تأكله النار"[٤].

٧٦-{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦)} [آل عمران : ١٨٦]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" نزل في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: {ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا}"[٥].

أخرج الطبري عن عكرمة، قال : "نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم، وفي أبي بكر رضوان الله عليه، وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينُقاع، بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله إلى فنحاص يستمدُّه، وكتب إليه بكتاب، وقال لأبي بكر: لا تَفتاتنَّ عليّ

(١) انظر: تفسير الثعلبي:٢٢٣/٣.

(٢) أيباب النزول:١٣٤.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(٤٦٠٠):ص٨٣١/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٠١):ص٨٣١/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦١٧):ص٨٣٤/٣.

بشيء حتى ترجع، فجاء أبو بكر وهو متوشِّح بالسيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال : قد احتاج ربكم أن نمده ! فهمّ أبو بكر أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفتاتنّ علي بشيء حتى ترجع، فكف، ونزلت : {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ }، وما بين الآيتين إلى قوله :{ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}، نزلت هذه الآيات في بني قينقاع إلى قوله:{فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك}"[1].

وأخرج الطبري عن ابن جريج:" فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب إذ يسمعون إشراكهم، فقال الله:{وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور}، يقول : من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به"[2].

قال الزجاج:" روي أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - سمع رجلا من إليهود يقول:

{إن الله فقير ونحن أغنياء}، فلطمه أبو بكر - رضي الله عنه - فشكا إليهودي ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله النبي:" ما أراد بلطمك؟ فقال أبو بكر: سمعت منه كلمة ما ملكت نفسي معها أن لطمته، فأنزل الله عز وجل: {ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا}"[3].

والثاني: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتشبّب بنساء المسلمين.

أخرج الطبري وابن المنذر[4]،وابن أبي حاتم[5] عن معمر عن الزهري، قال : "هو كعب بن الأشرف، وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره، ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم. فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار، فيهم محمد بن مسلمة، ورجل يقال له أبو عبس. فأتوه وهو في مجلس قومه بالعَوَالي، فلما رآهم ذعر منهم، فأنكر شأنهم، وقالوا : جئناك لحاجة! قال : فليدن إليّ بعضكم فليحدثني بحاجته. فجاءه رجل منهم فقال : جئناك لنبيعك أدراعًا عندنا لنستنفق بها. فقال : والله لئن فعلتم لقد جُهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل! فواعدوه أن

---

(١) تفسير الطبري(٨٣١٦):ص٧/٤٥٥-٤٥٦.

(٢) أخرجه الطبري(٨٣١٦):ص٧/٤٥٥-٤٥٦.

(٣)معاني القرآن:١/٤٩٦.

(٤) انظر: تفسير ابن المنذر(١٢٤٤)، و(١٢٤٥):ص٢/٥٢٣-٥٢٥.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٦١٧):ص٣/٨٣٤- مختصرا.

يأتوه عشاءً حين هدأ عنهم الناس، فأتوه فنادوه، فقالت امرأته : ما طَرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب! قال : إنهم حدثوني بحديثهم وشأنهم.

قال معمر : فأخبرني أيوب، عن عكرمة : أنه أشرف عليهم فكلمهم، فقال : أترهَنُوني أبناءكم ؟ وأرادوا أن يبيعهم تمرًا. قال، فقالوا : إنا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال : هذا رهينة وَسْق، وهذا رهينة وسقين! فقال : أترهنوني نسائكم ؟ قالوا : أنت أجملُ الناس، ولا نأمنك! وأي امرأة تمتنع منك لجمالك! ولكنا نرهنك سلاحنا، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم. فقال : ائتوني بسلاحكم، واحتملوا ما شئتم. قالوا : فأنزل إلينا نأخذ عليك وتأخذ علينا. فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت : أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك. قال : لو وجدني هؤلاء نائمًا ما أيقظوني! قالت : فكلِّمهم من فوق البيت، فأبى عليها، فنزل إليهم يفوحُ ريحه. قالوا : ما هذه الريح يا فلان ؟ قال : هذا عطرُ أم فلان! امرأته. فدنا إليه بعضهم يشم رائحته، ثم اعتنقه، ثم قال : اقتلوا عدو الله! فطعنه أبو عَبس في خاصرته، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف، فقتلوه ثم رجعوا. فأصبحت اليهود مذعورين، فجاءوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : قتل سيدنا غيلة! فذكّرهم النبي صلى الله عليه وسلم صَنيعه، وما كان يحضّ عليهم، ويحرض في قتالهم ويؤذيهم، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحًا، قال : فكان ذلك الكتابُ مع عليّ رضوان الله عليه"[1].

والثالث: أخرج ابن المنذر، عن شعيب، عن الزهري، قال: "أخبرني عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد، أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف، على قطيفة من تحته، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين، وعبدة الأوثان، واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر ابن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف النبي صلى الله عليه وسلم، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، إنه لأحسن مما تقول، إن كان حقا، فلا تؤذينا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه قال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته، فسار حتى دخل على

(١) تفسير الطبري(٨٣١٧):ص٧/٤٥٦-٤٥٧.

سعد بن عبادة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد: عبد الله بن أبي، قال: كذا وكذا "، قال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل الكتاب، لقد جاءك الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه الحرة على أن يتوجوه، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله جل وعز: {ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور}، قال الله جل وعز: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا إلى: إن الله على كل شيء قدير} وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم بدرا، فقتل الله من صناديد كفار قريش، قال أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فتتابعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا"[1].

٧٧-{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)} [آل عمران : ١٨٨]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج مسلم[2]، وأحمد[3]، والبخاري[4]، والترمذي[5]، والنَّسَائِي[6]: "أن مروان بن الحكم قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عباس:{وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه}[آل عمران:١٨٧]، قال ابن عباس :سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه

(١) تفسير ابن المنذر(١٢٤٣):ص٢/٥٢١-٥٢٣.

(٢) صحيح مسلم(٢٧٧٨):ص٤/٢١٤٣.

(٣) المسند(٢٧١٢):ص٣/٢١٢-٢١٣.

(٤) صحيح البخاري(٤٥٦٨):ص٦/٥١.

(٥) سنن الترمذي(٣٠١٤).

(٦) السنن الكبرى(١١٠٢٠)..

بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه"[١].

الثاني :أخرج الشيخان في صحيحهما[٢] عن أبي سعيد الخدري:" أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت{ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ}"[٣].

الثالث: أخرج الطبري وعبدالرزاق[٤]، عن مسلم البطين قال : "سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية : {لا تحسبن الذي يفرحون بما أتوا}، قال سعيد بن جبير : بكتمانهم محمدًا {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا}، قال : هو قولهم:نحن على دين إبراهيم عليه السلام"[٥].

الرابع: ذكر ابن إسحاق عن عكرمة :" {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب} إلى قوله : {ولهم عذاب أليم}، يعني فنحاصا وأشيع وأشباههما من الأحبار، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيَّنوا للناس من الضلالة، {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا}، أن يقول لهم الناس علماء، وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى"[٦].

الخامس: أخرج الطبري وعبدالرزاق[٧] عن قتادة: "إن أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا : إنا على رأيكم وسنتكم، وإنا لكم ردْء [٨]، فأكذبهم الله فقال :{لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا}، الآيتين"[٩]. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن نحو ذلك[١٠].

---

(١) المسند الجامع(٦٨١٤):ص٩/٤١٦-٤١٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري(٤٥٦٧):ص٦/٥٠.، وصحيح مسلم(٧١٣٤):ص٨/١٢١.

(٣) المسند الجامع(٤٦٢١):ص٦/٤٥٧..

(٤) تفسير عبدالرزاق(٤٩٢):ص١/٤٢٦.

(٥) تفسير الطبري(٨٣٤٣):ص٧/٤٦٨.

(٦) تفسير الطبري(٨٣٣٨):ص٧/٤٦٦، وانظر:تفسير ابن أبي حاتم(٤٦٥٠):ص٣/٨٤٠، والعجاب:٢/٨١٤.

(٧) تفسير عبدالرزاق(٤٩٧):ص١/٤٣٠.

(٨)الردء : العون والناصر ، ينصره ويشد ظهره.

(٩) أخرجه الطبري(٨٣٥٠):ص٧/٤٧١.

(١٠)تفسير ابن أبي حاتم(٤٦٥١):ص٣/٨٤٠.

السادس: ذكر الواحدي عن الضحاك: "كتب يهود المدينة إلى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها أن محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم وأجمعوا كلمتكم على ذلك، فأجمعت كلمتهم على الكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن، ففرحوا بذلك وقالوا: الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة ونحن أولياء الله، فذلك قول الله تعالى: {يفرحون بما أتوا} بما فعلوا {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا} يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة"[1].

السابع:أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: كان في بني إسرائيل رجال عباد فقهاء، فأدخلتهم الملوك، فرخصوا لهم وأعطوهم، فخرجوا وهم فرحون بما أخذت الملوك من قولهم، وما أعطوا فأنزل الله عز وجل: {لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا}"[2].

والسببان الأول والثاني، هما المعول عليهما في سبب نزول هذه الآية، وأما الأسباب الأخرى، فهي لا يعول عليها من جهة السند.

والراجح إن سبب نزول هذه الآية الكريمة ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه؛ وذلك لصحة سند الحديث، وتصريحه بالنزول، وموافقته لسياق القرآن. والله أعلم.

٧٨-**{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)} [آل** عمران : ١٩٠]

أخرج ابن أبي حاتم والطبراني[3]، والواحدي[1]، عن ابن عباس قال: "أتت قريش النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا، فدعا ربه، فنزلت: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ "[2].

---

(١) أسباب النزول:١٣٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٤٦٤٤):ص٨٣٨/٣.

(٣) انظر: المعجم الكبير(١٢٣٢٢):ص ١٢/١٢، وإسناده ضعيف، بسبب يحيى (ديوان الضعفاء للذهبي: ٣٣٨ - رقم: ٤٦٥٧) وجعفر بن أبي المغيرة القمي (تقريب التهذيب: ١٣٣/١ - رقم: ١٠٢) وقد ضعفه الحافظان: الهيثمي (مجمع الزوائد: ٣٢٩/٦)، وابن كثير (تفسير ابن كثير: ١٨٤/٢) .

عزاه ابن كثير إلى الطبراني ثم قال "٢/ ١٨٤": "وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبا كان بمكة والله أعلم".

واخرجه عبد بن حميد عن سعيد بن جبير مرسلا[٣]، قال ابن حجر: "والمرسل أصح"[٤].

٧٩-**{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)} [آل عمران : ١٩٥]**

أخرج الترمذي[٥]، والحاكم[٦]، وعبدالرزاق[٧]، والطبري[٨]، والواحدي[٩]، من طريق عمرو بن دينار عن أبي عمر بن أبي سلمة -رجل من ولد أم سلمة- قال: "قالت أم سلمة: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى}".

وفي السياق نفسه أخرج ابن المنذر عن سفيان، قال:" قالت امرأة، أو نسوة: هاجرنا، ولا تذكر الهجرة والجهاد إلا فيكم؟ فأنزل الله جل ثناؤه: {أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض}، قال سفيان: وفيه يهلك الخوارج"[١٠].

وظاهر الرواية هنا أن الاستجابة كانت لقول أم سلمة -أو تلك المرأة في رواية ابن المنذر-، والظاهر أن قول أم سلمة لم يكن سببا مباشرا، وأن الله عز وجل استجاب لها في هذا الفصل القرآني

وكذلك قال ابن حجر في "الفتح" "٨/ ٢٣٥" وأجاب عنه فقال: "وعلى تقدير كونه محفوظا وصله ففيه إشكال من جهة أن هذه السورة مدنية، وقريش من أهل مكة. قلت: ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة".

(١) .انظر: أسباب النزول:١٣٨-١٣٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٤٦٥٥):ص٨٤١/٣.

(٣) انظر:العجاب:٨١٦/٢-٨١٧.

(٤) العجاب:٨١٧/٢.

(٥)في "جامعه" "٥/ ٢٢١" "٣٠٢٣". .

(٦)في "المستدرك" "٢/ ٣٠٠" وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي..

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٤٩٨):ص٤٣١/١، وفيها:"سمعت رجلا , من ولد أم سلمة".

(٨) انظر: تفسير الطبري(٨٣٦٨):ص٤٨٧/٧.

(٩) أسباب النزول:١٣٩.

(١٠) تفسير ابن المنذر(١٢٧٨):ص٥٣٩/٢.

العظيم حين اقتضت حكمته نزوله على نبيه. لأن السياق القرآني يدل على أن الاستجابة في قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} كانت لدعاء "أولي الألباب" السابق ذكرهم في الآيات، والله أعلم[١].

٨٠- **{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)} [آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧]**

في سبب نزول الآيتين، قولان:

أحدهما: قال مقاتل، والثعلبي[٢]:" نزلت في مشركي العرب وذلك أن كفار مكة كانوا في رخاء ولين عيش حسن فقال بعض المؤمنين: أعداء الله فيما ترون من الخير وقد أهلكنا الجهد. فأخبر الله- عز وجل- بمنزلة الكفار في الآخرة، وبمنزلة المؤمنين في الآخرة، فقال- سبحانه-: {لا يغرنك}"[٣].

وفي السياق نفسه قال الزجاج:" يروى أن قوما من الكفار كانوا يتجرون ويربحون في أسفار كانوا يسافرونها، فأعلم الله عز وجل - أن ذلك مما لا ينبغي أن يغبطوا به، لأن مصيرهم بكفرهم إلى النار ولا خير بخير بعده النار"[٤].

الثاني: وقال الفراء: "كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال، فقال الله عز وجل: لا يغرنك ذلك"[٥].

٨١-**{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)} [آل عمران : ١٩٩]**

في سبب نزولها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في أصحمة النجاشي[٦]، روى سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "اخرجوا فصلوا على أخ لكم . فصلى بنا، فكبر أربع تكبيرات، فقال :

---

(١)وسيأتي قول أم سلمة في سبب نزول الآية (٣٢)، من سورة النساء فانظره.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي:٣/٢٣٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٢٣.

(٤) معاني القرآن:١/٥٠٠-٥٠١.

(٥) معاني القرآن:١/٢٥١.

(٦)وهذا يعني أن الآية نازلة قبل موته وهذا لا يمنع أن تكون قد عنته فيمن عنت في أثناء حياته، وقد يدعم هذا أن وفاته متأخرة وهذه السورة نزلت قبل النصف الأول من الهجرة جاء في "الإصابة" "١/ ١٠٩" في وفاة النجاشي: "قال الطبري وجماعة: كان ذلك في رجب سنة تسع، وقال غيره: كان قبل الفتح"..

هذا النجاشي أصحمة ، فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلي على عِلْجٍ نصرَاني لم يره قط! فأنزل الله : {وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله}"[1]. وهو قول قتادة[2]، وابن جريج في أحد قوليه[3].

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن معه. وهذا قول ابن جريج في رواية أخرى [4]، وروي عن ابن زيد نحو ذلك[5].

والثالث: أنها نزلت في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، قاله عطاء[6].

والرابع:أنها نزلت في مُسلمة أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وهذا قول مجاهد[7]، ورجّحه الطبري[8].

والظاهر-والله أعلم- هو القول الأخير، لأن قوله تعالى:{أهل الكتاب}، يعمّ أهل الكتاب جميعهم دون تخصيص.

٨٢-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)} [آل عمران : ٢٠٠]

أخرج الحاكم، والطبري [9]، والواحدي[10]، من طريق مصعب بن ثابت حدثني داود بن صالح قال: "قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} الآية؟ قلت: لا، قال يا ابن أخي: إني سمعت أبا هريرة

---

(١) أخرجه الطبري(٨٣٧٦):ص٧/٤٩٦-٤٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٨٣٧٧):ص٧/٤٩٧.

(٣)انظر: تفسير الطبري(٨٣٨١):ص٧/٤٩٨.

(٤)انظر: تفسير الطبري(٨٣٨٢):ص٧/٤٩٨.

(٥)انظر: تفسير الطبري(٨٣٨٣):ص٧/٤٩٨-٤٩٩.

(٦) انظر: زاد المسير:١/٣٦٤.

(٧)انظر: تفسير الطبري(٨٣٨٤):ص٧/٤٩٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٧/٤٩٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٨٣٩٤):ص٧/٥٠٤، إلا أنه في جواب السؤال:" قال : إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ...بلفظه.

(١٠) انظر: أسباب النزول:١٤٠-١٤١.

يقول: لم يكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه، ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة "[1].

(١) المستدرك:٣٠١/٢، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

سورة «النساء»

١-{وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)} [النساء : ٢]

في سبب نزول الآية ثلاثة وجوه:

أحدها: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير:" أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم، طلب ماله، فمنعه عمه، فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت: {وآتوا اليتامى أموالهم}، يعني: الأوصياء يقول: أعطوا اليتامى أموالهم"[١]. قال ابن أبي حاتم:" وروي عن مقاتل بن حيان قال: الأولياء والأوصياء"[٢].

وفي السياق نفسه قال مقاتل[٣]، والكلبي[٤]:" نزلت في رجل من غطفان، يقال له المنذر بن رفاعة، كان معه مال كبير ليتيم وهو ابن أخيه، فلما بلغ طلب ماله، فمنعه فخاصمه إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأمر، أن يرد عليه ماله، وقرأ عليه الآية. فلما سمعها قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، ونعوذ بالله من الحوب الكبير. فدفع إليه ماله فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «هكذا من يطع ربه- عز وجل- ويوق شح نفسه فإنه يحل داره» يعني جنته. فلما قبض الفتن ماله أنفقه فى سبيل الله، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «ثبت الأجر وبقي الوزر» .

فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: «قد عرفنا ثبت الأجر فكيف بقي الوزر، وهو ينفق في سبيل الله؟ فقال: الأجر للغلام والوزر على والده»"[٥].

والثاني: أخرج الطبري عن ابن زيد:" كان أهل الجاهلية لا يورِّثون النساءَ ولا يورِّثون الصغار، يأخذه الأكبر وقرأ:{وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}،قال:إذا لم يكن لهم شيء:{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ}[سورة النساء : ١٢٧]، لا يورثونهم، قال : فنصيبه من الميراث طيِّب، وهذا الذي أخذه خبيث"[٦].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٢٨):ص٨٥٤/٣.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٢٨):ص٨٥٤/٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٦/١.

(٤) نقله عنه الواحدي في أسباب النزول:١٤٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٦/١.

(٦) تفسير الطبري(٨٤٤٥):ص٥٢٦/٧.

والثالث: وأخرج الطبري وابن أبي حاتم[١]، عن السدي :{ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب}، كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة، ويقول : شاة بشاة ! ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف، ويقول : درهم بدرهم !! "[٢].

وروي عن إبراهيم النخعي وسعيد بن المسيب والزهري، قالوا:" يعطي مهزولا ويأخذ سمينا"[٣].

وروي عن الضحاك وإبراهيم النخعي[٤] أيضا:" لا تعط فاسدًا، وتأخذ جيدًا"[٥].

٢-{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣)} [النساء : ٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أنهم كانوا يخافون ألاّ يعدلوا في أموال اليتامى، ولا يخافون أن لا يعدلوا في النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يريد كما خفتم ألاّ تعدلوا في أموال اليتامى، فهكذا خافوا ألا تعدلوا في النساء، وهذا قول وسعيد بن جبير[٦]، والسدي[٧]، وقتادة[٨]، والضحاك[٩]، والربيع[١٠]، وعكرمة[١١]، وروي عن ابن عباس نحو هذا المعنى[١٢].

أخرج الطبري وابن أبي حاتم[١٣]، عن سعيد بن جبير قال :" بعث الله تبارك وتعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم، إلا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه، وكانوا يسألونه

---

(١)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٣٨):ص٨٥٦/٣ .

(٢) تفسير الطبري(٨٤٤٢):ص٥٢٦/٧.

(٣) .تفسير الطبري(٨٤٤٠):ص٥٢٦/٧، وتفسير ابن أبي حاتم(٤٧٣٦):ص٨٥٥/٣.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٣٧):ص٨٥٦/٣.

(٥) .تفسير الطبري(٨٤٤١):ص٥٢٦/٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٨٤٧١):ص٥٣٧/٧.، وتفسير ابن أبي حاتم(٤٧٥٦):ص٨٥٩/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٨٤٦٧):ص٥٣٦/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٨٤٦٨):ص٥٣٦/٧-٥٣٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٨٤٧٣):ص٥٣٨/٧.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٨٤٧٤):ص٥٣٨/٧-٥٣٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٨٤٦٣):ص٥٣٥/٧.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(٨٤٧٢):ص٥٣٧/٧-٥٣٨.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٥٦):ص٨٥٩/٣.

عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى : {وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع}، قال : فكما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى، فخافوا أن لا تقسطوا وتعدِلوا في النساء"[١].

وفي السياق نفسه وأخرج الطبري عن عكرمة:" كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والستَّ والعشر، فيقول الرجل : ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان ؟ فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به، فنهوا أن يتزوجوا فوق الأربع"[٢].

وعن ابن عباس:" كانوا في الجاهلية ينكحون عشرًا من النساء الأيامى، وكانوا يعظمون شأن اليتيم، فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم، وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية، فقال:{وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع} ، ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية"[٣].

الثاني: أخرج البخاري ومسلم[٤]، وأبو داود[٥]، والنسائي[٦]، وابن حبان[٧]، والدارقطني[٨]، والبيهقي[٩]، والطبري[١٠]، وابن أبي حاتم[١١]، عن الزهري، قال: كان عروة بن الزبير، يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها: {وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء} [النساء: ٣]، قالت: هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها، فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة: ثم استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأنزل الله

---

(١) تفسير الطبري(٨٤٧١):ص٥٣٧/٧.

(٢) تفسير الطبري(٨٤٦٣):ص٥٣٥/٧.

(٣) تفسير الطبري(٨٤٧٢):ص٥٣٧/٧-٥٣٨.

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب التفسير، (٣٠١٨):ص٢٣١٣/٤.

(٥) انظر: سنن أبي داود(٢٠٦٨):ص٤١١/٣.

(٦) انظر: السنن الكبرى(٥٤٨٨):ص٢٢١/٥.

(٧) انظر: صحيح ابن حبان(٤٠٧٣):ص٣٨٢/٩.

(٨) انظر: سنن الدارقطني(٣٦٦٧):ص٣٩٤/٤.

(٩) انظر: السنن الكبرى(١٣٨١٠):ص٢٢٨/٧.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٨٤٥٧):ص٥٣١/٧-٥٣٢.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٤٥):ص٨٥٧/٣.

عز وجل: {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن} [النساء: ١٢٧]، قالت: " فبين الله في هذه الآية: أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال، ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء "، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها"[١].

الثالث: إن سبب نزولها، أن قريشاً في الجاهلية كانت تكثر التزويج بغير عدد محصور، فإذا كثر على الواحد منهم مؤن زوجاته، وقلَّ مالُه، مدّ يده إلى ما عنده من أموال الأيتام، فأنزل الله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ}. وهذا معنى قول ابن عباس[٢].

قال ابن عباس:" فإن الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى، فنهى الله عن ذلك"[٣].

الرابع:أنهم كانوا يتوقَّون أموال اليتامى ولا يتوقَّون الزنى، فقال كما خفتم في أموال اليتامى، فخافوا الزنى، وانحكوا ما طاب لكم من النساء، وهذا قول مجاهد [٤].

٣-{وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤)} [النساء : ٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[٥] وابن المنذر[٦]، عن أبي صالح:"كان الرجل إذا زوج أيِّمه أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك، ونزلت:{ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}"[٧].

الثاني: قال مقاتل:" وذلك أن الرجل كان يتزوج بغير مهر. فيقول: أرثك وترثيني وتقول المرأة: نعم فأنزل الله- عز وجل- {وآتوا النساء}"[٨].

---

(١) صحيح البخاري(٢٧٦٣):ص٩/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٨٤٦٥):ص٥٣٥/٧.

(٣) أخرجه الطبري(٨٤٦٥):ص٥٣٥/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٨٤٧٥):ص٥٣٩/٧، وانظر: النكت والعيون:٤٤٨/٢-٤٤٩.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٧٦٥):ص٨٦٠/٣.

(٦) انظر: تفسير ابن المنذر(١٣٣٩):ص٥٥٨/٢.

(٧) تفسير الطبري(٨٥١٠):ص٥٥٣/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٥٧/١.

الثالث: نقل الثعلبي عن الحضرمي: "كان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته لا مهر بينهما، فنهوا عن ذلك وأمرهم بتسميته وأمروا المهر عند العقد"[١].

الرابع: أخرج الطبري عن المعتمر، عن أبيه قال : "زعم حضرميٌّ أن أناسًا كانوا يتأثمون أن يُراجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته، فقال الله تبارك وتعالى :{فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا}"[٢].

٤-{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)} [النساء : ٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال : "زعم حضرميٌّ أن رجلا عمد فدفع ماله إلى امرأته، فوضعته في غير الحق، فقال الله تبارك وتعالى :{ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ}"[٣].

الثاني: أخرج الطبري عن ابن عباس، قال: "نزل ذلك في السفهاء، وليس اليتامى من ذلك في شيء"[٤].

الثالث: أخرج الطبري عن سعيد بن جبير، قال:" هو مال اليتيم يكون عندك، يقول : لا تؤته إياه، وأنفقه عليه حتى يبلغ. وإنّما أضاف إلى الأولياء فقال : أموالكم ، لأنهم قوّامها ومدبروها "[٥].

٥-{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)} [النساء : ٦]

سبب النزول:

قال مقاتل[٦]، والواحدي[١]، والثعلبي[٢]:" نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتا وهو صغير، فأتى عم ثابت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي:٣/٢٤٩.

(٢) تفسير الطبري(٨٥٢٠):ص٧/٥٥٦.

(٣) تفسير الطبري(٨٥٤٦):ص٧/٥٦٤.

(٤) تفسير الطبري(٨٥٤٣):ص٧/٥٦٣.

(٥) تفسير الطبري(٨٥٥٧):ص٧/٥٦٧-٥٦٨.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٥٨.

وفي السياق نفسه أخرج الطبري عن قتادة:": {ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف}، ذكر لنا أن عَمَّ ثابت بن رفاعة وثابت يومئذ يتيمٌ في حجره من الأنصار، أتى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله، إن ابن أخي يتيمٌ في حجري، فما يحلُّ لي من ماله ؟ قال : أن تأكل بالمعروف، من غير أن تقي مالك بماله، ولا تتخذ من ماله وَفْرًا، وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل، فيقوم وليه على صلاحه وَسقيه، فيصيب من تمرته،أو تكون له الماشية، فيقوم وليه على صلاحها، أو يلي علاجها ومؤونتها، فيصيب من جُزَازها وَعوارضها ورسْلها، فأما رقاب المال وأصول المال، فليس له أن يستهلكه"(٤).

٦-{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧)} [النساء : ٧]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير:" وذلك أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار شيئا، يجعلون الميراث لذي الأسنان من الرجال، فنزلت: {للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون}"(٥).

وفي السياق نفسه، قال قتادة:" كانوا لا يورثون النساء فنزلت: {وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون}"(٦).

الثاني: وأخرج ابن المنذر(٧)، وابن أبي حاتم(٨)، عن ابن عباس:" نزلت في أم كلثوم، وبنت أم كحلة، وثعلبة بن أوس، وسويد كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها".

---

(١) انظر: أسباب النزول:١٤٣.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي:٢٥٤/٣.

(٣) أسباب النزول:١٤٣.

(٤) تفسير الطبري(٨٦٣٨):ص٥٩٠/٧-٥٩١، ونقله الحافظ في "الإصابة" في ترجمة ثابت "١/ ١٩٢" من رواية ابن مندة عن قتادة وقال: "هذا مرسل رجاله ثقات".

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(٤٨٤٣):ص٨٧٢/٣.

(٦) تفسير الطبري(٨٦٥٥):ص٥٩٨/٧، وتفسير ابن أبي حاتم(٤٨٤٥):ص٨٧٢/٣، و تفسير ابن المنذر(١٤٠٥):ص٥٧٧/٢.

(٧) تفسير ابن المنذر(١٤٠٤):ص٥٧٧/٢.

(٨) تفسير ابن أبي حاتم(٤٨٤٤):ص٨٧٢/٣.

وزاد ابن المنذر:" فقالت: يا رسول الله توفي زوجي، وتركني وابنته، ولم نورث من ماله، فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركب فرسا، ولا تنكي عدوا ويكسب عليها ولا تكسب ".قال ابن جريج: وقال آخرون: هي أم حجة، توفي زوجها، وتركها وبنات لها ذمائم، فقالت يا رسول الله: توفي زوجي وتركني وبناتي، فلم نورث"[١].

وفي المعنى نفسه قال مقاتل:" قوله- سبحانه-: {للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون}، نزلت في أوس بن مالك الأنصاري وذلك أن أوس بن مالك الأنصاري توفي وترك امرأته أم كحة الأنصارية[٢]، وترك ابنتين إحداهن صفية، وترك ابني عمه عرفطة وسويد ابني الحارث «فلم يعطياها ولا ولداها شيئا من الميراث. وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار شيئا ويجعلون الميراث لذوي الأسنان منهم، فانطلقت أم كحة وبناتها إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: إن أباهن توفي، وإن سويد بن الحارث، وعرفطة منعاهن حقهن من الميراث. فأنزل الله- عز وجل- في أم كحة وبناتها:{للرجال نصيب}"[٣]. وأخرجه أبو الشيخ ابن حبان من طريق الكلبي،[٤]، وذكره الواحدي[٥]، والثعلبي[٦].

٧-{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)} [النساء : ٨]

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، قال: "كان الرجل ينفق على جاره وقرابته، فإذا مات حضروا، قال وليه: ما نملك منه شيئا، فأمرهم الله أن يقولوا قولا معروفا"[٧].

٨-{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)} [النساء : ٩]

أخرج الطبري، وابن أبي حاتم[١]، وابن المنذر[٢]، عن ابن عباس، قال:"فهذا في الرجل يحضره الموت فيسمعه يوصي بوصية تضر بورثته، فأمر الله سبحانه الذي سمعه أن يتقي الله

---

(١) تفسير ابن المنذر(١٤٠٤):ص٥٧٧/٢.

(٢)الاسم بضم الكاف وتشديد الجيم. انظر ترجمتها في: الإصابة:٤/ ٤٨٨..

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٨/١-٢٥٩.

(٤) انظر: لباب النقول:٥٣، والفتح السماوي للمناوي:٤٦٢/٢.

(٥) انظر: أسباب النزول:١٤٣-١٤٤.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي:٢٦٠/٣.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم(٤٨٦٦):ص٨٧٦/٣.

ويوفقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يُصنع لورثته إذا خشي عليهم الضيَّعة"[٣].

٨-{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)} [النساء : ١٠]

نقل الواحدي والثعلبي[٤]، عن مقاتل بن حيان: "نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير، فأكله، فأنزل الله فيه هذه الآية"[٥].

٩-{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)} [النساء : ١١]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها:أخرج الإمام البخاري وغيره[٦]،عن جابر بن عبد الله قال : "عادني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سَلمَة ماشيين، فوجَدَني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل شيئا،

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٨٧٤):ص٨٧٧/٣.

(٢) تفسير ابن المنذر(١٤٢٥):ص٥٨٤/٢.

(٣) تفسير الطبري(٨٧٠٧):ص١٩/٨.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي:٢٥٣/٣.

(٥) أسباب النزول:١٤٤.

(٦) وأخرجه مسلم (٢٣٤/٣ - ح: ١٦١٦) وأهل السنن (جامع الأصول: ٨٠/٢ - ٨٢) ، (تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٢-٢٢٥) والحميدي (مسند الحميدي: ٥١٦/٢ - ح: ١٢٢٩) والحاكم المستدرك: ٣٠٣/٢)، والطبري(٨٧٣١):ص٣٤/٨، والطيالسي (منحة المعبود: ١٧/٢ - ح: ١٩٤٥) والبيهقي (دلائل النبوة: ١٦٢/٦) وابن سعد (حاشية جامع الأصول: ٨٣/٢) وعبد بن حميد (فتح الباري: ٢٤٤/٨) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ١٥/٤ - ح: ٢٠١٨)، والواحدي في أسباب النزول:١٤٤-١٤٥. كلهم من طريق ابن جريج عن ابن المنكدر به.

وقد ذكر من أخرجه أن النازل هو قول تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم) ، وأنا أرجح أن الآية هي قوله تعالى: (وإن كان رجل يورث كلالة ...) الآية. في آخر ذكر المواريث، لانطباق هذا على حالة جابر رضي الله عنه حيث لم يكن له والد ولا ولد - وهو الكلالة - (المفردات للراغب الأصفهاني: ٤٣٧) أما آية (يوصيكم الله في أولادكم) فلا تنطبق عليه. بل تنطبق على السبب الآتي ذكره، وقد ذكر الراوي بداية هذه الآية تغليبا، وكان يقصد آخرها، والله تعالى

فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رَش عَلَيَّ، فأفقت، فقلت : ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله ؟ فنزلت : { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ }"[١].

الثاني:أخرج الإمام احمد وغيره[٢]،عن جابر قال : "جاءت امرأة سعد بن الرَّبيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك في أحُد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يَدَعْ لهما مالا ولا يُنْكَحَان إلا ولهما مال. قال : فقال : «يَقْضِي اللَّهُ في ذلك». قال : فنزلت آية الميراث، فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال : «أعْطِ ابْنَتي سعد الثلثين، وأُمُّهُمَا الثُّمُنَ، وما بقي فهو لك»"[٣].

والثالث:أخرج الطبري وابن ابي حاتم[٤]، عن السدي:" كان أهل الجاهلية لا يورِّثون الجواريَ ولا الصغارَ من الغلمان، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر، وترك امرأة يقال لها أم كجَّة، وترك خمس أخواتٍ، فجاءت الورثة يأخذون ماله، فشكت أم كجَّة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية : {فإن كُنَّ نساء فوق اثنتين فلهن ثُلُثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف}، ثم قال في أم كجة : {ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن}"[٥].

والرابع: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[٦]، عن ابن عباس:" {يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين}، وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا : تعطى المرأة الربع والثمن، وتعطى الابنة النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة!! اسكتوا عن هذا الحديث لعلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه، أو نقول له فيغيِّره . فقال بعضهم : يا رسول الله، أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم، ونعطي الصبيَّ

أعلم، (راجع فتح الباري: ٢٤٤/٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥٧/٥) ..

(١)فتح الباري(٤٥٧٧):ص ٢٤٣/٨.

(٢) وأخرجه أبو دادو في سننه برقم (٢٨٩٢ ، ٢٨٩١)، والترمذي في السنن:(٢٠٩٢)، وابن ماجة في السنن برقم (٢٧٢٠).

(٣)المسند (٣٥٢/٣).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٨٩٤):ص٨٨١/٣.

(٥) تفسير الطبري(٨٧٢٥):ص٣١/٨-٣٢.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٨٩٦):ص٨٨٢/٣.

الميراث وليس يغني شيئًا ؟! وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، لا يعطون الميراث إلا من قاتل، يعطونه الأكبر فالأكبر"[١]، « فنزلت {فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}»[٢].

قال ابن كثير:" والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة[٣] من هذه السورة كما سيأتي، فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات، ولم يكن له بنات، وإنما كان يورث كلالة، ولكن ذكرنا الحديث هاهنا تبعا للبخاري، رحمه الله، فإنه ذكره هاهنا. والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية، والله أعلم"[٤].

١٠-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)} [النساء : ١٩]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها:أخرج الطبري وابن أبي حاتم [٥]، عن ابن عباس قال :"كان الرجل إذا مات وترك جارية، ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس. فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها"[٦].

وعن ابن عباس أيضا:" وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته، فورث نكاحها، فلم ينكحها أحد غيره، وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية، فأنزل الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا}"[٧].

---

(١) تفسير الطبري(٨٧٢٦):ص٣٢/٨.

(٢) هذه الزيادة في العجاب:٨٤٦/٢.

(٣) وهو قوله: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)} [النساء : ١٧٦].

(٤) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٢.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٠٢٨):ص٩٠٢/٣.

(٦) تفسير الطبري(٨٨٨٢):ص١٠٩/٨.

(٧) أخرجه الطبري(٨٨٨٠):ص١٠٨/٨.

وفي السياق نفسه أخرج البخاري، وأبو داود[١]، والستائي[٢]، عن ابن عباس:" «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك»[٣].

وقال مقسم:" كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها فجاء رجلٌ فألقى عليها ثوبه، كان أحق الناس بها، فنزلت هذه الآية :{لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا}"[٤].

وقال مجاهد:"كان الرجل إذا توفي كان ابنه أحق بامرأته» يقول فنزلت: {لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها}"[٥].

وقال الزهري:" نزلت في ناس من الأنصار، كانوا إذا مات الرجل منهم، فأمْلكُ الناس بامرأته وليُّه، فيمسكها حتى تموت فيرثها، فنزلت فيهم"[٦].

والثاني: أخرجج أبو داود عن ابن عباس:" وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها، فأحكم الله عن ذلك ونهى عن ذلك"[٧].

والثالث: أخرج الطبري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : "لما توفي أبو قيس بن الأسلت، أراد ابنه أن يتزوج امرأته، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله : {لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا}"[٨].

قال عكرمة:" نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم، من الأوس، توفّي عنها أبو قيس بن الأسلت، فجنح عليها ابنه، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله، لا أنا ورثت زوجي، ولا أنا تُركت فأنكح! فنزلت هذه الآية"[٩].

---

(١) السنن(٢٠٨٩)، و(٢٠٩٠).

(٢) السنن الكبرى(١١٠٢٨):ص٦٠/١٠.

(٣) صحيح البخاري(٤٥٧٩):ص٤٤/٦، و(٦٩٤٨):ص٢١/٩.

(٤) أخرجه الطبري(٨٨٨١):ص١٠٨/٨.

(٥) تفسير مجاهد:٢٧٠.

(٦) أخرجه الطبري(٨٨٨٣):ص١٠٩/٨.

(٧) سنن أبي داود(٢٠٩٠):ص٢٣١/٢. حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٨) تفسير الطبري(٨٨٧٠):ص١٠٤/٨.

(٩) تفسير الطبري(٨٨٧٢):ص١٠٦/٨.

وقال مقاتل:" نزلت في محصن بن أبي قيس بن الأسلت الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج، وفي امرأته هند بنت صبرة، وفي الأسود ابن خلف الجزاعى، وفي امرأته حبيبة بنت أبي طلحة، وفي منظور بن يسار الفزاري وفى امرأته ملكة بنت خارجة بن يسار المري، تزوجوا نساء آبائهم بعد الموت وكان الرجل من الأنصار إذا مات له حميم عمد الذي يرث الميت وألقى على امرأة الميت ثوبا فيرث تزويجها رضيت أو كرهت على مثل مهر الميت فأن ذهب المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ثوبا فهي أحق بنفسها فأتين النبي- صلى الله عليه وسلم- فقلن: يا رسول الله، ما يدخل بنا، ولا ينفق علينا، لا نترك أن نتزوج. فأنزل الله- عز وجل- في هؤلاء النفر :{لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها}"[1].

١١-{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢)} [النساء : ٢٢]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: أخرج الطبري عن عكرمة، قال:"نزلت في أبي قيس بن الأسلت، خلفَ على أمِّ عبيد بنت صخر، كانت تحت الأسلت أبيه وفي الأسود بن خلف، وكان خَلَف على بنت أبي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار، وكانت عند أبيه خلف وفي فاختة بنت الأسود بن المطلب بن أسَد، وكانت عند أمية بن خلف، فخلف عليها صفوان بن أمية وفي منظور بن زبّان، وكان خلف على مُليكةِ ابنة خارجة، وكانت عند أبيه زَبَّان بن سيّار"[2].

والثاني: أخرج ابن أبي حاتم، وابن المنذر[3]، عن عدي بن ثابت، عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس وكان من صالح الأنصار فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعدك ولدا، وأنت من صالحي قومك، ولكن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن أبا قيس توفي. -فقال: خيرا- إن ابنه قيس خطبني وهو من صالحي قومه، وإنما كنت أعده ولدا، فما ترى؟ قال لها: ارجعي إلى بيتك. قال: فنزلت هذه الآية: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ}"[4].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦٤/١.

(٢) تفسير الطبري(٨٩٤٠):ص١٣٣/٨. والحديث رجاله رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الله المخرمي وهو ثقة.

(٣) انظر: تفسير ابن المنذر(١٥٢٥):ص٦١٩/٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٥٠٣٧):ص٩٠٩/٣.

قال مقاتل:" نزلت في محصن بن أبي قيس ابن الأسلت بن الأفلح الأنصاري. وفي امرأته كبشة بنت معن بن معبد ابن عدي بن عاصم الأنصاري من الأوس من بنى خطمة ابن الأوس"[١].

وزاد الثعلبي: "وفي أبي مكيل العدوي، تزوج امرأة أبيه"[٢].

١٢-{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)} [النساء : ٢٣]

قال ابن جُرَيْج : سألت عطاء عن قوله : { وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ } قال : كنا نُحَدِّث، والله أعلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نكح امرأة زيد، قال المشركون بمكة في ذلك، فأنزل الله عز وجل:{ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ }، ونزلت:{ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ } [الأحزاب : ٤]، ونزلت:{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ } [الأحزاب : ٤٠]"[٣].

١٣-{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)} [النساء : ٢٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج مسلم وغيره[٤]، عن أبي سعيد الخدري:" أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم حنين بعث جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوا فقاتلوهم فظهر عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسًا من أصحاب الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل :{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}، أي: فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن"[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٦٥-٣٦٦.

(٢) تفسير الثعلبي:٣/٢٨٠.

(٣) تفسير ابن كثير:٢/٢٥٣.

(٤)والحديث أخرجه الترمذي: ٤ /٨٦ ، وقال حديث حسن صحيح، وأبو داود (٢٣٥٣):ص٢ /٢١٣، والنسائي: ٦ /٩١، والإمام أحمد: ٣ / ٧٢ و٨٤ ،وابن جرير الطبري(٨٩٦٧)-(٨٩٧١):ص٨/١٥٣-١٥٥.

(٥) صحيح مسلم:١٠/٣٥.

وقد روى الطبراني من طريق الضحاك عن ابن عباس : "أنها نزلت في سبايا خيبر، وذكر مثل حديث أبي سعيد"[١].

قال ابن كثير:"وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها، أخذا بعموم هذه الآية"[٢].

والثاني: روى ابن أبي خيثمة، وعبد بن حميد في التفسير، وأبو مسلم الكجّي، كلّهم من طريق العباس بن خليس عن عكرمة، قال: "إن هذه الآية التي في النساء:{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّساءِ} [النساء ٢٤] نزلت في امرأة يقال لها: معاذة، كانت تحت شيخ من بني سدوس يقال له شجاع بن الحارس، وكان معه ضرّة لها ولدت لشجاع أولادا، وأن شجاعا انطلق يمير أهله من هجر فمرّ بمعاذة ابن عمّ لها فقالت له: احملني إلى أهلي، فرجع الشيخ فلم يجدها، فانطلق إلى النّبي صلّى اللّه عليه وسلم فشكا إليه وأنشده:

يا مالك النّاس وديّان العرب [الرجز] الأبيات.

فقال: «انطلقوا فإن وجدتم الرّجل كشف لها ثوبا فارجموها، وإلّا فردّوا إلى الشّيخ امرأته»، قال: فانطلق ابن ضرتها مالك بن شجاع بن الحارث، فجاء بها، فلما أشرف على الحيّ استقبلته أمّ مالك ترميها بالحجارة وتقول لابنها: يا ضار أمه. قال: فلما نزلت معاذة، واطمأنت جعل شجاع يقول:

لعمري ما حبّي معاذة بالّذي ... يغيّره الواشي ولا قدم العهد"[٣]

قال ابن حجر:" وقصتها شبيهة بقصة معاذة زوج الأعشى المازني[٤] وهي عند أحمد في "المسند"[٥]، وما أدري أهما واحدة أو اتفق الاسم والقصة؟"[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٥٧/٢.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٥٧/٢.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة:٢٥٦/٣، وانظر: الدر المنثور:٤٨٢/٢، والعجاب:٨٥٦/٢-٨٥٨.

(٤)الأعشى المازني هو عبد الله بن الأعور وترجمته في "الإصابة" بالاسم واللقب في "١/ ٥٤ و٢/ ٢٧٦" وله ذكر في ترجمة نضلة بن طريف "٣/ ٥٥٥".

(٥)انظر "المسند" "٢/ ٢٠١-٢٠٢" في "مسند عبد الله بن عمرو"! و"الإصابة" في ترجمة عبد الله بن الأعور "٢/ ٢٧٦".

(٦) العجاب:٨٥٨/٢، وقال الحافظ في "الإصابة" في ترجمة شجاع "٣/ ٢٥٦"."وقد وقع نحو ذلك للأعشى المازني" فهو جازم بالتعدد ولكنه هنا متردد! والظاهر أن "الإصابة" متأخر عن العجاب.

والثالث: أن هذه الآية نزلت في نساءٍ كُنَّ هَاجَرن إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولهن أزواج، فتزوجهن المسلمون، ثم قدم أزواجهن مهاجرين، فنهي المسلمون عن نكاحهن، وهذا قول أبي سعيد الخدري[١].

والرابع: أخرج أحمد وغيره[٢]، عن قيس، عن عبد الله، قال: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله، ألا نستخصي ؟ " فنهانا عنه، ثم رخص لنا بعد في أن نتزوج المرأة بالثوب إلى أجل "، ثم قرأ عبد الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} [المائدة: ٨٧] "[٣].

والخامس: أخرج الطبري عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال : "زعم حضرميٌّ : أن رجالا كانوا يفرضون المهر، ثم عسى أن تُدرك أحدهم العسرة، فقال الله : {ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة}"[٤].

١٤-{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)} [النساء : ٢٧]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قوله: { أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}،والميل العظيم: أن اليهود يزعمون أن نكاح الأخت من الأب حلال من الله"[٥]. زاد ابن الحجر:" فأنزل الله هذه الآية"[٦].

والثاني: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[٧]، عن السدي:" { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ}، قال : هم اليهود والنصارى"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٩٠١٢):ص١٦٤/٨.

(٢)والبخاري(٤٦١٥):ص ٦٦/٦، وفي(٥٠٧١):ص ٤/٧ ، وفي(٥٠٧٥):ص ٥/٧، ومسلم(٣٣٩١) :ص ١٣٠/٤، وفي (٣٣٩٢). وفي(٣٣٩٣)، و"النسائي" في "الكبرى" (١١٠٨٥).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٦٥٠):ص٣٨٥/١ ،وفي(٣٧٠٦):ص ٣٩٠/١ ، وفي(٣٩٨٦):ص ٤٢٠/١، وفي(٤١١٣):ص٤٣٢/١ ،وفي(٤٣٠٢):ص٤٥٠/١.

(٤) تفسير الطبري(٩٠٤٥):ص١٨٠/٨.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(٥١٧٤):ص٩٢٦/٣. وعزاه إليه في "الدر" "٢/ ٤٩٣" وهو فيه أطول مما هنا.

(٦) العجاب:٨٦١/٢.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم(٥١٧١):ص٩٢٥/٣.

والثالث: قال الزمخشري:"وقيل: المجوس: كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرمهن الله قالوا: فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة، والخالة والعمة عليكم حرام، فانكحوا بنات الأخ والأخت، فنزلت"[٢].

قال الطبري:" هم اليهودُ خاصة، وكانت إرادتهم من المسلمين اتّباعَ شهواتهم في نكاح الأخوات من الأب. وذلك أنهم يحلون نكاحَهنّ، فقال الله تبارك وتعالى للمؤمنين : ويريدُ الذين يحلّلون نكاح الأخوات من الأب، أن تميلوا عن الحق فتستحلّوهن كما استحلوا"[٣].

١٥-**{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)} [النساء : ٣٢]**

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج أحمد وغيره[٤]، عن مجاهد، قال: "قالت أم سلمة:يارسول الله يغزو الرجال ولانغزو، ولنا نصف الميراث، فانزل الله: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}"[٥]. قال مجاهد:" ونزلت :{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}[سورة الأحزاب : ٣٥][٦]"[٧]. وروى عن مقاتل ابن حيان[٨]، وخصيف[٩]، نحو ذلك.

---

(١) تفسير الطبري(٩١٣٣):ص٢١٣/٨.

(٢) الكشاف:٥٠١/١.

(٣) تفسير الطبري:٢١٤/٨.

(٤) وأخرجه الترمذي في كتاب "التفسير" "٥/ ٢٢١"، وادعى الترمذي الانقطاع بين مجاهد وأم سلمة رضي الله عنها، والصواب الاتصال بينهما [حاشية جامع الأصول: ٨٧/٢]. وأخرجه كذلك الطبراني في "الكبير" "٢٣/ ٢٨٠" والحاكم في "المستدرك" "٢/ ٣٠٥" وقال: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة" وسكت الذهبي!، وعبدالرزاق في تفسيره: (٥٦٣):ص٤٥٠/١، وابن أبي حاتم(٥٢٢٤):ص٩٣٥/٣، والواحدي في "الأسباب": ١٤٩-١٥٠، وآخرون. وانظر "مرويات الإمام أحمد في التفسير" "١/ ٣٥٢" و"الدر المنثور" "٢/ ٥٠٧" و"اللباب" "ص٦٧".

(٥)"المسند:٦/ ٣٢٢ .

(٦) [سورة الأحزاب:٣٥].

(٧) تفسير الطبري في تفسيره(٩٢٣٧):ص٢٦/٨.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٢٢٥):ص٩٣٥/٣، وانظر: تفسير مجاهد:١٥٤/١.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٢٢٥):ص٩٣٥/٣، وانظر: تفسير مجاهد:١٥٤/١.

وفي هذا السياق أخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس، قال:" أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبي الله، للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا، إن عملت امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: {ولا تتمنوا}: فإنه عدل مني وأنا صنعته"(١).

والثاني: قال مقاتل:" لما نزلت: { **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**}(٢)، قالت النساء: لم هذا؟ نحن أحق أن يكون لنا سهمان ولهم سهم لأنا ضعاف الكسب والرجال أقوى على التجارة والطلب والمعيشة منا، فإذا لم يفعل الله ذلك بنا فإنا نرجو أن يكون الوزر على نحو ذلك علينا وعليهم فأنزل الله في قولهم كنا نحن أحوج إلى سهمين، قول- سبحانه-:{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}"(٣).

ونحو هذ السياق أخرج الطبري عن عبد الرزاق قال : "أخبرنا معمر، عن شيخ من أهل مكة قوله : {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}، قال : كان النساء يقلن : ليتنا رجال فنجاهد كما يجاهد الرجال، ونغزو في سبيل الله ! فقال الله : {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}"(٤).

وأخرج الواحدي من طريق خصيف عن عكرمة:" أن النساء سألن الجهاد، فقلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}"(٥).

والثالث: أخرج الطبري عن قتادة:" كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المرأة شيئًا ولا الصبيَّ شيئًا، وإنما يجعلون الميراث لمن يَحْترف وينفع ويدفع، فلما نَجَزَ للمرأة نصيبها وللصبيّ نصيبه، وجَعل للذكر مثل حظّ الأنثيين، قال النساء : لو كان جعل أنصباءَنا في الميراث كأنصباء الرجال ! وقال الرجال : إنا لنرجو أن نفضَّل على النساء بحسناتنا في الآخرة، كما فضلنا عليهن في الميراث ! فأنزل الله : {للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن}، يقول : المرأة تُجزى بحسنتها عشر

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٢٣):ص٩٣٥/٣.

(٢) [سورة النساء:١١، ١٧٦].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦٩/١.

(٤) تفسير الطبري(٩٢٤٢):ص٢٦٣/٨، وانظر: تفسير عبدالرزاق(٥٦١):ص٤٤٩/١.

(٥) أسباب النزول:١٥٠.

أمثالها، كما يُجْزى الرجل، قال الله تعالى : {واسألوا الله من فضله}"[١]. وروي عن أبي حريز نحو ذلك[٢].

ونحو هذا السايق أخرج الطبري وابن ابي حاتم[٣]، من طريق السدي في هذه الآية:" فإن الرجال قالوا : نريد أن يكون لنا من الأجر الضعفُ على أجر النساء، كما لنا في السهام سهمان، فنريد أن يكون لنا في الأجر أجران . وقالت النساء : نريد أن يكون لنا أجرٌ مثل أجر الرجال، فإنا لا نستطيع أن نقاتل، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا ! فأنزل الله تعالى الآية، وقال لهم : سلوا الله من فضله، يرزقكم الأعمال، وهو خير لكم"[٤].

والرابع: وفي سياق نزول الآية أخرج عبدالرزاق عن معمر , عن الكلبي: "لا تتمنى زوجة أخيك , ولا مال أخيك , واسأل الله أنت من فضله"[٥].

والظاهر أن قوله تعالى: {وَلا تَتَمَنَّوْا ... } تخاطب الرجال لا النساء، واستفسار أم سلمة عن النساء يقتضي أن يكون الخطاب لهن، وهذا ما يقال في الروايات الأخرى المذكورة هنا ما عدا رواية عبد بن حميد وما بعدها، ثم إن هذه الآية مرتبطة بما قبلها وهي الآية :(٢٩): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ... } فالنهي عن التمني متصل بالنهي عن أكل بعض الناس أموال بعضهم[٦].

ولعل الأرجح نزول آية الأحزاب جوابا لأم سلمة، يقويه نص وسياق الآية .والله أعلم.

١٦-{وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)} [النساء : ٣٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج عبدالرزاق عن قتادة:" كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك , وهدمي هدمك وترثني وأرثك وتطلب بدمي وأطلب بدمك , فلما جاء الإسلام بقي منهم ناس ,

(١) أخرجه الطبري(٩٢٤٩):ص٨/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٩٢٥٠):ص٨/٢٦٦.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٢٩):ص٣/٩٣٦.

(٤) أخرجه الطبري(٩٢٤٦):ص٨/٢٦٤.

(٥) تفسير عبدالرزاق(٥٦٢):ص١/٤٥٠.

(٦)انظر "التفسير الحديث" لدروزة "٩/ ٦٣.

فأمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث وهو السدس , ثم نسخ ذلك بالميراث بعد " , فقال: {وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض} [الأحزاب: ٦]"[١].

وفي هذا السياق أخرج ابن أبي حاتم عن السدي، عن أبي مالك في قوله: "{والذين عقدت أيمانكم}، الآية. قال: كان الرجل في الجاهلية يأتي القوم، فيعقدون له أنه رجل منهم إن كان ضرا أو نفعا أو دما، فإنه فيهم مثلهم، ويأخذوا له من أنفسهم مثل الذي يأخذون منه، قال: فكانوا إذا كان قتال قالوا: يا فلان: أنت منا فانصرنا، قالوا: وإن كانت منفعة قالوا: أعطنا أنت منا، ولم ينصروه كنصرة بعضهم بعضا إن استنصروه، وإن نزل به أمر أعطاه بعضهم ومنعه بعضهم، ولم يعطوه مثل الذي يأخذون منه، قال: فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه وتحرجوا من ذلك، وقالوا: قد عاقدناهم في الجاهلية، فأنزل الله تعالى: {والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم}، قال: أعطوهم مثل الذي تأخذون منهم"[٢]. وأخرجه الطبري عن السدي بنحوه[٣].

وقال مقاتل:" كان الرجل يرغب في الرجل فيحالفه ويعاقده على أن يكون معه وله من ميراثه كبعض ولده. فلما نزلت هذه الآية آية المواريث ولم يذكر أهل العقد فأنزل الله- عز وجل- :{والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم}، يقول: أعطوهم الذي سميتم لهم من الميراث"[٤].

والثاني: أخرج البخاري[٥]، وأبو داود[٦]، والنسائي[٧]، والطبري[٨]، وابن أبي حاتم[٩]، وآخرون[١٠]، عن ابن عباس:" كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت :{ولكل جعلنا موالى}

---

(١) تفسير عبدالرزاق(١٩١٩٧):ص٣٠٥/١٠، وعنه الطبري (٩٢٧٠):ص٨/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٤٢):ص٩٣٩/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٩٢٨٧):ص٢٨٠/٨.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦٩/١-٣٧٠.

(٥) صحيح البخاري (٢٢٩٢):ص ١٢٥/٣، و(٤٥٨٠):ص٥٥/٦،و(٦٧٤٧):ص ١٩٠/٨.

(٦) سنن أبي داود(٢٩٢٢).

(٧) انظر: السنن الكبرى(٦٣٨٤) و(١١٠٣٧)..

(٨) انظر: تفسير الطبري(٩٢٧٥):ص٢٧٧/٨.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٣٦):ص٩٣٧/٣.

(١٠)وابن المنذر والنحاس والحاكم والبيهقي في "سننه" كما في "الدر" "٢/ ٥٠٩".

نسخت، ثم قال {والذين عاقدت أيمانكم}، إلا النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له".

والثالث: أخرج أبو داود عن داود بن الحصين، قال: "كنت أقرأ على أم سعد[١] بنت الربيع - وكانت يتيمة في حجر أبي بكر - فقرأت: {والذين عقدت أيمانكم} [النساء: ٣٣]، فقالت: لا تقرأ: {والذين عقدت أيمانكم} [النساء: ٣٣]، إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن، حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر ألا يورثه، فلما أسلم أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يؤتيه نصيبه"[٢].

ونقل الثعلبي عن أبي روق :" نزل قوله: {ولكل جعلنا موالي}، الآية، في أبي بكر الصديق، وابنه عبد الرحمن، وكان كافرا، أن لا ينفعه ولا يورثه شيئا من ماله، فلما أسلم عبد الرحمن أمر أن يؤتى نصيبه من المال"[٣].

والراجح-والله أعلم- انها نزلت " في أهل العقد بالحلف، إذ أمروا أن يؤتي بعضهم بعضًا أنصباءهم من النصرة والنصيحة وما أشبه ذلك، دون الميراث"[٤].

قال ابن كثير:"والصحيح أن هذا كان في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف، ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك، وإن كانوا قد أمرُوا أن يوفوا بالعقود والعهود، والحلف الذي كانوا قد تعاقدوا قبل ذلك تقدم في حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة : «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»[٥]، وهذا نص في الرد على ما ذهب إلى التوارث بالحلف بالحلف اليوم كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، ورواية عن أحمد بن حنبل[٦]، رحمه الله.

والصحيحُ قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد -في المشهور عنه-"[٧].

---

(١)هي زوجة زيد بن ثابت انظر :الإصابة:٤٥٦/٤.

(٢) سنن ابي داود(٢٩٢٣):ص١٢٨/٣. وأخرجه البيهقي ٦/ ٢٠٤ من طريق أبي داود، بهذا الإسناد. ضعّفه الألباني لأن فيه ابن إسحاق -وهو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي- مدلس وقد عنعن، قال ابن كثير ي تفسيره:٢٩٠/٢: وهذا قول غريب".

(٣) تفسير الثعلبي:٣٠١/٣-٣٠٢.

(٤) تفسير الطبري:٢٧٨/٨.

(٥)أخرجه أحمد(١٦٨٨٣):ص ٨٣/٤، ومسلم(٦٥٥٦):ص ١٨٣/٧، وأبو داود (٢٩٢٥)، والنسائي في الكبرى(٦٣٨٥).

(٦)) انظر: صحيح البخاري برقم (٦٧٣٥) وصحيح مسلم برقم (١٦١٥).

(٧) تفسير ابن كثير:٢٩٠/٢-٢٩١.

١٧-{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)} [النساء : ٣٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج ابن أبي حاتم وغيره[١]، عن الحسن قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القصاص فأنزل الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}، فرجعت بغير قصاص"[٢]. وأخرج الطبري عن ابن جريج نحو ذلك[٣].

وفي رواية ابن المنذر عن الحسن:" أن رجلا لطم امرأته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينكما القصاص، ونزل القرآن: {ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه} فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}، إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أردنا أمرا وأراد الله غيره "[٤]. وأخرج الطبري عن الحسن نحوه[٥].

والثاني: ونقل الثعلبي عن الكلبي: "نزلت في أسعد بن الربيع وامرأته بنت محمد بن مسلم"[٦].

والثالث: وقال مقاتل:" نزلت في سعد بن الربيع بن عمرو من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الأنصار من بني الحارث بن الخزرج، وذلك أنه لطم امرأته فأتت أهلها فانطلق أبوها معها إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال:أنكحته وأفرشته كريمتي فلطمها. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لتقتص من زوجها فأتت مع زوجها لتقتص منه. ثم قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ارجعوا هذا جبريل- عليه السلام- قد أتاني وقد أنزل الله- عز وجل-:

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}"[١].

---

(١) وأخرجه الواحدي في اسباب النزول:١٥٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٤٦):ص٣/٩٤٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٩٣٠٨):ص٨/٢٩٢.

(٤) تفسير ابن المنذر(١٧٠١):ص٢/٦٨٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٩٣٠٧):ص٨/٢٩٢.

(٦) تفسير الثعلبي:٣/٣٠٢.

والرابع: وقال أبو روق: "نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي، وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تستعدي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}"[٢].

والخامس: أخرج الطبري عن قتادة:" صكّ رجل امرأته، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يُقِيدَها منه، فأنزل الله : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}"[٣].

١٨- {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)} [النساء : ٣٧]

في سبب نزول الآية ثلاثة وجوه:

أحدها: أخرج الطبري عن ابن عباس قال : "كان كَرْدَم بن زيد[٤]، حليفُ كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبَحْريّ بن عمرو ، وحُيَيّ بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار ، وكانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم ، فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة ، فإنكم لا تدرون ما يكون! فأنزل الله فيهم : {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، أي : من النبوة، التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم { وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}، إلى قوله : " **{ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا}**[٥] "[٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧٠/١.

(٢) تفسير الثعلبي:٣٠٢/٣.

(٣) تفسير الطبري(٩٣٠٦):ص٢٩١/٨.

(٤)" كردم بن زيد " في سيرة ابن هشام : " كردم بن قيس " ، وهو المذكور في سيرة ابن هشام ٢ / ١٦٠ ، أيضًا أنه حليف كعب بن الأشرف ، من بني النضير. أما " كردم بن زيد " في رواية الطبري عن ابن إسحاق ، فقد ذكره ابن هشام في سيرته ٢ : ١٦٢ ، وعده من بني قريظة. هذا ، والذين ذكرهم في هذا الأثر من اليهود منسوبون في سيرة ابن هشام ، وهذه نسبتهم : " كردم بن قيس " و " حيي بن أخطب " من بني النضير و " كردم بن زيد " ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، من بني قريظة وبحري بن عمرو ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، من بني قينقاع.

(٥) [سورة النساء:٣٩].

(٦) تفسير الطبري(٩٥٠١):ص٣٥٣/٨، وأخرجه ابن المنذر(١٧٧١):ص٧٠٦/٢-٧٠٧، عن ابن إسحاق، ورواه ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرته: ٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩.

والثاني: أخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير، قال: "كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، وينهون العلماء أن يعلموا الناس شيئا فعيرهم الله بذلك فأنزل الله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ}، الآية"[١].

وفي هذا السياق أخرج الطبري عن الحضرمي : "{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، قال : هم اليهود، بخلوا بما عندهم من العلم وكَتَموا ذلك"[٢]. وروي عن قتادة[٣]، ومجاهد[٤]، والسدي[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، وابن زيد[٧] ومقاتل بن سليمان[٨] نحو ذلك.

والثالث: أخرج الطبري عن وابن زيد، ، قال : هؤلاء يهود. وقرأ : {وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، قال : يبخلون بما آتاهم الله من الرزق ، ويكتمون ما آتاهم الله من الكتب. إذا سئلوا عن الشيء وما أنزل الله كتموه. وقرأ : {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا}[سورة النساء : ٥٣] من بخلهم."[٩].

قال الواحدي:" وأجمعوا على أن الآية نازلة في اليهود"[١٠].

والحق أن دعوى الإجماع غير مسلمة، إذ اختلف في نزولها-كما سبق بيانه- أما كونها أنها نزلت في اليهود، فهو قول الأكثرين.

١٩-{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)} [النساء : ٤٠]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٥٣١٧):ص٩٥١/٣، وإليه عزاه في الدرّ المنثور:٢/ ٥٣٨.

(٢) تفسير الطبري(٩٤٩٤):ص٣٥١/٨-٣٥٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٩٤٩٧):ص٣٥٢/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٩٤٩٥)، و(٩٤٩٦):ص٣٥٢/٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٩٤٩٨):ص٣٥٢/٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٩٤٩٩):ص٣٥٢/٨، وتفسير ابن أبي حاتم(٥٣١٦):ص٩٥١/٣

(٧) انظر: تفسير الطبري(٩٥٠٠):ص٣٥٢/٨-٣٥٣.

(٨) انظر: تفسيره:٣٧٢/١.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٩٥٠٠):ص٣٥٢/٨-٣٥٣.

(١٠) التفسير البسيط:٥٠٩/٦.

أخرج الطبري وسعيد بن منصور[١]، وابن المنذر[٢]، وابن أبي حاتم[٣]، والطبراني[٤]، عن عبد الله بن عمير قال : "نزلت هذه الآية ، في الأعراب:{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [سورة الأنعام : ٦٠] قال : فقال رجل : فما للمهاجرين ؟ قال ، ما هو أعظم من ذلك : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}، وإذا قال الله لشيء : «عظيم»، فهو عظيم"[٥].

٢٠-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)} [النساء : ٤٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: اخرج الطبري وغيره[٦]، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي: "أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر ، فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، فخلط فيها ، فنزلت : {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى}"[٧].

وفي هذا السياق روي عن عطاء هو ابن أبي رباح قال: "أول ما نزل في الخمر {يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}[٨]، فقال بعض المنافقين: نشربها لمنافعها وقال آخرون: لا خير في شيء فيه إثم، ثم نزلت {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىْ} فقال

---

(١)انظر :الدر المنثور:٢/ ٥٣٩-٥٤٠..

(٢) تفسير ابن المنذر(١٧٧٧):ص٢/٧١٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(٥٣٣٨):ص٣/٩٥٥.

(٤)انظر :الدر المنثور:٢/ ٥٣٩-٥٤٠..

(٥) تفسير الطبري(٩٥١١):ص٨/٣٦٧.

(٦)وأخرجه عبد بن حميد(٨٢)، وأبو داود(٣٦٧١)، والترمذي(٣٠٢٦)، وقال: "حديث حسن صحيح غريب". والنسائي في التفسير في "الكبرى" كما في التحفة:٧/ ٤٠٢، والحاكم في "مستدركه"، كتاب التفسير:٢/ ٣٠٧" قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي وكتاب "الأشربة" "٤/ ١٤٢" وكذلك أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٥٢):ص٣/٩٥٨، والواحدي :١٥٣-١٥٤.

(٧) تفسير الطبري(٩٥٢٤):ص٨/٣٧٦.

(٨) [سورة البقرة:٢١٩].

بعض الناس: نشربها ونجلس في بيوتنا، وقال آخرون: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ}[1]، فنهاهم فانتهوا"[2].

والثاني: أخرج الطبري عن يزيد بن أبي حبيب عن "قول الله : {ولا جنبًا إلا عابري سبيل}، أنّ رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد ، تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم ، فيريدون الماء ولا يجدون ممرًّا إلا في المسجد ، فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا جنبًا إلا عابري سبيل}"[3].

والثالث: أخرج الطبري والإام احمد[4]، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أنها قالت : "سقطت قلادة لي بالبَيداء ، ونحن داخلون إلى المدينة ، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل. فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجْري راقد ، أقبل أبي فلكزني لكْزة ثم قال : حبست الناس! ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ وحَضرت الصبح ، فالتمس الماء فلم يوجد ، ونزلت : {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة }الآية. قال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر! ما أنتم إلا بركة!"[5].

وفي رواي أخرى: عن آلقاسم، عن عائشة. أنها قالت: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات آلجيش) آنقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على آلتماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى آلناس إلى أبي بكر. فقالوا: ألا ترى الى ماصنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه، وليسوآ على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام. فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ماشاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من آلتحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل آية التيمم، فتيمموا، فقال: أسيد بن الحضير -(وهو

---

(١) [سورة المائدة:٩٠].

(٢) العجاب في بيان الأسباب:٢/٨٧٢.

(٣) تفسير الطبري(٩٥٦٧):ص٨/٣٨٤.

(٤)انظر: المسند ٦ : ٥٧ (حلبي).

(٥) تفسير الطبري(٩٦٤١):ص٨/٤٠٥.

أحد آلنقباء)- : ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر! فقالت عائشة: فبعثنا البعير آلذي كنت عليه، فوجدنا آلعقد تحته "[١].

والرابع: أخرج الطبري وغيره[٢]، عن الأسلع بن شريك قال : "كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأرحَلُ له ، فقال لي ذات ليلة : يا أسلع ، قم فارحلْ لي. قلت : يا رسول الله ، أصابتني جنابة! فسكت ساعة ، ثم دعاني وأتاه جبريل عليه السلام بآية الصعيد ، ووصف لنا ضربتين"[٣].

والخامس: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد:" قوله: {ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر}، قال: نزلت في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم فينا له، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤].

والسادس: أخرج الطبري عن إبراهيم قال : "أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحة ففشت فيهم ، ثم ابتلوا بالجنابة ، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : {وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط}، الآية كلها"[٥].

---

(١)أخرجه مالك في "الموطأ": ٥٧، وأحمد" ١٧٩/٦، والبخاري: ٩١/١ و٥٢/٧، وفي ٦٣/٦ و٦٤ و٢١٥/٨، ومسلم ١٩١/١، والنسائي: ١٦٣/١ ، وفي "الكبرى" ٢٩٥ و١١٠٤٢ ، و"ابن خزيمة" ٢٦٢، و الطبري(٩٦٣٥):ص٨/٤٠٠-٤٠١.

وهذا الحديث ظاهره الإرسال. لأنه - هنا - من رواية عبد الرحمن بن القاسم عن عائشة. وعبد الرحمن لم يدرك أن يسمع من عمة أبيه عائشة.

الروايات مطولة ومختصرة، وأثبتنا لفظ رواية مسلم.

(٢)ورواه ابن سعد في الطبقات ٧ / ١ / ٤٥ ، في ترجمة " الأسلع "، ورواه الدارقطني ، ص : ٦٦ ، والطحاوي في معاني الآثار ١ / ٦٧ - ٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١ / ٢٠٨ - كلهم من طريق الربيع بن بدر. وقال البيهقي:" الربيع بن بدر ضعيف، إلا أنه غير منفرد به". ونقله الزيلعي في نصب الراية ١ / ١٥٣ ، ونقل كلام البيهقي ، وتعقبه بأن هذا لا يكفي في الاحتجاج به حتى يعلم الوجه الآخر ودرجته.

الطبراني في الكبير ، من هذا الوجه. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ ، وقال : " وفيه الهيثم بن رزيق. قال بعضهم : لا يتابع على حديثه ". وذكر الهيثمي أيضًا رواية الربيع بن بدر ، بلفظين ١ / ٢٦٢ ، ونسبهما للطبراني في الكبير ، وأعلمهما بضعف الربيع.

(٣) تفسير الطبري(٩٦٣٧)، و(٩٦٣٨):ص٨/٤٠٢-٤٠٣.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٥٣٦٥):ص٣/٩٦١.

(٥) تفسير الطبري(٩٦٣٤):ص٨/٣٩٩.

والسابع: قال مقاتل:"نزلت في عبد الرحمن بن عوف أصابته جنابة وهو جريح فشق عليه الغسل وخاف منه شرا أو يكون به قرح أو جدري فهو بهذه المنزلة، فذاك قوله سبحانه: {وإن كنتم مرضى}، يعني به جرحا فوجدتم الماء فعليكم التيمم، {وإن كنتم على سفر}، وأنتم أصحاء، نزلت في عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها-"[١].

٢١- **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)} [النساء : ٤٤ - ٤٦]**

في سبب نزول الآيات[٤٤-٤٦]:

أخرج الطبري وابن أبي حاتم[٢]، عن ابن عباس قال : "كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظمائهم - يعني من عظماء اليهود إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : راعنا سمعَك ، يا محمد حتى نفهمك! ثم طعن في الإسلام وعابه ، فأنزل الله : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ}، إلى قوله : {فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}[٣]"[٤].

وفي السياق نفسه: أخرج الطبري عن عكرمة : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ}، إلى قوله:{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}[٥]، قال : نزلت في رفاعة بن زيد بن السائب اليهودي"[٦].

وأخرج ابن المنذر عن السدي في قوله عز وجل: " {من الذين هادوا} الآية، قال: كان رجلان من اليهود، يقال لأحدهما: مالك بن الضيف والآخر: رفاعة بن زيد، إذا لقيا النبي صلى الله عليه وسلم، قالا له، وهما يكلمانه: راعنا سمعك، واسمع غير مسمع، كقولك: اسمع غير صاغر، فظن المسلمون أن هذا شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم قال أصحاب النبي صلى الله عليه

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٧٤-٣٧٥.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٣٨١):ص٣/٩٦٣.

(٣)[سورة النساء : ٤٦].

(٤) تفسير الطبري(٩٦٨٩):ص٨/٤٢٧، و(٩٦٩٠):ص٨/٤٢٨

(٥)[سورة النساء : ٤٦].

(٦) تفسير الطبري(٩٦٨٨):ص٨/٤٢٧.

وسلم للنبي مثل ذلك، فنهوا عن ذلك، فأنزل الله جل وعز: {يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا} "[1].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: "وكان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف وأسامة بن حبيب، ورافع بن أبي رافع، وبحر بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد يأتون رجالا من الأنصار يخالطونهم وينصحون لهم من أصحاب محمد، فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله تعالى: {ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا}[2]"[3].

وقال مقاتل:" {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا}... وهم اليهود، منهم: إصبع، ورافع ابنا حريملة، وهما من أحبار اليهود، { ويريدون أن تضلوا السبيل}،يعني: أن تخطئوا قصد طريق الهدى كما أخطأوا الهدى، نزلت في عبد الله بن أبي، ومالك بن دخشم حين دعوهما إلى دين اليهودية وعيروهما بالإسلام وزهدوهما فيه وفيهما نزلت"[4].

وأخرج الطبري عن عبيد بن سليمان قال :"سمعت الضحاك يقول في قوله :{راعنا ليًّا بألسنتهم}، كان الرجل من المشركين يقول : أرعني سمعك! يلوي بذلك لسانه، يعني : يحرِّف معناه"[5].

٢٢-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)} [النساء : ٤٧]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدها: أخرج الطبري وابن أبي حاتم[6]، عن السدي : " {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} إلى قوله : { كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ} ، قال : نزلت في مالك بن الصَّيِّف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، من بني قينقاع"[7].

---

(١) تفسير ابن المنذر(١٨٣٧):ص٧٣٣/٢.

(٢) [سورة النساء: الآيات٤٤-٤٥] .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(٥٣٨٧):ص٩٦٤/٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧٥/١-٣٧٦

(٥) تفسير الطبري(٩٧٠٤):ص٤٣٦/٨.

(٦) انظظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٤١٠):ص٩٦٨/٣.

(٧) تفسير الطبري(٩٧٢١):ص٤٤٢/٨.

والثاني: أخرج الطبري ابن عباس قال : "كلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود : منهم عبد الله بن صوريا ، وكعب بن أسد فقال لهم : «يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا! فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحقٌّ! فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد! وجحدوا ما عرفوا ، وأصرّوا على الكفر»[١]، فأنزل الله فيهم : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا}، الآية"[٢]. وروي عن عكرمة نحو ذلك[٣].

٢٣-{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)} [النساء : ٤٨]

قال أبو أيوب الأنصاري: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال: يصلي ويوحد الله. قال: استوهب منه دينه، فإن أبى فابتاعه منه، فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال: وجدته شحيحا على دينه، قال: ونزلت: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}"[٤].

٢٤- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (٥٠)} [النساء : ٤٩ - ٥٠]

في سبب نزول الآيتين: [٤٩-٥٠]، أقوال:

أحدها: أخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس:" كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، وكذبوا قال الله إني لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له، ثم أنزل الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ}"[٥].

قال ابن أبي حاتم:"وروي عن مجاهد[٦]، وأبي مالك، والسدي، وعكرمة والضحاك نحو ذلك"[٧].

---

(١)صحيح البخاري: ٤/ ٢٦٠ بتفاوت..

(٢) تفسير الطبري(٩٧٢٤):ص٨/٤٤٥-٤٤٦.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٤١١):ص٣/٩٦٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٢٤):ص٣/٩٧١.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٣٠):ص٣/٩٧٢.

(٦) تفسير مجاهد:٢٨٣، واخرجه ابن المنذر(١٨٥٩):ص٢/٧٤٠

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٣٠):ص٣/٩٧٢.

والثاني: وقال الضحاك:" أما قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ}، فإن اليهود قالوا: ليس لنا ذنوب كما أنه ليس لآبائنا ذنوب، فأنزل الله تعالى ذلك فيهم"[١].

والثالث: نقل الواحدي عن الكلبي، قال: "نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأطفالهم وقالوا: يا محمد. هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار، فهذا الذين زكوا به أنفسهم"[٢]. وذكر مقاتل مثل ذلك[٣].

والرابع: أخرج الطبري عن الحسن، قال:"هم اليهود والنصارى ، قالوا : {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}[٤]، وقالوا : {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}[٥]" [٦].

وفي السياق نفسه أخرج الطبري عن قتادة، قال:" وهم أعداء الله اليهود ، زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه ، فقالوا : {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}[٧]، وقالوا : لا ذنوب لنا " [٨].

٢٥- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نُقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)} [النساء : ٥١ - ٥٤]

سبب نزول الآيات[٥١-٥٤]:

أخرج الطبري وابن ابي حاتم[٩]، وغيرهما[١]، عن ابن عباس قال : "لما قدم كعب بن الأشرف مكة ، قالت له قريش : أنت حَبْر أهل المدينة وسيدهم ؟ قال : نعم. قالوا : ألا ترى إلى هذا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٣٢):ص٩٧٢/٣.

(٢) أسباب النزول:١٥٥.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧٨/١.

(٤)[سورة المائدة : ١٨].

(٥)[سورة البقرة : ١١١].

(٦) تفسير الطبري(٩٧٣٤):ص٤٥٢/٨.

(٧)[سورة المائدة : ١٨].

(٨) تفسير الطبري(٩٧٣٣):ص٤٥٢/٨.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٤٠):ص٩٧٣/٣-٩٧٤.

الصُّنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السِّدانة وأهل السِّقاية ؟ قال : أنتم خير منه. قال : فأنزلت : {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}[سورة الكوثر : ٣] ، وأنزلت : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} ، إلى قوله : " {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا }[٢]"[٣]. وروي عن قتادة[٤]، ومجاهد[٥]، والسدي[٦]، وعكرمة[٧]، نحو ذلك.

أخرج ابن ابي حاتم عن قتادة:" قال: ذكر لنا هذه الآية[٨]، نزلت في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، رجلين من اليهود من بني النضير، لقيا قريشا بالموسم، فقال لهم المشركون: نحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فأنزل الله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا}"[٩].

وفي السياق نفسه اخرج الطبري عن ابن عباس أيضا:" : كان الذين حَزَّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة : حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمار ، ووَحْوَح بن عامر ، وهوذة بن قيس فأما وحوح وأبو عمار وهوذة ، فمن بني وائل ، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأوَل ، فاسألوهم : أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه! فأنزل الله فيهم : {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت}، إلى قوله :{وآتيناهم ملكًا عظيمًا} "[١٠].

---

(١) عزاه ابن كثير في "تفسيره:٣٣٤/٢ إلى الإمام أحمد وليس هو في "مسنده"، وعزاه الهيثمي في "المجمع" "٧/ ٦" إلى الطبراني، وأخرجه ابن حبان انظر "موارد الظمآن" "ص٤٢٨"، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق انظر "الدر" "٢/ ٥٦٣"..

(٢) [سورة النساء:٥٢]..

(٣) تفسير الطبري(٩٧٨٦):ص٤٦٦/٨-٤٦٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٩٧٩٣):ص٤٧٠/٨، وتفسير ابن أبي حاتم(٥٤٥٩):ص٩٧٧/٣، وفيه سبب نزول الآية[٥٢ من السورة]، كما سيأتي.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٩٧٩١):ص٤٦٩/٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٩٧٩٠):ص٤٦٨/٨-٤٦٩..

(٧)انظر: تفسير الطبري(٩٧٨٧)-(٩٧٨٩) :٤٦٧/٨-٤٦٩.

(٨) أي: قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)} [النساء : ٥٢].

(٩) تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٥٩):ص٩٧٧/٣، والآيتان[٥١، و٥٢]، في السياق نفسه.

(١٠)تفسير الطبري(٩٧٩٢):ص٤٦٩/٨-٤٧٠ .

٢٦-{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)} [النساء : ٥٤]

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قوله أعطي نبي الله صلى الله عليه وسلم بضع سبعين شابا، فحسدته اليهود، فقال الله تعالى: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"[١].

وفي السياق نفسه أخرج الطبري[٢]، وابن أبي حاتم عن ابن عباس:" وذلك أن أهل الكتاب قالوا: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في س همه إلا النكاح، فأي ملك أفضل من هذا؟! فقال الله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}"[٣]. قال ابن أبي حاتم:"وروي عن عطية والضحاك[٤]، وسعيد بن جبير والسدي[٥] نحو ذلك"[٦].

٢٧-{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)} [النساء : ٥٨]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: اخرج الطبري وابن المنذر[٧]، عن ابن جريج:" نزلت في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، قَبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح. قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية : فداهُ أبي وأمي! ما سمعته يَتلوها قبل ذلك!"[٨].

وفي هذا السياق قال الثعلبي:أنها " نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان، فطلب منه علي -رضي الله عنه- فأجاب: لو علمت إنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب -

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٧١):ص٩٧٩/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٩٨٢٣):ص٤٧٨/٨.

(٣)تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٧٠):ص٩٧٨/٣-٩٧٩.

(٤) وانظر: قول الضحاك في تفسير الطبري(٩٨٢٥):ص٤٧٨/٨.

(٥) وانظر: قول السدي في تفسير الطبري(٩٨٢٤):ص٤٧٨/٨-٤٧٩..

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٤٧٠):ص٩٧٩/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن المنذر(١٩٢٠):ص٧٦٢/٢.

(٨) تفسير الطبري(٩٨٤٦):ص٤٩١/٨-٤٩٢.

رضي الله عنه- يده، فأخذ منه المفتاح وفتح الباب، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح وجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان، فأوعز إليه ففعل ذلك علي -رضي الله عنه-. فقال له عثمان: يا علي كرهت، وآذيت ثم جئت ترفق، فقال له: بما أنزل الله تعالى في شأنك؟ وقرأ عليه هذه الآية. فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأسلم، فجاء جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه مادام هذا البيت أول لبنة من لبناته قائمة فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان وهو اليوم في أيديهم"[١].

والثاني: أخرج الطبري، وابن المنذر[٢]، وابن ابي حاتم[٣]، عن زيد بن أسلم ، قال:" نزلت هذه الآية : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}، في ولاة الأمر"[٤]. وروي عن محمد بن كعب[٥]، وشهر بن حوشب[٦]، نحو ذلك.

قال الواحدي:" أجمعوا على أنها نازلة في شأن مفتاح الكعبة"[٧].

٢٨-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)} [النساء : ٥٩]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدها: أخرج أحمد[٨]، والبخاري[٩]، ومسلم[١٠]، والثلاثة[١]، والطبري[٢]، وابن أبي حاتم[٣]، والواحدي[٤]، من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا

---

(١) تفسير الثعلبي:٣٣٣/٣ ذكره دون ذكر السند.

(٢) تفسير ابن المنذر(١٩١٩):ص٧٦٢/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٥٢٣):ص٩٨٦/٣.

(٤)تفسير الطبري(٩٨٣٩):ص٤٩٠/٨.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي جاتم(٥٥١٨):ص٩٨٦/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٩٨٤٠):ص٤٩٠/٨.

(٧) التفسير البسيط:٥٣٥/٦.

(٨) المسند(٣١٢٤):ص٣٣٧/١.

(٩) صحيح البخاري(٤٥٨٤):ص٦٧/٦.

(١٠) صحيح المسلم(٤٧٧٤):ص١٣/٦.

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}، قال: "نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى[٥]، بعثه رسول الله , صلى الله عليه وسلم , فى سرية".

وفي السياق نفسه أخرج أحمد[٦]، والبخاري[٧]، ومسلم[٨]، وأبو داود[٩]، والنسائي[١٠]، من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن علي-رضي الله عنه- قال: " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار، قال: فلما خرجوا - قال -: وجد عليهم في شيء، قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قال: قالوا: بلى، قال: فقال: اجمعوا حطبا، ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها، قال: فهم القوم أن يدخلوها، قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا، قال: فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه بذلك، فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا إنما الطاعة في المعروف»[١١]".

---

(١) انظر: سنن أبي داود(٢٦٢٤)، وسنن الترمذي(١٦٧٢)، وسنن النسائي٧/١٥٤، والكبرى(٧٧٦٩)، و(٨٧٧٣)، و(١١٠٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري(٩٨٥٧)، و(٩٨٥٨):ص٨/٤٩٧.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٥٢٩):ص٣/٩٨٧-٩٨٨.

(٤) أسباب النزول:١٥٨-١٥٩.

(٥)هكذا الاسم في البخاري والنسائي، ونقص في أبي داود: "قيس"، وزاد مسلم والترمذي: "السهمي".

(٦) انظر: المسند(٦٢٢):ص١/٨٢، و(٧٢٤):ص١/٩٤، و(١٠١٨):ص١/١٢٤، و(١٠٦٥):ص١/١٢٩.

(٧) صحيح البخاري(٤٣٤٠):ص٥/٢٠٣، و(٧١٤٥):ص٩/٧٨، و(٧٢٥٧):ص٩/١٠٩.

(٨) صحيح المسلم(٤٧٩٣):ص١٣/٣٨٥، و(٤٧٩٤)، و(٤٧٩٥):ص٦/١٦.

(٩) انظر: سنن أبي داود(٢٦٢٥).

(١٠) انظر: سنن النسائي:٧/١٥٩، والكبرى(٧٧٨٠)، و(٨٦٦٨)، و(٨٦٦٩).

(١١) وتعددت الروايات:

- في رواية أخرى: فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: "لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة"، وقال للآخرين قولا حسنا، وقال:" لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف".

- وفي رواية: "لا طاعة لبشر في معصية الله".

- وفي رواية: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله، عز وجل".

[انظر: المسند الجامع(١٠٣٠١):ص١٣/٣٨٤].

والثاني: أخرج الطبري، وابن ابي حاتم[١]، وغيرهما[٢]، عن السدي، قال:" قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريَّة عليها خالد بن الوليد ، وفيها عمار بن ياسر ، فساروا قِبَل القوم الذين يريدون ، فلما بلغوا قريبًا منهم عرَّسوا ، وأتاهم ذو العُيَيْنَتين فأخبرهم ، فأصبحوا قد هربوا، غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد ، فسأل عن عمار بن ياسر ، فأتاه فقال : يا أبا اليقظان ، إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإنّ قومي لما سمعوا بكم هربوا ، وإني بقيت ، فهل إسلامي نافعي غدًا ، وإلا هربت ؟ قال عمار : بل هو ينفعك ، فأقم. فأقام ، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدًا غير الرجل ، فأخذه وأخذ ماله. فبلغ عمارًا الخبر ، فأتى خالدًا ، فقال : خلِّ عن الرجل ، فإنه قد أسلم ، وهو في أمان مني. فقال خالد : وفيم أنت تجير ؟[٣] فاستبًّا وارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : فأجاز أمان عمار ، ونهاه أن يجير الثانية على أمير. فاستبًّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال خالد : يا رسول الله ، أتترك هذا العبد الأجدع يسبني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خالد ، لا تسبَّ عمارًا ، فإنه من سب عمارًا سبه الله ، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله ، ومن لعن عمارًا لعنه الله. فغضب عمار فقام ، فتبعه خالد حتى أخذ بثوبه فاعتذر إليه ، فرضي عنه ، فأنزل الله تعالى قوله :{ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }"[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٥٣١):ص٩٨٨/٣.

(٢) أخرجه الواحدي في اسباب النزول: ١٥٩-١٦٠، باختلاف يسير في الالفاظ، مثلا قوله:" أنت تجير عليّ وأنا الامير؟، "، وقوله:" واستب عمار وخالد بين يدي رسول الله فأغلظ عمار لخالد، فغضب خالد وقال: يا رسول الله أتدع هذا العبد يشتمني، فوالله لولا أنت ما شتمني، وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يا خالد كف عن عمار فإنه من يسب عمارا يسبه الله، ومن يبغض عمارا يبغضه الله".

وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره:١/-٣٨٣٣٨٢، باختلاف يسير في الألفاظ، مثلا:" فقال خالد:

يا نبي الله يسبني هذا العبد الأجدع، وشتم خالد عمارا"، وفيه:" قال خالد: فيم أنت تجير دوني وأنا أمير عليك؟". وفيه:" فقال النبي- صلى الله عليه وسلم - لخالد: قم فاعتذر إليه".

(٣) في رواية الواحدي:١٦٠:"أنت تجير عليّ وأنا الامير؟ فقال: نعم، أنا أجير عليك وأنت الأمير"، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره:٣٨٢/١.

(٤) تفسير الطبري(٩٨٦١):ص٤٩٨/٨-٤٩٩.

٢٩-{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)} [النساء : ٦٠]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها:أخرج الطبري، وابن المنذر[١]، والواحدي[٢]، عن عامر، قال : "كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة ، فكان المنافق يدعو إلى اليهود ، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة ، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين ، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جُهَيْنة ، فأنزل الله فيه هذه الآية : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}، حتى بلغ { وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[٣]"[٤].

وفي السياق نفسه أخرج الطبري وابن ابي حاتم[٥]، عن اسباط عن السدي[٦]، قال:" كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم. وكانت قُرَيظة والنَّضير في الجاهلية ، إذا قُتِل الرجل من بني النضير قتلته بنو قريظة ، قتلوا به منهم. فإذا قُتِل الرجل من بني قريظة قتلته النضير ، أعطوْا ديتَه ستين وَسْقًا من تمر. فلما أسلم ناس من بني قريظة والنضير ، قتل رجلٌ من بني النضير رجلا من بني قريظة ، فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النضيري : يا رسول الله ، إنا كنا نعطيهم في الجاهلية الدية ، فنحن نعطيهم اليوم ذلك. فقالت قريظة : لا ولكنا إخوانكم في النسب والدين ، ودماؤنا مثل دمائكم ، ولكنكم كنتم تغلبوننا في الجاهلية ، فقد جاء الله بالإسلام! فأنزل الله يُعَيِّرهم بما فعلوا فقال : {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} [سورة المائدة : ٥٤] ، فعيَّرهم ، ثم ذكر قول النضيري : " كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقًا ، ونقتل منهم ولا يقتلونا " ، فقال{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}[سورة المائدة : ٥٠]. وأخذ النضيري فقتله بصاحبه ، فتفاخرت النضير وقريظة ،

---

(١) انظر: تفسير ابن المنذر(١٩٤٢):ص٧٦٩/٢.

(٢) انظر: أسباب النزول:١٦١-١٦٣.

(٣) [سورة النساء:٦٥].

(٤) تفسير الطبري(٩٨٩١):ص٥٠٨/٨.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٥٤٩):ص٩٩/٣-٩٩٢.

(٦) رواية أسباط بن نصر عن السدي، سنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط؛ صدوق كثير الخطأ، يُغْرب.

فقالت النضير : نحن أكرم منكم! وقالت قريظة : نحن أكرم منكم! ودخلوا المدينة إلى أبي بُرْدة ، الكاهن الأسلمي ، فقال المنافق من قريظة والنضير : انطلقوا إلى أبي بردَة ينفّر بيننا!"[١].

وفي المعنى نفسه، أخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس:" كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود، فتنافروا إليه أناس من أسلم من اليهود فأنزل الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ}"[٢].

والثاني: أخرج الطبري عن عطية العوفي عن ابن عباس في قوله : {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ }، قال:" و{الطَّاغُوتِ}: رجل من اليهود كان يقال له : كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا ، بل نحاكمكم إلى كعب! فذلك قوله : {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ}، الآية"[٣]. وروي عن مجاهد[٤]، والربيع بن انس[٥]، والضحاك[٦] نحو ذلك.

والثالث: ونقل الثعلبي والواحدي[٧]، والحافظ[٨]، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: "نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر[٩]، كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال: انطلق بنا إلى محمد وقال المنافق بل إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصما إليه، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق، وقال: انطلق بنا إلى عمر -رضي الله عنه- فأقبلا إلى عمر، فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصم إليكم وأنه تعلق بي فجئت معه

---

(١)تفسير الطبري(٩٨٩٦):ص٨/٥١٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٥٥٤٧):ص٣/٩٩١.

(٣) تفسير الطبري(٩٨٩٧):ص٨/٥١١.

(٤) .انظر: تفسير الطبري(٩٨٩٨):ص٨/٥١١-٥١٢

(٥) .انظر: تفسير الطبري(٩٨٩٩):ص٨/٥١٢.

(٦) .انظر: تفسير الطبري(٩٩٠٢):ص٨/٥١٣.

(٧) انظر: اسباب النزول:١٦٢.

(٨) انظر: الفتح" "٥/ ٣٧-٣٨" وقال: "وهذا الإسناد وإن كان ضعيفا لكن تقوى بطريق مجاهد ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد".

(٩)لم يحدد الاسم في الواحدي..

فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال لهما: رويد كما حتى أخرج إليكما، فدخل عمر البيت وأخذ السيف ثم خرج إليهما فضرب به المنافق حتى برد وقال. هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية"[١].

٣٠-{فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢)} [النساء : ٦٢]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها : أن عمر قتل منافقاً لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إخوانه من المنافقين يطالبون بدمه ، وحلفوا بالله أننا ما أردنا في المطالبة بدمه إلا إحساناً إلى النساء ، وما يوافق الحق في أمرنا[٢].

والثاني : أن المنافقين بعد القَوَدِ من صاحبهم اعتذروا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في محاكمتهم إلى غيره بان قالوا ما أردنا في عدولنا عنك إلا توفيقاً بين الخصوم وإحساناً بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرّ الحق ، فنزلت هذه الآية[٣].

والثالث: وقيل: نزلت في المنافقين في بناء مسجد ضرار؛ كقوله - سبحانه وتعالى -: {وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى} [التوبة : ١٠٧][٤].

٣١-{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)} [النساء : ٦٤]

أخرج الطبري عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : " { ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}، إلى قوله : {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[٥]، قال : إن هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف"[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي:٣٣٧/٣.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج:٦٩/٢، وتفسير الماتريدي:٢٣٧/٣-٢٣٨، تفسير الثعلبي:٣٣٩/٣، والنكت والعيوان: ٥٠٢/١، و الوجيز للواحدي:٧٤/٢، وتفسير ابن كثير:٣٤٦/٢.

(٣) انظر: النكت والعيوان: ٥٠٢/١، والكشاف:٥٢٦/١.

(٤) انظر: تفسير الماتريدي:٢٣٧/٣-٢٣٨.

(٥) [سورة النساء:٦٥].

(٦) تفسير الطبري(٩٩٠٧):ص٥١٧/٨، وانظر: تفسير مجاهد:٢٨٦.

قال ابن الجوزي:"قال المفسرون: اختصم يهودي ومنافق، وقيل: بل مؤمن ومنافق، فأراد اليهودي، وقيل: المؤمن، أن تكون الحكومة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فأبى المنافق. فنزل قوله تعالى: {يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت}[النساء:٦٠]، إلى هذه الآية"[١].

قلت: هذا السبب الذي أورده ابن الجوزي في نزول الآية هو مكون من أسباب رويت من طرق محتلفة، أشرنا إليها في تفسير الآية:(٦٠)، من السورة.

٣٢-{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)} [النساء : ٦٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: تقدم قبل هذا النقل عمن قال: إنها نزلت في تحاكم إلى الكاهن، وهو ظاهر السياق، فإن الآيات المذكورة متعاطفة بعضها على بعض، وأولها قصة المتحاكمين، على الاختلاف في ذلك[٢].

عن مجاهد " {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم}،إلى {فلا وربك لا يؤمنون}، حتى قوله: {ويسلموا تسليما} هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم، اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف "[٣].

والثاني: أخرج أحمد[٤]، والبخاري[٥]، ومسلم [٦]، وغيرهم[٧]، عن عروة بن الزبير:" أن الزبير كان يحدث؛أنه خاصم رجلا من الأنصار، قد شهد بدرا، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في شراج من الحرة، كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، آن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول

---

(١) نواسخ القرآن:٢/٣٧٥.

(٢) انظر: العجاب:٢/٩٠٥.

(٣) أخرجه ابن المنذر(١٩٥٩):ص٢/٧٧٦.

(٤) المسند(١٤١٩):ص١/١٦٥، و(١٦٢١٥):ص٤/٤.

(٥) صحيح البخاري(٢٧٠٨):ص٣/٢٤٥، و(٣٣٥٩)، (٣٣٦٠)، (٢٣٦١)، و(٢٣٦٢):ص٣/١٤٥-١٤٦، و(٤٥٨٥):ص٦/٥٨.

(٦) صحيح المسلم(٦١٨٣):ص٧/٩٠.

(٧) أخرجه كذلك عبد بن حميد(٥١٩)، وأبو داود(٣٦٣٧)، وابن ماجة(١٥)، و(٢٤٨٠)، والترمذي(١٣٦٣)، و(٣٠٢٧)، والنسائي٨/٢٤٥، و٨/٢٣٨، وفي الكبرى(٥٩٢٥)، و(٥٩٢٦)، والبزاز في مسنده٣/١٨٤، وابن حبان في الإحسان باب الاعتصام بالسنة: (٢٤):ص١/٢٠٣-٢٠٤، والطبري في تفسيره(٩٩١٢):ص٨/٥١٩-٥٢٠، وابن ابي حاتم(٥٥٥٨):ص٣/٩٩٣-٩٩٤.

الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اسق، ثم احبس، حتى يبلغ الجدر، فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، أشار على الزبير برأي، سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم، استوعى للزبير حقه في صريح الحكم.

قال عروة: قال الزبير: والله، ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} الآية".

والثالث: أخرج ابن ابي حاتم، وابن مردوية[1]، عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود قال: "اختصم رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، انطلقا إلى عمر، فلما أتيا عمر قال الرجل: يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا، فقال: ردنا إلى عمر فردنا إليك. قال: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما، مشتملا على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فارا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، قتل عمر والله صاحبي ولو ما أني أعجزته لقتلني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمنين، فأنزل الله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}، فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله، فكره الله أن يسن ذلك بعد، فقال: {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم} إلى قوله: {وأشد تثبيتا}"[2].

قال ابن حجر:" وفيه تقوية لقول من قال: إن الآيات كلها أنزلت في حق المتخاصمين إلى الكاهن كما تقدم، وبهذا جزم الطبري[3] وقواه بأن الزبير لم يجزم بأن الآية نزلت في قصته بل أورده ظنا[4].

---

(١) انظر: لباب النقول:٧٣.

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(٥٥٦٠):ص٣/٩٩٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٨/٥٢٤-٥٢٥.

(٤)لم أجد هذا المعنى في كلام الطبري في "التفسير" وقد قال الحافظ في "الفتح" "٥/ ٣٨": "ورجح الطبري في "تفسيره" وعزاه إلى أهل التأويل في "تهذيبه" إن سبب نزولها: هذه القصة ليتسق نظام الآيات كلها في سبب واحد قال. ولم يعرض بينها ما يقتضي خلاف ذلك، ثم قال: ولا مانع أن تكون قصة الزبير وخصمه وقعت في أثناء ذلك فيتناولها عموم الآية". فلعل هذا المعنى في كتابه "التهذيب"..

قلت[ابن حجر]: لكن تقدم في حديث أم سلمة الجزم بذلك، ويحتمل أن تكون قصة الزبير وقعت في أثناء ذلك، فتناولها عموم الآية والله أعلم، وقد تقدم أن القصة المذكورة نزل فيها {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}"[١].

والرابع: أخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة قال:" نزلت في اليهود"[٢].

قال ابن عطية:" والصحيح في سبب قوله تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ}، حديث الزبير مع جاره الأنصاري في حديث السقي"[٣].

٣٣-{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦)} [النساء : ٦٦]

أخرج الطبري[٤] وابن أبي حاتم[٥] عن أسباط ، عن السدي[٦]، قال :"افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من يهود ، فقال اليهودي : والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم ، فقتلنا أنفسنا! فقال ثابت : والله لو كُتب علينا أن اقتلوا أنفسكم ، لقتلنا أنفسنا! أنزل الله في هذا:{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}"[٧].

٣٤-{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)} [النساء : ٦٩]

أخرج الطبري من طريق جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : "جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محزون ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا فلان ، مالي أراك محزونًا ؟ قال : يا نبي الله ، شيء فكرت فيه! فقال : ما هو ؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح ، ننظر في وجهك ونجالسك ، غدًا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك! فلم يردّ النبي صلى الله

---

(١) العجاب:٩٠٩/٢.

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(٥٥٦١):ص٩٩٤/٣.

(٣) المحرر الوجيز:٣٤٣/١.

(٤) تفسير الطبري(٩٩٢٠):ص٥٢٥/٨

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٥٦٨):ص٩٩٦/٣.

(٦) رواية أسباط بن نصر عن السدي، سنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط؛ صدوق كثير الخطأ، يُغْرب.

(٧) تفسير الطبري(٩٩٢٠):ص٥٢٥/٨

عليه وسلم شيئًا. فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. قال : فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم فبشره"[١].

وفي السياق نفسه أخرج الطبري[٢] وابن أبي حاتم[٣]، والواحدي[٤]، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : "قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا ، فإنك لو قَدْ مِتَّ رُفِعت فوقنا فلم نرك! فأنزل الله : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ}، الآية"[٥]. وروي عن قتادة[٦]، والربيع[٧] نحوذلك.

وقال السدي:" قال ناس من الأنصار : يا رسول الله ، إذا أدخلك الله الجنة فكنت في أعلاها ، ونحن نشتاق إليك ، فكيف نصنع ؟ فأنزل الله : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ}"[٨].

وأخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة قال: "أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله: إن لنا منك نظرة في الدنيا، ويوم القيامة لا نراك، لأنك في الجنة في الدرجات العلى، فأنزل عز وجل:{ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت معي في الجنة إن شاء الله»"[٩].

وأخرج الطبراني عن الأسود، عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن

---

(١) تفسير الطبري(٩٩٢٤):ص٥٣٤/٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٩٩٢٥):ص٥٣٤/٨.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٥٧٧):ص٩٩٧/٣.

(٤) انظر: اسباب النزول:١٦٥.

(٥) تفسير الطبري(٩٩٢٥):ص٥٣٤/٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٩٩٢٦):ص٥٣٤/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٩٩٢٨):ص٥٣٥/٨.

(٨) أخرجه الطبري(٩٩٢٧):ص٥٣٤/٨-٥٣٥.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم(٥٥٧٨):ص٩٩٨/٣.

لا أراك، فلم يرد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى نزل جبريل بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ .....}، الآية"[١].

وقال مقاتل:" نزلت في رجل من الأنصار يسمى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، قال للنبي- صلى الله عليه وسلم -وهو الذي رأى الأذان في المنام مع عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- : إذا خرجنا من عندك إلى أهالينا اشتقنا إليك فلم ينفعنا شيء حتى نرجع إليك، فذكرت درجاتك في الجنة، فكيف لنا برؤيتك إن دخلنا الجنة «٢» . فأنزل الله- عز وجل- {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ} "[٢].

قال ابن عطية:" وحكى مكي عن عبد الله هذا، أنه لما مات النبي عليه السلام، قال: اللهم أعمني حتى لا أرى شيئا بعده، فعمي"[٣].

وقال مقاتل:" فلما توفي النبي- صلى الله عليه وسلم- أتاه ابنه وهو في حديقة له فأخبره بموت النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال عند ذلك: اللهم اعمني فلا أرى شيئا بعد حبيبي أبدا. فعمي مكانه وكان يحب النبي- صلى الله عليه وسلم- حبا شديدا فجعله الله- عز وجل- مع النبي- صلى الله عليه وسلم- فى الجنة"[٤].

---

(١)المعجم الأوسط: (٤٨٠):ص١ / ٢٦٩ ، والمعجم الصغير :١ / ٢٦.

قال الهيثمي في الموضع السابق من "المجمع": «رواه الطبراني في "الصغير" و"الأوسط"، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدي، وهو ثقة» .

ومن طريق الطبراني أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٤ / ٢٣٩ - ٢٤٠) .

والحافظ أبو عبد الله الضياء المقدسي في "صفة الجنة" كما في "تفسير ابن كثير" (١ / ٥٢٣) .

ومن طريق أبي نعيم أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" :١٦٦ .

قال أبو نعيم: "هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم، تفرد به فضيل، وعنه العابدي" .

وقال المقدسي: "لا أرى بإسناده بأسا" .

وأخرجه ابن مردويه في "تفسيره" كما في الموضع السابق من "تفسير ابن كثير"، فقال: حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد، حدثنا عبد الله بن عمران ... ، فذكره بنحو سياق الطبراني.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٧/١.

(٣) المحرر الوجيز:٧٦/٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٨/١.

وذكر الثعلبي - بغير إسناد-[١]، والواحدي[٢]عن الكلبي، قال: "نزلت في ثوبان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن، فقال له رسول الله: «يا ثوبان ما غير لونك؟ » فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أرك أبدا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣].

٣٥-{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢)} [النساء : ٧٢]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: إنها نزلت في المنافقين وإنما جمع منهم في الخطاب من جهة الجنس والسبب ومن جهة الإيمان[٤].

أخرج ابن ابي حاتم عن بكير بن معروف عن مقاتل: "قوله: { قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا}، قال عدو الله عبد الله بن أبي: {قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا}، فيصيبني مثل الذي أصابهم من البلاء والشدة"[٥].

قال مقاتل بن سليمان:" نزلت في عبد الله بن أبي بن ملك بن أبي عوف بن الخزرج رأس المنافقين"[٦].

واخرج الطبري عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : " {وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة}، إلى قوله : {فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا}، ما بين ذلك في المنافقين"[٧].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي:٣٤١/٣.

(٢) أسباب النزول:١٦٥.

(٣) أسباب النزول:١٦٥.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي:٣٤٣/٣.

(٥) تفسير ابن ابي حاتم(٥٥٩١):ص٩٩٩/٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٨/١.

(٧) تفسير الطبري(٩٩٣٥):ص٥٣٨/٨.

والثاني: وقال البعض: أنها نزلت في المؤمنين، لأن الله خاطبهم بقوله: {وإن منكم}، وقد فرق الله بين المؤمنين والمنافقين بقوله: {مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ} [المجادلة : ١٤][١].

قال الماتريدي:" قوله: {منكم} يحتمل وجوها:

يحتمل: في الظاهر منكم.

ويحتمل: في الحكم منكم.

ويحتمل: في الدعوى؛ لأنهم كانوا يدعون أنهم منا، ويظهرون الموافقة للمؤمنين، وإن كانوا -في الحقيقة- لم يكونوا"[٢].

والراجح-والله أعلم- انها نزلت في المنافقين، وهذا قول اكثر المفسرين[٣].

قال القرطبي:" وقيل: المراد بقوله {وإن منكم لمن ليبطئن} بعض المؤمنين، لأن الله خاطبهم بقوله: {وإن منكم}، وقد فرق الله تعالى بين المؤمنين والمنافقين بقوله : {وَمَا هُمْ مِنْكُمْ} [التوبة : ٥٦]، وهذا يأباه مساق الكلام وظاهره، وإنما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب كما بينا لا من جهة الإيمان. هذا قول الجمهور وهو الصحيح"[٤].

٣٦-**{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ** أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)} [النساء : ٧٤]

في سبب نزول الآية ثلاثة اقوال:

أحدها: أنها نزلت في المؤمنين المخلصين، ومعنى {يشرون}، أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة [٥].

قال مقاتل:" لقولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم-: «إن نقاتل فنقتل ولا نقتل؟»، فنزلت هذه الآية، فأشركهم جميعا في الأجر"[٦].

قال ابن حجر:" قال بعضهم: معناه نزلت هذه الآية في المؤمنين المخلصين"[٧].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي:٣٤٣/٣، وتفسير القرطبي:٢٧٦/٥.

(٢) تفسير الماتريدي:٢٥٢/٣.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي:٣٤٣/٣.

(٤) تفسير القرطبي:٢٧٦/٥.

(٥) انظر: تفسير البغوي:٦٦٢/١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٩/١.

(٧) العجاب:٩١٦/٢.

والثاني: وقيل انها "نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن أحد"[١].

قال البغوي:" قيل: نزلت في المنافقين، ومعنى {يشرون}، أي: يشترون، يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة، ومعناه: آمنوا ثم قاتلوا"[٢].

والثالث: وقيل: "نزلت في المؤمنين المتخلفين، و{يشرون}، بمعنى يبيعون ويؤثرون الآجلة على العاجلة، ويستبدلونها بها أمر الله تعالى بالجهاد من تخلف من ضعفة المؤمنين"[٣].

٣٧-**{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)} [النساء : ٧٥]**

أخرج عبد بن حميد من رواية سعيد عن قتادة: "كان بمكة رجال ونساء وولدان من المسلمين فأمر الله نبيه أن يقاتل حتى يستنقذهم"[٤].

وأخرج من رواية أبي يونس القوي[٥]:" قلت لسعيد بن جبير في قوله:{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ}؟ قال: كان بمكة ناس مظلومون مقهورون"[٦].

وأخرج ابن المنذر[٧] وابن أبي حاتم[٨]، عن مجاهد:" أمر المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفين مؤمنين كانوا بمكة"[٩].

٣٨-**{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا**

---

(١) البحر الميط:٣/٧١٠، وانظر: تفسير البغوي:١/٦٦٢.

(٢)تفسير البغوي:١/٦٦٢.

(٣) البحر الميط:٣/٧١٠.

(٤) العجاب:٢/٩١٦.

(٥)هو الحسن بن يزيد بن فروخ الصخري ... القوي، بفتح القاف وتخفيف الواو، مكي سكن الكوفة، ثقة. انظر: التقريب:١٦٤.

(٦) العجاب:٢/٩١٦.

(٧) انظر: تفسير ابن المنذر(٢٠٠١):ص٢/٧٩١.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦١٠):ص٣/١٠٠٢.

(٩) تفسير ابن المنذر(٢٠٠١):ص٢/٧٩١.

إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)} [النساء : ٧٧]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج الطبري[١]، والنسائي[٢]، والفاكهي[٣]، والحسن بن سفيان[٤]، وابن أبي حاتم[٥]، والحاكم[٦]، والواحدي[٧]،عن عكرمة ، عن ابن عباس : "أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، كنا في عِزّ ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذِلة! فقال : إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا. فلما حوَّله الله إلى المدينة ، أمر بالقتال فكفوا ، فأنزل الله تبارك وتعالى : " ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم " ، الآية"[٨]. وروي عن قتادة[٩]، والسدي نحو ذلك[١٠].

وفي السياق نفسه ذكر الواحدي عن الكلبي، قال:" نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء، فيقول لهم: «كفوا أيديكم عنهم فإني لم أؤمر بقتالهم»، فلما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٩٩٥٢):ص٨/٥٤٩.

(٢)في "المجتبى" (٦/ ٢، ٣)، وفي "الكبرى" (٣/ ٣ رقم ٤٢٩٣، ٦/ ٣٢٥ رقم ١١١١٢).

(٣) في أخبار مكة، كما في العجاب:٢/٩١٧.

(٤) انظر: العجاب:٢/٩١٧.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٣٠):ص٣/١٠٠٥.

(٦)في "المستدرك" (٢/ ٦٧ رقم ٣٠٧) -وعنه البيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ١١).

(٧) انظر:أسباب النزول:١٦٧.

(٨) تفسير الطبري(٩٩٥٢):ص٨/٥٤٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري(٩٩٥٣):ص٨/٥٤٩-٥٥٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٩٩٥٤):ص٨/٥٥٠، وتفسير ابن ابي حاتم(٥٦١٩):ص٣/١٠٠٣. وهذا سند صحيح؛ رجاله ثقات رجال مسلم. وصححه الإمام الألباني -رحمه الله- في "صحيح سنن النسائي" (رقم ٢٨٩١).

(١١) اسباب النزول:١٦٦-١٦٧.

وفي السياق نفسه قال مقاتل:"نزلت في عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص- رضي الله عنهما- وهما من بني زهرة وقدامة بن مظعون الجمحي والمقداد بن الأسود الكندي- رضي الله عنهم- وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة سرا، مما كانوا يلقون منهم من الأذى فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- :«مهلا كفوا أيديكم عن قتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فإني لم أومر بقتالهم»، فلما هاجر النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة أمر الله- عز وجل- بالقتال فكره بعضهم فذلك قوله- عز وجل-: { فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ}، يعني: فرض القتال بالمدينة، { إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ}: نزلت في طلحة بن عبيد الله- رضي الله عنه-(١)، { يَخْشَوْنَ النَّاسَ}، يعني كفار مكة، { كَخَشْيَةِ اللَّهِ}، فلا يقاتلونهم، { أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً}، وقالوا: وهو الذي قال: { رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ }"(٢).

الثاني: أن هذه الآية وآيات بعدها، نزلت في اليهود. وهذا قول ابن عباس(٣) ومجاهد(٤).

أخرج الطبري عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : " {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ}، إلى قوله : {لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }(٥)، ما بين ذلك في اليهود"(٦).

والثالث: أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول بعض البصريين(٧).

والرابع : أنها من صفة المؤمن لما طُبعَ عليه البشر من المخافة ، وهذا قول الحسن(٨).

٣٩-{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)} [النساء : ٧٨]

---

(١) قال ابن حجر:" ولعله كان ممن قال ذلك أولا، وأما الفريق {وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ}، فاللائق أنهم ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه وطلحة كان من الراسخين".[العجاب:٩١٨/٢]. وانظر ترجمته في الإصابة:٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٩/١-٣٩٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٩٩٥٦):ص٥٥٠/٨، وتفسير ابن ابي حاتم(٥٦٣٣):ص١٠٠٦/٣. وهو ضعيف جداً؛ إسناده مسلسل بالعوفيين.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٩٩٥٥):ص٥٥٠/٨، وتفسير ابن ابي حاتم(٥٦١٩):ص١٠٠٣/٣. وهو مرسل صحيح.

(٥) [سورة النساء:٨٣].

(٦) تفسير الطبري(٩٩٥٥):ص٥٥٠/٨.

(٧) انظر: النكت والعيون:٥٠٧/١.

(٨) انظر: النكت والعيون:٥٠٧/١.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي:" قال ابن عباس في رواية أبي صالح: "لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم "أحد" قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١].

والثاني: أخرج الطبري[٢]، وابن ابي حاتم[٣]، عن عن مجاهد قال : "كان فيمن كان قبلكم امرأة ، وكان لها أجيرٌ ، فولدت جارية. فقالت لأجيرها : اقتبس لنا نارًا ، فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل : ما ولدت هذه المرأة ؟ قال : جارية. قال : أما إنّ هذه الجارية لا تموت حتى تبغي بمئة ، ويتزوجها أجيرها ، ويكون موتها بالعنكبوت. قال : فقال الأجير في نفسه : فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمئة!! فأخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية. وعولجت فبرئت ، فشبَّت ، وكانت تبغي ، فأتت ساحلا من سواحل البحر ، فأقامت عليه تبغي. ولبث الرجل ما شاء الله ، ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير ، فقال لامرأة من أهل الساحل : ابغيني امرأة من أجمل امرأة في القرية أتزوجها! فقالت : ههنا امرأة من أجمل الناس ، ولكنها تبغي. قال : ائتيني بها. فأتتها فقالت : قد قدم رجل له مال كثير ، وقد قال لي : كذا. فقلت له : كذا. فقالت : إني قد تركت البغاء ، ولكن إن أراد تزوَّجته! قال : فتزوجها ، فوقعت منه موقعًا. فبينا هو يومًا عندها إذ أخبرها بأمره ، فقالت : أنا تلك الجارية! وأرته الشق في بطنها وقد كنت أبغي ، فما أدري بمئة أو أقل أو أكثر! قال : فإنّه قال لي : يكون موتها بعنكبوت. قال : فبنى لها برجًا بالصحراء وشيده. فبينما هما يومًا في ذلك البرج ، إذا عنكبوت في السقف ، فقالت : هذا يقتلني ؟ لا يقتله أحد غيري! فحركته فسقط ، فأتته فوضعت إبهام رجلها عليه فشدَخَتْه ، وساحَ سمه بين ظفرها واللحم ، فاسودت رجلها فماتت. فنزلت هذه الآية : {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}"[٤].

وأما الأثر الثاني: فلا يصلح أن يكون قولا آخر ، لأن السياق يأباه، وإنما هو كما سماه ابن كثير رحمه الله :"حكاية"[٥]، أي: عمن مضى. والله أعلم.

---

(١) أسباب النزول:١٦٧. وأورده الحافظ في العجاب:٩١٩/٢، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. إسناده مختلق مصنوع.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٩٩٥٨):ص٨/٥٥١-٥٥٢.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٦٤٠):ص٣/١٠٠-١٠٠٨.

(٤) تفسير الطبري(٩٩٥٨):ص٨/٥٥١-٥٥٢. وهو مرسل ضعيف.

(٥) تفسير ابن كثير:٣٦١/٢.

٤٠-{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)} [النساء : ٨٠]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في المنافقين. وهذا قول أكثر المفسرين[١].

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال في المدينة «من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعنى فقد أطاع الله»[٢]. فقال المنافقون: ألا تسمعون إلى هذا الرجل وما يقول؟ لقد قارب الشرك وهو ينهي ألا يعبد إلا الله، فما حمله على الذي قال إلا أن نتخذه حنانا- يعنون ربا- كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا. فأنزل الله- عز وجل- تصديقا لقوله نبيه- صلى الله عليه وسلم-:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}"[٣].

قال الزمخشري:"وروى أنه قال: «من أحبنى فقد أحب الله، ومن أطاعنى فقد أطاع الله»[٤]، فقال المنافقون: ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل، لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله! ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى، فنزلت "[٥].

والثاني: أنها نزلت في اليهود.

قال ابن عطية:" قالت فرقة: سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحبني فقد أحب الله»[٦]، فاعترضت اليهود عليه في هذه المقالة، وقالوا: هذا محمد يأمر بعبادة الله

---

(١) انظر: تفسير مقاتل:٣٩٢/١، وتفسير الماتريدي:٢٦٩/٣، والكشاف: ٥٣٩/١، ومفاتيح الغيب:١٥٠/١٠، وتفسير البيضاوي: ٨٦/٢، والمحرر الوجيز:٨٢/٢، وتفسير السعدي:٢٠٦/٢.

(٢)لم أجد الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ولم أجده في صحيح البخاري ولا في مسند الإمام أحمد. وإنما ورد في صحيح البخاري (٥٦) كتاب الجهاد والسير (١٠٩) باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به رقم الحديث (٢٩٥٧) «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ... إلخ»، و ذكره المناوي في فتح السماوي(٣٨٠):ص٥٠٤/٢، قال الولي العراقي: لم أقف عليه هكذا، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده، وقد ورد هذا الحديث في بعض كتب التفاسير، مثل: تفسير مقاتل:٣٩٢/١، وتفسير الماتريدي:٢٦٩/٣، و والكشاف: ٥٣٩/١، ومفاتيح الغيب:١٥٠/١٠، وتفسير البيضاوي: ٨٦/٢، والمحرر الوجيز:٨٢/٢، وتفسير السعدي:٢٠٦/٢، وغيرها.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩١/١-٣٩٢.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الكشاف:٥٣٩/١.

(٦) سبق تخريجه.

وحده، وهو في هذا القول مدع للربوبية، فنزلت هذه الآية تصديقا للرسول عليه السلام، وتبيينا لصورة التعلق بينه وبين فضل الله تعالى"[١].

٤١-{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)} [النساء : ٨١]

قال مقاتل:" وذلك أنهم دخلوا على النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: مرنا بما شئت، فأمرك طاعة، فإذا خرجوا من عنده خالفوا، وقالوا غير الذي قال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله- عز وجل-: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ}...{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ }،يعني: الجلاس بن سويد، وعمرو بن زيد"[٢].

وقد أخرج الطبري ابن عباس: "قوله : {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ}، وهم ناس كانوا يقولون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم :آمنا بالله ورسوله، ليأمنوا على دمائهم وأموالهم. وإذا برزوا من عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خالفوا إلى غير ما قالوا عنده ، فعابهم الله ، فقال :{ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ }، يقول : يغيرون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم"[٣].

٤٢-{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)} [النساء : ٨٣]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أخرج مسلم[٤] وابن أبي حاتم[٥]، عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ قال: "لما اعتزل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه؛ قال: دخلت المسجد؛ فإذا الناس ينكتون بالحصى، ويقولون: طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب. فقال عمر: فقلت: لأعلمن ذلك اليوم. قال: فدخلت على عائشة، فقلت: يا بنت أبي بكر! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب؟! عليك بعيبتك، قال: فدخلت

(١) المحرر الوجيز:٨٢/٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩٢/١.

(٣) تفسير الطبري(٩٩٨٥):ص٥٦٥/٨.

(٤) صحيح مسلم(١٤٧٩):ص١١٠٥/٢-١١٠٨.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٦٨٢):ص١٠١٤/٣ مختصرا..

على حفصة بنت عمر، فقلت لها: يا حفصة! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ والله لقد علمت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يحبك، ولولا أنا؛ لطلقك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قالت: هو في خزانته في المشربة، فدخلت؛ فإذا أنا برباح غلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعداً على أسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينحدر، فناديت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليّ فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي؛ فقلت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فإني أظن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ظن أني جئت من أجل حفصة، والله! لئن أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضرب عنقها؛ لأضربن عنقها، ورفعت صوتي. فأومأ إليّ أن ارقه. فدخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مضطجع على حصير. فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه. فنظرت ببصري في خزانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة، وإذا أفيق معلق؛ قال: فابتدرت عيناي، قال: "ما يبكيك يا ابن الخطاب؟! "، قلت: يا نبي الله! ومالي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصفوته، وهذه خزانتك! فقال: "يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ "، قلت: بلى، قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله! ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن؛ فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت -وأحمد الله- بكلام؛ إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية: آية التخيير: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحريم: ٥] {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم: ٤]. وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: يا رسول الله! أطلقتهن؟ قال: "لا"، قلت: يا رسول الله! إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى، يقولون: طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: "نعم؛ إن شئت"، فلم أزل

أحدثه؛ حتى تخسر الغضب عن وجهه، وحتى كشر فضحك. وكان من أحسن الناس ثغراً. ثم نزل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ونزلت، فنزلت أتشبت بالجذع ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول الله! إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين، قال: "إن الشهر يكون تسعاً وعشرين"، فقمت على باب المسجد؛ فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله نساءه، ونزلت هذه الآية: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}؛ فكنت أنا استنبطت ذاك الأمر، وأنزل الله -عزّ وجلّ- آية التخيير"[١].

والثاني: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج: " {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به} فهذا في الأخبار، إذا غزت السرية من المسلمين، تخبر الناس عنها، فقالوا: أصاب المسلمون من عدوهم كذا وكذا، وأصاب العدو من المسلمين كذا وكذا، فأفشوه بينهم، من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو يخبرهم به"[٢].

والثالث: أنها نزلت في ضعفة المسلمين. وهذا قول الحسن[٣]، والزجاج[٤].

قال الزجاج:" وكان إذا علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ظاهر على قوم أمن منهم، أو أعلم تجمع قوم يخاف من جمع مثلهم، أذاع المنافقون ذلك ليحذر من يحذر من الكفار، ويقوى قلب من ينبغي أن يقوى قلبه لما أذاعوا، وكان ضعفة المسلمين يشيعون ذلك معهم من غير علم بالضرر في ذلك"[٥].

والرابع: أنها نزلت في المنافقين. وهو قول ابن زيد[٦]، والضحاك[٧]،وابن عباس في رواية الضحاك[٨]، واختاره الثعلبي[٩] والبغوي[١].

---

(١) صحيح مسلم(١٤٧٩):ص١١٠٥/٢-١١٠٨.

(٢) تفسير ابن المنذر(٢٠٤٥):ص٨٠٥/٢.

(٣) انظر: النكت والعيون:٥١١/١.

(٤) انظر: معاني القرآن:٨٣/٢.

(٥) معاني القرآن:٨٣/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٩٩٩٤):ص٥٧٠/٨.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٨٤):ص١٠١٤/٣.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي:٣٥١/٣.

(٩) انظر: تفسير الثعلبي:٣٥٠/٣.

نقل الثعلبي عن الضحاك عن ابن عباس: "في قوله :{وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به}: إن المنافقين كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطيعوا الله فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محارمه لم ينتهوا عنها، وإن أفضى الرسول إليهم سرا أذاعوا به إلى العدو ليلا بتكتم، فأنزل الله تعالى ردا عليهم"(٢).

قال السيوطي:" نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي"(٣).

والظاهر-والله اعلم- "أن إشاعة الأخبار وترويج الإشاعات إما أن تكون من المنافقين أعداء الأمة بقصد سيء، وإما أن تكون من ضعاف الإيمان وعوام الناس الجهلة بقصد حسن، وربما كان موقف عمر أحد أسباب النزول"(٤).

٤٣-{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)} [النساء : ٨٤]

قال الثعلبي:" وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى هو وأبو سفيان بن حرب يوم أحد وكان من هربهم ما كان، ورجع أبو سفيان إلى مكة فواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد قال الناس: اخرجوا إلى العدو، فكرهوا ذلك كراهة شديدة أو بعضهم، فأنزل الله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}"(٥).

٤٤-{وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦)} [النساء : ٨٦]

قال مقاتل والثعلبي:" نزلت في نفر بخلوا بالسلام"(٦).

٤٥-{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)} [النساء : ٨٧]

---

(١) انظر: تفسير البغوي:٢/٢٥٥.

(٢) تفسير الثعلبي:٣/٣٥١.

(٣) تفسير الجلالين:١١٥.

(٤) التفسير المنير:٥/١٧٥.

(٥) تفسير الثعلبي:٣/٣٥٢، وانظر: الكشاف:١/٥٤٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٩٤، وانظر: تفسير الثعلبي:٣/٣٥٤

قال مقاتل:" نزلت في قوم شكوا في البعث فأقسم الله- عز وجل- بنفسه ليبعثهم إلى يوم القيامة لا ريب فيه"[1].

٤٦- {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)} [النساء : ٨٨ - ٩٠]

في سبب نزول الآيات:[٨٨، ٨٩، ٩٠]، أقول:

أحدها : أنها نزلت في الذين تخلَّفُواْ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد ، وانصرفوا إلى المدينة ، وقالوا لرسول الله عليه السلام ولأصحابه : {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ}[سورة آل عمران : ١٦٧]، وهذا قول زيد بن ثابت[2].

روي عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-؛ قال: "لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد، خرج معه ناس، فرجعوا، قال: فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين: قالت فرقة: نقتلهم , وفرقة قالت: لا نقتلهم , فنزلت: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا}، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها طيبة، وإنها تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة»"[3].

والثاني : أنها نزلت في قوم قَدِمُواْ المدينة فأظهروا الإسلام، ثم رجعواْ إلى مكة فأظهروا الشرك، وهذا قول الحسن[4]، ومجاهد[5]، وروي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن نحو ذلك[1].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩٤/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٤٩)-(١٠٠٥١):ص٨/٩-٩،وتفسير ابن أبي حاتم(٥٧٣٩):ص١٠٢/٣-١٠٢٣.

(٣) . أخرجه أحمد (٢١٩٣٥):ص ١٨٤/٥، و(٢١٩٦٨):ص١٨٧/٥، و(٢١٩٦٩ و٢١٩٧٣):ص ١٨٧/٥، و(٢١٩٧٥):ص ١٨٨/٥، وعبد بن حميد (٢٤٢)، والبخاري (١٨٨٤):ص ٢٩/٣، و(٤٠٥٠):ص ١٢٢/٥، و(٤٥٨٩):ص ٥٩/٦، ومسلم (٣٣٣٥):ص١٢١/٤، و(٧١٣٢):ص١٢١/٨، و(٧١٣٣):ص ١٢١/٨، والترمذي(٣٠٢٨)، والنسائي فى "الكبرى" (١١٠٤٨).

(٤) انظر: النكت والعيون:٥١٤/١.

(٥)انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٢)، (١٠٠٥٣):ص٩/٩-١٠، وتفسير ابن ابي حاتم(٥٧٤٤):ص١٠٢٤/٣.

قال مجاهد:" قوم خرجوا من مكة حتى أتوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ، ثم ارتدوا بعد ذلك ، فاستأذنوا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتّجرون فيها. فاختلف فيهم المؤمنون ، فقائل يقول : هم منافقون، وقائل يقول :هم مؤمنون، فبين الله نفاقهم فأمر بقتالهم ، فجاؤوا ببضائعهم يريدون المدينة ، فلقيهم علي بن عويمر ، أو : هلال بن عويمر الأسلمي، وبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم حلف وهو الذي حَصِر صدره أن يقاتل المؤمنين أو يُقاتل قومه ، فدفع عنهم بأنهم يَؤُمُّون هلالا وبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد"[٢].

والثالث : أنها نزلت في قوم أظهروا الإسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين ، وهذا قول ابن عباس[٣]، وقتادة[٤]، ومعمر بن راشد[٥]، وروي عن الضحاك نحو ذلك[٦].

روي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ "قوله: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ}؛ وذلك أن قوماً كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام؛ فليس علينا منهم بأس، وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة؛ قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الخبثاء، فاقتلوهم؛ فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم، وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله -أو كما قالوا- أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به، أمن أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم تستحل دماؤهم وأموالهم لذلك؟! فكانوا كذلك فئتين، والرسول عليه الصلاة والسلام عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء؛ فنزلت: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ}"[٧].

---

(١)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٧٤٢):ص١٠٢٣/٣.

(٢) أخرجه الطبري(١٠٠٥٢):ص٩/١٠- وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٧٤٤):ص٣/ ١٠٢٤، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وسنده صحيح؛ لكنه مرسل.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥/ ١٢١)، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٤):ص٩/١٠-١١، وتفسير ابن ابي حاتم(٥٧٤١):ص١٠٢٣/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٥):ص١١/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٦):ص١١/٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٧):ص٩/١١-١٢.

(٧) . أخرجه الطبري في تفسيره(١٠٠٥٤):ص٩/١٠-١١، وابن أبي حاتم في تفسيره(٥٧٤١)ص: ٣/ ١٠٢٣.وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء.

والرابع : أنها نزلت في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها نفاقاً ، وهذا قول السدي[١]، وروي عن عبدالرحمن بن عوف نحو ذلك[٢].

قال السدي:" كان ناس من المنافقين أرادوا أن يخرجوا من المدينة ، فقالوا للمؤمنين : إنّا قد أصابنا أوجاعٌ في المدينة واتَّخَمْناها ، فلعلنا أن نخرج إلى الظَّهر حتى نتماثل ثم نرجع ، فإنا كنا أصحاب برّيّة. فانطلقوا ، واختلف فيهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت طائفة : أعداءٌ لله منافقون! وددنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا فقاتلناهم! وقالت طائفة : لا بل إخواننا غَمَّتهم المدينة فاتّخموها ، فخرجوا إلى الظهر يتنزهون ، فإذا بَرَؤوا رجعوا. فقال الله : {فما لكم في المنافقين فئتينء، يقول : ما لكم تكونون فيهم فئتين{ والله أركسهم بما كسبوا}" [٣].

وفي السياق نفسه قال عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-:" أن قوما من العرب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأسلموا، وأصابهم وباء بالمدينة، حماها، فأركسوا، فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحابه، يعني من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة، فاجتوينا المدينة، فقالوا: أما لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، هم مسلمون، فأنزل الله، عز وجل: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا}، الآية "[٤].

والخامس : أنها نزلت في قوم من أهل الإفك ، وهذا قول ابن سعد بن معاذ[٥]، وابن زيد[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٨):ص١/٩-١٣.

(٢)انظر: مسند الإمام أحمد (١٦٦٧):ص ١٩٢/١.

(٣) . أخرجه الطبري(١٠٠٥٨):ص١٢/٨-١٣، وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

(٤) اخرجه أحمد (١٦٦٧):ص ١٩٢/١. وسنده ضعيف؛ لأن فيه علتان:

الأولى: ابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه.

الثانية: أبو سلمة لم يسمع من أبيه؛ كما صرح بذلك الأئمة؛ كما في "المراسيل" (ص ٩١)، و"التهذيب" (١٠/ ٤٣٨، ٤٣٩، ١٢/ ١١٧).

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٧): "رواه أحمد؛ وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه".

وقال السيوطي في "الدر المنثور" :٢/ ٦١٠: "وأخرجه أحمد بسند فيه انقطاع".

(٥) انظر: سنن سعيد بن منصور (٦٦٣) :ص٤/ ١٣١٣، ١٣١٤، وتفسير ابن أبي حاتم (٥٧٤٠):ص٣/ ١٠٢٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٥٩)/ (١٠٠٦٠):ص١٣/٨.

عن ابن سعد بن معاذ؛ قال: "خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس، فقال: "مَنَ لي ممن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني؟ "، فقال سعد بن معاذ: إن كان من الأوس؛ قتلناه، وإن كان من إخواننا من الخزرج؛ أمرتنا فأطعناك؛ فقام سعد بن عبادة، فقال: ما بك يا ابن معاذ؟! طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولقد تكلمت ما هو منك؛ فقام أُسيد بن حُضير، فقال: إنك يا ابن عبادة! منافق تحب المنافقين؛ فقام محمد بن مسلمة، فقال: اسكتوا أيها الناس؛ فإن فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو يأمرنا فننفّذ أمره؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا}"[1].

والسادس: وقال عكرمة:" أخذ أناس من المسلمين أموالا من المشركين فانطلقوا بها، فاختلف المسلمون فيهم، فقالت طائفة: لو لقيناهم قتلناهم وأخذنا ما في أيديهم، وقال بعض: لا يصلح لكم ذلك إخوانكم انطلقوا تجارا، فنزلت هذه الآية"[2].

والسابع: وقيل: "هم العرنيون[3] الذين أغاروا على السرح وقتلوا بسارا مولى الرسول صلى الله عليه وسلم"[4].

والراجح-والله أعلم- أنها " نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم كانوا ارتدُّوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة، لأنّ اختلاف أهل التأويل في ذلك إنما هو على قولين:

أحدهما: أنهم قوم كانوا من أهل مكة.

---

(١)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه"(٦٦٣) :ص٤/ ١٣١٣، ١٣١٤، وابن أبي حاتم في "تفسيره(٥٧٤٠):ص٣/ ١٠٢٣ ، كلاهما من طريق الدراوردي عن زيد بن أسلم عن ابن سعد بن معاذ به، وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين زيد بن أسلم وابن سعد هذا، وزيد هذا كان يرسل ولم يصرح بالتحديث، ولم ينص أحد ممن كتب في الرجال أنه روى عن ابن سعد هذا.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٠٩)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٧٤٣):ص٣/١٠٢٤.

(٣)وأما العرنيون: فإنهم غدروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وارتدوا عن الإسلام، وذهبوا بإبله، فجمعوا بين الكفر والغدر والغصب، فلذلك قطع أيديهم في جزاء السرقة، وسمر أعينهم قصاصًا لأنهم سمروا أعين الرعاء؛ لئلا يدلوا على صوبهم؛ الذي ذهبوا فيه، وقتلهم في جواب شركهم بالله.[انظر: الإفصاح في معاني الصحاح:٥/١٦٠].

وانظر: الحديث في صحيح البخاري (٢٨٥٥)، ومسلم (١٦٧١)ص٣/ ١٢٩٦، ومسند أبو يعلى الموصلي(٢٨١٦).

(٤) الكشاف:١/٥٤٦، ومفاتيح الغيب:١٠/١٦٨.

والآخر : أنهم قوم كانوا من أهل المدينة.

وفي قول الله تعالى ذكره :{ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [النساء : ٨٩]، أوضح الدّليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة، لأنّ الهجرة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر. فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيمًا من المنافقين وأهل الشرك ، فلم يكن عليه فرضُ هجرة ، لأنه في دار الهجرة كان وطنُه ومُقامه"[١].

٤٧-{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)} [النساء : ٨٩]

أخرج ابن ابي حاتم عن الحسن، أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر يعني النبي صلى الله عليه وسلم على أهل بدر وأحد، وأسلم من حولهم، قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتيته فقلت: أنشدك النعمة فقالوا: مه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه ما يريد. فقلت: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم فإن أسلم قومك ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم تخشن لقلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال: اذهب معه، فافعل ما يريد، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أسلمت قريش أسلموا معهم، فأنزل الله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ}"[٢].

٤٨-{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)} [النساء : ٩٠]

في سبب نزول الآية قولان:

احدهما: قال ابن عباس، وعكرمة[٣]:" نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك المدلجي وفي بني جذيمة بن عامر بن عبد مناف"[٤].

---

(١) تفسير الطبري:١٣/٩-١٤[بتصرف بسيط].

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٥٧٥٠):ص١٠٢٦/٣.

(٣)اخرجه الطبري(١٠٠٧٠):ص١٩/٩ .

(٤)اخرجه ابن ابي حاتم(٥٧٥٧):ص١٠٢٧/٣

والثاني: قال الحسن : "فالذين حصرت صدور، هم بنو مدلج , فمن وصل إلى بني مدلج من غيرهم كان في مثل عهدهم"[١].

٤٩-{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١)} [النساء : ٩١]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أنهم أناس كانوا من أهل مكة أسلموا - على ما وصفهم الله به من التقيَّة - وهم كفار ، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم، يقول الله : {كلما ردُّوا إلى الفتنة أركسوا فيها}، ، يعني كلما دعاهم قومهم إلى الشرك بالله، ارتدوا فصاروا مشركين مثلهم ، ليأمنوا عند هؤلاء وهؤلاء. وهذا قول ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣].

والثاني: وقال قتادة:" حيٌّ كانوا بتهامة ، قالوا :يا نبيّ الله ، لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا، وأرادوا أن يأمنوا نبيَّ الله ويأمنوا قومهم ، فأبى الله ذلك عليهم ، فقال : {كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها}، يقول : كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه"[٤].

والثالث: أنها نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي، وكان يأمن في المسلمين والمشركين ، ينقل الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين. وهذا قول السدي[٥].

والرابع: انههم قوم من المنافقين. وهذا قول الحسن[٦].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٣٦٦١٢)ص:٢٤٤/٧، وانظر: النكت والعيون:٥١٤/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٨٠):ص٢٧/٩، وابن ابي حاتم(٥٧٧٠):ص١٠٢٩/٣، وسنده ضعيف جدا، مسلسل بالعوفيين الضعغاء.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٧٨):ص٢٧/٩، وابن ابي حاتم(٥٧٦٩):ص٣،١٠٢٩، اسناده صحيح ولكنه مرسل، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦١٤)، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري(١٠٠٨١):ص٢٨/٩، وابن ابي حاتم(٥٧٥٨):ص١٠٢٩/٣، إسناده صحيح لكنه مرسل، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦١٤)، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٨٢):ص٢٨/٩، وابن ابي حاتم(٥٧٦٧):ص١٠٢٩/٣، وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

(٦) انظر: النكت والعيون:٥١٧/١.

٥٠-{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)} [النساء : ٩٢]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها : أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان أخا أبي جهل لأمه، قتل الحارث بن زيد من بني عامر بن لؤي، لأنه كان يعذب عياشاً مع أبي جهل، وهو لا يعلم بإسلامه. وهذا قول عكرمة[١]، ومجاهد[٢]، والسدي[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، والقاسم بن محمد بن أبي بكر[٥].

واختلف أين قتله:

أ- فقال عكرمة[٦]، وجاهد[٧]: قتله بالحرّة بعد هجرته إلى المدينة وهو لا يعلم بإسلامه.

ب- وقال السدي[١]: قتله يوم الفتح وقد خرج من مكة وهو لا يعلم بإسلامه .

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٩١):ص٣٢/٩-٣٣ ، من طريق سنيد، وسنده ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٢)انظر: تفسير الطبري(١٠٠٨٩)-(١٠٠٩١):ص٣٢/٩ -٣٣، و وابن أبي حاتم في تفسيره(٥٧٨١):ص٣/ ١٠٣١، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ١٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وهذا سند صحيح؛ لكنه مرسل.

(٣)انظر: تفسير الطبري(١٠٠٩٢):ص٣٣/٩، وسنده واهٍ بمرة؛ لإعضاله، وضعف أسباط، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦١٦)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٧٨٢):ص١٠٣١/٣.

(٥)أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ٧٢)، سنده ضعيف؛ فيه علتان: الأولى: الإرسال. الثانية: ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، وأخرجه البيهقي (٨/ ١٣١)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢/ ٨١٣، ٨١٤ رقم ٢١٣٧)، مرسل حسن الإسناد، وهو أصح من الذي قبله. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦١٦، ٦١٧)، وزاد نسبته لابن المنذر.

ثم رأينا الحافظ ذكره في "الإصابة" (١/ ٢٩٥) ونسبه لأبي يعلى، والحارث بن أبي أسامه، وأبي مسلم الكجي.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٠٩١):ص٣٢/٩-٣٣.

(٧)انظر: تفسير الطبري(١٠٠٨٩)-(١٠٠٩١):ص٣٢/٩ -٣٣.

والثاني : وقال ابن زيد:"نزل هذا في رجل قتله أبو الدرداء ، نزل هذا كله فيه، كانوا في سرية ، فعدَل أبو الدرداء إلى شِعْبٍ يريد حاجة له ، فوجد رجلا من القوم في غنم له ، فحمل عليه بالسيف فقال : لا إله إلا الله! قال : فضربه ، ثم جاء بغنمه إلى القوم. ثم وجد في نفسه شيئًا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :«ألا شققتَ عن قلبه!» فقال : ما عَسَيْتُ أجِدُ! هل هو يا رسول الله إلا دمٌ أو ماء؟ قال : «فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه؟»، قال : كيف بي يا رسول الله ؟ قال : «فكيف بلا إله إلا الله؟»، قال : فكيف بي يا رسول الله ؟ قال:«فكيف بلا إله إلا الله؟» حتى تمنَّيتُ أن يكون ذلك مبتدأ إسلامي. قال : ونزل القرآن :{وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ}،حتى بلغ {إلا أن يصدّقوا}، قال : إلا أن يَضَعوها"[٢].

والثالث: عن بكر بن حارثة الجهني؛ قال: "كنت في سرية بعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فاقتتلنا نحن والمشركون، وحملت على رجل من المشركين؛ فتعوذ مني بالإسلام؛ فقتلته، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فغضب وأقصاني؛ فأوحى الله إليه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً}. قال: فرضي عني، وأدناني"[٣].

والرابع:أخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير:" قوله: {فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن}، يعني: من أهل الحرب، {وهو مؤمن}، يعني: المقتول، قال: نزلت في مرداس بن عمرو وكان أسلم، وقومه كفار من أهل الحرب فقتله أسامة بن زيد خطا"[٤].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال :إن الله عرَّف عبادَه بهذه الآية مَا على مَن قتل مؤمنًا خطأ من كفّارة ودية. وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقتيله ، وفي أبي الدرداء وصاحبه. وأيّ ذلك كان ، فالذي عَنَى الله تعالى بالآية : تعريفَ عباده ما ذكرنا ، وقد عرف ذلك من عَقَل عنه من عباده تنزيلَه، وغير ضائرهم جهلهم بمن نزلت فيه"[٥].

---

(١)انظر: تفسير الطبري(١٠٠٩٢):ص٣٣/٩ .

(٢) تفسير الطبري(١٠٠٩٣):ص٣٣/٩. سنده واهٍ بمرةٍ؛ لإعضاله، وعبد الرحمن بن زيد متروك.

(٣)أخرجه الدولابي؛ كما في "الإصابة" (١/ ١٦٣) -وعنه أبو نعيم في "المعرفة" (٣/ ١٤٢ رقم ١٢١٤). في السند من لم نعرفه، ولم نجد له ترجمة.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦١٧) وزاد نسبته للروياني وابن منده.

(٤) تفسير ابن ابي حاتم(٥٧٩٨):ص١٠٣٤/٣.

(٥) تفسير الطبري:٣٣/٩-٣٤.

٥١-{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)} [النساء : ٩٣]

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، قال:"نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني، وذلك أنه أسلم وأخوه هشام بن ضبابة، وكان بالمدينة فوجد مقيس أخاه هشاما ذات يوم قتيلا في الأنصار في بني النجار، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من قريش من بني فهر ومعه مقيس إلى بني النجار ومنازلهم يومئذ بقباء أن ادفعوا إلى مقيس قاتل أخيه أن علمتم ذلك وإلا فادفعوا إليه الدية، فلما جاءهم الرسول، قالوا: السمع والطاعة لله وللرسول، والله ما نعلم له قاتلا ولكن نؤدي الدية فدفعوا إلى مقيس مائة من الإبل دية أخيه، فلما انصرف مقيس والفهري راجعين من قباء إلى المدينة وبينهما ساعة، عمد مقيس إلى الفهري رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله، وارتد عن الإسلام وركب جملا منها وساق معه البقية ولحق بمكة وهو يقول في شعر له[١]:

قتلت به فهرا وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع

حَلَلْتُ بِهِ وِتري ، وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي ... وَكُنْتُ إِلى الأَوْثَانِ أَوَّلَ راجِعِ

فنزلت فيه بعد قتل النفس وأخذ الدية وارتد عن الإسلام ولحق بمكة كافرا، {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا}"[٢]. وذكر الواحدي نحوه عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس[٣].

وفي السياق نفسه اخرج الطبري عن عن ابن جريج ، عن عكرمة : "أن رجلا من الأنصار قتل أخا مقيس بن صُبَابة ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية فقبلها ، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله قال ابن جريج : وقال غيره : ضرب النبيّ صلى الله عليه وسلم ديتَه على بني النجار ، ثم بعث مقيسًا ، وبعث معه رجلا من بني فهر في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل مقيسٌ الفِهريَّ وكان أيِّدًا فضرب به الأرض ، ورَضخَ رأسه بين حجرين ، ثم ألفى يتغنى[٤]:

ثَأَرْتُ بِهِ فِهْرًا ، وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابِ فَارِعِ

---

(١)سيرة ابن هشام ٣ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٦٦ ، معجم البلدان (فارع).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٥٨١٦):ص١٠٣٧/٣-١٠٣٨. سنده ضعيف، لعلتي: الغرسال، وابن لهيعة ضعيفة.

(٣) انظر: أسباب النزول:١٧٠-١٧١. بزيادة:"ثم أهدر النبي - صلى الله عليه وسلم - دمه يوم فتح مكة، فأدركه الناس بالسوق فقتلوه".

(٤)سيرة ابن هشام ٣ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٦٦ ، معجم البلدان (فارع).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أظنّه قد أحدث حدثًا! أما والله لئن كان فعل ، لا أومِنه في حِلّ ولا حَرَم ولا سلم ولا حرب! فقتل يوم الفتح، قال ابن جريج : وفيه نزلت هذه الآية : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا}، الآية"[1].

٥٢-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)} [النساء : ٩٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أجمعت الروايات بأن هذه الآية نزلت في سبب قتيل قتلته سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قال : "إنيّ مسلم " أو بعد ما شهد شهادة الحق أو بعد ما سلَّم عليهم، لغنيمة كانت معه، أو غير ذلك من ملكه ، فأخذوه منه. وقد تعددت الروايات في سرد تفاصيل القصة وبيان القاتل والمقتول على أقوال:

أحدها:أن القاتل كان أناسا من المسلمين، والمقتول كان رجلا في غنيمة. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[2].

عن عطاء عن ابن عباس، قال:" لقى ناس من المسلمين رجلا فى غنيمة له فقال السلام عليكم. فأخذوه فقتلوه وأخذوا تلك الغنيمة، فنزلت:{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}"[3].

والثاني: ان القاتل كان من اصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، والمقتول كان رجلا من بني سليم. وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة[4].

روي عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "مر رجل من بنى سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم، فقاموا

(١) تفسير الطبري(١٠١٨٦):ص٩/٦١-٦٢. وسنده ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل: الأولى: الإرسال. الثانية: ابن جريج لم يسمع عن عكرمة.الثالثة: سنيد ضعيف.

(٢) سوف يأتي تخريجه.

(٣)أخرجه البخاري(٤٥٩١):ص٨/٢٥٨، ومسلم(٣٠٢٥):ص٤/ ٢٣١٩ صحيح.

(٤) سوف يأتي تخريجه.

فقتلوه وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}"(١).

والثالث: أن القاتل كان من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، والمقتول كان رجلا من غطفان اسمه مرداس. وهذا قول قتادة(٢)، وجابر(٣)،وروي عن ابن عباس نحو ذلك(٤).

قال قتادة:" وهذا الحديث في شأن مرداس ، رجل من غطفان ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشًا عليهم غالب اللَّيثي إلى أهل فَدَك ، وبه ناس من غطفان ، وكان مرداس منهم ، ففرّ أصحابه ، فقال مرداس : " إني مؤمن وإنيّ غيرُ مُتّبعكم ، فصبَّحته الخيلُ غُدْوة، فلما لقوه سلم عليهم مرداس ، فرماه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه ،وأخذوا ما كان معه من متاع ، فأنزل الله جل وعز في شأنه : { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}، لأن تحية المسلمين السلام ، بها يتعارفون ، وبها يُحَيِّي بعضهم بعضًا"(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه(٨٩٩٠، ٨٩٩١):ص١٠/ ١٢٥، و(١٤٠٥١، ١٤٠٥٢):ص ١٢/ ٣٧٧، ٣٧٨، ومسنده؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة(٧٦٢٦):ص ٨/ ٥٩، وأحمد بن منيع في "مسنده"؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة(٧٦٢٧):ص٨/ ٥٩، وأحمد(٢٠٢٣):ص٢٢٩/١، و(٢٤٦٢):ص٢٧٢/١، و(٢٩٨٧):ص ٣٢٤/١، وعبد بن حميد في "تفسيره" -وعنه الترمذي (٣٠٣٠):ص٥/ ٢٤٠، والطبري(١٠٢١٧):ص٧٦/٩، وابن حبان في "صحيحه" (٤٧٥٢):ص١١/ ٥٩ "إحسان"، والطبراني في "المعجم الكبير"(١١٧٣١):ص١١/ ٢٢٢، والواحدي في "أسباب النزول" ١٧١، والحاكم في "المستدرك" :٢/ ٢٣٥، والبيهقي :٩/ ١١٥، جميعهم من طريق إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس.

وهذا سند ضعيف؛ فيه سماك بن حرب؛ صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بأخرة؛ فكان ربما يلقن، لكن توبع على أصل القصة عند البخاري ومسلم في الحديث السابق.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وفي "تفسير القرآن العظيم" (١/ ٥٥١): "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال ابن كثير: "وهذا خبر عندنا صحيح سنده".

وسكت عنه الحافظ في "فتح الباري" (٨/ ٢٥٨).

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٣٢)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٢٠):ص٧٧/٩-٧٨.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٨٢٨):ص١٠٤٠/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٢١٩):ص٧٦/٩-٧٧.

(٥) أخرجه الطبري(١٠٢٢٠):ص٧٧/٩-٧٨.

والرابع: أن القاتل كان رجلا من المسلمين والمقتول كان رجلا من المشركين. وهذا قول الحسن[١]، وقتادة في رواية معمر[٢].

عن مبارك عن الحسن، قال:"أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبوا يتطرقون فلقوا أناسا من العدو، فحملوا عليهم، فهزموهم، فشد منهم رجل فتبعه رجل يريد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال: إني مسلم إني مسلم، فأوجزه بالسنان فقتله، وأخذ متبعيه، قال: فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاتل: أقتلته بعد ما قال إني مسلم؟ قال: يا رسول الله: قالها متعوذا. قال: شققت قلبه؟ قال: لم يا رسول الله؟ قال: لتعلم أصادقا هو أو كاذبا. قال: وكنت عالما ذلك يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما كان يعبر عنه لسانه، إنما كان يعبر عنه لسانه. قال: فما لبث القاتل أن مات فحفر له أصحابه فأصبح وقد وضعته الأرض، ثم عادوا فحفروا له فأصبح وقد وضعته الأرض إلى جنب قبره. قال الحسن: فلا أدري كم قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كم دفناه مرتين أو ثلاثة كل ذلك لا تقبله الأرض، فلما رأينا الأرض لا تقبله أخذنا برجليه فألقيناه في بعض تلك الشعاب، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا}، أهل الإسلام إلى آخر الآية. قال الحسن: أما والله ما ذاك إلا بكون الأرض تجن من هو شر منه، ولكن وعظ الله القوم ألا يعودوا"[٣].

والخامس: أن القاتل كان محلم بن جثامة بن قيس، والمقتول كان عامر الأشجعى. وهذا قول عبدالله بن ابي حدرد[٤]، وابن عمر[٥].

عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد , عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم فخرجت فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعى ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر الأشجعى على قعود له متيع ومعه وطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله بشىء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٨٢٤):ص١٠٣٩/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٢٢):ص٧٩/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٨٢٤):ص١٠٣٩/٣.

(٤) سوف يأتي تخريجه.

(٥)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "فتح الباري" ٨/ ٢٥٩،ومن طريقه الطبري في تفسيره(١٠٢١١):ص٧٢/٩-٧٣، عن نافع عن ابن عمر به، وسنده ضعيف؛ ابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه.

القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}"[1].

والسادس: أن القاتل كان المقداد بن الأسود، والمقتول كان رجلا من المشركين.

عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم؛ وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فأهوى إليه المقداد، فقتله؛ فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟! لأذكرنَّ ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ قالوا: يا رسول الله! إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال: "ادع لي المقداد، يا مقداد! أقتلت رجلاً يقول: لا إله إلا الله؟ فكيف لك بلا إله إلا الله

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه":(١٨٨٥٩):ص ١٤/ ٥٤٧، و"مسنده"؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة: (٧٦٢٩):ص٨/ ٦٠ ، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٢/ ١٣٣ - معلقاً)، وأحمد (٢٤٣٧٨):ص ١١/٦، والطبري (١٠١٢):ص٧٣/٩-٧٤، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" ٧٢٩):ص٢/ ٦٧٩، وابن الجارود في "المنتقى" (٣/ ٩٢/٧٧٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" : (٥٨٢٦، ٥٨٢٧):ص٣/ ١٠٤٠ ، وأبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" (١٦٥٤):ص٤/ ١٣٦ - ١٣٧ -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول:١٧٣-١٧٤، والطبراني؛ كما في "مجمع الزوائد" (٧/ ٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٣/ ١٣٥٨ رقم (٣٤٢٦، ١٦٢٤، ١٦٢٥)، رقم(٤٠٨٨، ٤٠٨٩)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ١١٥)، و"دلائل النبوة" (٤/ ٣٠٥، ٣٠٦) جميعهم من طريق ابن إسحاق -وهذا في "مغازيه" (٤/ ٢٧٥ - ابن هشام) -: ثنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه به.

وهذا سند حسن -إن شاء الله-؛ فيه القعقاع؛ روى عنه ثقتان هما: يحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن عبد الله، ووثقه ابن حبان في "الثقات" (٣/ ٣٤٩)، بل قال أبو حاتم والبخاري: له صحبة قلنا: ولا يصح، وألمح أبو حاتم في "الجرح والتعديل" (٧/ ١٣٦) إلى أنه ليس من الضعفاء بل ممن يقبل حديثهم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٣٣)، وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي نعيم في "الدلائل"، وعبد بن حميد.

وسكت عنه الحافظ في "الفتح" (٨/ ٢٥٩)، وأشار إلى ثبوته بقوله: "وهذه عندي قصة أخرى، ولا مانع أن تنزل الآية في الأمرين معاً".

وقال شيخه الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٨): "رواه أحمد والطبراني؛ ورجاله ثقات".

وهذا شاهد لرواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما المتقدمة، ووجه الشبه بينهما كون المقتول من سليم (وأشجع من سليم) ووجود الغنيمات في كل.

غداً؟ "؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى-: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا}؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل»"[1].

والسابع: أن القاتل كان أسامة بن زيد، والمقتول كان مرداس بن نهيك. وهذا قول السدي.

قال السدي:" بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها أسامة بن زيد إلى بني ضَمْرة ، فلقوا رجلا منهم يدعى مِرداس بن نهيك ، معه غُنَيْمة له وجمل أحمر. فلما رآهم أوى إلى كهف جبل ، واتّبعه أسامة. فلما بلغ مرداسٌ الكهفَ ، وضع فيه غنمه ، ثم أقبل إليهم فقال :السلام عليكم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله. فشدّ عليه أسامة فقتله ، من أجل جمله وغُنَيْمته. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أسامة أحبَّ أن يُثْنَى عليه خيرٌ ، ويسأل عنه أصحابَه. فلما رجعوا لم يسألهم عنه ، فجعل القوم يحدِّثون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : يا رسول الله ، لو رأيت أسامة ولقيه رجل ، فقال الرجل : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله، فشد عليه فقتله! وهو معرض عنهم. فلما أكثروا عليه ، رفع رأسه إلى أسامة فقال : كيفَ أنت ولا إله إلا الله ؟ قال : يا رسول الله ، إنما قالها متعوذًا ، تعوَّذ بها!. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلا شققت عن قلبه فنظرت إليه ؟ قال : يا رسول الله ، إنما قلبه بَضْعة من جسده! فأنزل الله عز وجل خبر هذا، وأخبره إنما قتله من أجل جمله وغنمه ، فذلك حين يقول : {تبتغون عرض الحياة الدنيا}،

---

(١)أخرجه البخاري -معلقاً بصيغة الجزم-: (٦٨٦٦):ص١٢/ ١٨٧ ، ووصله البزار في "مسنده" :(٢٢٠٢): ص٣/ ٤٥ - "كشف"، والطبراني في "المعجم الكبير" : ١٢٣٧٩):ص١٢/ ٣٠، ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة":ص ١٠/ ١٤٧-١٤٨ - ١٥٠ ، ومن طريقه الحافظ ابن حجر في "تغليق التعليق" (٥/ ٢٤٢ - ٢٤٣) -، والدارقطني في "الأفراد"؛ كما في "فتح الباري" (١٢/ ١٩٠) -ومن طريقه الحافظ في "تغليق التعليق" (٥/ ٢٤٣) -، وبحشل في "تاريخ واسط" (ص ١٧٨) جميعهم من طريق أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم ثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قال البزار: "لا نعلمه يروى إلا عن ابن عباس، ولا له عنه إلا هذا الطريق".

وقال الدارقطني: "هذا حديث غريب من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس، تفرد به حبيب بن أبي عمرة، وتفرد به أبو بكر بن علي بن مقدم، وهو أخو عمر بن علي؛ وأبو بكر هذا والد محمد، وهو غريب الحديث".

فلما بلغ : {فمنَّ الله عليكم}، يقول : فتاب الله عليكم ، فحلف أسامةُ أن لا يقاتل رجلا يقول :لا إله إلا الله، بعد ذلك الرجل ، وما لقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه"[1].

وفي السياق نفسه: روي عن أبي ظبيان، قال: "سمعت أسامة بن زيد يحدث، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، من جهينة، قال: فصبحناهم، فقاتلناهم، فكان منهم رجل، إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال: فغشيته، أنا ورجل من الأنصار، قال: فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وقتلته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا من القتل، فكررها علي، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ"[2].

وذكر مقاتل نحو هذه القصة فقال:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية، وبعث عليها غالب بن عبد الله الليثي أخا ثميلة بن عبد الله. فلما أصبحوا رأوا رجلا يسمى مرداس بن عمرو بن نهيك العنسي من بني تيم بن مرة من أهل فدك معه غنيمة له، فلما رأى الخيل ساق غنيمته حتى أحرزها في الجبل- وكان قد أسلم من الليل وأخبر أهله بذلك- فلما دنوا منه كبروا فسمع التكبير فعرفهم فنزل إليهم. فقال: سلام عليكم، إنى مؤمن. فحمل عليه أسامة بن زيد بن حارثة

---

(١) أخرجه الطبري(١٠٢٢١):ص٧٨/٩-٧٩.

(٢)- وفي رواية: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، إلى الحرقات، فنذروا بنا فهربوا، فأدركنا رجلا، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فضربناه حتى قتلناه، فعرض في نفسي من ذلك شيء، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟! قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها مخافة السلاح والقتل. فقال: ألا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك أم لا؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟! قال: فما زال يقول ذلك حتى وددت أني لم أسلم إلا يومئذ".

- وفي رواية: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟! قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فمازال يكررها علي، حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد: وأنا والله، لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين، يعني أسامة، قال: قال رجل: ألم يقل الله: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ؟ فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة".

أخرجه أحمد(٢٢٠٨٨):ص٢٠٠/٥، و(٢٢١٤٥):ص٢٠٧/٥، والبخاري(٤٢٦٩):ص١٨٣/٥، و(٦٨٧٢):ص٤/٩، ومسلم(١٩٠)، (١٩١):ص٦٧/١-٦٨، وأبو داود(٢٦٤٣)، والنسائي في"الكبرى"(٨٥٤٠)، (٨٥٤١).

الكلبي من بنى عبدود، فقال مرداس: إني منكم أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. فطعنه أسامة برمحه فقتله وسلبه وساق غنمه. فلما قدم المدينة أخبر أسامة النبي- صلى الله عليه وسلم. فلامه النبي ملامة شديدة. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- قتلته وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: إنما قال ذلك أراد أن يحرز نفسه وغنمه؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- : أفلا شققت عن قلبه فتنظر صدق أم لا؟ قال يا رسول الله: كيف يتبين لي؟ وإنما قلبه بضعة من جسده فقال: فلا صدقته بلسانه ولا أنت شققت عن قلبه فيبين لك. فقال: استغفر لي يا رسول الله. قال: فكيف لك بلا إله إلا الله يقول ذلك ثلاث مرات. فاستغفر له النبي- صلى الله عليه وسلم- الرابعة. قال أسامة في نفسه: وددت أني لم أسلم حتى كان يومئذ فأمره النبي- صلى الله عليه سلم- أن يعتق رقبة. قال مقاتل- رحمه الله-: فعاش أسامة زمن أبي بكر وعمر وعثمان- رضي الله عنهم- حتى أدرك علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فدعاه علي- رحمه الله- إلى القتال. فقال أسامة: ما أحد أعز علي منك، ولكن لا أقاتل مسلما بعد قول النبي- صلى الله عليه وسلم: كيف لك بلا إله إلا الله؟ فإن أتيت بسيف إذا ضربت به مسلما، قال السيف: هذا مسلم. وإن ضربت به كافرا، قال لي: هذا كافر، قاتلت معك. فقال له علي: اذهب حيث شئت. فانزل الله- عز وجل-: {يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله}"[1]. أي: في قتل أسامة مرداس.

والثامن: أن القاتل كان أبو الدرداء، والمقتول كان رجلا من المشركين. وهذا قول ابن زيد.

عن ابن وهب، قال ابن زيد :" نزل ذلك في رجل قتله أبو الدرداء، فذكر من قصة أبي الدرداء ، نحو القصة التي ذكرت عن أسامة بن زيد ، وقد ذكرت في تأويل قوله :{وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ} ،ثم قال في الخبر : ونزل الفرقان : {وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ}، فقرأ حتى بلغ : {لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا}، غنمه التي كانت ، عرض الحياة الدنيا ،{فعند الله مغانم كثيرة}، خير من تلك الغنم ، إلى قوله :{إن الله كان بما تعملون خبيرًا}[2].

٥٣-**{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)} [النساء : ٩٥]**

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٣٩٨-٣٩٩.

(٢) أخرجه الطبري(١٠٢٢٥):ص٩/٨٠.

أ- سبب نزول قوله تعالى:{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}.

نقل أبو حيان عن سليمان الدمشقي:أنها"نزلت من أجل قوم كانوا إذا حضرت غزاة يستأذنون في القعود والتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

ب- وفي سبب نزول قوله تعالى: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}، أقوال:

احدها: أنها نزلت في ابن ام مكتوم، وهذا قول البراء بن عازب(٢) ، وزيد بن ثابت(٣)،ابن عباس في إحدى الروايات(٤)، وزيد بن أرقم(٥)، عبدالله بن شداد(٦)، وأنس بن مالك(٧)، وقتادة(٨)، عبدالرحمن بن ابي ليلى(٩)، والسدي(١٠).

عن البراء بن عازب -رضي الله عنهما-؛ قال: "لما نزلت: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}؛ دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيداً؛ فجاءه بكتف، فكتبها، وشكا ابن أم مكتوم ضرارته؛ فنزلت: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}"(١١).

---

(١) البحر المحيط:٣٤/٤.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٤٣):ص٩٢/٩-٩٣.

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) انظر: سنن سعيد بن منصور في(٦٨٢):ص٤/ ١٣٦٠، والطبري(١٠٢٤٥):ص٩٣/٩، وذكره السيوطي في الدر:٦٤٢/٢. مرسل صحيح الإسناد.

(٧)انظر: سنن سعيد بن منصور في(٦٨٣):ص٤/ ١٣٦٠. وسنده ضعيف؛ فيه علي بن زيد بن جدعان، لكنه صحيح بما سبق.

(٨)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٤٣)، ونسبه لابن المنذر. وهو مرسل.

(٩)أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٤/ ٢١٠)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٤٣)، وزاد نسبته لابن المنذر. إسناده صحيح لكنه مرسل.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٤٧):ص٩٤/٩. وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

(١١)أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٨٣١):ص ٦/ ٤٥، و(٤٥٩٣)، (٤٥٩٤):ص ٨/ ٢٥٩، ٢٦٠،و(٤٩٩٠):ص ٩/ ٢٢، ومسلم في صحيحه: (١٨٩٨):ص٣/ ١٥٠٨- ١٥٠٩، والإمام أحمد الفتح الرباني(٢٤١):ص ١١٨/١٨،والترمذي (٣٠٣١):ص٢٤٠/٥ ، والنسائي وابن حبان في جامع الأصول: ١٠٢/٢،

وعن مروان بن الحكم، أن زيد بن ثابت أخبره:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قال: فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يملها علي، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلا أعمى، فأنزل الله، تبارك وتعالى، على رسوله صلى الله عليه وسلم، وفخذه على فخذي، فثقلت علي، حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله، عز وجل: { غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}"[1].

وعن زيد بن أرقم؛ قال: "لما نزلت: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. . . وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ جْرًا عَظِيمًا}؛ جاء ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله! أما لي رخصة؟ قال: "لا"، قال ابن أم مكتوم: اللهم إني ضرير؛ فرخص لي؛ فأنزل الله: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}؛ فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم – بكتابتها"[2].

والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم، وعذا قول ابن عباس[3]، ومقاتل[4].

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} عن بدر والخارجون إلى بدر لما نزلت غزوة بدر، قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان يا رسول الله؛ فهل لنا رخصة؟! فنزلت: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}؛ فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر، {وَفَضَّلَ اللَّهُ

والطبري(١٠٣٣)-(١٠٣٧):ص٨٦/٩-٨٨، وأبو عوانة في فتح الباري: ٢٦١/٨، وابن أبي حاتم وعبد بن حميد في فتح القدير: ٥٠٣/١.

وقد فات السيوطي أن يذكر مسلماً ضمن من خرج الحديث، لما ذكره في "الدر المنثور" (٢/ ٦٣٩)؛ فليستدرك.

(١)أخرجه أحمد(٢١٩٣٨) :ص١٨٤/٥، والبخاري(٢٨٣٢) :ص٣٠/٤ ، (٤٥٩٢):ص ٥٩/٦، والترمذي(٣٠٣٣)، والنسائي: ٩/٦، وفي "الكبرى":(٤٢٩٢)، (٤٢٩٣). صحيح.

(٢) أخرجه الطبري(١٠٢٣٨):ص٨٩/٩، والطبراني(٥٠٥٣):ص١٩٠/٥. وسنده ضعيف؛ فيه أبو إسحاق السبيعي مدلس، وكان اختلط. وقد عنعن، ولكن الحديث صحيح على كل حال بشواهده المتقدمة.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٠٠/١.

الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر"[1].

والثالث: انها نزلت في رجل أعمى. وهذا قول عاصم[2]،وسعيد بن جبير[3].

عن الفَلْتان بن عاصم؛ قال: "كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأنزل عليه، -وكان إذا أنزل عليه؛ رام بصره، مفتوحة عيناه، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله-، قال: فكنا نعرف ذلك منه، فقال للكاتب: «اكتب: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. . وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}»، قال: فقام الأعمى، فقال: يا رسول الله! ما ذنبنا؟ فقلنا للأعمى: إنه ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فخاف أن يكون ينزل عليه شيء من أمره؛ فبقي قائماً يقول: أعوذ بالله من غضب رسول الله، قال: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اكتب: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}» "[4].

والرابع: أنها نزلت في قوم مرضى. وهذا قول ابن عباس ايضا[5].

---

(١)أخرجه الترمذي في "سننه" (٥/ ٢٤١ رقم ٣٠٣٢)، والنسائي في "التفسير" (١/ ٣٩٩ رقم ١٣٧)، والطحاوي في "المشكل" (٤/ ١٤١ رقم ١٤٩٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٠٢٤٢):ص٩٢/٩، والبيهقي في "الكبرى" :٩/ ٤٧، من طريق حجاج من محمد المصيصي عن ابن جريج: أخبرني عبد الكريم سمع مقسماً مولى عبد الله بن الحارث يحدث عن ابن عباس: (فذكره).

وسنده صحيح على شرط البخاري، وقد أخرجه في صحيحه: (٣٩٥٤):ص٢٦٠/٨، و(٤٥٩٥):ص٢٦٠/٨. مختصراً ليس فيه اللفظ المذكور.

وزاد السيوطي نسبته في "الدر المنثور" (٢/ ٦٤١) لابن المنذر.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٤٤):ص٩٣/٩.

(٤)أخرجه ابن أبي شيبة في "مسنده"؛ كما في "المطالب العالية": (٣٩٣٧):ص٨/ ٥٤٦، ٥٤٧ المسندة، و"الإصابة" :٣/ ٢٠٩، و"إتحاف الخيرة المهرة": (٧٦٣٠):ص٨/ ٦٠، ٦١، وأبو يعلى في "المسند" (١٥٨٣):ص٣/ ١٥٦، ١٥٧، وعنه ابن حبان في "صحيحه" (١٧٣٣ - "موارد") -، والطبراني في "المعجم الكبير" (٨٥٦):ص١٨/ ٢٨٠، ٢٨١، والبزار في "مسنده" :(رقم ٢٢٠٣):ص٣/ ٤٥، ٤٦ - "كشف")، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢/ ٢٨١ رقم ١٠٣٩/ ٥٨ رقم ٢٥٩٣)، والطحاوي في "مشكل الآثار":(١٥٠٣) :ص٤/ ١٤٨، ١٤٩، جميعهم من طريق عبد الواحد بن زياد: ثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الفلتان به.

وهذا سند صحيح؛ رجاله ثقات.

(٥) سيأتي تخريجه.

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "هم قوم كانوا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يغزون معه؛ لأسقام وأمراض وأوجاع، وآخرون أصحاء لا يغزون معه، وكان المرضى في عذر من الأصحاء"[1].

٥٤-{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)} [النساء : ٩٧]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: روي عكرمة عن ابن عباس: "أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يأتى السهم فيرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}،الآية"[2].

وفي رواية أخرى عن عكرمة عن ابن عباس أيضا، قال : "كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون:كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا! فاستغفروا لهم، فنزلت : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ}، الآية ، قال : فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية، لا عذر لهم. قال : فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ }[سورة العنكبوت : ١٠] ، إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فحزنوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم : {إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

---

(١)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٢٧٧٥):ص١٢/ ١٢٨ ، والطحاوي في "مشكل الآثار" :٤/ ١٤٧، والبيهقي: ٩/ ٢٤، من طرق عن أبي عقيل الدورقي عن أبي نضرة عن ابن عباس به.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" :٧/ ١٩: "رواه الطبراني من طريقين، ورجال أحدهما ثقات".

قلنا: إسناده صحيح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٤٢)، وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٢)أخرجه البخاري(٤٥٩٦):ص٦/٦٠، والطبرانى في "الأوسط" (٣٦٠):ص١/٢٣٤، و(٧٠٨٥):ص٩/٦٥، والنسائي في "الكبرى" (١١٠٥٤)، والطبري(١٠٢٦١):ص٩/١٠٣-١٠٤، وابن أبي حاتم(٥٨٦٢):ص٣/١٠٤٥. [صحيح]

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }، [سورة النحل : ١١٠] ، فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجًا، فخرجوا فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم حتى نجا من نجا ، وقُتِل من قتل"[١].

والثاني: عن ابن جريج عن عكرمة:" قوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} إلى قوله: {وَسَاءَتْ مَصِيرًا}؛ قال:نزلت في قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبي العاص بن مُنبّه بن الحجاج وعلي بن أمية بن خلف، قال : لما خرج المشركون من قريش وأتباعهم لمنع أبي سفيان بن حرب وعِيرِ قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأنْ يطلبوا ما نِيل منهم يوم نَخْلة، خرجوا معهم شباب كارهين كانوا قد أسلموا واجتمعوا ببدر على غير موعد ، فقتلوا ببدر كفارًا ، ورجعوا عن الإسلام ، وهم هؤلاء الذين سميناهم"[٢]. وروي عن ابن إسحاق نحو ذلك[٣].

والثالث: عن ابن جريج ، قال مجاهد : "نزلت هذه الآية فيمن قتل يوم بدر من الضعفاء من كفار قريش"[٤].

والرابع: وقال الضحاك:" هم أناس من المنافقين تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يخرجوا معه إلى المدينة ، وخرجوا مع مشركي قريش إلى بدر ، فأصيبوا يومئذ فيمن أصيب ، فأنزل الله فيهم هذه الآية"[٥].

والرابع: وقال قتادة:" حُدِّثنا أن هذه الآية أنزلت في أناس تكلّموا بالإسلام من أهل مكة ، فخرجوا مع عدوِّ الله أبي جهل ، فقتلوا يوم بدر ، فاعتذروا بغير عذر ، فأبى الله أن يقبلَ منهم"[٦].

الظاهر-والله أعلم- أن الروايات جميعها متقاربة، وأن " المراد بهذه الآية إلى قوله :{مصيرا}، جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به،

---

(١) أخرجه الطبري(١٠٢٦٠):ص١٠٢/٩-١٠٣، وابن أبي حاتم(٥٨٦٣):ص١٠٤٦/٣.

(٢)أخرجه الطبري(١٠٢٦٤):ص١٠٥/٩-١٠٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٦٦):ص١٠٦/٩-١٠٧.

(٤)أخرجه الطبري(١٠٢٦٤):ص١٠٥/٩-١٠٦. سنده ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل: الأولى: الإرسال. الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة. الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري(١٠٢٦٨):ص١٠٨/٩.

(٦) أخرجه الطبري(١٠٢٦٧):ص١٠٧/٩-١٠٨.

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاموا مع قومهم، وفتن منهم جماعة فافتتنوا، فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر، فنزلت الآية فيهم"[١].

٥٥-**{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)} [النساء : ٩٨]**

في سبب نزول الآية والتي وجهان:

أحدهما: قال قتادة:" قوله:{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، أناسٌ من أهل مكة عذّرهم الله فاستثناهم، فقال : {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}[٢]"[٣].

عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس أنه قال : "كنت أنا وأمي ممن عَذَر الله: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}"[٤].

والثاني: روي عن مجاهد في قوله:"{لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، قال:مؤمنون مستضعفون بمكة ، فقال فيهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: هم بمنزلة هؤلاء الذين قتلوا ببدر ضعفاء مع كفار قريش. فأنزل الله فيهم:{لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، الآية"[٥].

٥٦-**{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)} [النساء : ١٠٠]**

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أنها نزلت في رجل اسمه: جندع بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري .

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:"خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً؛ فقال لأهله: احملوني؛ فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فمات في

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٩٩.

(٢)[سورة النساء : ٩٩].

(٣) أخرجه الطبري(١٠٢٦٧):ص٩/١٠٧-١٠٨، وابن ابي حاتم(٥٨٧٦):ص٣/١٠٤٨.

(٤) أخرجه الطبري(١٠٢٧٠):ص٩/١٠٩.

(٥) أخرجه الطبري(١٠٢٧٧):ص٩/١١٠-١١١.

الطريق قبل أن يصل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فنزل الوحي: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ} حتى بلغ: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}"[١].

وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم}، فكان بمكة رجل يقال له: ضمرة، من بني بكر، وكان مريضًا ، فقال لأهله : أخرجوني من مكة ، فإني أجد الحرّ. فقالوا : أين نخرجك ؟ فأشار بيده نحو المدينة ، فنزلت هذه الآية : {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، إلى آخر الآية"[٢].

وقد تعددت الروايات في اسم الرجل، فسماه ابن عباس[٣]، وعكرمة-في إحدى الروايات[٤] برجل من بني ليث اسمه جندب بن ضمرة، وضمرة بن جندب الضمري عند السدي[٥]، وقد وردت تسميته بضمرة بن العيص الزرقي في قول سعيد بن جبير[٦]، وضمرة بن العاص الجندعي في قول يزيد بن عبدالله بن قسيط[٧]، وضمرة في قول قتادة[١]، ووردت تسميته برجل من بني ضمرة، كما في قول عكرمة[٢]، ورجل من بني خزاعة كما في قول علباء بن احمر اليشكري[٣].

---

(١)أخرجه أبو يعلى في "المسند"(٢٦٧٩):ص ٥/ ٨١ ،ومن طريقه ابن الأثير في "أسد الغابة" :٢/ ٤٤٣، والطبراني في "المعجم الكبير"١١٧٠٩):ص١١/ ٢١٧، ٢١٨ ،وعنه أبو نعيم في "معرفة الصحابة":(٣٩٢٢):ص٣/ ١٥٤٨، وابن أبي حاتم في "تفسيره"(٥٨٨٩):ص ٣/ ١٠٥١، والواحدي في "أسباب النزول":١٧٨/١-١٧٩؛ وكما في "تخريج أحاديث الكشاف" (١/ ٣٥١، ٣٥٢) كلهم من طريق أشعث بن سوار الكندي عن عكرمة عن ابن عباس به.

وسنده ضعيف؛ أشعث ضعيف؛ كما في "التقريب" (١/ ٧٩)، وانظر: الاستيعاب في بيان الأسباب:٤٨١/١-٤٨٢.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠): "رواه أبو يعلى؛ ورجاله ثقات". وجوّد إسناده السيوطي (لباب النقول: ٧٩) .

(٢) أخرجه الطبري(١٠٢٩٤):ص١١٨/٩، وابن أبي حاتم(٥٨٨٧):ص١٠٥٠/٣. إسناده صحيح.

(٣) انظر: الإصابة: ٢٥١/١. أخرجه ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد صحيح.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٩١):ص١١٧/٩.[ضعيف جدا]. ووأخرجه الفاكهي في "أخبار مكة" ((٢٣٨٤):ص٤/ ٦٤. [سنده ضعيف]. وروي عن عكرمة تسميته بـ"رجل من بني ليث أحد بني جندع". ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٥٣)، ونسبه لعبد بن حميد. [وهو ضعيف؛ لإرساله].

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٩٠):ص١١٦/٩-١١٧.[ضعيف جدا].

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٩٥):ص١١٨/٩-١١٩. مرسل إسناده جيد.

(٧)انظر: معجم الصحابة، ابن قانع: (٤٧١):ص٢/ ٣١، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٥٣)، وزاد نسبته لابن سعد، وابن المنذر.

ورجح الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - أن اسمه: جندع بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري، أو الليثي(٤).

والثاني: انها نزلت في خالد بن حزام.

عن هشام بن عروة، عن أبيه أن الزبير بن العوام قال: "هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات، فنزلت فيه: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }، قال الزبير: وكنت أتوقعه وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة، فما أحزنني شيء حزني وفاته حين بلغني، لأنه قل أحد من هاجر من قريش إلا معه بعض أهله أو ذي رحمه، ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزى ولا أرجو غيره"(٥). وروي عن عبدالرحمن الحزامي نحو ذلك(٦).

قال ابن كثير:" وهذا الأثر غريب جدا فإن هذه القصة مكية ، ونزول هذه الآية مدنية ، فلعله أراد أنها أنزلت تعم حكمه مع غيره ، وإن لم يكن ذلك سبب النزول"(٧).

والثالث: وروي عن ابن عباس ايضا، قال:" نزلت في أكثم بن صيفي، قيل: فابن الليثي؟ قال: هذا قبل الليثي بزمان، وهي خاصة عامة"(٨).

والرابع: وقال الضحاك:"لما سمع رجل من أهل مكة أن بني كنانة قد ضربتْ وجوهَهم وأدبارَهم الملائكةُ ، قال لأهله :أخرجوني، وقد أدنفَ للموت. قال : فاحتمل حتى انتهى إلى عَقَبة قد سماها،

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٨٥):ص١١٥/٩ إسناده صحيح، لكنه مرسل.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٨٧):ص١١٥/٩-١١٦. مرسل إسناده صحيح.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٨٨):ص١١٦/٩. [مرسل ضعيف].

(٤)انظر: الإصابة(١٢٣٢):ص٢٥١/١.

(٥)أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨٨٨):ص٣/ ١٠٥٠، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٢٤٦٥):ص٢/ ٩٥٣، ٩٥٤. إسناده حسن.

وذكره السيوطي في "لباب النقول" (ص ٨٠) وزاد نسبته لابن منده والبارودي في "الصحابة".

(٦)انظر: طبقات ابن سعد:٤/ ١١٩، وسنده ضعيف جداً؛ الواقدي متروك الحديث، وكذبه أحمد وغيره، لكنه حسن بما قبله.

(٧) تفسير ابن كثير:٣٩٢/٢.

(٨)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" :٢/ ٦٥١، و"لباب النقول": ٨١، ونسبه لأبي حاتم في كتاب "المعمرين".

فتوفَّي ، فأنزل الله : {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، الآية"[1]. وروي عن عبدالرحمن بن زيد[2]، والحسن[3]، نحو ذلك.

٥٧-{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١)} [النساء : ١٠١]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال علي-رضي الله عنه-: "سأل قوم من التجار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: يا رسول الله! إنا نضرب في الأرض؛ فكيف نصلي؟ فأنزل الله: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ}، ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحول؛ غزا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فصلَّى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم؛ هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى- بين الصلاتين: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا}{ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ}[4]، إبة قوله:{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}[5]، فنزلت صلاة الخوف"[6].

والثاني: عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في "قوله:{ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ}، قال : يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعُسْفان ، والمشركون بضَجْنَان ، فتواقفوا، فصلَّى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر ركعتين أو : أربعًا ، شك أبو عاصم ركوعهم وسجودهم وقيامهم معًا جميعًا ، فهمَّ بهم المشركون أن يغيروا على أمْتعتهم وأثقالهم ، فأنزل الله عليه:{ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ}[7]، فصلَّى العصر ، فصفَّ أصحابه صَفَّين ، ثم كبَّر بهم جميعًا ، ثم سجد الأولون سجدة ، والآخرون قيام ، ثم سجد الآخرون حين قام النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم

---

(١) اخرجه الطبري(١٠٢٨٩):ص١١٦/٩، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٥٣)، وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٢٩٣):ص١١٨/٩.[وسنده واهٍ؛ لإعضاله، وعبد الرحمن متروك].

(٣)ذكره السيوطي في "الدر":٢/ ٦٥٣، ونسبه لعبد بن حميد.[مرسل].

(٤) [سورة النسا:١٠٢].

(٥) [سورة النسا:١٠٢].

(٦) أخرجه الطبري(١٠٣١٤):ص١٢٦/٩، قال ابن كثير في تفسيره:٤٠٠/٢:" وهذا سياق غريب جدا".

(٧) [سورة النسا:١٠٢].

كبر بهم وركعوا جميعًا ، فتقدم الصف الآخر واستأخر الأوَّل ، فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مرة ، وقصَرَ العصرَ إلى ركعتين"[1].

٥٨-**{وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢)} [النساء : ١٠٢]**

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن مجاهد، عن أبي عياش الزُّرقي قال : " قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُعسْفان، قال: فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى النبي - صلى الله عليه وسلم - الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، لقد أصبنا غفلة، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة. فقالوا: تأتي عليه الآن صلاة هي أحب إليهم من أبناءهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} الآية، قال: فحضرت الصلاة، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مستقبل القبلة والمشركون أمامه، فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذوا السلاح، فصففنا خلفه صفين؛ صف خلف رسول الله جميعاً، ثم سجد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصف الذي يليه، قال: والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا؛ جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلسوا؛ جلس الآخرون، فسجدوا، ثم جلسوا جميعاً، ثم سلم عليهم جميعاً، قال: فصلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرتين: مرة بعُسفان، وصلاها يوم بني سُليم"[2]. وروي عن ابن عباس نحوه [1].

---

(١)أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٤٢٣٦):ص٢/ ٥٠٤، والطبري(١٠٣٢١):ص٩/١٣٠-١٣١، وابن ابي حاتم(٥٨٩٥):ص٣/١٠٥٢.[صحيح الإسناد؛ لكنه مرسل].

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٥٧)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢)أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٤٢٣٧):ص٢/ ٥٠٥، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢/ ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦)، والطيالسي في "مسنده" (رقم ١٣٤٧)، وسعيد بن منصور في "سننه" (٦٨٦):ص٤/ ١٣٦٧، ١٣٦٨، وأحمد (٤/ ٥٩، ٥٩، ٦٠، ٦٠)، وأبو داود في "سننه" (١٢٣٦):ص٢/ ١١ - ١٢، والنسائي في "المجتبى" (٣/

والثاني: وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت[٢] في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً"[٣].

والثالث: قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: "نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه غزا محاربا وبنى أنمار، فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا، فوضع الناس

١٧٦، ١٧٧)، و"الكبرى" (١٩٣٧، ١٩٣٨):ص١/ ٥٩٦، ٥٩٧، وابن حبان في "صحيحه" (٢٨٧٦):ص٧/ ١٢٨ - "إحسان"، والطبري(١٠٣٢٣):ص١٣١/٩، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٨٩٦):ص٣/ ١٠٥٢، والدارقطني في "سننه" (٢/ ٥٩، ٦٠، ٦٠)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٥/ رقم ٥١٣٢، ٥١٣٣، ٥١٣٧، ٥١٣٩، ٥١٤٠)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤/ ١٩٦ رقم ٢١٧٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٢٩٨٥):ص٣/ ١١٧٦، والحاكم (١/ ٣٣٧، ٣٣٨)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧)، و"معرفة السنن والآثار"(١٨٤١، ١٨٤٢):ص٣/ ١٥، والبغوي في "شرح السُّنة" (١٠٩٦):ص٤/ ٢٨٩، ٢٩٠، والواحدي في "أسباب النزول" :١٨٠، و"الوسيط" (٢/ ١٠٩)، والمزي في "تهذيب الكمال" (٣٤/ ١٦١، ١٦٢) من طرق عن أبي عياش به.

قال الإمام الدارقطني: "صحيح".

وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال البيهقي: "هذا إسناد صحيح".

وقال البغوي: "هذا إسناد صحيح".

وقال ابن كثير في "تفسيره" (٢/ ٤٠١): "وهذا إسناد صحيح، وله شواهد كثيرة". وقال ابن حجر في "الإصابة" (٤/ ١٤٣): "سنده جيد".

(١)أخرجه البزار في "مسنده" (١/ ٣٢٦ رقم ٦٧٩ - كشف)، والطبري(١٠٣٧٣):ص١٥٦/٩، والحاكم (٣/ ٣٠)، والواحدي في "أسباب النزول":١٨٠، جميعهم من طريق النضر بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس به.

وسنده ضعيف جداً؛ مداره على النضر، وهو أبو عمر الخزاز متروك؛ كما في "التقريب" (٢/ ٣٠٢).

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢/ ١٩٦): "رواه البزار؛ وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو مجمع على ضعفه". اهـ.

أما الحاكم؛ فقال: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال: "صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه"!!.

والبخاري لم يخرج البتة للنضر هذا! لكن الحديث صحيح بشاهده من حديث أبي عياش الزرقي -رضي الله عنه- المتقدم آنفاً.

(٢) أي: قوله تعالى: {إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى}.

(٣)أخرجه الحاكم (٢/ ٣٠٨) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وأخرجه البخاري (٤٥٩٩):ص٨/ ٢٦٤، والطبري(١٠٣٧٩):ص١٦٤/٩، دون قوله: "نزلت في".

أسلحتهم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش، فحال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده فقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله، ثم قال: اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت، ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فأكب لوجهه من زلخة زلخها من بين كتفيه، وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم قال: يا غورث من يمنعك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك؟ قال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، فقال غورث: والله لأنت خير مني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أجل أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا: ويلك ما منعك منه؟ قال: لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي، وذكر حاله قال: وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية: {ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم} أي: من عدوكم"[1].

٥٩-{وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)} [النساء : ١٠٤]

عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : "لما كان قتال أُحُد ، وأصابَ المسلمين ما أصاب ، صعد النبيّ صلى الله عليه وسلم الجبل ، فجاء أبو سفيان فقال :يا محمد ، ألا تخرج ؟ ألا تخرج ؟ الحرب سِجَال ، يوم لنا ويوم لكم " . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيبوه. فقالوا : " لا سواء ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فقال أبو سفيان :عُزَّى لنا ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا له : الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان : أُعْلُ هُبَل

(١) تفسير البغوي:٢/٢٨٠-٢٨١، وأخبره ابن كثير مختصرا في التفسير، وقال أخرجه الإمام أحمد عن جابر، وقال: تفرد به من هذا الوجه: ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢. وانظر: البداية والنهاية: ٤ / ٨٤.

وانظر: مسند الإمام أحمد (٣/٣٩٠)، وعلق البخاري قطعة منه في صحيحه (٧/٤٧٦) وقد رواه من غير هذا الوجه برقم (٤١٣٥).

، أُعْل هبل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا له : الله أعلى وأجل! فقال أبو سفيان :موعدنا وموعدكم بدر الصغرى، ونام المسلمون وبهم الكلوم، وقال عكرمة : وفيها أنزلت : {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس}[سورة آل عمران : ١٤٠] ، وفيهم أنزلت : {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليمًا حكيمًا}(١).

قال مقاتل:" يوم احد -بعد القتل بأيام- فاشتكوا إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- الجراحات، فأنزل الله- عز وجل-: { إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ}"(٢).

قال الواحدي:" المراد بالقوم ههنا: أبو سفيان وأصحابه، لما انصرفوا عن أحد منهزمين، وقد قذف الله في قلوبهم الرعب، أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بأيام، فندب النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس لذلك، فاشتكوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله هذه الآية"(٣).

٦٠- {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

---

(١) أخرجه الطبري(١٠٤٠٧):ص١٧٣/٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٠٤/١.

(٣) التفسير البسيط:٦٥/٧. كما ذكره دون عزو السمرقندي في "بحر العلوم" ١/ ٣٨٤، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٤/ ١١٥ ب، والبغوي في "معالم التنزيل" ٢/ ٢٨٢.

(١١٤) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)} [النساء : ١٠٥ - ١١٦]

سبب نزول الآيات[١٠٥ إلى ١١٦]:

أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: "كان أهل بيت منا يُقال لهم: بنو أُبيرقٍ بشر وبُشير ومبشر، وكان بُشير رجلاً منافقاً يقول الشعر، يهجو به أصحاب رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث، أو كما قال الرجل، وقالوا: ابن الأبيرق قالها، قال: وكانوا أهل بيتِ حاجةٍ وفاقة في الجاهلية والإسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافِطَة من الشام من الدرمك، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير، فقدمت ضَافِطَة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حِمْلاً من الدرمك فجعله في مَشْرُبَة له، وفي المشربة سلاح، درع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت، فنُقِّبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا فذُهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أُبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نُرى فيما نُرى إلا على بعض طعامكم، قال: وكان بنو أُبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار، والله ما نُرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه، وقال: أنا أسرق؟ فواللَّه ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذكرت ذلك له، قال قتادة: فأتيت رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلت: إن أهل بيت منا أهلُ جفاء، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مَشْرُبَةً له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (سآمر في ذلك) فلما سمع بنو أُبيرق أتوا رجلاً منهم يُقال له أُسير بن عروة فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار، فقالوا: يا رسول اللَّه إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بيِّنة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيت رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكلمته، فقال: «عمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح،

ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينه» قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} بني أُبيرق (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ) أي مما قلت لقتادة: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}. (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) إلى قوله {غَفورًا رَّحِيمًا}، أي: لو استغمْروا اللَّه لغفر لهم: (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) إلى قوله {وَإِثْمًا مُبِينًا} قولهم للبيد: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ} إلى قوله {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}، فلما نزل القرآن أتى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسلاح فرده إلى رفاعة. فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عشا أو عسا - الشك من أبي عيسى - في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل اللَّه، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بُشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فأنزل اللَّه: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)}. فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر، فأخذت رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير"[1].

---

(١) سنن الترمذي(٣٠٣٦):ص٥/٢٤٤-٢٤٦، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٩٥٨):ص٤/ ١٥، والطبراني في "المعجم الكبير"(١٥):ص١٩/ ١٦ – ١٨، والطبري(١٠٤١١):ص٩/١٧٧-١٨١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ رقم ٥٩٣٣ و٥٩٣٦ و٥٩٤٨ و٥٩٥١ و٥٩٥٥)، والحاكم في "المستدرك" (٤/ ٣٨٥ - ٣٨٨)، وابن المنذر وأبو الشيخ في "تفسيريهما"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (١/ ٥٦٥)، والمزي في "تهذيب الكمال" (٢١/ ٤٨٣ - ٤٨٤).

وسنده ضعيف؛ فيه عمر بن قتادة هذا لم يرو عنه سوى ولده عاصم، ولم يوثقه سوى ابن حبان في "الثقات" (٥/ ١٤٦)؛ ولذا قال الذهبي في "الميزان" (٣/ ٢١٨): "لا يُعرف إلا من رواية ولده عنه"، وقال الحافظ في "التقريب" (٢/ ٦٢): "مقبول"؛ حيث يتابع، وإلا؛ فلين. ولم يتابع عليه.

وصرح ابن إسحاق بالتحديث في رواية الحاكم.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني".

وقد ذكر ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، وقتادة[٤]، والضحاك[٥]، والسدي[٦]، وابن زيد[٧]، وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بني أُبيرق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة.

وقد أورد جمهور المفسرين هذا الحديث في سبب نزولها، وأورده بعضهم بسياق مقارب للمذكور، لكن الجميع اتفقوا على أن نزولها كان في بني أبيرق، كالطبري[٨]، والبغوي [٩]، وابن العربي[١٠]، وابن عطية[١١]، والقرطبي[١٢]، وأبو حيان[١٣]، وابن كثير[١٤]، والسيوطي[١٥]، والشوكاني[١٦]، وابن عاشور[١٧]، وغيرهم.

بل رواه -أيضاً- مسنداً يونس بن بكير عند الحاكم.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه! " وسكت عنه الذهبي.

وهذا منهم عجيب؛ فمسلم لم يخرج لابن إسحاق في "الأصول"، وكذا عمر بن قتادة.

وحسنه الإمام أبو عبد الرحمن الألباني -رحمه الله- في "صحيح الترمذي".

(١) انظر: تفسير الطبري(١٠٤١٣):ص١٨٣/٩-١٨٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٠٩):ص١٧٦/٩-١٧٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٤١٦):ص١٨٦/٩-١٨٨.

(٤)انظر: تفسير الطبري(١٠٤١٢):ص١٨٢/٩-١٨٣ .

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٤١٧):ص١٨٨/٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٤١٥):ص١٨٥/٩-١٨٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٠٤١٤):ص١٨٣/٩-١٨٥.

(٨)انظر: تفسير الطبري:١٧٥/٩-١٨٨.

(٩) انظر: تفسير البغوي:٦٩٨/١-٦٩٩.

(١٠) انظر: أحكام القرآن:٦٢٦/١.

(١١) انظر: المحرر الوجيز:١٠٨/٢-١٠٩.

(١٢) انظر: تفسير القرطبي:٣٧٥/٥-٣٧٦.

(١٣) انظر: البحر المحيط:٥٥/٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير:٤٠٥/٢-٤٠٧.

(١٥) انظر: الدر المنثور:٦٧٠/٢-٦٧١.

(١٦) انظر: فتح القدير:٥٩٠/١-٥٩٢.

(١٧) انظر: التحرير والتنوير:١٩١/٥-١٩٢.

٦١-**{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠)} [النساء : ١١٠]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الضحاك: "نزلت الآية في شأن وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه، أشرك بالله وقتل، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لنادم فهل لي من توبة؟ فنزل: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ}، الآية"(١).

والثاني: قال الكلبي: "نزلت في شأن طعمة: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا}: بسرقة الدرع، { أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ}: برميه غيره وجحوده"(٢).

٦٢-**{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢)} [النساء : ١١٢]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن الجوزي:" جمهور العلماء على أنها نزلت متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق"(٣).

والثاني: وروى الضحاك عن ابن عباس: "أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول إذ رمى عائشة -عليها السلام- بالإفك"(٤).

قلت: وهذا الخبر عن ابن عباس منكر جدا، لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ورواية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك. والصواب ما ذهب إليه الجمهور. والله أعلم.

٦٣-**{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)} [النساء : ١١٣]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقصة طعمة وقومه، حيث لبسوا على النبي صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم، هذا قول ابن عباس من طريق ابن السائب (٥). وهو قول اكثر أهل التفسير(١).

---

(١) تفسير السمرقندي:٣٣٧/١، وتفسير القرطبي:٣٨٠/٥.

(٢) تفسير السمرقندي:٣٣٧/١.

(٣) زاد المسير:٤٦٨/١، وانظر: تفسير الثعلبي: ٣٨٣/٣.

(٤) زاد المسير:٤٦٨/١، وانظر: تفسير الثعلبي: ٣٨٣/٣.

(٥) انظر: زاد المسير:٤٦٩/١، وهذا واه، ابن السائب هو الكلبي كذبه غير واحد.

والثاني: أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: جئناك نبايعك على أن لا نحشر ولا نعشر، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجبهم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك[٢].

قلت: وخبر وفد ثقيف ورد بسياق آخر مطول، وليس فيه نزول الآية-والله أعلم-[٣].

٦٤-{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)} [النساء : ١١٥]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال السدي:" فلما فضح الله طعمة في المدينة، فنقب بيت الحجاج، فأراد أن يسرقه فسمع الحجاج خشخشة في بيته وقعقعة جلود كانت عنده، فنظر فإذا هو طعمة، فقال: ضيفي وابن عمي وأردت سرقتي، فأخرجه فمات بحرة بني سليم كافرا، فأنزل الله تعالى فيه: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}"[٤].

وذكروا عن الكلبي نحو ذلك[٥].

والثاني: وعن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: "نزلت هذه الآية في نفر من قريش، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ودخلوا في الإسلام، فأعطاهم رسول الله ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين ورجعوا إلى عبادة الأوثان، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ}"[٦].

وذكر السمرقندي عن الضحاك: "قدم نفر من قريش المدينة وأسلموا، ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين، فنزلت هذه الآية"[٧].

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي:٣/٣٥٧-٣٥٨، قال الماتريدي:" قال أكثر أهل التأويل: نزلت هذه الآية في شأن طعمة الذي سرق درع جار له بالذي سبق ذكره".

(٢) انظر: زاد المسير:١/٤٦٩. لا أصل له. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، ورواية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك، وقد رويا عن ابن عباس تفسيرا مصنوعا.

(٣)انظر «طبقات» ابن سعد ١/ ٢٣٧- ٢٣٨.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(٥٩٦٧):ص٤/١٠٦٦.

(٥) انظر: تفسير السمرقندي:١/٣٣٨.

(٦) تفسير الثعلبي:٣/٣٨٦.

(٧) تفسير السمرقندي:١/٣٣٨.

والراجح-والله أعلم- أنها نزلت "في الخائنين الذين ذكرهم الله في قوله : {ولا تكن للخائنين خصيمًا}، لما أبى التوبة من أبى منهم ، وهو طعمة بن الأبيرق ، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدًّا ، مفارقًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه"(١).

وقال القرطبي:" والآية وإن نزلت في سارق الدرع أو غيره، فهي عامة في كل من خالف طريق المسلمين"(٢).

٦٥-**{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)} [النساء : ١١٦]**

في سبب نزول الآية ثلاثة اقوال:

أحدها: أنها نزلت في حق طعمة بن أبيرق لما هرب من مكة، ومات على الشرك، وهذا قول الجمهور(٣)، منهم سعيد بن جبير(٤).

والثاني: وعن الضحاك عن ابن عباس:"إن شيخا من الاعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله أني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا إلا إني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته، وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له ولا توهمت طرفة عين، إني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله؟ فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}" (٥).

والثالث: قال الثعلبي:"ويقال: إنه نزل في حرة بني سليم وكان يعبد صنما لهم إلى إن مات، فأنزل الله فيه : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}|"(٦).

٦٦- **{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨)} [النساء : ١١٧ - ١١٨]**

سبب نزول الآيتين:[١١٧، و١١٨]:

---

(١) تفسير الطبري:٤٠٥/٩.

(٢) تفسير القرطبي:٣٨٥/٥.

(٣) انظر: زاد المسير:٤٧٢/١.

(٤) انظر: زاد المسير:٤٧٢/١.

(٥) تفسير الثعلبي:٣٨٦/٣، وانظر: زاد المسير:٤٧٢/١.

(٦)تفسير الثعلبي:٣٨٦/٣.

قال الحسن:"لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه، يسمونه أنثى بني فلان؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا}"[1].

٦٧-**{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩)} [النساء : ١١٩]**

أخرج الطبري عن أبي عمار ، عن ابن عباس: "أنه كره الإخصاء وقال:فيه نزلت:{ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ}"[2]. وروي عن انس[3]، وعكرمة[4]، نحو ذلك.

٦٨-**{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)} [النساء : ١٢٣]**

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال ابن عباس:" تحاكم أهل الأديان، فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب، أنزل قبل كتابكم ، ونبينا خير الأنبياء! وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام ، كتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ، ونعمل بكتابنا! فقضى الله بينهم فقال:{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}، وخيّر بين أهل الأديان؛ فقال: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}[5]"[6].وإلى هذا المعنى ذهب مسروق[7]، وأبو صالح[8]، وقتادة[9]، والضحاك[10]، والسدي[1]. والسدي[1].

---

(١)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٣٧٣ رقم ٦٨٨)، والطبري في "جامع البيان"(١٠٤٣٨)، و(١٠٤٣٩):ص٢٠٩/٩، من طريق محمد بن سيف عن الحسن به. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٦٨٧)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢) تفسير الطبري(١٠٤٤٨):ص٢١٥/٩. [هذا حديث صحيح على شرط مسلم].

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٤٩):ص٢١٥/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٦٢):ص٢١٧/٩-٢١٨.

(٥)[سورة النساء : ١٢٥].

(٦) أخرجه الطبري(١٠٤٩٦):ص٢٣٠/٩، وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٩٠)-(١٠٤٩٢):ص٢٢٨/٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٩٧)، و(١٠٤٩٨):ص٢٣٠/٩-٢٣١.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٩٣):ص٢٢٩/٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٩٥):ص٢٣٠/٩، و(١٠٤٩٩):ص٢٣١/٩-٢٣٢.

والثاني: وقال مجاهد:" قالت قريش: لن نبعث ولن نعذب، فأنزل الله:{ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}"[٢].
وإلى هذا المعنى ذهب ابن زيد[٣].

والثالث: أن اليهود والنصارى قالوا: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: لا نبعث، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة.

والراجح-والله أعلم- "أنه عُني بقوله :{ليس بأمانيكم}، مشركي قريش، لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله : {ليس بأمانيكم}، وإنما جرى ذكر أمانيِّ نصيب الشيطان المفروض ، وذلك في قوله : {ولأمنيَّنهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام}، وقوله: {يعدهم ويمنيهم}، فإلحاق معنى قوله جل ثناؤه: {ليس بأمانيكم} بما قد جرى ذكره قبل ، أحقُّ وأولى من ادِّعاء تأويلٍ فيه ، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا إجماع من أهل التأويل"[٤].

٦٩-{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)} [النساء : ١٢٤]

قال مسروق:" لما نزلت:{ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ }[٥]، قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء! فنزلت هذه الآية :{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ}"[٦].

وقال أبو صالح:" أبي صالح قال: جلس ناس من أهل الإيمان وأهل التوراة وأهل الإنجيل، فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل، فأنزل الله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٠٤٩٤):ص٢٢٩/٩-٢٣٠.

(٢) أخرجه الطبري(١٠٥٠١):ص٢٣٢/٩، وانظر: تفسير الطبري(١٠٥٠٠)، (١٠٥٠٢)، (١٠٥٠٣)، (١٠٥٠٥):ص٢٣٢/٩-٢٣٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٠٤):ص٢٣٣/٩.

(٤) تفسير الطبري:٢٣٤/٩.

(٥) [سورة النساء:١٢٣].

(٦) أخرجه الطبري(١٠٤٩١):ص٢٢٨/٩، وابن أبي حاتم(٦٠٠٠):ص١٠٧٢/٤-١٠٧٣. بزيادة:" قال: ففلجوا عليهم".

الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}[1]، ثم خص الله أهل الإيمان، فأنزل: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ}"[2].

٧٠-{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧)} [النساء : ١٢٧]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج البخاري[3]، ومسلم[4]، وأبو داود[5]، والنَّسَائِي[6]، والدارقطني[7]، عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة - رضي الله عنها -: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}. قالت: «هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأُمروا بنكاح من سواهن من النساء.

قالت عائشة: ثم استفتى الناس رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعدُ، فأنزل اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ}، قالت: فبيّن الله في هذه أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها».

والثاني: وعن عائشة، في قوله: {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}[النساء: ١٢٧]، قالت: «أنزلت في اليتيمة، تكون عند الرجل فتشركه في ماله، فيرغب عنها أن يتزوجها، ويكره أن يزوجها غيره، فيشركه في ماله، فيعضلها[8]

---

(١) [سورة النساء:١٢٣].

(٢) أخرجه الطبري(١٠٤٩٧):ص٩/٢٣٠-٢٣١، و ابن أبي حاتم(٦٠٠١):ص١٠٧٣/٤.

(٣) صحيح البخاري(٢٧٦٣):ص٩/٤، و(٦٩٦٥):ص٢٤/٩.

(٤) صحيح مسلم: كتاب التفسير (٣٠١٨):ص٢٣١٣/٤.

(٥) سنن أبي داود(٢٠٦٨):ص٢٢٤/٢.

(٦) السنن الكبرى(٥٤٨٨):ص٢٢١/٥، و(١١٠٢٤):ص٥٨/١٠.

(٧) سنن الدارقطني(٧٧):ص٢٦٥/٣.

(٨) "فيعضلها": أي: يمنعها الزواج.

فلا يتزوجها ولا يزوجها غيره»[١]. وروي عن ابن عباس[٢]، وإبراهيم[٣]، وقتادة[٤]، والسدي[٥] نحو ذلك.

والثالث: أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، فلما فرض الله المواريث في هذه السورة، شق ذلك عليهم، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، ومجاهد[٨]، وابن زيد[٩]، والكلبي[١٠].

والرابع: روي عن عبد الملك بن محمد بن حزم، قال: "أن عمرة بنت حزم كانت تحت سعد بن الربيع؛ فقتل عنها بأُحد، وكان له منها ابنة، فأتت النبي - صلى الله عليه وسلم - تطلب ميراث ابنتها؛ ففيها نزلت: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ}"[١١].

والخامس: وقال مقاتل بن سليمان:" نزلت في سويد وعرفطة ابني الحارث وعيينة بن حصن الفزاري ذلك أنه لما فرض الله- عز وجل- لأم كحة وبناتها الميراث انطلق سويد وعرفطة وعيينة بن حصن الفزاري إلى النبي- صلى الله عليه وسلم، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إن المرأة لا تركب فرسا ولا تجاهد وليس عند الولدان الصغار منفعة في شيء- فأنزل الله- عز وجل- فيهم «ويستفتونك» يعني يسألونك عن النساء يعني سويدا وصاحبيه"[١٢]. وكذلك ذهب السمرقندي[١٣]،

---

(١) صحيح مسلم(٣٠١٨):ص٢٣١٥/٤، والسنن الكبرى(١١٠٥٩):ص٧٣/١٠، وتفسير الطبري(١٠٥٦١)، و(١٠٥٦٢):ص٢٦٣/٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٤٩):ص٢٥٦/٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٤٤):ص٢٥٥/٩، وانظر: (١٠٥٤٥):ص٢٥٥/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٥٠)، و(١٠٥٥١):ص٢٥٦/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٤٦):ص٢٥٥/٩-٢٥٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٣٩):ص٢٥٣/٩-٢٥٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٤١):ص٢٥٤/٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٤٧):ص٢٥٦/٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٥٧):ص٢٦٢/٩.

(١٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٦٤٦):ص٤٨٠/١.

(١١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٧٠٩) ونسبه للقاضي إسماعيل في "أحكامه"[ضعيف].

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١١/١.

(١٣) انظر: بحر العلوم:٣٤٣/١.

والسمعاني[١]، وغيرهم، من السادة المفسرين. بأنها نزلت في أم كجة التي ذكرت في أول السورة، إذ كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان[٢].

والسادس: أخرج ابن أبي حاتم عن سالم عن سعيد، قال: "كان رجل له امرأة قد كبرت وعنست من الحيض وكان له منها أولاد فأراد أن يطلقها وأن يتزوج، فقالت: لا تطلقني، ودعني أقوم على ولدي واقسم كل عشر إن شئت أو أكثر من ذلك إن شئت، فقال: إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: «قد سمع الله ما تقول فإن شاء، أجابك»، قال: وأنزل الله تعالى: {يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن}، فأفتاهم عما لم يسألوا عنه"[٣].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه بالصواب ، وأشبهها بظاهر التنزيل ، قول من قال: معنى قوله : {وما يتلى عليكم في الكتاب}، وما يتلى عليكم من آيات الفرائض في أول هذه السورة وآخرها، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الصَّداق ليس مما كُتب للنساء إلا بالنكاح ، فما لم تنكح فلا صداق لها قِبَل أحد. وإذا لم يكن ذلك لها قِبَل أحدٍ ، لم يكن مما كتب لها. وإذا لم يكن مما كتب لها ، لم يكن لقول قائل :عنى بقوله :{وما يتلى عليكم في الكتاب}، الإقساطَ في صدقات يتامى النساء وَجْهٌ"[٤].

وابن العربي لما ساق حديث عائشة قال: "وفي ذلك من الحشو روايات لا فائدة في ذكرها هاهنا، يرجع معناها إلى قول عائشة - رضي الله عنها"[٥].

والإشكال الذي يَرِدُ هنا أن يُقال: ما هي الإضافة التي جاءت بها آية النساء الثانية؟ أو قل ما الفرق بين الآيتين؟

أجاب: ابن كثير - رحمه الله - قائلا: "والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها، فتارة يرغب في أن يتزوجها فأمره الله أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء فقد وسع اللّه - عَزَّ وَجَلَّ - وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول

---

(١) انظر: تفسير السمعاني:١/٤٨٥.

(٢) انظر القصة في: تفسير الطبري(٨٧٢٥):ص٨/٣١-٣٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٤٨٩٤):ص٣/٨٨١.

(٣) تفسير ابن ابي حاتم(٦٠١٩):ص٤/١٠٧٦.

(٤) تفسير الطبري:٩/٢٦٠-٢٦١.

(٥) أحكام القرآن:١/٤٠٥.

السورة، وتارة لا يكون فيها رغبة لدمامتها عنده أو في نفس الأمر فنهاه الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها"[1].

وقال السعدي: "قوله: {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ} هذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها، وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها، أو بعضه، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفًا من استخراجه من يده إن زوّجها، أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به، بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغبًا عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال، ولا يقسط في مهرها بل يعطيها دون ما تستحق"[2].

والظاهر -والله أعلم- أن ما ذكره ابن كثير والسعدي - رحمهما اللّه - هو الحق، وبيان ذلك أن يقال إن اللّه تحدث عن نكاح اليتامى من النساء في آيتين من نفس سورة النساء هما قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} [النساء : ٣]، وقوله: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ .. }، وبعيدٌ عن بلاغة القرآن وفصاحته أن يكون حديثُ الآيتين عن معنى واحد يتكرر فيهما، فإن هذا نقص في كلام البشر فكيف بكلام الله جلَّ وعلا؟

فإن قيل: الثاني مؤكد للأول، فما الجواب؟

فالجواب أن يقال: إن كلام اللّه إذا دار بين التوكيد والتأسيس تعين حمله على التأسيس لأنه يحمل معنى زائدًا على مجرد التوكيد.

وعلى هذا يكون حديث الآية الأولى عن الرجل تكون عنده اليتيمة ذات مال وجمال يريد أن يتزوجها بدون أن يقسط في صداقها، ولفظ الآية الأولى يدل على ذلك كما تقدم في أول سورة النساء.

وحديث الآية الثانية في الرجل تكون عنده اليتيمة تشاركه في ماله وليست ذات جمال، فيرغب عن نكاحها، ويكره أن يزوجها غيره لئلا يشاركه في مالها، فيعضلها لأجل ذلك، ولفظ الآية الثانية يدل على ذلك فإن اللّه قال: {فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ}، أي: من

(١) تفسير ابن كثير:٤٢٥/٢.

(٢) تفسير السعدي:٢٠٦.

حقوقهن وأموالهن اللاتي يملكنها ولهذا قال في آخر الآية: {وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}، أي: ترغبون عن نكاحهن.

ولفظ مسلم عن عائشة - «رغِنها» - يدل على هذا الفهم.

وأما قول الطبري: "إن ذلك في المواريث"[1]، فسياق الآيات لا يسعفه.

والراجح-والله اعلم- أن سبب نزول الآية الكريمة ما كان يجري في عهده - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذ كان بعض الناس يعضل اليتيمة عن النكاح لئلا يُشرك في مالها ويرغب هو عن نكاحها لقلة جمالها، فاستفتى بعض الصحابة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذلك فأنزل الله الآية، وذلك لصحة السند وصراحة اللفظ وموافقة السياق.

٧١-**{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)} [النساء : ١٢٨]**

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أخرج البخاري[2]، ومسلم[3]، والنَّسَائِي[4]، والطبري[5]، وابن أبي حاتم[6]، "عن عائشة - رضي الله عنها- في قوله -تعالى-: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا}: أُنزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها، فيريد أن يطلقها ويتزوج غيرها؛ فتقول: لا تطلقني وأمسكني، وأنت في حلٍّ من النفقة والقسمة لي؛ فأنزل الله -جل وعز-: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}".[إسناده صحيح].

ولفظ ابن ماجه: عن عائشة أنها قالت: "نزلت هذه الآية: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} في رجل كانت تحته امرأة قد طالت صحبتها. وولدت منه أولادًا. فأراد أن يستبدل بها فراضته على أن تقيم عنده ولا يقسم لها"[7].[إسناده صحيح].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٩/٢٦٠-٢٦١.

(٢) انظر: فتح الباري(٤٦٠١):ص٨/٢٦٥.

(٣) انظر: صحيح مسلم(٣٠٢١)"١٤":ص٤/٢٣١٦.

(٤) انظر: السنن الكبرى(١١٠٦٠):١٠/٧٤ واللفظ له، وهو أتم مما هو عند البخاري ومسلم.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٥٨٤)-(١٠٥٨٦):ص٩/١٧٠-٢٧٢.

(٦) تفسير ابن ابي حاتم(٦٠٤٥):ص٤/١٠٨١.

(٧) سنن ابن ماجة(١٩٧٤):ص٣/١٤٥-١٤٦.

والثاني: أخرج أبو داود[١]، وغيره[٢]، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "يا ابن أُختي كان رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفَرِقت أن يفارقها رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يا رسول اللَّه، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منها. قالت: نقول في ذلك أنزل اللَّه تعالى وفي أشباهها أراه قال: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا}". [إسناده حسن].

وفي السياق نفسه أخرج أبو داود[٣]، والترمذي[٤]، والطبري[٥]، وابن أبي حاتم[٦]، عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال:"خشيت سودة أن يطلقها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقالت: لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل فنزلت: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز".[إسناده صحيح].

والثالث: أخرج عبدالرزاق[٧]،والبيهقي[٨]، والحاكم[٩]، الطبري[١]، وابن ابي حاتم[٢]، وغيرهم[٣]، وغيرهم[٣]، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار : "أنّ رافع بن خديج كان تحته امرأة قد خلا

---

(١) سنن ابي داود(٢١٣٥):٣/٤٧٠-٤٧١.

(٢) وأخرجه أحمد في المسند(٢٤٧٦٥)، والحاكم في المستدرك: ٢/١٨٦، والطبراني في المعجم الكبير(٨١):ص: ٢٤/٣١ ، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير: ٢/٤٢٦، والبيهقي(٣٠٠):ص٧/٧٤-٧٥، وأبو بكر الجصاص في "أحكام القرآن" ٣/ ٣٦٨، من طريق ابن أبي الزناد، وإسناده حسن، لأن ابن أبي الزناد ثقة في هشام (تهذيب التهذيب: ٦/١٧١). وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي.

وله شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، حسنه الحافظ ابن حجر (الإصابة: ٤/٣٣٨)، وأصل القصة في صحيحي :البخاري، فتح الباري(٥٢١٢):ص ٩/٣١٢، ومسلم(١٤٦٣):ص٢/١٠٨٥.

(٣) انظر: مسند ابي داود(٢٨٠٥):ص٤/٤٠٣.

(٤) سنن الترمذي(٣٠٤٠):ص٥/٢٤٩. وقال:" هذا حديث حسن صحيح غريب". واللفظ له.

صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي(٣٠٤٠):ص٧/٤٠، والإرواء(٢٠٢٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٦٠٨):٩/٢٧٧. ورواية الطبري:" لا تُطلّقني وأمسكني ، واجعل يومي لعائشة. ففعل ، فنزلت هذه الآية : {وَإن امرأةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إعراضًا}، الآية ، فما اصطلحا عليه من شَيءٍ فهو جائز " .

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٠٤٣):ص٤/١٠٨٠.

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق: (١٧٥):ص١/١.[إسناده صحيح]

(٨) السنن الكبرى(١٢٦١٤):ص:٦/٤٥٢، و(٢٩٦):ص٧/٧٦. [سياقه مرسل].

(٩) انظر: المستدرك:٢/٣٠٨-٣٠٩. وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

من سنها ، فتزوج عليها شابة ، فآثر الشابة عليها. فأبت امرأته الأولى أن تقيم على ذلك ، فطلقها تطليقة. حتى إذا بقي من أجلها يسير قال : إن شئت راجعتك وصبرتِ على الأثرة ، وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك! قالت : بل راجعني وأصبر على الأثرة! فراجعها ، ثم آثر عليها ، فلم تصبر على الأثرة ، فطلّقها أخرى وآثر عليها الشابة. قال : فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله أنزل فيه :{وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا}".[إسناده صحيح].

والرابع: أخرج ابن ابي حاتم عن جرير بن حازم قال: "سمعت قيسا في قول الله: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا}، قال: نزلت في أبي السنابل بن بعكك[٤] أخي بني عبد الدار"[٥]. وروي عن مجاهد[٦]، نحو ذلك.

والظاهر-والله أعلم- أنه لا تنافي بين هذه الأقوال، فإن حديث عائشة الأول مبهم وحديثها الثاني مفسر للإبهام، وأما حديث رافع، فإنما قال إنها شاملة لما فعل، والآية تشمل الجميع، وإنْ كان الأقرب أن سبب نزول الآية: ما ثبت عن عائشة - رضي الله عنها - من قولها الرجل تكون عنده

---

(١) تفسير الطبري(١٠٦٠٠):ص٢٧٥/٩. [إسناده صحيح]

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(٦٠٤١):ص١٠٨٠/٤. [سياقه مرسل].

(٣)وأخرجه سعيد بن منصور في "سننه": (٧٠١) :ص١٣٩٨/٤، وابن أبي شيبة في "المصنف" :٤/ ٢٠٢، والشافعي في "الأم" :٥/ ١٧١، و"المسند":(٨٦):ص٢/ ٢٨، والواحدي في "أسباب النزول":١٨٥-١٨٦، و"الوسيط" :٢/ ١٢٤. جميعهم عن الزهري طريق سعيد بن المسيب:"أن رافع..".

ورجاله رجال الصحيح؛ لكن سياقه سياق المرسل.

وتقدم تخريجه موصولاً وهو صحيح، ولا معارضة بين الوصل والإرسال؛ فالزهري قد يكون نشط مرة؛ فرفعه، وأخرى لم يرفعه، والله أعلم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٧١١) وزاد نسبته لمالك، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

وهو في "الموطأ" (٢/ ٥٤٨، ٥٤٩ - رواية يحيى) عن الزهري عن رافع وهو منقطع.

(٤)-"أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشي"، هو صحابي من مسلمة الفتح، أخرج له الترمذي، والنسائي وابن ماجه.

و"بعكك" (بفتح فسكون ففتح) على وزن"جعفر".

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(٦٠٣٨):ص١٠٧٩/٤.

(٦) انظر: تفسير مجاهد:٢٩٤، وتفسير الطبري(١٠٦٠١):ص٢٧٦/٩.

المرأة ليس بمستكثر منها ويريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حلٍّ، فنزلت الآية، وذلك لصحة سنده وموافقته للفظ الآية وتصريحه بالنزول [١].

٧٢-**{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩)} [النساء : ١٢٩]**

قال أبو مليكة:" نزلت هذه الآية في عائشة:{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ}"[٢] .

٧٣-**{مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)} [النساء : ١٣٤]**

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قيل: إن هذه الآية نزلت من أجل المنافقين كانوا لا يصدقون بالقيامة، وإنما يطلبون عاجل الدنيا، ذكره أبو سليمان[٣].

والثاني: وقال الزجاج:" كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث، وكانوا مُقِرينْ بأن اللَّهَ خالقهم، فكان تقربُهم إلى الله عزَّ وجلَّ إنما هو ليُعْطِيهُمْ من خير الدنيا، ويَصرِفَ عنهم شَرها، فأعلم الله عزَّ وجلَّ أن خير الدنيا والآخرة عنده"[٤].

٧٣-**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)} [النساء : ١٣٥]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال السدي:" نزلت في النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واختصم إليه رجلان : غنيٌّ وفقير ، وكان ضِلْعه مع الفقير ، يرى أن الفقير لا يظلم الغنيَّ ، فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير، فقال:{إن يكن غنيًّا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا}، الآية"[٥].[ضعيف جدا].

---

(١) انظر: الصحيح المسند من اسباب النزول:٨٠، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة:٤٥٢/١

(٢) أخرجه الطبري(١٠٦٣٨):٢٨٧/٩، وابن ابي حاتم(٦٠٥٦):ص١٠٨٣/٤.

(٣) انظر: زاد المسير:٤٨٣/١.

(٤) معاني القرآن:١١٧/٢.

(٥) أخرجه الطبري(١٠٦٧٨):ص٣٠٣/٩، وابن أبي حاتم(٦٠٨٨):ص١٠٨٨/٤، و(٦٠٧٨):ص١٠٨٦/٤

والثاني: عن ابن جريج عن مولى لابن عباس؛ قال: "لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة؛ كانت «البقرة» أول سورة نزلت، ثم أردفها سورة «النساء»، قال: فكان الرجل يكون عنده الشهادة قبل ابنه أو عمه أو ذوي رحمه، فيلوي بها لسانه أو يكتمها؛ مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقضي؛ فنزلت: {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ}؛ يعني: إن يكن غنياً أو فقيراً"[1].[ضعيف جدا].

٧٤-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)} [النساء : ١٣٦]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن عبد الله بن سلام، وأسداً وأسيداً ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلاماً ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين، أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله! إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزيز، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بل آمنوا بالله ورسوله محمد، وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله»، فقالوا: لا نفعل؛ فنزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ}. قال: فآمنوا كلهم "[2].[موضوع].

٧٥-{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨)} [النساء : ١٣٨]

مختصرا، من طريق أسباط، [وهذا سند واه؛ لإعضاله، وضعف أسباط]

(١)أخرجه ابن المنذر في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور":٢/ ٧١٤-٧١٥، [وهذا سنده ضعيف جداً؛ فيه علل: ابن جريج مدلس، وقد عنعنه، وجهالة المولى، والإرسال].

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره بحر العلوم:٣٤٧/١، وأخرجه الثعلبي في "تفسيره":٤٠١/٣، من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغوي في تفسيره:٢٩٩/٢، والسيوطي في الدر المنثور: ٢ / ٧١٦، وذكره الواحدي في أسباب النزول:١٨٦، معلقاً عن الكلبي ولم يسنده إلى ابن عباس، وذكره الزمخشري في الكشاف:٥٧٦/١، ولم يسنده إلى أحد.

وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» (١/ ٣٦٥) : ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس وذكره الواحدي في «الأسباب» عن الكلبي بدون إسناد اهـ.

قلنا: وهذا إسناد ساقط، الكلبي متروك كذاب.

قال مقاتل:" ولما نزلت المغفرة للنبي- صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين فى سورة الفتح قال عبد الله بن أبي ونفر معه، فما لنا؟ فأنزل الله- عز وجل- :{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ}، يعني: عبد الله بن أبي، ومالك بن دخشم، وجد بن قيس"[١].

٧٦-{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)} [النساء : ١٤٠]

قال مقاتل:"كان المنافقون يستهزءون بالقرآن، فأنزل الله- عز وجل- بالمدينة:{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتاب}، يعنى: فى سورة «الأنعام» بمكة[٢]، {أَنْ إذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِه}"[٣].

٧٧-{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)} [النساء : ١٤٢]

قال ابن جريج : {إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم}، قال : نزلت في عبد الله بن أبيّ ، وأبي عامر بن النعمان، وفي المنافقين{يخادعون الله وهو خادعهم}، قال : مثل قوله في«البقرة»: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أَنْفُسَهُمْ}[سورة البقرة : ٩]، قال : وأما قوله : {وهو خادعهم}، فيقول : في النور الذي يعطى المنافقون مع المؤمنين ، فيعطون النور، فإذا بلغوا السور سُلب ، وما ذكر الله من قوله:{انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ }[سورة الحديد : ١٣]. قال قوله : {وهو خادعهم}"[٤].

قال مقاتل:" نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}"[٥].

٧٨-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤)} [النساء : ١٤٤]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١٥/١.

(٢)يشير للآية: ٦٨ من سورة الأنعام، وهي: {وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١٥/١.

(٤) أخرجه الطبري(١٠٧٢٢):ص٣٢٩/٩-٣٣٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١٦/١.

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: ذكر الماتريدي عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: "نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين"(١).

قال الواحدي:" قال المفسرون: لما ذم الله المنافقين بأنهم مرة إلى الكفار ومرة إلى المسلمين من غير أن يقرُّوا مع أحد الفريقين، نهى المسلمين في هذه الآية أن يصنعوا كصنيع المنافقين فقال: {لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ}، يعني اليهود من قريظة والنضير، وذلك أنَّ الأنصار بالمدينة كان لهم رضاع وحلف ومودة، فقالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من نتولى ؟ فقال: "المهاجرين"، ونزلت هذه الآية. وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء"(٢).

قال مقاتل:" نزلت في المنافقين منهم عبد الله ابن أبي، ومالك بن دخشم، وذلك أن مواليهما من اليهود: أصبع ورافع عيروهما بالإسلام، وزينوا لهما ترك دينهما وتوليهما اليهود فصانعا اليهود، فقال الله:{لا تتخذوا الكافرين}، من اليهود، {أولياء من دون المؤمنين}"(٣).

والثاني: أنها "نزلت في المؤمنين، نهاهم أن يتخذوا المنافقين أولياء بإظهارهم الإيمان علانية، وأمرهم أن يتخذوا المؤمنين أولياء"(٤).

والثالث: وذكر الواحدي عن مقاتل: "كانوا يظهرون المودة للمشركين الذين بمكة، فنهاهم الله"(٥)، فعلى هذا المراد بالكافرين المشركون.

قال الواحدي:" والقول الأول أظهر"(٦).

٧٩-{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)} [النساء : ١٤٨]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قال مجاهد:"نزلت في رجل ضاف رجلا بفلاةٍ من الأرض فلم يضفه ، فنزلت : {إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}، ذكر أنه لم يضفه ، لا يزيد على ذلك"(١).

---

(١) تفسير الماتريدي:٣٩٧/٣.

(٢) التفسير البسيط:١٦٤/٧، ولم اقف على قول االبن عباس-رضي الله عنه-.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١٧/١.

(٤) تفسير الماتريدي:٣٩٧/٣.

(٥) التفسير البسيط:١٦٤/٧، ولم اقف على الأثر.

(٦) التفسير البسيط:١٦٤/٧.

والثاني: قال مقاتل:" نزلت في أبي بكر- رضي الله عنه- شتمه رجل والنبي- صلى الله عليه وسلم- جالس فسكت عنه مرارا ثم رد عليه أبو بكر- رضي الله عنه- فقام النبي- صلى الله عليه وسلم- عند ذلك، فقال أبو بكر- رضي الله عنه-: يا رسول الله، شتمني وأنا ساكت، فلم تقل له شيئا حتى إذا رددت عليه قمت. قال: «إن ملكا كان يجيب عنك، فلما أن رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان، فلم أكن لأجلس عند مجيء الشيطان»[٢]"[٣].

قال الماتريدي:" وقيل: نزلت الآية في أبي بكر - رضي الله عنه - شتمه رجل بمكة، فسكت عنه ما شاء الله، ثم انتصر؛ فقام النبي - صلى الله عليه وسلم – وتركه"[٤].

٨٠-**{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)} [النساء : ١٥٣]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: "جاء أناس من اليهود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله؛ فأتنا بالألواح من عند الله؛ حتى نصدقك؛ فأنزل الله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} إلى قوله: {وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} [النساء: ١٥٦]"[٥]. [ضعيف جداً].

---

(١) أخرجه الطبري(١٠٧٦١):ص٣٤٧/٩. وانظر: اسباب النزول للواحدي:١٨٦، ولباب النقول للسيوطي:٧٣-٧٤.

(٢)أخرجه أحمد: (٩٦٢٢):ص ٤٣٦/٢، وأبو داود: (٤٨٩٧)، ونص الحديث: عن أبي هريرة: "أن رجلا شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام، فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان، ثم قال: يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله، عز وجل، إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة، إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة، إلا زاده الله، عز وجل، بها قلة".

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١٨/١.

(٤) تفسير الماتريدي:٤٠٣/٣.

(٥) أخرجه الطبري(١٠٧٦٩):ص٣٥٦/٩. وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث: أحدها: عبد العزيز بن أبان الأموي السعيدي؛ متروك، وكذبه ابن معين؛ كما في "التقريب" ١/ ٥٠٨. والثاني: أبو معشر نجيح السندي؛ ضعيف، أسن واختلط؛ كما في "التقريب": ٢/ ٢٩٨. والعلة الثالثة: الإرسال.

والثاني: عن ابن جريج في قوله: "{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ}؛ وذلك أن اليهود والنصارى أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: لن نبايعك على ما تدعونا إليه؛ حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله. قال الله -جل ثناؤه-: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً}"[1]. [ضعيف جداً].

٨١-{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)} [النساء : ١٥٦]

قال أبو الليث السمرقندي:" ثم قال تعالى: {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما}، وذلك أن مريم كانت متعبدة لله تعالى ناسكة، اصطفاها الله تعالى بولد بغير أب، فعيرها اليهود واتهموها وقذفوها بيوسف بن ماثان، وكان يوسف خادم بيت المقدس ويقال: كان ابن عمها، فأنزل الله تعالى إكذابا لقولهم وبين بهتانهم فقال: {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما}"[2].

٨٢-{لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)} [النساء : ١٦٢]

قال ابن عباس : " نزلت في عبد الله بن سلام وأسيد بن سعية وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد، حين فارقوا يهود وشهدوا أن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق من الله، وأنهم يجدونه مكتوبا عندهم"[3].

وفي السياق نفسه قال مقاتل:" وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إن اليهود لتعلم أن الذي جئت به حق، وإنك لمكتوب عندهم في التوراة. فقالت اليهود:

---

(١)أخرجه سُنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان": (١٠٧٧١):ص٣٥٧/٩.

وهذا سند واه بمرة؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: وضعف سنيد صاحب "التفسير".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٧٢٦)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢) بحر العلوم:٣٥٤/١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٢٦٩):ص١١١٦/٤، وانظر: تفسير ابن كثير:٤٦٨/٢.

ليس كما تقولون: وإنهم لا يعلمون شيئا وإنهم ليغرونك ويحدثونك بالباطل، فقال الله- عز وجل-: {لكن الراسخون في العلم}"[1].

٨٣-**{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣)} [النساء : ١٦٣]**

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قال عدي بن زيد: يا محمد! ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى؛ فأنزل الله: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} الآيات كلها"[2]. [ضعيف].

وفي المعنى نفسه قال مقاتل:" وذلك أن عدي بن زيد وصاحبيه اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- والله ما أوحى الله إليك، ولا إلى أحد من بعد موسى فكذبهم الله - عز وجل- فقال: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده}"[3].

٨٤-**{وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)} [النساء : ١٦٤]**

قال مقاتل:" فقالت اليهود: ذكر محمد النبيين ولم يبين لنا أمر موسى أكلمه الله أم لم، يكلمه؟ فأنزل الله- عز وجل- في قول اليهود:{ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل}"[4].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٢/١. وأسلوب العبارة ركيك ومضمونها: أن اليهود كذبت عبد الله بن سلام وأصحابه وأخبرت النبي أنهم جهلة لا يعلمون شيئا وأنهم يغرون النبي ويحدثونه بالباطل.

(٢) أخرجه الطبري(١٠٨٤٠):ص٤٠٠/٩. ورواية الطبري:" قال سُكَين وعدي بن زيد : يا محمد ، ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى! فأنزل الله في ذلك من قولهما : " إنا...".

والبيهقي في "دلائل النبوة":٢/ ٥٣٥، وابن مردويه في "تفسيره" -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٣٧٩):ص١٠/ ٣٥٣، ٣٥٤، -جميعهم من طريق ابن إسحاق -وهذا في "المغازي" له (٢/ ١٩١ - سيرة ابن هشام).

وأخرجه أيضا ابن ابي حاتم(٦٢٧٨):ص١١١٨/٤، وروايته:" قال سكين ومحمد وعدي بن يزيد: يا محمد".

وهذا سند ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٣/١.

(٤) التفسير الميسر:١٠٤.

٨٥-**{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)} [النساء : ١٦٦]**

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جماعة من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله»، فقالوا: ما نعلم ذلك؛ فأنزل الله -تعالى-: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}"(١).[ضعيف].

والثاني: ونقل الواحدي عن الكلبي: "إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: سألنا عنك اليهود فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولا، فنزلت هذه الآية: {لكن الله يشهد}"(٢).

٨٦-**{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)} [النساء : ١٧١]**

قال الواحدي:" نزلت في طوائف من النصارى حين قالوا عيسى ابن الله، فأنزل الله تعالى: {لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} الآية"(٣).

قال البغوي:" نزلت في النصارى وهم أصناف: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى هو ابن الله، وقالت: المرقوسية ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٤).

٨٧-**{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)} [النساء : ١٧٢]**

---

(١) أخرجه ابن إسحاق، ومن طريقه الطبري(١٠٨٥٠)، و(١٠٨٥١):٤٠٩/٩، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٧٥٠)، وزاد نسبته لابن المنذر.

وسنده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.

(٢) أسباب النزول:١٨٧.

(٣) أسباب النزول:١٨٧.

(٤) تفسير البوغي:٣١٣/٢.

نقل الواحدي عن الكلبي: "إن وفد نجران قالوا: يا محمد تعيب صاحبنا؟ قال: «ومن صاحبكم؟ » قالوا: عيسى، قال:«وأي شيء أقول فيه؟» قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله، فقال لهم:«إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبد الله»، قالوا: بلى، فنزلت: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله} الآية"[1].

٨٨-{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)} [النساء : ١٧٦]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أنها نزلت في جابر بن عبد الله.

أخرج البخاري[2]، وأحمد[3]، ومسلم[4]، وأبو داود[5]، والترمذي[6]، والنَّسَائِي[7]، وابن ماجه[8]، وغيرهم[9]، عن جابر بن عبد اللَّه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: " مرضت، فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وهما يمشيان، فأغمي علي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ، ثم صبه علي فأفقت، فقلت: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي، كيف أصنع في مالي؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى نزلت آية الميراث".[صحيح].

---

(١) اسباب النزول:١٨٧.

(٢) صحيح البخاري(١٩٤)، و(٤٥٧٧)، و(٥٦٥١)، و(٥٦٧٦)، و(٦٧٢٣)، و(٦٧٤٣)، و(٧٣٠٩)، وفي الادب المفرد:(٥١١) باب عيادة المغمى عليه.

(٣) المسند(١٤٢٣٥):ص٢٩٨/٣، و(١٤٣٤٩):ص٣٠٧/٣.

(٤) صحيح المسلم(١٦١٦):ص١٢٣٤/٣-١٢٣٥. باب ميراث الكلالة.

(٥) سنن أبي داود(٢٨٨٦).

(٦) سنن الترمذي(٢٠٩٦)، و(٢٠٩٧)، و(٣٠١٥).

(٧) سنن النسائي:٨٧/١، والسنن الكبرى(٧١)، و(٦٢٨٧)، و(٦٢٨٨)، و(٦٢٨٩)، و(٧٤٥٦)، و(٧٤٧٠)، و(١١٠٢٥).

(٨) سنن ابن ماجة(١٤٣٦)، و(٢٧٢٨).

(٩) أخرجه أيضا الحميدي في مسنده(١٢٦٤):ص٣٢٢/٢، والدارمي(٧٣٣)، وابن خزيمة(١٠٦).

والثاني: وقال قتادة:"{يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}، فسألوا عنها نبيَّ الله ، فأنزل الله في ذلك القرآن :{إن امرؤ هلك ليس له ولد}، فقرأ حتى بلغ :{والله بكل شيء عليم}"(١).[مرسل صحيح الإسناد].

والثالث: وقال سعيد بن المسيب:"سأل عمر بن الخطاب النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الكلالة ، فقال : أليس قد بيَّن الله ذلك ؟ قال : فنزلت:{يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}"(٢).[ضعيف].

والراجح- والله أعلم- أن سبب نزول الآية قصة جابر، وذلك لصحة سندها، وصراحة لفظها، وموافقتها للفظ الآية، وقواعد الفرائض، واتفاق أكثر المفسرين على ذلك(٣).

واختلف في مكان الذي نزلت فيه هذه الآية على قولين:

أحدها: أنها نزلت في المدينة. وهذا قول جابر بن عبدالله(٤).

والثاني:أنها أنزلت في مسيرٍ كان فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه. وهذا قول ابن سيرين(٥).

قال ابن سيرين:" نزلت : {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}، والنبيّ في مسير له ، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان ، فبلَّغها النبي صلى الله عليه وسلم حُذيفة ، وبلّغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه. فلما استُخلف عمر سأل عنها حذيفة ، ورجا أن يكون عنده تفسيرها ، فقال له حذيفة:والله إنك لعاجز إن ظننت أن إمارتك تحملني أن أحدِّثك فيها بما لم أحدِّثك يومئذ! فقال عمر:لم أرد هذا، رحمك الله!"(٦).

---

(١) أخرجه الطبري(١٠٨٦٥):٤٣١/٩.

(٢)أخرجه الطبري في تفسيره(١٠٨٦٦):٤٣١/٩، وأخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده"؛ مطولا كما في "المطالب العالية" : (١٦٤٥):ص٤/ ١٣٢، ١٣٣. [وسنده ضعيف لإرساله].

قال الحافظ: "صحيح؛ إن كان ابن المسيب سمعه من حفصة -رضي الله عنها-".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٧٥٣)، وزاد نسبته لابن مردويه.

(٣) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة:٤٥٥/١.

(٤) انظر: صحيح البخاري(١٩٤)، و(٤٥٧٧)، و(٥٦٥١)، و(٥٦٧٦)، و(٦٧٢٣)، و(٦٧٤٣)، و(٧٣٠٩)، وفي الادب المفرد:(٥١١) باب عيادة المغمى عليه، وصحيح المسلم(١٦١٦):ص١٢٣٤/٣-١٢٣٥. باب ميراث الكلالة، وغيرهما كما بيّناه في سبب النزول.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٨٧٤)-(١٠٨٧٦):ص٤٣٥/٩-٤٣٦.

(٦) أخرجه الطبري(١٠٨٧٤):ص٤٣٥/٩.

وفي رواية اخرى:"فقال : والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقّانيها رسول الله فلقَّيْتُكها كما لقَّانيها، والله لا أزيدك عليها شيئًا أبدًا! قال : وكان عمر يقول : اللهم مَن كنتَ بيّنتها له، فإنها لم تُبَيَّن لي"[1].

(١) أخرجه الطبري(١٠٨٧٦):٩/٤٣٥-٤٣٦.

سورة «المائدة»

١-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)} [المائدة: ٢]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في شريح بن ضبيعة. وهذا قول ابن عباس[١]، والسدي[٢]، وعكرمة[٣]، وابن جريج[٤].

قال السدي: أقبل الحُطم بن هند البكري، ثم أحد بني قيس بن ثعلبة [٥] حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وحده، وخَلَّف خيله خارجة من المدينة. فدعاه، فقال: إلام تدعو؟ فأخبره، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة، يتكلم بلسان شيطان!، فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم قال: انظر، ولعلّي أسلم ولي من أشاوره، فخرج من عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد دخل بوجه كافر، وخرج بعَقِب غادرٍ! فمرَّ بسَرْح من سَرْح المدينة فساقه، فانطلق به وهو يرتجز[٦]:

---

(١) انظرك اسباب النزول للواحدي:١٨٩.

(٢) انظر: الطبري(١٠٩٥٨):ص٤٧٢/٩-٤٧٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٠٩٥٩):٤٧٣/٩-٤٧٤، وتفسير عبدالرزاق:١٠/٢، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠) وزاد نسبته لابن المنذر. .[سنده ضعيف].

(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٧٤/٩.

(٥)الحطم" لقب، واسمه: "شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، من بكر بن وائل" (جمهرة الأنساب: ٣٠١) ، وهذا"الحطم"، خرج في الردة، في السنة الحادية عشرة، فيمن تبعه من بكر بن وائل، ومن تأشب إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافرًا، فخرج بهم حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط، ومن فيها من الزط والسيابجة. وحاصر المسلمين حصارًا شديدًا. فتجمع المسلمون جميعًا إلى العلاء بن الحضرمي، وتجمع المشركون كلهم إلى الحطم. ثم بيتهم المسلمون وقتلوا الحطم ومن معه في خبر طويل .[انظر :تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٤-٢٦٠].

(٦)اختلفوا في نسبة هذا الشعر اختلافًا كثيرًا ، فنقل التبريزي في شرح الحماسة (١ : ١٨٥) خبر رشيد بن رميض العنزي (بفتح العين ، وسكون النون) من بني عنز بن وائل ، بلا شك عندي في ذلك. قال التبريزي : " قالها في

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ ... لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلا غَنَم
وَلا بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ الوَضَمْ ... بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلامٌ كَالزَّلَمْ ... خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ مَمْسُوحُ القَدَمْ

ثم أقبل من عام قابلٍ حاجًّا قد قلَّد وأهدى، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه، فنزلت هذه الآية، حتى بلغ:"ولا آمين البيت الحرام". قال له ناس من أصحابه: يا رسول الله، خلِّ بيننا وبينه، فإنه صاحبنا! قال: إنه قد قلَّد! قالوا: إنما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية! فأبى عليهم، فنزلت هذه الآية"[1]. [ضعيف جدا][2].

والثاني: أن ناسا من المشركين جاءوا يؤمون البيت يوم الفتح مهلين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل نغير عليهم، فنزل قوله تعالى ولا آمين البيت الحرام[3]. وهذا قول ابن عباس أيضا[4]، وقتادة[5]، وابن زيد[6].

قال ابن عباس:" كان المشركون يحجون البيت الحرام، ويهدون الهدايا، ويعظمون حرمة المشاعر، ويتجرون في حجهم، فأراد المسلمون أن يَغِيرُوا عليهم؛ فقال الله -عزّ وجلّ-: {لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ}[7]. [حسن].

غارة الحطم ، وهو شريح بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد ، أغار على اليمن ، فقتل وليعة بن معد يكرب ، أخا قيس ، وسبى بنت قيس بن معد يكرب ، أخت الأشعث بن قيس ، فبعث الأشعث يعرض عليه في فدائها ، بكل قرن من قرونها (ضفائرها) مئة من الإبل. فلم يفعل الحطم ، وماتت عنده عطشًا. (وانظر غير ذلك في الأغاني ١٤ : ٤٤). ونسبت أيضًا للأغلب العجلي ، وللأخنس بن شهاب ، ولجابر بن حني التغلبي. وانظر ذلك في تحقيق أستاذنا الراجكوتي ، سمط اللآلئ : ٧٢٩. ولعل " الحطم " أنشده مدحًا لنفسه فيما فعل من سوق السرح.

(١) أخرجه الطبري(١٠٩٥٨):ص٤٧٢/٩-٤٧٣.

(٢) أخرجه الطبري من طريق أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر عن السدي به. قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

(٣) انظر: زاد المسير:٥٠٧/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٠٩٤١):ص٤٦٣/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٠٩٧٦):ص٤٧٨/٩، تفسير عبدالرزاق:١٨٢/١/١، ووالناسخ والمنسوخ للنحاس:١١١، ونسبه السيوطي في الدر المنثور:٨/٣، لعبد بن حميد.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٠٩٦٠):٤٧٤/٩.

(٧) أخرجه الطبري(١٠٩٤١):ص٤٦٣/٩، وابن أبي حاتم؛ كما في "الدر المنثور" :٣/ ٥، والنحاس في "ناسخه" :١١١. وزاد السيوطي نسبته في "الدر المنثور" لابن المنذر.

والثالث: أن قوله تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا}[المائدة:٢]، نزلت في النهي عن الطلب بدُحول الجاهلية. وهذا قول مجاهد(١).

أخرج الطبري عن مجاهد في قول الله: " {أن تعتدوا}، رجل مؤمن من حلفاء محمد، قتل حليفًا لأبي سفيان من هذيل يوم الفتح بعرفة، لأنه كان يقتل حلفاء محمد، فقال محمد صلى الله عليه وسلم: لعن الله من قتل بذَحْل الجاهلية"(٢).

٢-{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)} [المائدة: ٤]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنه لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب، قالوا: يا رسول الله، فماذا يحل لنا من هذه الأمة؟ فنزلت:"يسألونك ماذا أحل لهم"، الآية. وهذا قول أبي رافع(٣)، وعكرمة(٤)، ومحمد بن كعب القرظي(٥).

قال أبو رافع:" جاء جبريل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يستأذن عليه، فأذن له فقال: قد أذنَّا لك يا رسول الله! قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتًا فيه كلب! قال أبو رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته. فجاؤوا فقالوا: يا رسول الله، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله:{يسألونك ماذا أحِل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علَّمتم من الجوارح مكلبين}"(٦).[ضعيف].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٠٩٩٧)، و(١٠٩٩٨):ص٩،٤٨٩

(٢)أخرجه الطبري(١٠٩٩٧):ص٩،٤٨٩

(٣) انظر: تفسير الطبري(١١١٣٤):٥٤٥/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١١١٣٥):ص٥٤٦/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١١١٣٦):ص٥٤٦/٩.

(٦) أخرجه الطبري(١١١٣٤):٥٤٥/٩، إسناد هذا الخبر ضعيف، فيه موسى بن عبيدة الربذي، ضعيف، قال أحمد: "منكر الحديث، لا تحل الرواية عنه". ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤: ٤٢، ٤٣، وقال: "رواه الطبراني في الكبير، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف".

والثاني: أخرج الطبري عن عامر: "أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له، حتى نزلت هذه الآية: {تعلمونهن مما علمكم الله "[1].[ضعيف].

وفي السياق نفسه قال سعيد بن جبير: "نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "زيد الخير"، وذلك أنهما جاءا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح وآل أبي جويرية تأخذ البقر والحمر والظباء والضب، فمنه ما يدرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا يدرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: {يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات} يعني الذبائح {وما علمتم من الجوارح} يعني: وصيد ما علمتم من الجوارح، وهي الكواسب من الكلاب وسباع الطير"[2].[ضعيف ومنقطع]

٣-{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)} [المائدة: ٥]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال قتادة:" ذكر لنا أن ناسًا من المسلمين قالوا: كيف نتزوّج نساءهم يعني: نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا ؟ فأنزل الله عز ذكره:{وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فأحل الله تزويجهن على علم"[3].

ورواه البيهقي في السنن ٩/ ٢٣٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١١، مختصرًا من طريق معلى بن منصور، عن ابن أبي زائدة، عن محمد بن إسحق، عن أبان بن صالح، وهو أصح من إسناد أبي جعفر وابن أبي حاتم. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقد روي حديث أبي رافع، بغير هذا اللفظ، من طرق. انظر الهيثمي في مجمع الزوائد ٤: ٤٢، ٤٣، ومسند أحمد(٣٩١):ص ٦/ ٨-١٠.

(١) تفسير الطبري(١١١٥٨):٩/٥٥٣.

(٢) اسباب النزول للواحدي:١٩٢، أسنده ابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير: ١٥/٢) عن سعيد به، وإسناده ضعيف ومنقطع ،انظر: تهذيب التهذيب(٣٨٢):ص ١٩٨/٧.

(٣) أخرجه الطبري(١١٢٩٠):ص٥٩٢/٩.

والثاني: وقال مقاتل:" فلما أحل الله- عز وجل- نساء أهل الكتاب، قال المسلمون: كيف تتزوجوهن وهن على غير ديننا!، وقالت نساء أهل الكتاب: ما أحل الله تزويجنا للمسلمين إلا وقد رضي أعمالنا! فأنزل الله- عز وجل- {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ}، يعني: من نساء أهل الكتاب بتوحيد الله، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، يعنى: من الكافرين"[١].

قال السمرقندي: قيل:"لما نزلت هذه الآية قلن نساء أهل الكتاب: لولا إن الله تعالى قد رضي بديننا لم يبح للمسلمين نكاحنا، فنزل:{وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ}"[٢].

والثالث: لما "نزل قوله {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} [المائدة: ٣]، ثم رخص من حالة الاضطرار، فقال بعضهم: لا نأخذ الرخصة من الاضطرار فنزل: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ}"[٣].

٤-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)} [المائدة: ٦]

في سبب نزول الآية قولان:

احدهما: عن علقمة بن وقاص الليثي؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراق البول نكلمه؛ فلا يكلمنا، ونسلم عليه؛ فلا يرد علينا، حتى يأتي منزله فيتوضأ كوضوئه للصلاة، فقلنا: يا رسول الله نكلمك فلا تكلمنا، ونسلم عليك فلا ترد علينا، قال: حتى نزلت آية الرخصة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ} الآية"[٤]. [ضعيف جداً]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥٥/١.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي:٣٧١/١.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي:٣٧١/١.

(٤) أخرجه الطبري(١١٣٣٩):٢٢/١٠، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٦/٣، الطبراني في المعجم الكبير (٦/١٨). وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٦/١) : "فيه جابر الجعفي وهو ضعيف"، علقمة بن وقاص؛ ثقة ثبت، أخطأ من زعم أن له صحبة، فهو مرسل، ومما يدلل على ضعف الحديث: أن الحفاظ والمحققين قالوا: ليس له صحبة، وهنا في هذا الحديث أثبت له لقاء النبي، ولا شك أن هذا غير صحيح، والخطأ من جابر.

قال الحافظ ابن كثير: "وهو حديث غريب جداً؛ وجابر هذا هو ابن يزيد [في الأصل زيد وهو خطأ] الجعفي ضعفوه".

والثاني: عن عائشة: "أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلًا فوجدها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلّوا، فشكوا ذلك إلى رسول الله؛ فأنزل الله -تعالى- آية التيمم، فقال أسيد بن حضير لعائشة: جزاك الله خيراً؛ فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك والمسلمين فيه خيراً"[1]. [صحيح]

وفي السياق نفسه روي عن عمار بن ياسر: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرَّس بأولاتِ الجيش ومعه عائشة، فانقطع عقد لها من جَزْعِ ظِفَار؛ فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك، حتى أضاء الفجر وليس مع الناس ماء؛ فتغيظ عليها أبو بكر، وقال: حبست الناس وليس معهم ماء؛ فأنزل الله -تعالى- على رسوله - صلى الله عليه وسلم - رخصة التطهر بالصعيد الطيب. فقام المسلمون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضربوا بأيديهم إلى الأرض ثم رفعوا أيديهم ولم يقبضوا من التراب شيئاً فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب ومن بطون أيديهم إلى الآباط"[2]. [ضعيف]

٥-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)} [المائدة: ٨]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦): "وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف".

(١)أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٦٧٢، ٣٧٧٣، ٤٥٨٣، ٤٦٠٧، ٤٦٠٨، ٥١٦٤، ٥٢٥٠، ٥٨٨٢، ٦٨٤٤، ٦٨٤٥)، ومسلم في "صحيحه" (رقم ٣٦٧).

(٢)أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٢٠، ٣٢١)، وأبو داود (١/ ٨٦، ٨٧ رقم ٣٢٠)، وابن ماجه (١/ ١٨٧ رقم ٥٦٦ - مختصراً) من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمار به.

وأخرجه ابن ماجه (١/ ١٨٧ رقم ٥٦٥) من طريق الزهري عن عبيد الله بن عتبة عن عمار، وهو منقطع فيما بين عبيد الله وعمار.

قلنا: والحديث معلّ بالاضطراب؛ كما ذكر الشيخ العلامة الألباني -رحمه الله- في "إرواء الغليل" (١/ ١٨٥، ١٨٦)، وانظر: "ضعيف سنن أبي داود" (٦٧/ ٣١٩).

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١) وزاد نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

أحدها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضا، وقد تقدم ذكرهم في قوله تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [المائدة: ٢]، روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس(١)، وبه قال مقاتل(٢).

والثاني: أنها "نزلت في قريش لما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام". وهذا قول الحسن(٣)(٤).

قال الجصاص:" قد ذكر الله تعالى هذا المعنى في هذه السورة في قوله: {ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا} [المائدة: ٢]، فحمله الحسن على معنى الآية الأولى, والأولى أن تكون نزلت في غيرهم وأن لا تكون تكرارا"(٥).

والثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهموا بقتله، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد(٦)، وقتادة(٧)، وعبدالله بن كثير(٨).

أخرج الطبري عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير: "{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}، نزلت في يهود خيبر، أرادوا قتل النبيّ -صلى الله عليه وسلم-،وقال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود يستعينهم في دية، فهمُّوا أن يقتلوه، فذلك قوله: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ...}، الآية"(٩). [ضيف جداً]

٦-{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)} [المائدة: ٩]

---

(١) انظر: زاد المسير:٥٢٤/١.

(٢) انظر: تفسير مقالت بن سليمان:٤٥٧/١.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص:٤٩٦/٢.

(٤) وفي زاد المسير٥٢٤/١: " أن قريشا بعثت رجلا ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول الحسن".

(٥) أحكام القرآن:٤٩٦/٢.

(٦) انظر: النكت والعيون:١٩/٢، وزاد المسير:٥٢٤/١.

(٧) انظر: النكت والعيون:١٩/٢، وزاد المسير:٥٢٤/١.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١١٥٥٦):ص٩٦/١٠.

(٩) وأخرجه الطبري(١١٥٥٦):ص٩٦/١٠.

قال أبو الليث السمرقندي:" يقال: إن أهل مكة قالوا بعد ما أسلموا: ما لنا في الآخرة وقد أخرجناك وأصحابك!. فقالوا: {وعد الله الذين آمنوا} بالله وبمحمد -صلى الله عليه وسلم-، {وعملوا الصالحات}، بعد الإسلام، {لهم مغفرة}، لما فعلوا في حال الشرك، {وأجر عظيم}، في الآخرة"[١].

٧-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)} [المائدة: ١١]

أحدها: أن النبي خرج إلى يهود بني النضير، يستعين بهم في دية، فهمّوا أن يقتلوه، فنزل ذلك فيه، وهذا قول قتادة[٢]، وأبي مالك[٣]، ومجاهد[٤]، وعبدالله بن كثير[٥]، ويزيد بن أبي زياد[٦]، وعكرمة[٧]، وذكره مقاتل[٨].

وأخرج الطبري عن ابن عباس:" أن قوما من اليهود صَنَعوا لرسول الله وأصحابه طعاما ليقتلوه إذا أتى الطعام، فأوحى الله إليه بشأنهم، فلم يأتِ الطعام، وأمرَ أصحابه فلم يأتوه"[٩].

قال ابن عطية:" أدخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس خلاف ما ترجم به من أن قوما من اليهود صنعوا للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما ليقتلوه إذا أتى الطعام، فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة"[١٠].

والثاني: روي عن قتادة قوله: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسُطوا إليكم أيديهم .....}الآية، ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببَطْنِ نخل في الغَزْوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتِكوا، فأطلعه الله على ذلك. ذكر لنا أن رجلا انتدب لقتله، فأتى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم وسيفُه موضوع، فقال: آخذه، يا نبي الله ؟ قال: خذه!

---

(١) بحر العلوم:٣٧٣/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١١٥٥٧):ص١٠١/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١١٥٦٣):ص١٠٤/١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١١٥٥٨)، و(١١٥٥٩):ص١٠٢/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١١٥٦١):ص١٠٣/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١١٥٦٠):ص١٠٢/١٠-١٠٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١١٥٦٢):ص١٠٣/١٠-١٠٤.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥٩/١-٤٦٠.

(٩) أخرجه الطبري(١١٥٦٤):ص١٠٥/١٠.

(١٠) المحرر الوجيز:١٦٧/٢.

قال: أستلُّه ؟ قال: نعم! فسلَّه، فقال، من يمنعك منِّي ؟ قال: الله يمنعُني منك!. فهدّده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظوا له القول، فشامَ السَّيف وأمر نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه بالرحيل، فأنزلت عليه صلاة الخوف عند ذلك "[1].[ضعيف]

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري: "أن رجلا من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، قال فأقبل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: «نعم»، فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه ويهم به، فكبته الله - عز وجل - ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: «لا»، قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: «يمنعني الله منك»، ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: {اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم}"[2].[ضعيف]

وفي السياق نفسه قال الضحاك: "كان سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة إلى البقيع إلى قبور الشهداء وحده، فأتاه رجل من اليهود شديد محارب، فقال: إن كنت نبيا كما تزعم فأعطني سيفك هذا، فإن الأنبياء لا يبخلون، فأعطاه سيفه فشهر اليهودي السيف وهزه ليضربه به. فلم يجترئ للرعب الذي قذفه الله تعالى في قلبه، ثم رد عليه السيف فنزل: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم}"[3].

قال القرطبي:" وذكر الواقدي وابن أبي حاتم أنه أسلم. وذكر قوم أنه ضرب برأسه في ساق شجرة حتى مات"[4].

قال ابن كثير:" وقصة هذا الأعرابي - وهو غَوْرَث بن الحارث - ثابتة في الصحيح"[1].

---

(١) أخرجه الطبري(١١٥٦٥):ص١٠/١٠٥، وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الواحدي في اسباب النزول:١٩٣، وأخرجه أبو نعيم (دلائل النبوة: ٦١/١) من طريق ابن إسحاق به، وإسناده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق، وضعف عمرو بن عبيد فإنه مبتدع داعية (علوم الحديث لابن الصلاح: ١٠٣) (الباعث الحثيث: ٨٣) (تقريب التهذيب: ٧٤/٢ - رقم: ٦٣٠) .

وأصل الحديث فصحيح. أخرجه البخاري ٤١٣٥ و ٤١٣٦ ومسلم ٨٤٣ ، والبيهقي ٦/ ٣١٩، والطبري(١١٥٦٦):ص١٠/١٠٦.

(٣) بحر العلوم:٣٧٤/١.

(٤) تفسير القرطبي:١١١/٦.

والثالث: أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا قول ابن زيد[٢].

والرابع: وحكى ابن فورك عن الحسن بن أبي الحسن: "أن الآية نزلت بسبب أن قريشا بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ليغتاله ويقتله، فأطلعه الله تعالى على ذلك وكفاه شره"[٣].

قال ابن عطية:" ويحسن على هذا القول أن تكون الآية نزلت عقب غزوة الخندق وحين هزم الله الأحزاب"[٤].

والخامس: أنها نزلت في معنى: {اليوم يئس الذين كفروا من دينكم}[المائدة:٣]، أي قد أعطيتم الظفر عليهم، فقال:{يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم}. قاله الزجاج[٥].

قال أبو حيان:" وقد طولوا بذكر أسباب أخر. وملخص ما ذكروه أن قريشا، أو بني النضير، أو قريظة، أو غورثا، هموا بالقتل بالرسول، أو المشركين هموا بالقتل بالمسلمين، أو نزلت في معنى: {اليوم يئس الذين كفروا من دينكم}[المائدة:٣]، قاله الزجاج[٦]، أو عقيب الخندق حين هزم الله الأحزاب:{وكفى الله المؤمنين القتال}[الأحزاب:٢٥]، والذي تقتضيه الآية أن الله تعالى ذكر المؤمنين بنعمه إذ أراد قوم من الكفار لم يعينهم الله بل أبهمهم أن ينالوا المسلمين بشر، فمنعهم الله، ثم أمرهم بالتقوى والتوكل عليه"[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ذلك، قولُ من قال: عنى الله بالنعمة التي ذكر في هذه الآية، نعمتَه على المؤمنين به وبرسوله التي أنعم بها عليهم في استنقاذه نبيّهم محمدا صلى الله عليه وسلم مما كانت يهود بني النضير همت به من قتله وقتل من معه يومَ سار إليهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الدية التي كان تحمَّلها عن قتيلي عمرو بن أمية، وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة في تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه عقَّب ذكر ذلك برمي اليهود بصنائعها وقبيح أفعالها،

---

(١) تفسير ابن كثير:٦٣/٣.

(٢) انظر: زاد المسير:٥٢٦/١.

(٣) المحرر الوجيز:١٦٧/٢.

(٤) المحرر الوجيز:١٦٧/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن:١٥٧/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن:١٥٧/٢.

(٧) البحر المحيط:١٩٨/٤.

وخيانتها ربَّها وأنبياءها. ثم أمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم، والصفح عن عظيم جهلهم، فكان معلوما بذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالعفو عنهم والصفح عَقِيب قوله: {إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم} وغيرُهم كان يبسط الأيدي إليهم، لأنه لو كان الذين همُّوا ببسط الأيدي إليهم غيرَهم لكان حريًّا أن يكون الأمر بالعفو والصفح عنهم، لا عمَّن لم يجر لهم بذلك ذكر ولكان الوصف بالخيانة في وصفهم في هذا الموضع، لا في وصف من لم يجر لخيانته ذكر، ففي ذلك ما ينبئ عن صحة ما قضينا له بالصحة من التأويلات في ذلك، دون ما خالف "[1].

٨-{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)} [المائدة: ١٥]

قال عكرمة: "إنّ نبيّ الله أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، واجتمعوا في بيتٍ، قال: أيُّكم أعلم ؟ فأشاروا إلى ابن صُوريا، فقال: أنت أعلمهم ؟ قال، سل عما شئت، قال، أنت أعلمهم ؟ قال: إنهم ليزعمون ذلك! قال: فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطُّور، وناشده بالمواثيق التي أُخذت عليهم، حتى أخذه أفكَل، فقال: إن نساءنا نساء حسان، فكثر فينا القتل، فاختصرنا أُخصورةً، فجلدنا مئة، وحلقنا الرءوس، وخالفنا بين الرءوس إلى الدواب أحسبه قال: الإبل قال:فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله فيهم: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ }، الآية وهذه الآية: {وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ}[سورة البقرة: ٧٦]"[2].[ضعيف]

وقال ابن جريج: "لما أخبر الأعور سمويل بن صوريا الذي صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - على الرجم أنه في كتابهم، وقال: لكنا نخفيه؛ فنزلت: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ} وهو شاب أبيض طويل من أهل فدك"[3].[ضعيف]

٩-{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)} [المائدة: ١٧]

---

(١) تفسير الطبري:١٠/١٠٧-١٠٨.

(٢) أخرجه الطبري(١١٦١١):١٠/١٤٢-١٤٣. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(٣)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٣) ونسبه لابن المنذر.

قلنا: وهو معضل.

قال مقاتل:" نزلت فى نصارى نجران المار يعقوبيين منهم السيد والعاقب وغيرهما"[١].

أخرج الطبري[٢]، وابن المنذر عن ابن جريج[٣]، في قوله جل وعز: " {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم} قال: بلغنا أن نصارى نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة منهم السيد، والعاقب، وأخبرت أن معهما عبد المسيح، وهما يومئذ سيدا أهل نجران، فقالوا: يا محمد فيم تشتم صاحبنا؟ قال: " ومن صاحبكم "، قالوا: عيسى بن مريم، تزعم أنه عبد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أجل هو عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم "، فغضبوا، وقالوا: إن كنت صادقا فأرنا عبدا يحيي الموتى يبرئ الأكمه، والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ولكنه الله، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى جاءه جبريل عليهما السلام، فقال: يا محمد {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنهم قد سألوني أن أخبرهم مثل عيسى "، قال جبريل: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون إلى قوله: فمن حاجك فيه}"[٤].

١٠-{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)} [المائدة: ١٨]

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:"أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعمان بن أُحي وبحري بن عمرو وشاس بن عدي، فكلموه؛ فكلمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى؛ فأنزل الله -جل وعزّ- فيهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} إلى آخر الآية"[٥]. [ضعيف]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان١/٤٦٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧١٦٤):ص٦/٤٧٠.

(٣) انظر:تفسير ابن المنذر(٥٣٨):ص١/٢٢٤-٢٢٥.واللفظ له.

(٤) تفسير ابن المنذر(٥٣٨):ص١/٢٢٤-٢٢٥.

(٥)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان(١١٦١٣):ص١٠/١٥٠، وابن أبي حاتم وابن المنذر؛ كما في تفسير ابن كثير:٣/٦٩، و"الدر المنثور" ٣/ ٤٤، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة"(٥٤١٢)٤ص/ ٢١٥٧، والبيهقي في "الدلائل" (٢/ ٥٣٥ - ضمن حديث طويل) -: ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.

١١-{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)} [المائدة: ١٩]

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود: يا معشر اليهود اتقوا الله؛ فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهودا: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- في قولهما: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[(١)]. [ضعيف]

١٢-{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)} [المائدة: ٣٣]

في سبب نزول الآية، خمسة أقوال:

أحدها: قال أنس:" قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتووا المدينة، فأمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا، فلما صَحّوا قتلوا راعي النبي - صلى الله عليه وسلم -، واستاقوا النعم،فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم؛ فأمر؛ فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمرت أعينهم، وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون.

قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله"[(٢)].

وروي عن ابن عباس[(١)]، وابن عمر[(٢)]، وسعيد بن جبير[(٣)]، وسعيد بن المسيب[(٤)]، والسدي[(٥)]، وجرير بن عبدالله البجلي[(٦)]، نحو ذلك.

---

(١)أخرجه ابن إسحاق في المغازي -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١١٦١٦):ص١٠/١٥٥، وابن أبي حاتم وابن المنذر؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٤٥)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٥٣٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٤/ ٢١٥٧ رقم ٥٤١٢) -: ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف، لجهالة شيخ ابن إسحاق؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.

(٢)أخرجه البخاري (رقم ٢٣٣، ٣٠١٨، ٤١٩٣، ٤٦١٠، ٦٨٠٢، ٦٨٠٣، ٦٨٠٥، ٦٨٩٩)، ومسلم (رقم ١٦٧١/ ١٠ - ١٢).[صحيح].

وفي رواية الطبري عن أنس:"أن رهطًا من عُكْلٍ وعُرَينة، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل ضَرْع، ولم نكن أهل ريفٍ، وإنا استوخمنا المدينة، فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بِذَوْدٍ وراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فقتلوا راعيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم. فأتيَ بهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقطع أيديهم وأرجلهم، وَسَمل أعينهم[٧]، وتركهم في الحرَّة حتى ماتوا فذُكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم:{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله}"[٨].

---

(١)أخرجه عنه الخرائطي في "مكارم الأخلاق" (٢/ ٩٨٤ رقم ١١١٣) من طريق محمد بن الصلت نا عبد العزيز بن مسلم الشامي عن الضحاك عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فالضحاك لم يلق ابن عباس، وعبد العزيز هذا لم نجد .

(٢)أخرجه أبو داود (٤/ ١٣١ رقم ٤٣٦٩) -ومن طريقه البيهقي في "الكبرى" (٨/ ٢٨٢، ٢٨٣) -، والنسائي (٧/ ١٠٠)، والطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٣٤)، والطبراني في "الكبير" (١٢/ رقم ١٣٢٤٧) -ومن طريقه المزي في "تهذيب الكمال" (١٥/ ٢٥٥) - من طريق سعيد بن أبي هلال عن أبي الزناد عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عمر.

قلنا: وسنده حسن.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١١٨١٠):ص١٠/٢٤٥-٢٤٦.

(٤)أخرجه النسائي في "المجتبى" (٧/ ٩٨، ٩٩)، و"الكبرى" (٢/ ٢٩٧ رقم ٣٤٩٩) من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب ومعاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن سعيد به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله..

(٥) انظر: تفسير الطبري(١١٨١٧):١٠/٢٥١.[ضعيف جدا، لإعضاله، وضعف أسباط].

(٦) انظر: تفسير الطبري(١١٨١١):ص١٠/٢٤٧. وسنده ضعيف، وفي متنه نكارة؛ فموسى بن عبيدة الربذي ضعيف وتركه بعضهم، ووجه النكارة: أنه قال: "فكره الله سمل الأعين؛ فأنزل هذه الآية"؛ فهذا مخالف لما رواه مسلم في "صحيحه" عن أنس: أنه - صلى الله عليه وسلم - سمل أعين الرعاء وكان هذا قصاصاً لا جزاء.

وقال ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٥٢): "وفي إسناده الربذي وهو ضعيف"، وأشار إلى النكارة التي وقعت في متنه.

(٧)سمل عينه : فقأها بحديدة محماة ، أو بشوك ، أو ما شابه ذلك. وإنما فعل بهم ذلك ، لأنهم فعلوا بالرعاة مثله ، فجازاهم على صنيعه بمثله.

(٨) أخرجه الطبري(١١٨٠٨):ص١٠/٢٤٤-٢٤٥.

وقال السدي[١]، ومحمد بن عجلان[٢]: لم يسمُل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيِّين، ولكنه كان أراد أن يسمُل، فأنزل الله جل وعز هذه الآية على نبيه، يعرِّفه الحكم فيهم، ونهاه عن سمل أعينهم.

والثاني: قال ابن عباس:"كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- عهدٌ وميثاق، فنقضوا العهدَ وأفسدوا في الأرض، فخيَّرَ الله رسوله: إن شاء أن يقتل، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ". رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٣]، وبه قال الضحاك[٤].

والثالث: أن أصحاب أبي بردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاءوا يريدون الاسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٥].

وقال ابن السائب: "كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يهج، ومن مر بهلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهج، فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال، فنهدوا إليهم، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضرا، فنزلت هذه الآية"[٦].[باطل]

والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس[٧]، وبه قال الحسن[٨]، وعكرمة[٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١١٨١٩):ص٢٥٣/١٠.[وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط، وفي متنه نكارة]

(٢) انظر: تفسير الطبري(١١٨١٨):ص٢٥٣/١٠.[وهو ضعيف؛ لإعضاله]

(٣) انظر: تفسير الطبري(١١٨٠٣):ص٢٤٣/١٠. فيه إرسال، علي لم يسمع من ابن عباس.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١١٨٠٤):ص٢٤٣/١٠-٢٤٤. مرسل، وفيه جويبر بن سعيد وهو متروك.

(٥) زاد المسير:٥٤١/١، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو متهم بالوضع، فحديثه لا شيء..

(٦) زاد المسير:٥٤١/١، عزاه ابن الجوزي لابن السائب وهو الكلبي، واسمه محمد، وهو ساقط متهم، فخبره باطل.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١١٨٠٦):ص٢٤٤/١٠، أخرجه أبو داود (٤/ ١٣٢ رقم ٤٣٧٢)، والنسائي (٧/ ١٠١).[وسنده حسن]

(٨) انظر: تفسير الطبري(١١٨٠٦)، و(١١٨٠٧):ص٢٤٤/١٠.[ضعيف جدا]، أخرجه من طريق ابن حميد، فيه علتان:

الأولى: ابن حميد؛ حافظ متهم.

الثانية: الإرسال.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١١٨٠٧):ص٢٤٤/١٠.[سنده ضعيف جداً]

قال القرطبي:" وهذا ضعيف يرده قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «الإسلام يهدم ما قبله»[١]"[٢].

والخامس: عن ابن سعد؛ قال: "نزلت هذه الآية في الحرورية[٣]: {إِنَّمَا جَزَاءُ. . .}"[٤].

قال ابن كثير:" والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات، كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قِلابة"[٥].

قال القرطبي:" فالذي عليه الجمهور أنها نزلت في العرنيين"[٦].

قال الإمام الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي أن يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيِّه صلى الله عليه وسلم، معرِّفَه حكمه على من حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فسادًا، بعد الذي كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيِّين ما فعل.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن القِصَص التي قصّها الله جل وعزّ قبلَ هذه الآية وبعدَها، من قَصَص بنى إسرائيل وأنبائهم، فأن يكون ذلك متوسِّطًا، من تعريف الحكم فيهم وفي نظرائهم، أولى وأحقّ. وقلنا: كان نزول ذلك بعد الذي كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيِّين ما فعل، لتظاهر الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك"[٧].

١٣-{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)} [المائدة: ٣٨]

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب الإيمان -باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج(١٩٢):ص١/ ١١٢.

(٢) تفسير القرطبي:١٤٩/٦.

(٣) وهم الخوارج: سموا بذلك لخروجهم على علي - رضي الله عنه - لأنه رضي بتحكيم الحكمين - في زعمهم - فكفروا عليا ومعاوية وعثمان وكل من رضي بالتحكيم، ويقولون بتكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار، والخروج على الأئمة بالسيف، ويقال لهم: الحرورية، والشراة. من أشهر فرقهم: النجدات، والأزارقة، والإباضية. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٧٥)، والفرق بين الفرق (ص ٧٣)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

(٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٦) ونسبه لابن مردويه.

(٥) تفسير ابن كثير:٩٥/٣.

(٦) تفسير القرطبي:١٤٨/٦.

(٧) تفسير الطبري:٢٥١/١٠.

نقل الواحدي والماوردي وابن الجوزي عن ابن السائب: أنها "نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع وقد مضت قصته"[1].

١٤-{فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩)} [المائدة: ٣٩]

عن عبد الله بن عمرو قال: "سرقت امرأة حُلِيًّا، فجاء الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله، سرقتنا هذه المرأة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا يدها اليمنى. فقالت المرأة: هل من توبة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتِ اليومَ من خطيئتك كيوم ولدتك أمك! قال: فأنزل الله جل وعز: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ}"[2].[ضعيف]

١٥- {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

---

(١) أسباب النزول:١٩٥، وانظر: النكت والعيون:٣٧/٢، وزاد المسير:٥٤٤/١، ومضت قصة طعمة بن أبريق سارق الدرع في سورة النساء، سبب نزول قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} الآيَة {١٠٥} . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}.

(٢)أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧، ١٧٨)، والطبري في "جامع البيان" (١١٩١٧):ص٢٩٩/١٠، كلاهما من طريق موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ ابن لهيعة فيه كلام مشهور، والراوي عنه هنا لم يرو عنه قبل اختلاطه واحتراق كتبه.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦/ ٢٧٦): "رواه أحمد؛ وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٧٣) وزاد نسبته لابن أبي حاتم..

بالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)} [المائدة : ٤١ - ٤٧]

في سبب نزول الآيات[٤١-٤٧] خمسة أقوال:

أحدها: قال البراء بن عازب:" مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيهوديٍّ محمَّم[١] مجلود، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من علمائهم فقال: أهكذا تجِدُون حدَّ الزاني فيكم ؟ قال: نعم! قال: فأنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدّ الزنى فيكم ؟ قال: لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أحدِّثك، ولكن الرجم، ولكن كثرُ الزنا في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع فنضع شيئًا مكان الرجم، فيكون على الشريف والوضيع، فوضعنا التحميم والجلد مكان الرجم! فقال النبى صلى الله عليه وسلم:أنا أوّل من أحيي أمرك إذ أماتوه! فأمر به فرجم، فأنزل الله:{لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر} الآية"[٢].[صحيح]

والثاني: أنها نزلت في ابن صوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروي عن أبي هريرة[٣].

والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهوديا، ثم قال: سلوا محمدا فإن كان بعث بالدية، اختصمنا إليه، وإن كان بعث بالقتل، لم نأته، قاله عامرالشعبي[٤].

والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، والضحاك[٣]، وعبدالله بن كثير[٤].

---

(١)في «اللسان» : حمم الرجل: سخم وجهه بالحمم، وهو الفحم. وفي الحديث أنه أمر بيهودي محمم مجلود أي مسود الوجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٠٠)، وأبو داود (٤٤٤٧) و (٤٤٤٨)، وأحمد :٤/ ٢٨٦، وابن ماجة (٢٥٥٨)، والبيهقي: ٨/ ٢٤٦، والطبري(١١٩٢٢):ص١٠/٣٠٤-٣٠٥، واللفظ له، والواحدي في أسباب النزول:١٩٥-١٩٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١٩٢١):ص١٠/٣٠٣-٣٠٤، وسيرة ابن هشام ٢ / ٢١٣ ، ٢١٤،وهذا الخبر رواه أحمد مختصرا. ورواه أبو داود في سننه ٤ / ٢١٦ - ٢١٨ ، رقم : ٤٤٥٠ ، ٤٤٥١ ، بغير هذا اللفظ، ولم يذكر فيه أنه ابن صوريا، والبيهقي في السنن ٨ / ٢٤٦ ، ٢٤٧. وانظر تفسير ابن كثير ٣ / ١٥٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١١٩١٩):ص١٠/٣٠٢. [مرسل ضعيف، وهو معارض بحديث البراء، وذاك أصح]. وإسناد ضعيف، فيه راو لم يسم.

والخامس: أن رجلا من الأنصار زعموا أنه أبو أبي لُبابة بن عبد المنذر أشارت إليه بنو قريظة يوم حصارهم: على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذبح، قاله السدي[٥]، ومقاتل[٦].

قال مقاتل: "نزلت في أبي لبابة: اسمه مروان بن عبد المنذر الأنصاري من بني عمرو بن عوف. وذلك أنه أشار إلى أهل قريظة إلى حلقه[٧] أن محمدا جاء يحكم فيكم بالموت فلا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ وكان حليفا لهم"[٨].

قال ابن عطية:" وهذا ضعيف وأبو لبابة من فضلاء الصحابة وهو وإن كان أشار بتلك الإشارة فإنه قال فو الله ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله ثم جاء إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فربط نفسه بسارية من سواري المسجد، وأقسم أن لا يبرح كذلك حتى يتوب الله عليه ويرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فإنما كانت تلك الإشارة منه زلة حمله عليها إشفاق ما على قوم كانت بينه وبينهم مودة ومشاركة قديمة رضي الله عنه وعن جميع الصحابة"[٩].

قال ابن عطية:" وهذه النوازل كلها وقعت ووقع غيرها مما يضارعها، ويحسن أن يكون سببها لفضيحة اليهود في تحريفهم الكلم وتمرسهم بالدين، والروايات في هذا كثيرة ومختلفة... وظاهر حديث بيت المدارس[١٠] أنه كان في صدر الهجرة اللهم إلا أن يكون ذلك من النبي صلى الله

---

(١) كما في زاد المسير:٥٤٨/١، ولم أره عن ابن عباس، والخبر ضعيف بكل حال. وقد أخرج ابن ابي حاتم (٦٣٥١):ص١١٣٠/٤: "علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: {لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر}، هم اليهود".

(٢) انظر: تفسير الطبري(١١٩٢٦):ص٣٠٦/١٠، وتفسير مجاهد:٢٦٢.

(٣) انظر: بحر العلوم:٣٨٩/١، وفيه:" قال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين، كانت علانيتهم تصديقا، وسرائرهم تكذيبا".

(٤) انظر: تفسير الطبري(١١٩٢٥):ص٣٠٦/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١١٩١٨):ص٣٠٢/١٠.[مرسل، ضعيف جدا، والمرسل من قسم الضعيف، والمتن منكر، معارض بما تقدم عن البراء، ومراسيل السدي مناكير. وانظر :أحكام القرآن: ٧١٧]

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٤/١.

(٧)وكانت هذه الإشارة معناها أن محمدا-صلى الله عليه وسلم- سيحكم فيكم بالقتل والذبح.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٤/١ ، ومقاتل متروك، وكذبه غير واحد، فخبره لا شيء.

(٩) المحرر الوجيز:١٩١/٢.

(١٠) يقصد رواية ابي هريرة، انظر: تفسير الطبري(١١٩٢١):ص٣٠٣/١٠-٣٠٤. وفيه:" أن أحبار يهود اجتمعوا

عليه وسلم مع عزة كلمته من حيث أراد أن يخرج حكمهم من أيدي أحبارهم بالحجة عليهم من كتابهم فلذلك مشى إلى بيت مدراسهم مع قدرته عليهم، وهذا عندي يبعد لأنهم لم يكونوا ذلك الوقت يحزنونه ولا كانت لهم حال يسلى عنها صلى الله عليه وسلم"[١].

وقال القرطبي:" وقيل إنها نزلت في زنى اليهوديين وقصة الرجم وهذا أصح الأقوال"[٢].

وقال ابن كثير:" والصحيح أنها نزلت في اليهوديَّيْن اللذين زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، من الأمر برجم من أحْصن منهم، فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم والإركاب على حمار مقلوبين. فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك"[٣].

في بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنَى رجل منهم بعد إحصانه ، بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا ، انطلقوا بهذا الرجل وبهذه المرأة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فاسألوه كيف الحكم فيهما ، ووأوه الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التجبيه وهو الجلد بحبل من ليف مطليٍّ بقار ، ثم تُسوَّد وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وتحوَّل وجوههما من قبل دُبُر الحمار فاتبعوه ، فإنما هو ملكٌ. وإن هو حكم فيهما بالرجم ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه. فأتوه فقالوا : يا محمد ، هذا الرجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد ولِيناك الحكم فيهما. فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم إلى بيت المدراس ، فقال : يا معشر اليهود ، أخرجوا إليّ أعلمكم! فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا الأعور وقد روى بعض بني قريظة ، أنهم أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صوريا ، أبا ياسر بن أخطب ، ووهب بن يهوذا ، فقالوا : هؤلاء علماؤنا! فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حصَّل أمرهم ، إلى أن قالوا لابن صوريا : هذا أعلم من بقي بالتوراة فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلامًا شابًّا من أحدثهم سنًّا ، فألظَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة، يقول : يا ابن صوريا ، أنشُدك الله واذكّرك أياديه عند بني إسرائيل ، هل تعلم أنّ الله حكم فيمن زنىَ بعد إحصانه بالرجم في التوراة ؟ فقال : اللهم نعم! أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعلمون أنك نبيٌّ مرسلٌ ، ولكنهم يحسدونك! فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده ، في بني غنم بن مالك بن النجار. ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله جل وعز : يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ".

(١) المحرر الوجيز:٢١٩١.

(٢) تفسير القرطبي:١٧٦/٦.

(٣) تفسير ابن كثير:١١٣/٣.

قال الطبري:"وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: عني بقوله:{لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم}، قومٌ من المنافقين. وجائزٌ أن يكون كان ممن دخل في هذه الآية ابنُ صوريا وجائز أن يكون أبو لبابة وجائز أن يكون غيرُهما، غير أن أثبت شيء روي في ذلك، ما ذكرناه من الرواية قبلُ عن أبي هريرة والبراء بن عازب، لأن ذلك عن رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان ذلك كذلك، كان الصحيحُ من القول فيه أن يقال: عُنِي به عبد الله بن صوريَا، وإذا صحّ ذلك، كان تأويل الآية: يا أيُّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في جحود نبوّتك، والتكذيبِ بأنك لي نبي، من الذين قالوا: صدَّقنا بك يا محمد أنك لله رسول مبعوث، وعلمنا بذلك يقينًا، بوجودنا صِفَتك في كتابنا .

وذلك أن في حديث أبي هريرة الذي رواه ابن إسحاق عن الزهري: أن ابن صُوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله يا أبا القاسم، إنهم ليعلمون أنك نبى مُرسْل، ولكنهم يحسدونك، فذلك كان على هذا الخبر من ابن صوريا إيمانًا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بفيه، ولم يكن مصدِّقًا لذلك بقلبه، فقال الله جل وعزّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُطْلِعَه على ضمير ابن صوريا وأنه لم يؤمن بقلبه، يقول: ولم يصدِّق قلبه بأنك لله رسول مرسل"[1].

١٦-{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)} [المائدة : ٤٩ - ٥٠]

في سبب نزول الآية والتي بعدها وجهان:

أحدهما: عن سعيد بن جبير، أو عكرمة عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:" قال كعب بن أسد، وابن صوريا وشأس بن قيس، بعضُهم لبعضٍ: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دينه! فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنَّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنَّا إن اتّبعناك اتّبعنا يهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومِنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيهم:{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} إلى قوله:{ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[2]"[1].[ضعيف]

(١) تفسير الطبري:٣٠٧/١٠.

(٢) [سورة المائدة:٥٠].

والثاني: عن مجاهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مخيراً: إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم؛ فردهم إلى أحكامهم؛ فنزلت: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}؛ فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحكم بينهم بما في كتابنا"(٢).[صحيح]

١٧- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)} [المائدة : ٥١ - ٥٣]**

اختلف أهل التفسير في سبب نزول الآيات[٥١-٥٣] على ثلاثة أقاويل:

---

(١)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ١٩٦، ١٩٧ - ابن هشام) ، وأخرجه الطبري(١٢١٥٠):ص٣٩٣/١٠، وابن أبي حاتم (٦٤٩٨):ص١١٥٤/٤، والبيهقي في "الدلائل" (٥٣٦/٢) من طريق ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده حسن.

وقيل: سنده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق محمد هذا؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.[انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب:٥٧/٢].

وأخرجه ابن جرير (١٢١٥٦):ص٣٩٥/١٠-٣٩٦، وابن أبي شيبة (فتح القدير: ٥٢/٢) عن عطية به. وإسناده صحيح إليه، وهو مقطوع، ويشهد له:

١ - ما أخرجه ابن جرير (١٢١٥٨):ص٣٩٦/١٠-٣٩٧، وابن أبي حاتم (٦٥٠٦):ص١١٥٥/٤، وابن المنذر وأبو الشيخ وابن عساكر كما في فتح القدير: ٥٢/٢، والبيهقي في "الدلائل" (٧٤/٣) من طريق ابن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت بنحوه، وهو معضل، صحيح الإسناد إلى عبادة بن الوليد.

٢ - ما أخرجه ابن مردويه (فتح القدير: ٥٢/٢) من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده بنحوه.

(٢)أخرجه ابن أبي حاتم: (٦٤٩٤):ص٤/ ١١٥٣، والطبراني في "الكبير" (١١٠٥٤):ص١١/ ٥٣، والنحاس في "الناسخ والمنسوخ" (ص ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٣١٢)، والنسائي في "الكبرى" (٤/ ٨٠ رقم ٦٣٦٩ وص ٢٩٥ رقم ٧٢١٩) والطحاوي في "مشكل الآثار" (١١/ ٤٣٧/ ٤٥٤٠)، والبيهقي (٨/ ٢٤٨ - ٢٤٩) جميعهم من طريق عباد بن العوام نا سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله رجال مسلم.

قال النحاس: وهذا إسناد مستقيم.

وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

أحدها: أنها نزلت في عُبادة بن الصامت، وعبد بن أبي ابن سلول، حين تبرأ عُبادة من حِلْف اليهود وقال: أتولى الله ورسوله حين ظهرت عداوتهم لله ولرسوله . وقال عبد الله بن أبي: لا أتبرأ من حلفهم وأخاف الدوائر، وهذا قول ابن عباس(١)، والزهري(٢)، وعطية العوفي(٣)، وعبادة بن الوليد(٤).

وقال عبادة بن الصامت" فيّ نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبرأت إليه من حلف يهود، وظاهرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين عليهم "(٥).

قال عطية العوفي: "جاء عبادة بن الصامت فقال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه"، فقال: قد قبلت، فأنزل الله تعالى فيهما: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء

---

(١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٩٨) ونسبه لابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٧):ص٣٩٦/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٦):ص٣٩٥/١٠-٣٩٦، وأسباب النزول للواحدي:١٩٨-١٩٩.[ضعيف، فيه علتان:الأولى: الإرسال. والثانية: عطية هذا؛ ضعيف مدلس، ولخصه ابن حجر في "التقريب" (٢/ ٢٤) بقوله: "صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً".

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٨):ص٣٩٦/١٠-٣٩٧. [ضعيف لإرساله]

وأخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ٤٢٨، ٤٢٩ - ابن هشام)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ١٧٤، ١٧٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٥٥/ ٦٥٠٦)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٩٨) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر.

(٥)أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٩٩) من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة به.

قلنا: إن كان السند إلى عبادة صحيح؛ فالحديث صحيح غاية -إن شاء الله-.

بعض} إلى قوله تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض}"[1]، «يعني: عبد الله بن أبي {يسارعون فيهم} في ولايتهم {يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة} الآية»[2].

وقال عبادة بن الوليد:" فأنزل الله فيهم:{الذين في قلوبهم مرض}، يعني: عبد الله بن أبي"[3].

وفي هذا السياق قال مقاتل:" هم المنافقون يسارعون فيهم يعني في ولاية اليهود بالمدينة يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة يعني دولة اليهود على المسلمين وذلك، أن نفرا من المنافقين: أربعة وثمانين رجلا منهم عبد الله بن أبي، وأبو نافع، وأبو لبابة، قالوا: نتخذ عند اليهود عهدا ونواليهم فيما بيننا وبينهم، فإنا لا ندري ما يكون في غد ونخشى ألا ينصر محمد- صلى الله عليه وسلم- فينقطع الذي بيننا وبينهم ولا نصيب منهم قرضا ولا ميرة فأنزل الله- عز وجل-:{فعسى الله أن يأتي بالفتح}، يعني بنصر محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي يئسوا منه، {أو يأتي أمر من عنده}: قتل قريظة وجلاء النضير إلى أذرعات، فلما رأى المنافقون ما لقي أهل قريظة والنضير ندموا على قولهم، قال: {فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين}"[4].

والثاني: أنها نزلت في أبي بلابة بن عبد المنذر حين بَعَثَه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بني قريظة لما نقضوا العهد أطاعوا بالنزول على حكم سعد أشار إلى حلقه إليهم أنه الذبح، وهذا قول عكرمة[5].

والثالث: أنها نزلت في رجلين من الأنصار خافا من وقعة أحد فقال أحدهما لصاحبه: ألْحَقُ باليهود وأتهود معهم، وقال الآخر: ألحق بالنصارى فأتنصر معهم ليكون ذلك لهما أماناً من إدالة الكفار على المسلمين، وهذا قول السدي[6]، ومقاتل[7].

---

(١)أخرجه أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف"(١٢٣٥١):ص١٢/ ١٣٧، والطبري(١٢١٥٦):ص١٠/٣٩٥-٣٩٦، وذكره الواحدي في أسباب النزول:١٩٨-١٩٩، [وإسناده ضعيف، لعلتين: :الأولى: الإرسال. والثانية: عطية هذا؛ ضعيف مدلس، ولخصه ابن حجر في "التقريب" (٢/ ٢٤) بقوله: "صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً"].

(٢) هذه الزيادة في أسباب النزول:١٩٨-١٩٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥١٦):ص٤/١١٥٧. [ضعيف لإرساله].

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٤٨٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢١٦٠):ص١٠/٣٩٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٩):ص١٠/٣٩٧-٣٩٨. [ضعيف جدا]

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١/٤٨٣-٤٨٤.[متروك]

قال الإمام الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهَىَ المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاءَ على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرَهم،وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان. وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول وحلفائهما من اليهود ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرَّجلين اللذين ذكر السدي أن أحدَهما همَّ باللحاق بدهلك اليهودي، والآخر بنصرانيّ بالشأم ولم يصحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبرٌ تثبت بمثله حجة، فيسلّم لصحته القولُ بأنه كما قيل.

فإذْ كان ذلك كذلك، فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمَّ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه. غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهودًا أو نصارى خوفًا على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية التي بعد هذه تدلّ على ذلك، وذلك قوله: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ }، الآية"[1].

١٨-{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)} [المائدة: ٥٦]

قال عبادة بن الصامت: "نزلت:{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، وذاك لقول عبادة بن الصامت: أتولى الله ورسوله، وتبرئه من بني قينقاع من حلفهم وولايتهم"[2].

١٩-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)} [المائدة: ٥٧]

قال ابن عباس:" كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله فيهما:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ

(١) تفسير الطبري:١٠/٣٩٨-٣٩٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٥٣):ص١١٦٣/٤، والطبري(١٢٢٠٧):ص٤٢٤/١٠ ، بنحوه، وابن إسحاق في سيرته:٣١٥.

اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ}، إلى قوله:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}[1]"[2].

٢٠-{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)} [المائدة: ٥٨]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال الكلبي: " ان منادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا. على طريق الاستهزاء والضحك فأنزل الله تعالى هذه الآية"[3]. [موضوع]

والثاني: قال السدي: " نزلت في رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الكاذب. فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله"[4].[مرسل]

قال الزمخشري:" قيل: فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده"[5].

---

(١)[سورة المائدة : ٦١].

(٢)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢١٦):ص١٠/٤٢٩-٤٣٠، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٦٥٥٦):ص٤/ ١١٦٣، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٠٠.

وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق محمد بن أبي محمد.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

وقال محقق أسباب النزول للواحدي:أخرجه" ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده حسن.[انظر: أسباب النزول:٢٠٠]

(٣) أسباب النزول للواحدي:٢٠٠، ذكره دون إسناد، وتفسير الثعلبي:٨٢/٤، والكلبي ضعيف، متروك متهم بالكذب.

وأخرجه البيهقي في "الدلائل" (٢٧٥/٦) من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به وهو موضوع.

(٤)أسباب النزول للواحدي:٢٠١، ذكره دون إسناد، وأخرجه الطبري(١٢٢١٨):ص١٠/٤٣٢، مرسلا، وابن ابي حاتم(٦٥٥٧):ص٤/١١٦٣-١١٦٤، وليس فيهما "نزلت".

وعزاه في الدر:٢/ ٢٩٤، لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وانظر: تفسير الثعلبي:٨٢/٤.

(٥) الكشاف:٦٥٠/١.

والثالث: نقل الواحدي عن بعضهم: "إن الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين على ذلك، فدخلوا على رسول الله وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الآذان الأنبياء من قبلك، ولو كان في هذا الأمر خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما أقبح من صوت ولا أسمج من كفر! فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا} الآية. [فصلت: ٣٣]"[(١)].

٢١-{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)} [المائدة: ٥٩]

قال ابن عباس-رضي الله عنه-:" أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفر من اليهود، فيهم: أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وعازر، وزيد، وخالد، وأزار بن أبي أزار، وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، قال: "أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بمن آمن به؛ فأنزل الله فيهم: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}"[(٢)].[ضعيف]

٢٢-{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)} [المائدة: ٦٠]

قال مقاتل:" قالت اليهود للمؤمنين: ما نعلم أحدا من أهل هذه الأديان أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم. فأنزل الله- عز وجل-:{قل هل أنبئكم بشر من ذلك}، يعنى: المؤمنين {مثوبة عند

---

(١)أسباب النزول للواحدي:٢٠١،ذكره دون إسناد، وانظر: تفسير الثعلبي:٨٢/٤، وتفسير القرطبي:٢٢٤/٦.

(٢)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٨) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢١٩):ص٤٣٤/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٥٥٩) :ص٤/ ١١٦٤ : ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد هذا كما تقدم مراراً.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

الله}، يعني: ثوابا من عند الله، قالت اليهود: من هم يا محمد؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: {من لعنه الله}..."[1].

٢٣-{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)} [المائدة: ٦٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قال رجل من اليهود -يقال له: النباش بن قيس-: إن ربك بخيل لا ينفق؛ فأنزل الله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}"[2].[ضعيف]

والثاني: قال عكرمة:" نزلت في فنحاص اليهودي"[3].[ضعيف]

والثالث: وقال مقاتل:" يعني: ابن صوريا وفنحاص اليهوديين وعازر بن أبي عازر"[4].

٢٤-{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)} [المائدة: ٦٧]

في سبب نزول الآية أقوال:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٨/١، وانظر: زاد المسير:٥٦٣/١.

(٢)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٥٣ رقم ١٢٤٩٧) -: ثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس به.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧): "رواه الطبراني ورجاله ثقات"!!

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد هذا كما تقدم مراراً.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٢) وزاد نسبته لابن مردويه.

.

(٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان"(١٢٢٤٧):ص٤٥٣/١٠، وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين عكرمة وابن جريج، وضعف سنيد صاحب "التفسير"..

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٠/١.

أحدها: روى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني"؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}"[1]. [ضعيف جداً].

والثاني: وقال مجاهد: لما نزلت {بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}؛ قال: "يا رب إنما أنا واحد، كيف أصنع ليجتمع عليّ من الناس؟ "؛ فنزلت: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}"[2].[ضعيف]

وقال مقاتل: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحرض بهذه الآية"[3].[ضعيف]

والثالث: قال ابن عباس: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرس، فكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} إلى قوله: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}؛ فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه؛ فقال: "يا عم! إن الله -عزّ وجلّ- قد عصمني من الجن والإنس"[4]. [ضعيف جداً]

---

(١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٦، ١١٧) ونسبه لأبي الشيخ.

مراسيل الحسن واهية كما هو مقرر في كتب المصطلح. وانظر :تفسير الشوكاني: ٨٢٥.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢٧٢):ص٤٦٨/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٣):ص٤/ ١١٧٣، من طريق سفيان الثوري عن رجل عن مجاهد.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله، وجهالة الرجل الذي لم يسم.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ١١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٣) .

(٤)أخرجه الطبراني في "الكبير" (١١/ ٢٠٥ رقم ١١٦٦٣)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٥)، و"الوسيط" (٢/ ٢٠٩)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨١) من طريق الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: النضر هذا؛ متروك الحديث؛ كما في "التقريب" (٢/ ٣٠٢).

الثانية: الحماني؛ ضعيف.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧): "وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو ضعيف".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ وأبي نعيم في "الدلائل" -ولم نجده

والرابع:وقال أبو سعيد الخدري:" نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} على رسول الله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب"(١).[ضعيف جداً]

والخامس: قال ابن عباس:" سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ قال: فقال: "كنت بمنى أيام موسم، واجتمع مشركوا العرب وأفناء الناس في الموسم، فأنزل عليَّ جبريل؛ فقال: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} قال: فقمت عند العقبة، فناديت: يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة، أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، وأنا رسول الله إليكم؛ تفلحوا أو تنجحوا ولكم الجنة، قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة، ويبصقون في وجهي، ويقولون: كذاب صابئ، فعرض عليّ عارض فقال: يا محمد! إن كنت رسول الله؛ فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: اللهم اهدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك"، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه، قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، ويقولون: فيهم

فيه بعد طول بحث- وابن عساكر.

(١)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٠٩):ص٤/ ١١٧٢ ، والواحدي في "الأسباب" (ص ١٣٥) من طريق علي بن عابس عن الأعمش وأبي حجاب عن عطية عن أبي سعيد به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لأن عطية ضعيف مدلس، وتدليسه معروف أنه من شر أنواع التدليس، وهو المسمى بتدليس السكوت، هذا أولًا، وثانياً: علي بن عابس؛ ضعيف؛ كما في "التقريب".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٧) وزاد نسبته لابن مردويه وابن عساكر.

قال فصيح الدين الحيدري:" وذهب الشيعة إلى أن الله تعالى قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجعل الخليفة من بعده علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأنه صلى الله عليه وسلم قد أشار في مرض موته إلى علي رضي الله عنه خفية بأنه الخليفة من بعده بالاستحقاق، وأن الآية نزلت في علي رضي الله تعالى عنه، أي بلّغ ما أنزل إليك من أمر علي، بزعمهم الباطل، إلا أنه أسرّ أمر الخلافة بينه وبين علي وأمره بعدم دعوى الخلافة فانظر إلى هذا الهذيان المستلزم لعدم تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم أوامر الله تعالى، لأن معنى التبليغ إعلان الأمر لجميع الأمة. فما أعمى بصائرهم! والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب".[النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة:١٠٩-١١٠].

نزلت: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] هوى النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا طالب، وشاء الله عباس بن عبد المطلب"[١]. [ضعيف]

والسادس: أنها نزلت لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يخاف قريشًا، فأومن من ذلك. وهذا قول ابن جريج[٢].[ضعيف جدا]

والسابع: وقال مقاتل: "لما دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحرض بهذه الآية"[٣].

قال البغوي:" قيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: "{يا أهل الكتاب لستم على شيء}[المائدة:٦٨] الآية"[٤].

والثامن: وقيل: "نزلت في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى: فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت [محمد: ٥]، وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم [النساء:٧٧] الآية. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية"[٥].

---

(١)أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١١٧، ١١٨) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١٣، ١٤ رقم ٢) - بسند ضعيف؛ فيه قابوس بن أبي ظبيان؛ لين الحديث، والأعمش مدلس، وفيه من لم نعرفه.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٧٩):٤٧١/١٠.[ضعيف جدا]، أخرجه من طريق سنيد صاحب "التفسير" عن حجاج عن ابن جريج به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد.

(٣)عزاه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٦٨/١ لمقاتل، وهو ابن سليمان إذا أطلق، وخبره معضل، وهو متروك متهم إذا وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟!.

وفي تفسيره٤٩٢/١:" {والله يعصمك من الناس}، يعني: من اليهود فلا تقتل، {إن الله لا يهدي القوم الكافرين}، يعني اليهود، فلما نزلت هذه الآية أمن النبي- صلى الله عليه وسلم- من القتل والخوف فقال: لا أبالي من خذلني ومن نصرني ، وذلك أنه كان خشي أن تغتاله اليهود فتقتله ".

(٤) تفسير البغوي:٧٨/٣.

(٥) تفسير البغوي:٧٨/٣.

والتاسع: وقيل: "بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود"[١].

والعاشر: وقيل: "نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها"[٢].

الحادي عشر: عن أبي هريرة؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي - صلى الله عليه وسلم - فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة -وقد علق السيف عليها- إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دناه من النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الله"؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}"[٣]. [حسن]

---

(١) تفسير البغوي:٣/٧٨.

(٢) تفسير البغوي:٣/٧٨.

(٣)أخرجه ابن أبي شيبة؛ كما في "فتح الباري" (٦/ ٩٨)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٣٩ - موارد)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨٢) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا إسناد حسن، وكذا حسنه شيخنا في "الصحيحة".

قال الحافظ: "وهذا إسناد حسن، فيحتمل -إن كان محفوظاً- أن يقال: كان مخيراً في اتخاذ الحرس؛ فتركه مرة؛ لقوة يقينه، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك".

قلنا: وأصل الحديث في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبد الله عند البخاري في "صحيحه" (٦/ ٩٦ رقم ٢٩١٠، ص ٩٧ رقم ٢٩١٣)، ومسلم في "صحيحه" (٤/ ١٧٨٦، ١٧٨٧) بلفظ: أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما قفل رسول الله قفل معه، فأدركهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: "إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثًا) "، ولم يعاقبه فجلس.

ومنها: حديث عائشة عند البخاري (٦/ ٨١ رقم ٢٨٨٥، ١٣/ ٢١٩ رقم ٧٢٣١)، ومسلم (٤/ ١٨٧٥/ ٢٤١٠)؛ قالت عائشة -رضي الله عنهما-: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - سهر، فلما قدم المدينة قال: ليت رجلًا من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوتَ سلاح، فقال: "من هذا؟ " فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي - صلى الله عليه وسلم -.

و-أيضاً- من حديث جابر عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٧٣ رقم ٦٦١٤) من طريق موسى بن عبيدة ثني زيد بن أسلم عن جابر؛ قال: لما غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل،

الثاني عشر: قالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحرس؛ فنزلت: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}؛ فأخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه من القبة، فقال:«أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله من الناس»"[1].[حسن لغيره]

فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه؛ فقال الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً، فقال أصحابه: كيف تقتله، قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به، قال: فأتاه، فقال: يا محمد أعطني سيفك أشيمه فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حال الله بينك وبين ما تريد"؛ فأنزل الله -عز وجل-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)}.

وسنده ضعيف؛ موسى بن عبيدة ضعيف.

وقال ابن كثير: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".

لكنه حسن في الشواهد.

ومنها مرسل محمد بن كعب القرظي عند الطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٩٩) وسنده صحيح.

ومنها مرسل سعيد بن جبير عنده -أيضاً- بسند ضعيف.

وانظر: ما كتبه شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في "الصحيحة" (رقم ٢٤٨٩).

(١)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٥٠٣، ١٥٠٤ رقم ٧٦٨ - تكملة)، والترمذي (٥/ ٢٥١ رقم ٣٠٤٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٢٧٦):ص٤٦٩/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٥):ص٤/ ١١٧٣ ، والقاضي عياض في "الشفا" (ص ٣٤٦، ٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ٨)، و"الدلائل" (٢/ ١٨٤) جميعهم من طريق الحارث بن عبيد عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الحارث بن عبيد؛ ضعفه ابن معين والنسائي وابن حبان وأبو زرعة والذهبي وغيرهم، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ".

انظر: "تاريخ الدوري" (٢/ ٩٣)، و"ضعفاء النسائي" (رقم ١١٩)، و"المجروحين" (١/ ٢٢٤)، و"الكامل" (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨)، و"الميزان" (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، و"التهذيب" (٢/ ١٤٩، ١٥٠)، و"التقريب" (١/ ١٤٢).

الثانية: الجريري؛ اختلط، ولم يذكروا الحارث ضمن الذين رووا عنه قبل الاختلاط.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ "فتح الباري" (٦/ ٨٢): "إسناده حسن، واختلف في وصله وإرساله".

٢٥-{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)} [المائدة: ٦٨]

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة، فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "بلى؛ ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها، مما أخذ عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، وأنا برئ من أحداثكم"، قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا؛ فإنا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك ولا نتبعك؛ فأنزل الله -تعالى-: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}"[1]. [ضعيف]

قلنا: والصواب أن الحديث مرسل؛ فقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٩٩)، وابن مردويه؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨١) من طريق إسماعيل بن عليه ووهيب بن خالد كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق به مرسلاً.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، وابن عليه سمع من الجريري قبل الاختلاط وهو أصح من سابقه.

وقال شيخنا العلّامة الألباني -رحمه الله- في "الصحيحة" (٥/ ٦٤٥): "فهو صحيح مرسل".

وقال قبل ذلك: "وهذا أصح -يعني: المرسل-".

فهو ضعيف إذًا، لكن للحديث شواهد كثيرة يصح بها.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢٨٤):ص١٠/٤٧٣-٤٧٤: ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد شيخ ابن إسحاق؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

قلنا: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٨):ص٤/ ١١٧٤: من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد به معضلاً.

٢٦-{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)} [المائدة: ٧٢]

قال مقاتل:" نزلت فى نصارى نجران المار يعقوبيين منهم السيد والعاقب وغيرهما قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم"(١).

٢٧- {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)} [المائدة : ٨٢ - ٨٦]

سبب نزول الآيات [٨٢- ٨٦]:

قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه، وفيما يأتي ذكر الأخبار في ذلك:

أولا:- عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعروة بن الزبير؛ قالوا: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتاباً إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم، ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل فيهم: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٤/١.

سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}"[١]. [ضعيف]

ثانيا:-عن عروة بن الزبير؛ قال: "في قوله: {تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} نزل ذلك في النجاشي "[٢].[ضعيف]

ثالثا: عن سعيد بن جبير: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}؛ قال: هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلًا اختارهم الخيّر فالخيّر، فدخلوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقرأ عليهم: {يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)}؛ فبكوا وعرفوا الحق؛ فأنزل الله فيهم:

---

(١) . أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٤٩ رقم ١٨٤٩١)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء" (١/ ١١٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٦) جميعهم من طريق الزهري عنهم به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٤٨، ٣٤٩ رقم ١٨٤٨٩)، و"المغازي" (١٦٧، ١٦٨ رقم ١٠٩)، والطبري في "جامع البيان"(١٢٣٢٨):ص٥٠٨/١٠ من طريق هشام بن عروة عن أبيه به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٠) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

هكذا رواه عن هشام بن عروة: عبدة بن سليمان وأبو معاوية مرسلاً.

ورواه عمر بن علي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير به موصولاً.

أخرجه النسائي في "التفسير" (١/ ٤٤٣ رقم ١٦٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٨٠)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٣٢٦):ص٥٠٨/١٠، والطبراني في "المعجم الكبير" (ص ١٠٧ رقم ٢٥٨ - قطعة من الجزء ١٣) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ٣٢٣ رقم ٢٨٤) -، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٩) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ٣٢٣، ٣٢٤ رقم ٢٨٥، ٢٨٦)، والبزار في "المسند" (٣/ ٢٨٦ رقم ٢٧٥٨ - كشف).

قلنا: ورجاله ثقات رجال "الصحيح"؛ لكن فيه علة؛ قال ابن سعد -عن عمر بن علي-: "وكان يدلس تدليساً شديداً، يقول: ثنا ثم يسكت، ثم يقول: هشام بن عروة أو الأعمش أو غيرهما"؛ كما في "التهذيب" (٧/ ٤٨٦).

فعلى رأي ابن سعد لا يقبل حديثه حتى ولو صرح بالتحديث كما في حديثنا، والله أعلم.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٩) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

* ملاحظة: في مسند البزار: (ثنا محمد بن عثمان ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي أو عمر بن علي).

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٤١٩): "ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بحر وهو ثقة".

قلنا: وفي "التقريب": "صدوق يغرب"، ولعل هذا منها، والصواب رواية الجماعة دون شك..

{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}، وأنزل فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} إلى قوله: {يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص: ٥٢ - ٥٤]"[(١)].[ضعيف] رابعا: عن سلمان؛ قال: «لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة صنعت طعاماً، فجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ما هذا يا سلمان؟ "، قلت: صدقة، فقال لأصحابه: "كلوا" ولم يأكل، ثم إني رجعت حتى جمعت طعاماً، فأتيته به، فقال: "ما هذا يا سلمان؟ "، قلت: هدية فضرب بيده فأكل، وقال لأصحابه: "كلوا"، قلت: يا رسول الله! أخبرني عن النصارى؟ قال: "لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم"، فقمت وأنا مثقل؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} حتى بلغ: {تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}؛ فأرسل إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: "يا سلمان! إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله"» [(٢)]. [صحيح]

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٢٤):١٠/٥٠٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٩)، والبغوي في "مسند علي بن الجعد" -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٧) -، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تخريج أحاديث الكشاف" (١/ ٤١٦) من طريق قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عن سعيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: قيس الربيع؛ ضعيف.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ..

(٢)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٦/ ٢٤٩ رقم ٦١٢١) من طريق السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان به.

قلنا: وسنده صحيح.

وأخرجه البزار في "البحر الزخار" (٦/ ٤٩٩ رقم ٢٥٣٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٦/ ٢٦٦ رقم ٦١٧٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٣ رقم ٦٦٧١)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٨/ ١١٦ رقم ٢٤٠٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الإكمال" (٤/ ٥)، و"الدر المنثور" (٣/ ١٣٢)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ٢٩٨)، وأبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" (١/ ٣٠٩، ٣١٠ رقم ٤٦٥)، والحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (٢/ ٧٢٠ رقم ٧١٠ - بغية) جميعهم من طريق نصير بن زياد الطائي عن الصلت الدهان عن حامية بن رئاب قال: سمعت سلمان يقول -وقد سئل عن قوله-: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}؛ قال: الرهبان الذين في الصوامع، قال سلمان: نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}، هذا لفظ الطبراني وهو عند غيره بنحوه.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علتان:

١ - حامية هذا؛ مجهول لم يرو عنه إلا الصلت الدهان، ولم يوثقه إلا ابن حبان.

خامسا: عن السدي؛ قال: "بعث النجاشي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - اثني عشر رجلًا يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فبكوا، وكان منهم رهبان وخمسة قسيسين، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين؛ فأنزل الله فيهم: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}"[1]. [ضعيف جداً]

٢٨-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)} [المائدة: ٨٧]

في سبب نزول الآية ثلاثة اقوال:

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن رجلًا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي؛ فحرمت عليّ اللحم؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)}[2]. [صحيح لغيره]

---

٢ - نصير هذا؛ قال الأزدي: "منكر الحديث".

"الميزان" (٤/ ٢٦٤)، و"اللسان" (٦/ ١٦٦).

والصلت هذا روى عنه جماعة ووثقه ابن حبان.

والحديث ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧)، وقال: "فيه الحماني ونصير بن زياد وكلاهما ضعيف".

قلنا: الحماني توبع عند البخاري والبزار فالعلة ممن ذكرنا.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٢) وزاد نسبته للحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" وابن الأنباري في "المصاحف" وابن المنذر.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣١٨):١٠/٥٠٠-٥٠١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٤/ ٦٦٧٥) من طريقين عن أسباط بن نصر عن السدي به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط بن نصر.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ١٣١)..

(٢)أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٣٠٥٤)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ٢٧٧ رقم ١١٩٨١)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٣٥٠):ص١٠/٥٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٨٧):ص٤/ ١١٨٦، وابن عدي في "الكامل" (٥/ ١٨١٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٧) من طريق عثمان بن سعد الكاتب عن عكرمة عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عثمان هذا وهو ضعيف؛ ضعفه ابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم.

الثاني: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-:"قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}؛ قال: هم رهط من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسبح في الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليهم فذكر لهم، فقالوا: نعم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لكنى أصوم وافطر، وأصلي وانام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي؛ فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي؛ فليس مني»" [1]. [حسن]

انظر: "الجرح والتعديل" (٦/ رقم ٨٣٨)، و"تهذيب الكمال" (١٩/ ٣٧٦ - ٣٧٨)، و"التقريب" (٢/ ٩).

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

لكن للحديث شواهد تدل على أن له أصلًا، ومعناه صحيح؛ فيرتقي الحديث إلى درجة الصحيح لغيره.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن مردويه.

وقد قال الترمذي عقب الحديث: "ورواه بعضهم عن عثمان بن سعد مرسلاً، ليس فيه عن ابن عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً".

يشير الترمذي إلى أن عثمان بن سعد قد خولف في إسناده.

فقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٣٧)، (١٢٣٣٨)، (١٢٣٤٠):ص٥١٤/١٠-٥١٥، من طريق يزيد بن زريع وإسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفي ثلاثتهم عن خالد الحذاء عن عكرمة؛ قال: كان أناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء؛ فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)}. هذا لفظ يزيد.

قلنا: وهذا سند صحيح كالشمس إلى عكرمة؛ لكنه مرسل.

فقد خالف عثمان بن سعد خالداً لحذاء فوصله، والصواب رواية خالد؛ لأنه ثقة من رجال الشيخين بخلاف عثمان.

فتبين أن الصواب في الحديث هو الإرسال، لكن له شواهد تؤكد معناه وتثبت صحته، وانظر الأحاديث والآثار الآتية.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٤٦):ص٥١٨/١٠: ثني المثنى، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٧ رقم ٦٦٨٩): ثنا أبي، كلاهما قال: ثنا عبد الله بن صالح -كاتب الليث- ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عنه به.

قلنا: وهذا سند حسن، وقد أعلّ بعلتين وهما ليستا بشيء:

الأولى: الانقطاع بين علي وابن عباس، وقد تقدم مراراً أن رواية علي عن ابن عباس محمولة على الاتصال؛ كما نص على ذلك أهل العلم كابن حجر وغيره.

قال أبو مالك:" نزلت في عثمان بن مظعون وأصحابه حرموا عليهم كثيراً من الطيبات والنساء، فهَمَّ بعضهم أن يقطع ذكره؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"(١). [صحيح]

قال قتادة:" نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أرادوا أن يتخلَّوا من الدُّنيا، ويتركوا النساء ويتزهدوا، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون"(٢).[ضعيف]

وقال مجاهد:" أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويُخْصوا أنفسهم، ويلبسوا المسوح؛ فنزلت هذه الآية إلى قوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}"(٣).[ضعيف]

الثانية: ضعف عبد الله بن صالح؛ لكن الراوي عنه هنا أبو حاتم الرازي الثقة الحافظ، وقد قال الحافظ ابن حجر في "هدي الساري" (ص ٤١٤): "ظاهر كلام هؤلاء الأئمة: أن حديثه في الأول كان مستقيماً ثم طرأ عليه فيه تخليط، فمقتضى ذلك أن ما يجيء من روايته عن أهل الحذق؛ كيحيى بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم، فهو من صحيح حديثه. ..".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن مردويه.

(١)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٥١٥ رقم ٧٧١ - تكملة)، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ٧)، وأبو داود في "مراسيله" (رقم ٢٠١) من طريقين عن حصين بن عبد الرحمن السلمي عن أبي مالك به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، أما ما يخشى من أن حصيناً تغيّر حفظه بآخره فالراوي عنه عند أبي داود وسعيد بن منصور هو خالد الطحان وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري(١٢٣٤٢):٥١٥/١٠: ثنا ابن وكيع ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ مسلسل بالعلل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: المغيرة؛ ثقة متقن؛ إلا أنه كان يدلس، ولا سيما عن إبراهيم؛ كما في "التقريب" (٢/ ٢٧٠).

الثالثة: سفيان بن وكيع شيخ الطبري؛ قال الحافظ في "التقريب" (١/ ٣١٢):

"كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه؛ فأدخل عليه ما ليس من حديثه؛ فنصح؛ فلم يقبل؛ فسقط حديثه".

(٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٤٨):٥١٩/١٠ -: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

عن المغيرة بن عثمان؛ قال: "كان عثمان بن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد وعمار أرادوا الاختصاء، وتحريم اللحم، ولبس المسوح في أصحاب لهم، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن مظعون، فسأله عن ذلك؛ فقال: قد كان بعض ذلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنكح النساء وآكل اللحم، وأصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وألبس الثياب، لم آت بالتبتل ولا بالرهبانية، ولكن جئت بالحنيفية السمحة، ومن رغب عن سنتي؛ فليس مني"، قال ابن جريج: فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"[1].[ضعيف]

وعن عكرمة: "أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالمًا مولى أبي حذيفة في أصحابٍ، تبتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزَلوا النساءَ، ولبسوا المسوحَ، وحرَّموا طيبات الطعام واللِّباس إلا ما أكل ولبس أهل السِّيَاحة من بني إسرائيل، وهمُّوا بالإخصَاء، وأجمعُوا لقيام الليلِ وصيام النهار، فنزلت: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}"[2].[ضعيف]

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: "كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من رغب عن سنتي فليس مني» ونزلت هذه الآية"[3].[ضعيف جدا]

الثالثه: سنيد صاحب "التفسير"؛ ضعيف؛ ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وابن حجر وغيرهم.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٣) ونسبه لأبي الشيخ.

(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢) ونسبه لابن المنذر والطبري وأبي الشيخ.

وهو عند الطبري في جامع البيان(١٢٣٤٨):٥١٩/١٠، من طريق سنيد صاحب "التفسير" ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة به.

قلنا: وسنده ضعيف أيضاً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٣) انظر: زاد المسير:٥٧٧/١، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس، وراويته هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، وذكر أبي بكر وعمر في هذا الحديث غريب جدا..

وعن الحسن العرني؛ قال: "كان علي في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"[1]. [ضعيف]

وعن السدي:"{يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين}، " وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يومًا فذكر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التَّخويف. فقال أناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون: ما خِفْنا إن لم نُحْدِث عملا! فإنّ النصارى قد حرَّموا على أنفسهم، فنحن نحرِّم! فحرَّم بعضهم أكل اللَّحم والوَدَك، وأن يأكل بالنهار، وحرَّم بعضهم النوم، وحرَّم بعضهم النساء. فكان عثمان بن مظعون ممَّن حرم النساءَ، وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه. فأتت امرأتُه عائشة، وكان يقال لها: الحولاء ، فقالت لها عائشة ومن عندها من نساءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما بالُك، يا حولاءُ متغيِّرةَ اللون لا تمتشِطين ولا تطيَّبين ؟ فقالت: وكيف أتطيَّب وأمتشط، وما وقع عليّ زوجي، ولا رفع عني ثوبًا، منذ كذا وكذا! فجعلن يَضحكن من كلامها. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنّ يضحكن، فقال: ما يضحككن ؟ قالت: يا رسول الله، الحولاءُ، سألتها عن أمرها فقالت: ما رفع عني زوجي ثوبًا منذ كذا وكذا ! فأرسل إليه فدعاه فقال: ما بالك يا عثمان ؟ قال: إني تركته لله لكي أتخلَّى للعبادة! وقَصَّ عليه أمره. وكان عثمان قد أراد أن يَجُبَّ نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقسمتُ عليك إلا رجعت فواقعتَ أهلك! فقال: يا رسول الله إني صائم! قال: أفطر! فأفطر، وأتى أهله. فرجعت الحولاءُ إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيَّبت. فضحكت عائشة، فقالت: ما بالك يا حولاء ؟ فقالت: إنه أتاها أمس! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النساء، والطعامَ، والنومَ ؟ ألا إني أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني! فنزلت: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا}، يقول لعثمان: لا تَجُبَّ نفسك. فإن هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفِّروا أيْمانهم، فقال: {لا يؤاخذكم الله باللَّغو في أيمانكم ولكن يُؤَاخذكم بما عقّدتم الأيمان}"[2].[ضعيف جدا]

---

(١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٣) ونسبه لابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري(١٢٣٤٥):ص١٠/٥١٧-٥١٨: ثني محمد بن الحسين ثنا أحمد بن مفضل ثنا أسباط عن السدي به.

والثالث: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}؛ قال: "قال أبي: ضاف عبد الله بن رواحة ضيف، فانقلب ابن رواحة ولم يتعش، فقال لأهله: ما عشيته؟ فقالت: كان الطعام قليلاً فانتظرت أن تأتي، قال: فحبست ضيفي من أجلي؛ فطعامك عليّ حرام إن ذقته، فقالت: هي وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذقه، وقال الضيف: هو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذوقوه، فلما رأى ذلك، قال ابن رواحة: قربي طعامك، كلوا بسم الله، وغدا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قد أحسنت"؛ فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وقرأ حتى بلغ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} وإذا قلت: والله لا أذوقه؛ فذلك العقد"[1]. [ضعيف جداً]

والظاهر - والله أعلم - أن القول الأول هو سبب نزول الآية وإن كان الصحيح فيه الإرسال، لأمور ثلاثة:

أحدها: التصريح بالسببية.

الثاني: مطابقة سياق الحديث للفظ الآية، إذ أن قوله: "فحرمت عليَّ اللحم"، يوافق قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}.

الثالث: الاحتجاج به عند جمهور المفسرين.

٢٩-{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)} [المائدة: ٨٩]

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال، فلم يصح أن السدي روى عن واحد من الصحابة.

الثانية: أسباط بن نصر؛ صدوق، كثير الخطأ، يغرب.

الثالثة: محمد بن الحسين لم نجد له ترجمة.

وهذا المتن أصله محفوظ بشواهده المرسلة والموصولة.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان"(١٢٣٤٩):ص١٠/٥١٩-٥٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٩٢):ص٤/ ١١٨٧ من طريق ابن وهب عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف عبد الرحمن.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن عائشة-رضي الله تعالى عنها-؛ قالت في قوله: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}؛ نزلت في قوله: لا والله، بلى والله"[1].

والثاني: قال عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما-: "لما نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم؛ قالوا: يا رسول الله! كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله -تعالى ذكره-: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[2]. [ضعيف جداً]

والثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قال: "كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، [وفي رواية: فضل]: وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة؛ فأنزل الله -تعالى-: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قال: ليس بأرفعه ولا بأدناه"[3]. [صحيح]

---

(١)أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١/ رقم ٦٦٦٣).

(٢)خرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٥٦):ص٥٢٣/١٠ من طريق العوفي عنه.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢، ١٤٣) ونسبه لابن مردويه، وأعاده في (٣/ ١٤٩، ١٥٠) ونسبه للطبري.

(٣)أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٢، ٦٨٣ رقم ٢١١٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٤٤٠):ص٥٤٢/١٠-٥٤٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ رقم ٦٧٢٢)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٣) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١٧٢ رقم ١٦٩) -، والضياء -من طريق أخرى- (١٠/ ١٧١ رقم ١٦٨) من طريق سفيان بن عيينة عن سليمان بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه به.

قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (ص ٧٤٩): "هذا إسناد موقوف، صحيح الإسناد".

وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في "صحيح سنن ابن ماجه" (رقم ١٧١٧).

والرابع: قال سعيد بن جبير:" كان أهل المدينة يفضلون الحر على العبد، والكبير على الصغير، ويقولون: الصغير على قدره، والكبير على قدره؛ فنزلت: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}؛ فأمروا بأوسط من ذلك ليس بأرفعه "[1]. [ضعيف جداً]

٣٠-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} [المائدة : ٩٠ - ٩٣]

في سبب النزول الآيات[٩٠-٩٣]، أقوال:

أحدها: عن سعد بن أبي وقاص: "أنه نزلت فيه آيات من القرآن؛ قال: حَلَفَت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زَعَمْت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجَهْد، فقام ابن لها يقال له: عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- في القرآن هذه الآية: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٤٣٦)، و(١٢٤٣٧):ص١٠/٥٤١-٥٤٢، بسندين عنه:

الأول(١٢٤٣٦):ص١٠/٥٤٢: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز بن أبان ثنا قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: عبد العزيز هذا؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب" (١/ ٥٠٨).

الثانية: قيس بن الربيع؛ صدوق، تغيّر لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٣) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

فيحتمل أن عبد العزيز توبع من قبل عبد بن حميد، ويحتمل أن عبد بن حميد رواه من طريق غيره، فلو قدرنا أن عبد بن حميد تابع عبد العزيز فيبقى علة الحديث قيس بن الربيع وهو من شيوخ عبد بن حميد وإلا؛ فله إسناد آخر، والله أعلم.

الثاني(١٢٤٣٧):ص١٠/٥٤١-٥٤٢: ثنا ابن حميد ثنا حكام بن سلم عن سليمان العبسي عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فابن حميد حافظ ضعيف، بل إنه اتهم، وسليمان هذا لم نجد له ترجمة، ولعله وقع تصحيف في اسمه؛ فإن النسخة التي بين أيدينا -طبع دار المعرفة- كثيرة التصحيف والتحريف.

وكلا الطريقين لا تقويان بعضهما البعض؛ نظراً للضعف الشديد فيهما.

جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي} [العنكبوت: ٨]، وفيها: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}، قال: وأصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف فأخذته، فأتيت به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: نفلني هذا السيف؛ فأنا من قد علمت حاله، فقال: "رده من حيث أخذته"، فانطلقت، حتى إذا أردت أن ألقيه في القَبَض لامتني نفسي، فرجعت إليه، فقلت: أعطنيه، قال: فشد لي صوته: "رده من حيث أخذته"، قال: فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: ١]، قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت، قال: فأبى، قلت: فالنصف؟ قال: فأبى، قلت: فالثلث؟ قال: فسكت، فكان بعد الثلث جائزاً، قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش -والحش: البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزقّ من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيى الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيّ -يعني: نفسه- شأن الخمر: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}"[(١)]. [صحيح]

وفي السياق نفسه قال سالم بن عبد الله: "إن أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص وأصحاباً له شربوا؛ فاقتتلوا، فكسروا أنف سعد؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}"[(٢)]. [ضعيف]

والثاني: قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى إذا ثملوا عبث بَعضُهُم ببعض، فلما صَحَوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: قد فعل بي هذا أخي، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما فعل بي هذا، فوقعت في قلوبهم الضغائن؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} إلى قوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)}؛ فقال ناس: هي رجس، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وفلان قتل يوم أُحد؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ

---

(١)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٨٧٧، ١٨٧٨ رقم ١٧٤٨) وغيره.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٥٢١):ص١٠/٥٧٠، والواحدي في "الوسيط" (٢/ ٢٢٢) من طريق ابن وهب أنبأني عمرو بن الحارث: أن الزهري أخبره: أن سالم بن عبد الله حدثه به.

قلنا: وسنده صحيح رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)}"[1]. [حسن]

الثالث: قال أبو هريرة:" حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنهما؛ فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: ٢١٩] إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال: فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب خلط في قراءته؛ فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣] وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق؛ ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}؛ فقالوا: انتهينا ربنا. فقال الناس: يا رسول الله!

---

(١)أخرجه النسائي في "تفسيره" (١/ ٤٤٧، ٤٤٨ رقم ١٧١)، والطبري في جامع البيان(١٢٥٢٢):ص٥٧١، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٤٤، ٤٥ رقم ١٢٤٥٩) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣٤١، ٣٤٢ رقم ٣٧٠) -، والحاكم (٤/ ١٤١، ١٤٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ٢٨٥، ٢٨٦) من طريقين عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبير عنه به.

قلنا: وهذا إسناد حسن؛ رجاله رجال الصحيح، فربيعة بن كلثوم وثقه ابن معين والعجلي وابن شاهين، وقال أحمد: صالح. وضعفه النسائي مرة، وقال مرة أخرى: ليس به بأس، ولخصه الحافظ بقوله: صدوق يهم.

انظر: "الجرح والتعديل" (٣/ ٤٧٧، ٤٧٨ رقم ٢١٤٥)، و"الثقات" للعجلي (رقم ٤٣٤)، و"التهذيب" (٣/ ٢٦٣)، و"التقريب" (١/ ٢٤٨).

وكلثوم بن جبر؛ وثقه أحمد وابن معين والعجلي وابن حبان وابن شاهين، وقال النسائي: ليس بالقوي، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ".

انظر: "الجرح والتعديل" (٧/ ١٦٤ رقم ٩٢٦)، و"الثقات" للعجلي (رقم ١١٨٤)، و"التهذيب" (٨/ ٤٤٢)، و"التقريب" (٢/ ١٣٦).

وسكت عنه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: "صحيح على شرط مسلم".

وقد نقل السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٨) تصحيحه عن الحاكم.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٨): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وسكت عنه الحافظ في "فتح الباري" (٨/ ٢٧٩).

وزاد نسبته في "الدر المنثور" لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً ومن عمل الشيطان؛ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ} إلى آخر الآية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم"(١). [ضعيف]

الرابع: قال ابن عمر: "نزل في الخمر ثلاث آيات؛ فأول شيء نزل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}؛ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}؛ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠] الآية، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حرمت الخمر"، قال: وقدمت لرجل راوية من الشام -أو روياً- فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر ولا أعلم عثمان إلا معهم، فانتهوا إلى الرجل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خل عنا نشقها"، فقال: يا رسول الله! أفلا نبيعها؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله لعن الخمر، ولعن غارسها، ولعن شاربها, ولعن

---

(١)أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/ ٣٥١): ثنا سريج بن النعمان: ثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: أبو وهب مولى أبي هريرة؛ مجهول لا يعرف؛ كما في "تعجيل المنفعة" (ص ٥٢١).

الثانية: أبو معشر؛ نجيح السندي؛ ضعيف أسن واختلط؛ كما في "التقريب" (٢/ ٢٩٨).

وقال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" (رقم ٤٧٨): "إسناده ضعيف؛ فإنه من رواية أبي معشر؛ عن أبي وهب، وأبو معشر ضعيف".

ونقله عنه المناوي في "الفتح السماوي" (٢/ ٥٨٦).

وقال العلامة الشيخ أحمد شاكر في "تحقيق المسند" (٦/ ٢٥٤ رقم ٨٦٠٥):

"إسناده ضعيف؛ لضعف أبي معشر نجيح، ولجهالة أبي وهب مولى أبي هريرة".

وقد قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢/ ٩٥): "انفرد به أحمد".

* ملاحظة: تصحف اسم شيخ الإمام أحمد في كل من "تعجيل المنفعة"، و"تفسير القرآن العظيم" -طبع دار المعرفة-، و"تخريج أحاديث تفسير الكشاف" للزيلعي من سريج إلى شريح؛ فليحرر.

عاصرها, ولعن موكلها, ولعن مديرها, ولعن ساقيها, ولعن حاملها, ولعن آكل ثمنها, ولعن بائعها"[1].[منكر]

الخامس: عن جابر بن عبد الله: "اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قتلوا شهداء يوم أحد، فقالت اليهود: فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم؛ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)}"[2]. [صحيح]

السادس: عن البراء بن عازب؛ قال: "مات ناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها؛ قال ناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

---

(١)أخرجه الطيالسي في "المسند" (رقم ١٩٥٧) -ومن طريقه البيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤، ٥ رقم ٥٥٧٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢/ ٣٨٩ رقم ٢٠٤٦) -، وابن جرير في "جامع البيان" (٤١٤٣):ص٤/٣٣١، من طريق محمد بن أبي حميد عن أبي توبة المصري عن ابن عمر به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: جهالة أبي توبة المصري.

قلنا: هو مجهول، وقد ذكره الحافظ في "اللسان" (٧/ ٢٣)، وقال: "أبو توبة المصري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- روى عنه محمد بن أبي حميد، قال ابن عساكر: "لم أجد له ذكراً في شيء من الكتب"، قلت: وفي حديثه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- في لعن شارب الخمر زيادة منكرة قال فيه: "ولعن غارسها". اهـ.

الثانية: محمد بن أبي حميد ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وأبو زرعة والترمذي وغيرهم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٧، ١٥٨) وزاد نسبته لابن مردويه.

(٢)أخرجه البزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٩٨، ٩٩): ثنا أحمد بن عبدة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابراً (فذكره).

قال البزار: "وهذا إسناد صحيح".

قال ابن كثير: "وهو كما قال، وفي سياقه غرابة".

وسكت عليه الحافظ في "الفتح" (٨/ ٢٧٩) مشيراً إلى تقويته.

قلنا: وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري (٦/ ٣١ رقم ٢٨١٥، ٧/ رقم ٤٠٤٤، ٨/ ٢٧٧ رقم ٤٦١٨) بلفظ: صبح أناس غداة أحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء وذلك قبل تحريمها.

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} "[١]. [صحح لغيره]

السادس: قال عبد الله بن مسعود: "لما نزل تحريم الخمر، قالت اليهود: أليس إخوانكم الذين ماتوا كانوا يشربونها؟ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فقيل لي: إنك منهم"[٢]. [ضعيف]

وفي السياق نفسه قال مجاهد:"نزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} فيمن قتل ببدر وأحد مع محمد - صلى الله عليه وسلم –"[٣]. [ضعيف]

---

(١)أخرجه الطيالسي في "مسنده" (ص ٧١٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٧٢) - وعنه الترمذي (٥/ ٢٥٤ رقم ٣٠٥٠) -، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ٢٥)، والترمذي (٥/ ٢٥٤، ٢٥٥ رقم ٣٠٥١)، وأبو يعلى في "المسند" (٣/ ٢٦٥، ٢٦٦ رقم ١٧١٩، ١٧٢٠)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٤٠ - موارد)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٠١ رقم ٦٧٧٥)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٠، ١٤١) من طريق إسرائيل وشعبة عن أبي إسحاق عن البراء به.

قلنا: وهذا سند ظاهره الصحة، لكن قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: أسمعته من البراء؟ قال: لا. ذكره أبو يعلى عقب روايته للحديث.

قلنا: وهذا نص صريح -وهو من الأدلة الكثيرة- أن أبا إسحاق السبيعي كان يدلس، وقد اعترف أنه لم يسمع هذا الحديث من البراء؛ لكن يشهد له حديث ابن عباس وابن مسعود السابقين ويرتقي إلى درجة الصحيح.

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٧٢) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/ ٧٧، ٧٨ رقم ١٠٠١١)، والبزار في "البحر الزخار" (٤/ ٣٢٥ رقم ١٥١٣)، والحاكم (٤/ ١٤٣، ١٤٤) جميعهم من طريق سليمان بن قرم عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه سليمان بن قرم؛ سيئ الحفظ، يتشيع؛ كما في "التقريب" (١/ ٣٢٩).

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي!!.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٨): "في "الصحيح" بعضه، ورجاله ثقات".

وهو وهم منهم جميعاً -رحمهم الله-.

وقد أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٩١٠ رقم ٢٤٥٩) -مختصرًا- بلفظ: "لما نزلت هذه الآية: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قيل لي: أنت منهم".

(٣)أخرجه ابن جرير في "جامع البيان"(١٢٥٣٠):ص٥٨٠/١٠، بسند صحيح إلى ابن جريج عن مجاهد به.

السابع: قال السمرقندي :"يقال: إن بعض الصحابة كانوا في سفرة فشربوا منها بعد التحريم، ولم يعرفوا تحريمها. فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}، يعني: شربوا قبل تحريمها"[1].

٣١-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)} [المائدة : ٩٥]

قال مقاتل:" وذلك أن أبا بشر واسمه: عمرو بن مالك الأنصاري كان محرما في عام الحديبية بعمرة، فقتل حمار وحش، فنزلت فيه:{ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ...}"[2].

٣٢-{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)} [المائدة : ٩٨]

قال مقاتل:" ثم خوفهم ألا يستحلوا الغارة في حجاج اليمامة، يعني: شريحا وأصحابه فقال: {اعلموا أن الله شديد العقاب} إذا عاقب"[3].

٣٣-{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)} [المائدة : ٩٩]

قال مقاتل :"ثم قال- عز وجل-: {ما على الرسول} محمد- صلى الله عليه وسلم- {إلا البلاغ} في أمر حجاج اليمامة شريح بن ضبيعة وأصحابه، {والله يعلم ما تبدون}، يعني: ما تعلنون بألسنتكم و{ما تكتمون}،من أمر حجاج اليمامة والغارة عليهم"[4].

٣٤-{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)} [المائدة : ١٠٠]

في سبب النزول الآية قولان:

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(١) بحر العلوم:٤١٧/١، ولم أقف عليه.

(٢) .تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٤/١

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٧/١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٧/١.

أحدهما:عن جابر؛ قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله -عزّ وجلّ- حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب، ألا أن الخمر لُعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها"، فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله! إني كنت رجلًا كانت هذه تجارتي، فاقتنيت مع بيع الخمر مالًا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة؛ إن الله لا يقبل إلا الطيب"؛ فأنزل الله -تعالى- تصديقاً لقوله - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}"[1]. [ضعيف]

والثاني: أنها نزلت في شأن حجاج اليمامة شريح بن ضبيعة حين أراد المسلمون أخذ ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأخبرهم أن أخذ ماله حرام. قاله الكلبي[2]، وذكره السمرقندي[3] والثعلبي[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وغيرهم.

٣٥-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)} [المائدة : ١٠١]

في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضبا خطيبا، فقال:«سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم» ، فقام رجل من قريش، يقال له: عبد الله بن حذافة كان إذا لاحى [7] يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟

---

(١)أخرجه الواحدي في "أسباب النزول":٢١٠، عن الحاكم نا محمد بن القاسم المؤدب قال: ثنا إدريس بن علي الرازي ثنا يحيى بن الضريس ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ شيخ الحاكم ما كان بشيء؛ كما قال الدارقطني، وإدريس بن علي الرازي لم نجد له ترجمة بعد طول بحث.

وعزاه السيوطي في اللباب (ص ١١٤) للأصبهاني في الترغيب والواحدي.

(٢) انظر: بحر العلوم:٤٢١/١.

(٣) انظر: بحر العلوم:٤٢١/١.

(٤) انظر: الكشف والبيان:١١٣/٤.

(٥) انظر: تفسير البغوي:١٠٥/٣.

(٦) انظر: الكشاف:٦٨٣/١.

(٧)لاحى: أي خاصم.

قال: أبوك حذافة، فقام آخر، فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام عمر فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن إماما، إنا حديثو عهد بجاهلية، والله أعلم من أباؤنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة[١]، وقتادة عن أنس[٢].[صحيح]

والثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، فقال: «إن الله كتب عليكم الحج، فقام عكاشة ابن محصن، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: أما إني لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عني ما سكت عنكم، فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم» فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة[٣]. وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس. [صحيح]

والثالث: أن قوما كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجويرية عن ابن عباس[٤].[صحيح]

والرابع: أن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس[٥]، وبه قال ابن جبير[٦].[ضعيف]

---

(١) . حديث صحيح. أما حديث أبي هريرة، فأخرجه الطبري (١٢٨٠٢):ص١٠٣/١١، وفيه قيس بن الربيع، وهو غير قوي، لكن للحديث شواهد كثيرة منها الآتي.

(٢)أخرجه البخاري ٤٦٢١ و ٤٣٦٢ و ٧٢٩٥ ومسلم ٢٣٥٩ والنسائي في «التفسير» ١٧٤ والترمذي ٣٠٥٦ وابن حبان ٦٤٢٩ والبغوي في «التفسير» ٨٣٩ من طرق عن أنس، رووه بألفاظ متقاربة، وطوله بعضهم. انظر «أحكام القرآن» ٨٠١.

(٣)صحيح. أخرجه مسلم ١٣٣٧ والنسائي ٥/ ١١٠- ١١١ وأحمد ٢/ ٥٠٨ وابن حبان ٣٧٠٤ و ٣٧٠٥ والبيهقي ٤/ ٣٢٦ والدارقطني ٢/ ٢٨١ والطبري (١٢٨٠٥):ص١٠٥/١١، وأخرجه الطبري (١٢٨٠٤):ص١٠٥/١١ من طريق عبد الرحيم بن سليمان والدارقطني ٢/ ٢٨٢ عن محمد بن فضيل، كلاهما عن إبراهيم بن مسلم الهجري- وهو ضعيف- عن أبي عياض عن أبي هريرة..

(٤)صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٢٢ والطبري ١٢٧٩٨ والطبراني ١٢٦٩٥ والواحدي ٤١٨ والبغوي ٨٤٢ كلهم عن ابن عباس به. وانظر «أحكام القرآن» ٨٠٢.

(٥)أخرجه الطبري (١٢٨١١):١١١/١١ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه خصيف الجزري، وهو صدوق لكنه سيء الحفظ كثير الخطأ، وكرره الطبري (١٢٨١٢):ص١١١/١١-١١٢ عن عكرمة مرسلا، وهو أصح، والمتقدم عن ابن عباس أصح، وكذا المتقدم عن أنس وأبي هريرة.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١٢):ص١١١/١١-١١٢.

والخامس: أن قوما كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنهوا عن ذل، روي هذا المعنى عن عكرمة[١].

والسادس: أنها نزلت في تمنيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي[٢].

والظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سئل مسائل كثيرة، فنزلت هذه الآية في ذلك جميعا، والله أعلم.

قال ابن عطية:" والظاهر من الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحت عليه الأعراب والجهال بأنواع من السؤالات حسبما ذكرناه، فزجر الله تعالى عن ذلك بهذه الآية"[٣].

قال ابن كثير:" وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته ، فالأولى الإعراض عنها وتركها"[٤].

قال الإمام الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، قولُ من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم المسائلَ ، كمسألة ابن حذافة إياه مَن أبوه ، ومسألة سائله إذ قال : " الله فرض عليكم الحج " ، أفي كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل.

وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس ، فقولٌ غير بعيد من الصواب ، ولكنْ الأخبارُ المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه ، وكرهنا القولَ به من أجل ذلك. على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها ، كما كره الله لهم المسألة عن الحج : " أكل عام هو ، أم عامًا واحدًا " ؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسألته عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلّها ، فأخبرَ كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله ، وأجل غيره، وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذُكرت صحاحٌ ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى"[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١١):١١١/١١، وزاد المسير:٥٩١/١.

(٢) انظر: زاد المسير:٥٩١/١.

(٣) المحرر الوجيز:٢٤٦/٢.

(٤) تفسير ابن كثير:٢٠٦/٣.

(٥) تفسير الطبري:١١٢/١١.

٣٦-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [المائدة : ١٠٥]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: نقل الواحدي: عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس:"كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر- وعليهم منذر بن ساوى- يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية. فلما أتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام. وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية» . فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمت العرب، وأما أهل الكتاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقال منافقو العرب: عجبا من محمد، يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب! فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعني من ضل من أهل الكتاب}"[(١)].[ضعيف]

والثاني: قال عمر مولى غفرة: "إنما نزلت هذه الآية: لأن الرجل كان يسلم ويكفر أبوه، ويسلم الرجل ويكفر أخوه، فلما دخل قلوبهم حلاوة الإيمان دعوا آباءهم وإخوانهم. فقالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}"[(٢)].

٣٧-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)} [المائدة : ١٠٦]

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي[(٣)] بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جاما[(٤)] من فضة مخوصا[(١)] من

---

(١)أسباب النزول(٤٢٠):ص٢١٤، إسناده ضعيف لضعف الكلبي.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٥):ص١٢٢٨/٤.

(٣)تميم. . عدي) كانا نصرانيين عندما حدثت القصة المذكورة في الحديث وتميم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وأما عدي فلم يسلم.

(٤)جاما: كأسا.

ذهب، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه[٢]، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت} [المائدة: ١٠٦]"[٣].[صحيح]

(١)(مخوصا) منقوشا فيه خطوط دقيقة طويلة كالخوص وهو ورق النخل.

(٢)(أوليائه) من أولياء السهمي والرجلان هما عمرو بن العاص والآخر قيل هو المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهما.

(٣)أخرجه البخاري (٢٧٨٠)، وأبو داود (٣٦٠٦)، والترمذي في التفسير(٣٠٦٠)، وقال: حسن غريب، وأخرجه الدارقطني: ٤/ ١٦٦، والطبري (١٢٩٦٦):ص١١/١٨٥، والجصاص في «الأحكام»: ٤/ ١٦٠، والطبراني:١٢/ ٧١، والواحدي: (٤٢١):ص٢١٥، والبيهقي:١٠/ ١٦٥ كلهم من حديث ابن عباس به، فهو من مسند ابن عباس، وهو مختصر كما ترى.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/ ٣٤٢) لابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه.

سورة «الأنعام»

١-{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)} [الأنعام : ١]

في سبب نزول الآية أربعة أقوال:

أحدها: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد، قال:"نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله لا يخلق الظلمة ولا الخنافس ولا العقارب ولا شيئا قبيحا، وإن الله يخلق الضوء وكل شيء حسن قال: فأنزلت فيهم هذه الآية"[١].

والثاني:وذكر السمرقندي عن الضحاك: "هذه الآية نزلت في شأن المجوس. قالوا: الله خالق النور، والشيطان خالق الظلمة، فأنزل الله تعالى إكذابا لقولهم، وردا عليهم، فقال: {وجعل الظلمات والنور}"[٢].

والثالث:وقال مقاتل: وذلك أن قريشا قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: من ربك! فقال: «ربي الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» فقالوا: أنت كذاب ما اختصك الله بشيء وما أنت عليه بأكرم منا فأنزل الله- عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم {الحمد لله...}"[٣].

والرابع: أنها نزلت في أهل الكتاب. قاله علي بن ابي طالب[٤]، وابن أبزى[٥].

٢-{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)} [الأنعام : ٧]

قال الكلبي ومقاتل[٦]: "نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد! لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا في قِرْطَاسٍ}[٧]. [موضوع]

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨١):ص١٢٥٩/٤.

(٢) بحر العلوم:٤٣٣/١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٨/١-٥٤٩.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨٦):ص١٢٦٠/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٤٥):ص٢٥٣/١١، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨٧):ص١٢٦٠/٤.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٠/١.

(٧)ذكره البغوي في "تفسيره" (٣/ ١٢٩) هكذا معلقاً عنهما, ولايخفى عليك ضعفه ووهائه.

وفي السياق نفسه ذكر ابن أبي زمنين عن الحسن، قال:" وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية:بكتاب يقرءونه، وقالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله إلى كل رجل باسمه؛ أن آمن بمحمد؛ فإنه رسولي"(١).

٣-{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨)} [الأنعام : ٨]

قال ابن إسحاق:" دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه إلى الإسلام وكلمهم، فأبلغ إليهم فيما بلغني، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعبدة بن عبد يغوث، وأبيّ بن خلف بن وهب، والعاص بن وائل بن هشام الذي يقول له: لو جعل معك يا محمدملك يحدث عنك الناس ويرى معك؛ فأنزل الله في ذلك من قولهم {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ}"(٢). [ضعيف]

٤-{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)} [الأنعام : ١٠]

قال محمد بن إسحاق: "ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}"(٣).[ضعيف]

نقل السمرقندي عن الضحاك: "كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد الحرام مع المستضعفين من المؤمنين بلال بن رباح وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وغيرهم. فمر بهم أبو جهل بن هشام في ملأ من قريش وقال: يزعم محمد أن هؤلاء ملوك أهل الجنة فأنزل الله تعالى عل رسوله هذه الآية ليثبت بها فؤاده، ويصبره على أذاهم فقال: :{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ}"(٤).

وقال مقاتل:" وذلك أن مكذبي الأمم الخالية، أخبرتهم رسلهم بالعذاب فكذبوهم، بأن العذاب ليس بنازل بهم. فلما كذب كفار مكة النبي- صلى الله عليه وسلم- بالعذاب حين أوعدهم استهزءوا

---

(١) تفسير ابن ابي زمنين:٢/٥٩.

(٢)أخرجهابنأبيحاتمفي "تفسيره" (٤/ ١٢٦٥ رقم ٧١٢٠) حدثنامحمدبنالعباسثنامحمدبنعمروثناسلمةعنهبه.

ذكرهالسيوطيفي "الدرالمنثور" (٣/ ٢٥١) وزادنسبتهلابنالمنذر.

قننا: وسندهضعيف.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٣٧):ص١٢٦٧/٤.

(٤) بحر العلوم:١/٤٣٦.

منه، فأنزل الله يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب فقال: :{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ}"[1].

٥-{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)} [الأنعام : ١٣]

نقل الواحدي عن الكلبي عن ابن عباس: "إن كفار مكة أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية"[2]. [ضعيف]

٦-{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)} [الأنعام : ١٤]

قال البغوي:" وهذا حين دعا إلى دين آبائه، فقال تعالى: قل يامحمد {أغير الله أتخذ وليا}"[3].

٧-{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)} [الأنعام : ١٩]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمير، فقالوا: يا محمد! ما تعلم مع الله إلهاً غيره، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا إله إلا الله، بذلك بُعثت وإلى ذلك أدعو»؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيهم وفي قولهم: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)}[4]. [ضعيف]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/١.

(٢) أسباب النزول:٢١٣-٢١٤. الكلبي هو ممن يضع الحديث، فالخبر لاشيء.

(٣) تفسير البغوي:١٣٢/٣.

(٤)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان"(١٣١٢٩):ص٢٩٣/١١، وذكر الطبري أن هذا الإسناد لم تثبت صحته عندهـ قال المحقق:"وهذه أول مرة يذكر أبو جعفر أن هذا الإسناد لم تثبت صحته عنده ، كما قدم قبل ذكره".

والثاني: نقل الواحدي عن الكلبي: "إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[1].[ضعيف]

٨-{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)} [الأنعام : ٢٠]

قال مقاتل:" وأنزل في قولهم:«لقد سألنا عنك أهل الكتاب فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر»، فقال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ}، أي: صفة محمد- صلى الله عليه وسلم- فى كتبهم، { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ}...إن عبد الله بن سلام قال: لأنا أعرف بمحمد- عليه السلام- مني بابني، لأني لا أعلم ما أحدثت فيه أمه"[2].

٩-{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)} [الأنعام : ٢١]

وهذا سند ضعيف ؛لجهالة محمد هذا؛ فلم يرو عنه إلا ابن إسحاق ، وقال الذهبي في "الميزان": لايعرف، وقال ابن حجر: مجهول.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٥٦) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وهو عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٧١٦٨):ص٤/ ١٢٧٢،معضلاً.

(١) أسباب النزول:٢١٤. الكلبي هو ممن يضع الحديث، فالخبر لاشيء.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٤/١.

وأما قول عبدالله بن سلام، فقد سبق الإشارة إليه في سبب نزول الآية(١٤٦) من سورة البقرة، وهو قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)} [البقرة: ١٤٦]:

قال الواحدي: " نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان؛ قال عبد الله بن سلام: لأنا أشد معرفة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذاك يا ابن سلام؟ قال: لأني أشهد أن محمدا رسول الله حقا يقينا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأني لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام".[أسبابالنزول: ٤٤،وانظر: العجاب: ١/ ٣٩٨ – ٣٩٩].

عن عكرمة قال: قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فأنزل الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}"[1].

١٠-{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)} [الأنعام : ٢٥]

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: "إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيا ابني خلف، استمعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[2].

وفي السياق نفسه قال البغوي:" قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر، يستمعون القرآن فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول إلا أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها ، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقا، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية: للموت أهون علينا من هذا، فأنزل الله عز وجل: {ومنهم من يستمع إليك}"[3].

١١-{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)} [الأنعام : ٢٦]

في سبب نزول الآية قولان:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٧٣):ص١٢٧٣/٤.

(٢) أسباب النزول:٢١٤-٢١٥. أبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) تفسير البغوي:١٣٦/٣.

أحدهما: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-؛: "نزلت في أبي طالب، كان نهى المشركين أن يؤذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتباعد عما جاء به "[1]. [حسن لغيره] وروي عن عطاء بن دينار[2] نحو ذلك.

وعن القاسم بن مخيمرة؛ قال: "نزلت في أبي طالب كان ينهى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يؤذي ولا يصدق به "[1]. [حسن لغيره]

---

(١)أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣١٥) -وعنه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٤٠، ٣٤١) -، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٤) من طريق محمد بن منده الأصبهاني ثنا بكر بن بكار ثنا حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: حبيب بن أبي ثابت؛ مدلس وقد عنعنه، ورواه عنه الثوري كما سيأتي؛ فقال: عمن سمع ابن عباس.

الثانية: بكر بن بكار؛ ضعيف؛ ضعفه النسائي، وابن معين، وأبو حاتم، وابن الجارود، وابن أبي حاتم وغيرهم، راجع: "الميزان" (١/ ٣٤٣ رقم ١٢٧٤)، و"اللسان" (٢/ ٤٨ رقم ١٧٨) وغيرها.

والصواب: أن حبيب لم يسمعه من سعيد؛ كذا رواه الثقة الثبت الحافظ الثوري؛ فأخرجه عبد الرزاق في "التفسير" (١/ ٢/ ٢٠٦) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣١٧٢):ص٣١٣/١١، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٤٠) -، والطبري -أيضاً- من طريق أخرى (٧/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٧٦، ١٢٧٧ رقم ٧١٩٩)، والحاكم (٢/ ٣١٥) -وعنه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٤٠) - من طرق عن الثوري -وهذا في "تفسيره" (١٠٦ - ١٠٧/ ٢٦٤) - عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس به.

ورواه الطبراني في "الكبير" (١٢/ ١٠٤ رقم ١٢٨٢) من طريق قيس بن الربيع عن حبيب عن ابن عباس، وهذا كما ترى شبه الموصول، وليس الأمر كذلك؛ فقيس ضعيف لا يعادل الثوري في الحفظ، والصواب أن حبيباً لم يسمعه، فعلته الانقطاع.

أما الحاكم، فقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: صحيح!!

وفاتهما ما ذكرنا.

وتوبع الإمام الثوري: تابعه حماد بن شعيب عن حبيب به؛ أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٥/ ١٠ - ١١/ ٨٧٤ - تكملة).

قلنا: وحماد ضعيف يستشهد به.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢)أخرجه الطبري (١٣١٧٨):ص٣١٤/١١،بسند صحيح إليه.

قلنا: وسندهضعيف؛لإعضاله.

وعن سعيد بن أبي هلال؛ قال:" نزلت في عمومة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر"(٢). [ضعيف]

والثاني: أنها: نزلت في كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - ويتباعدون بأنفسهم عنه، قاله محمد بن الحنفية(٣)، والسدي(٤)، والضحاك(٥)، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي(٦).

١٢-**{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)} [الأنعام : ٣٣]**

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها:عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: "قال أبو جهل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به؛ فأنزل الله: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ. . .}"(٧). [ضعيف]

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣١٧٣):ص٣١٣/١١، من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن القاسم به.

قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات، فيرتقي حديث ابن عباس السابق إلى درجة الحسن لغيره بمجموعهما -إن شاء الله-، والله أعلم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبته لابن أبي شيبة -ولم نجده فيه بعد طول بحث- وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٧٧ رقم ٧٢٠٤): ثنا أبي ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عنه به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ مسلسل بالعلل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: ابن لهيعة؛ سيئ الحفظ.

الثالثة: الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية، وقد عنعنه.

(٣)انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد.

(٤)انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد.

(٥)انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد، والوالبي: هوعلي بن أبي طلحة وهو لم يسمع من ابن عباس.

(٧)أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦١ رقم ٣٠٦٤) –ومن طريقه القاضي عياض في "الشفا" (١/ ١٣٤) – والدارقطني في "العلل" (٤/ ١٤٣، ١٤٤)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣٤)،والضياء المقدسي في "الأحاديث

وفي السياق نفسه روي عن أبي ميسرة؛ قال: "مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبي جهل، فقال: والله يا محمد ما نكذبك؛ إنك عندنا لمصدق، ولكنا نكذب بالذي جئت به؛ فأنزل الله: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} "[1]. [ضعيف]

وعن أبي صالح؛ قال: "كان المشركون إذا رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة؛ قال بعضهم لبعض فيما بينهم: إنه لنبي؛ فنزلت هذه الآية: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}"[1]. [ضعيف]

المختارة" (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥ رقم ٧٤٨) –من طريق معاوية بن هشام القصار عن الثور يعن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي.

قلنا: وهذا سند ضعيف ؛فيه علتان:

الأولى: أبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن، ولم يصرح بالتحديث. أما اختلاطه؛ فالراوي عنه هنا الثوري وقد سمع منه قبل الاختلاط.

الثانية: المخالفة؛ فرواه عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن آدم عن الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب به مرسلاً، لم يذكر علياً.

أخرجه الترمذي، والطبري في "جامع البيان" (١٣١٩٥)، و(١٣١٩٦):ص٣٣٤/١١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣٥)، والضياء المقدسي في "المختارة" (٢/ ٣٦٥) وهو أصح.

وقد خالفهما معاوية -وهو صدوق له أوهام- فرواه موصولاً مسنداً، وهو وهم، والصواب الإرسال.

قال الترمذي بعد روايته من طريق ابن مهدي مرسلاً: "وهذا أصح".

وقال الدارقطني في "العلل" (٤/ ١٤٣ رقم ٤٧٤) -عن حديث ناجية بن كعب-: "يرويه الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي؛ قاله معاوية بن هشام عن الثوري.

وغيره يرويه عن الثوري مرسلاً لا يذكر فيه علياً، وهو المحفوظ". ا. هـ.

لكن رواه الحاكم (٢/ ٣١٥) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به موصولاً مثل رواية معاوية بن هشام، فلعل الحديث مروي من الوجهين. أما الحاكم؛ فقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: فيه ناجية بن كعب ولم يخرجا له شيئاً".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦٣) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه.

(١)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٦٤)،والشوكاني في "فتح القدير" (٢/ ١١٣) ونسباه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

وذكره الدارقطني في "العلل" (٤/ ١٤٣)،وقال: "ورواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة مرسلاً عن النبي – صلى الله عليه وسلم -".

قلنا: وأبوإسحاق مدلس مختلط وقد عنعنه، ورواية إسرائيل عنه بعد اختلاطه؛كما قال الإمام أحمد.

والثاني: وقال مقاتل:"نزلت فى الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي. كان الحارث يكذب النبي- صلى الله عليه وسلم- في العلانية فإذا خلا مع أهل ثقته، قال: ما محمد من أهل الكذب، وإني لأحسبه صادقا وكان إذا لقي النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: إنا لنعلم أن هذا الذي تقول حق وإنه لا يمنعنا أن نتبع الهدى معك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس، يعني: العرب من أرضنا إن خرجنا فإنما نحن أكلة رأس ولا طاقة لنا بهم نظيرها في القصص {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}[٢]، فأنزل الله: قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون"[٣].

والثالث: وعن أبي صالح في قوله: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ}؛ قال: "جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وهو جالس حزين، فقال له:ما يحزنك؟، فقال: كذبني هؤلاء، قال: فقال له جبريل:{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} هم يعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"[٤]. [ضعيف]

١٣-{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)} [الأنعام : ٣٤]

قال مقاتل:"وذلك قبل كفار مكة لأن كفار مكة قالوا: يا محمد ما يمنعك أن تأتينا بآية كما كانت الأنبياء تجيء بها إلى قومهم، فإن فعلت صدقناك وإلا فأنت كاذب. فأنزل الله يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- ليصبر على تكذيبهم إياه وأن يقتدي بالرسل قبله :{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ}[٥].

١٤-{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)} [الأنعام : ٣٧]

قال ابن عباس: "نزلت في رؤساء قريش"[٦].

١٥-{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)} [الأنعام : ٣٩]

---

(١)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٦٤) ونسبه لأبي الشيخ.

(٢)[القصص : ٥٧].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٨/١، وانظر: اسباب النزول للواحدي:٢١٦.

(٤) أخرجه الطبري(١٣١٩١):ص٣٣٢/١١-٣٣٣. مرسل صحيح الإسناد.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٩/١.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٢.

قال مقاتل:"{مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ}عن الهدى، نزلت في بني عبد الدار ابن قصي،{وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، يعني: على دين الإسلام، منهم علي بن أبي طالب، والعباس، وحمزة، وجعفر"(١).

قال ابن عطية:"{ولكن الذين كذبوا صم وبكم}..ظاهر الآية أنها تعم كل مكذب، وقال النقاش نزلت في بني عبد الدار"(٢).

١٦-{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)} [الأنعام : ٥٠]

عن ابن عباس في رواية أبي صالح:" أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزا فتستغني به، فانك فقير محتاج أو تكون لك جنة تأكل منها، فانك تجوع، فنزلت هذه الآية"(٣).

قال السمعاني:"قوله - تعالى -: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ}، أنزل هذا حين اقترحوا الآيات، وكانوا يقولون: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء، وسائر مااقترحوا من الآيات؛ فنزل قوله: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ}، فأعطيكم ما تريدون"(٤).

قال البغوي:"نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: {لا أقول لكم عندي خزائن الله}"(٥).

قال ابن عطية: هذه الآية"من الرد على القائلين لولا أنزل عليه آية والطالبين أن ينزل ملك أو تكون له جنة أو أكثر أو نحوهذا، والمعنى: لست بهذه الصفات فيلزمني أن أجيبكم باقتراحاتكم"(٦).

١٧-{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)} [الأنعام : ٥١]

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس:"مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده خباب وبلال وصهيب فقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، أتأمرنا أن نكون

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٦٠/١.

(٢) المحرر الوجيز:٢٩٠/٢.

(٣) انظر: زاد المسير:٣١/٢، وأبوصالح لم يسمع ابن عباس فهو منقطع.

(٤) تفسير السمعاني:١٠٥/٢-١٠٦.

(٥) تفسير البغوي:١٤٥/٣.

(٦) المحرر الوجيز:٢٩٤/٢.

تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلنا نتبعك. فأنزل الله:{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ}، إلى قوله: {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام : ٥٥]، الآيات:[٥٢- ٥٥]"[(١)].

وعنه –أيضا-رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت هذه الآية: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ} في بلال، وصهيب، وعمار، ومهجع، وعامر بن فهيرة، وخباب، وسالم"[(٢)]. [موضوع]

١٨- {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)} [الأنعام : ٥٢ - ٥٣]

في سبب نزول الآيات:[٥٢، ٥٣]قولان:

أحدها: روي عن سعد بن أبي وقاص؛ قال: "فيّ نزلت: {وَلَا تَطْرُدِ. . .}؛ قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء. وفي رواية: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في ستة نفر، فقال المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم -: اطرد هؤلاء؛ لا يجترؤون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ما شاء أن يقع، فحدث نفسه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}[(٣)]. [صحيح]

وفي السياق نفسه لاوي عن عبدالله بن مسعود:" مرّ الملأ من قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد! اطردهم، أرضيت هؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(٧٣٢٦):ص١٢٩٦/٤.

(٢)أخرجه أبونعيم الأصبهاني في "معرفة "الصحابة" (٥/ ٢٦١٤ رقم ٦٢٩٦)،وابن منده في "معرفة "الصحابة"، وأبوموسى المديني في "الصحابة"؛ كما في "أسد الغابة" (٤/ ٥٠٤)،و"الإصابة" (٣/ ٤٦٧) من طريق السدي الصغيرعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا موضوع؛من دون ابن عباس متهمون.

(٣)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٨٧٨ رقم ٢٤١٣)، والنسائي في "الكبرى" (٥/ ٧٢، ٧٣ رقم ٨٢٦٤، ٨٢٦٦)، و"التفسير" (١/ ٤٦٩، ٤٧٠ رقم ١٨٣) وغيرهما كثير. وفي رواية لابن ماجه (٢/ رقم ٤١٢٨)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٥) تسمية الستة وهم: ابن مسعود وسعد وصهيب وعمار والمقداد وبلال، وفي سنده قيس بن الربيع؛ قال الحافظ: "صدوق، تغيّر لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به".

بيننا؟ فلعل إن طردتهم أن نأتيك، قال: فنزلت: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}"[1].[ضعيف]

والثاني: روي عن خباب بن الأرت؛ قال: "جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً، تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك؛ فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا؛ فاقعد معهم إن شئت، قال: "نعم"، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية؛ فنزل جبريل -عليه السلام- فقال: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فقال: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)} ثم قال: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}؛ قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا؛ فأنزل الله: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ

---

(١)أخرجه أحمد في "المسند" (١/ ٤٢٠)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٢٥٥):ص١١/٣٧٤-٢٧٥، والبزار في "مسنده" (٣/ ٤٨، ٤٩ رقم ٢٢٠٩ - كشف)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/ ٢١٧ رقم ١٠٥٠٢)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٩٦ رقم ٧٣٢٦)، وأبو الشيخ في "تفسيره" -وعنه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٦) - من طريق أشعث بن سوار عن كردوس الثعلبي عن ابن مسعود به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه أشعث بن سوار وهو ضعيف؛ كما في "التقريب"، وكردوس هذا؛ روى عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣)، وقال ابن معين: "مشهور"؛ كما في "تهذيب الكمال" (٢٤/ ١٧٠)، ووثقه الهيثمي؛ فرجل هذا حاله لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن خاصة أنه من التابعين، والله أعلم.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٢٠، ٢١): "رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال "الصحيح"! غير كردوس وهو ثقة".

وصححه الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في "تحقيقه للمسند" (٦/ ٣٦، ٣٧ رقم ٣٩٨٥) وقد وهما في ذلك، والصواب ما قدمنا.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٢) وزاد نسبته لابن مردويه وأبي نعيم.

عَنْهُمْ} ولا تجالس الأشراف {تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}؛ يعني: عيينة والأقرع، {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨] , قال: هلاكاً، قال: أمر عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم "[1]. [حسن]

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة في "مسنده" (١/ ٣١٨، ٣١٩ رقم ٤٧٧)، و"مصنفه" (١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨ رقم ١٢٥٦٤) - ومن طريقه الطبراني في "المعجم الكبير" (٤/ ٧٥، ٧٧ رقم ٣٦٩٣)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ١٤٦، ١٤٧) - ومن طريقه المزي في "تهذيب الكمال" (٣٤، ٢٣٠، ٢٣١) -، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" -ومن طريقه البيهقي في "الشعب" (٧/ ٣٣٤/ ١٠٤٩) -، وأبو يعلى في "مسنده"؛ كما في "تخريج أحاديث الكشاف" (١/ ٤٣٩)، و"المطالب العالية" (٨/ ٥٦٨، ٥٦٩ رقم ٣٩٧٧)، و"إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ١٠٧، ١٠٨ رقم ٧٧٤٣)، والبزار في "البحر الزخار" (٦/ ٦٩، ٧١ رقم ٢١٢٩، ٢١٣٠)، وابن ماجه في "سننه" (٢/ ١٣٨٢، ١٣٨٣ رقم ٤١٢٧)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٢٥٨):ص٣٧٦/١١-٣٧٧، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٩٧ رقم ٧٣٣١)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١/ ١٥٧، ١٥٨)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٥، ١٤٦)، و"الوسيط" (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥)، والخطيب البغدادي في "الأسماء المبهمة" (ص ٤٨٣)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (١/ ٣٥٢، ٣٥٣) من طريق حكيم بن يزيد وأسباط بن نصر كلاهما عن السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب به.

قلنا: وهذا إسناد حسن -إن شاء الله-، السدي صدوق يهم؛ كما في "التقريب" وأبو سعيد الأزدي أو أبو سعد الأزدي؛ صدوق -إن شاء الله-؛ روى عنه جمع ووثقه ابن حبان (٥/ ٥٦٨)، ولخصه الحافظ بقوله: "مقبول"، وأما أبو الكنود؛ فهو ثقة روى عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان (٥/ ١٤٤) وكذا ابن سعد في "الطبقات" (٦/ ١٧٧)، ولخصه الحافظ بقوله: "مقبول".

ويشهد له في الجملة ما سبق؛ فيرتقي إلى درجة الصحيح لغيره -إن شاء الله-.

قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧ رقم ١٤٦٢): "هذا إسناد صحيح، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" عن أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر فذكره بإسناده ومتنه. . . وأصله في "صحيح مسلم" وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص".

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٣٩): "وهذا حديث غريب؛ فإن الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بشهر".

وصححه شيخنا في "صحيح ابن ماجه".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٣) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

قال ابن عطية: "وهذا تأويل بعيد في نزول الآية، لأن الآية مكية وهؤلاء الأشراف لم يفدوا إلا في المدينة، وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة اللهم إلا تكون الآية مدنية"[1].

والراجح-والله أعلم- أن سبب نزول هذه الآيات حديث سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لصحة إسناده، وموافقته للفظ الآية، وتصريحه بالنزول، واحتجاج المفسرين به مع عدم المعارض الراجح.

وقد ذكرت المصادر مجموعة من الروايات التي لا تصح وذلك لاعتلال إسنادها، نذكر منها على سبيل البيان:

- عن عكرمة:"جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل، في أشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا؛ فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا؛ كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لأتباعنا إياه، وتصديقاً له، قال: فأتى أبو طالب النبي - صلى الله عليه وسلم - فحدثه بالذي كلموه به، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلام يصيرون من قولهم؛ فأنزل الله -تعالى- هذه الآية: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)}"[2]. [ضعيف]

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٢٩٥.

(٢)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٢٦٤):ص١١/٣٧٩-٣٨٠ -: ثنا حجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع عن عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" هذا؛ ضعيف؛ ضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهما.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٢) وزاد نسبته لابن المنذر

- وروى أبو صالح عن ابن عباس: "أن هذه الآيات نزلت في الموالي، منهم بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، ومهجع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة وأن قوله:{وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم} نزلت فيهم أيضا"[١].[ضعيف]
- وعن الربيع بن أنس؛ قال: "كان رجال يستبقون إلى مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ منهم: بلال، وصهيب، وسلمان، فيجيء أشراف قومه وسادتهم وقد أخذ هؤلاء المجلس فيجلسون ناحية، فقالوا: صهيب: رومي، وسلمان: فارسي، وبلال: حبشي، يجلسون عنده ونحن نجيء فنجلس ناحية، حتى ذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أنا سادة قومك وأشرافهم، فلو أدنيتنا منك إذا جئنا؟ قال: فَهَمَّ أن يفعل؛ فأنزل الله: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} "[٢]. [ضعيف]
- وعن مجاهد؛ قال: "كان أشراف قريش يأتون النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده بلال وسلمان وصهيب وغيرهم؛ مثل: ابن أم عبد وعمار وخباب، فإذا أحاطوا به؛ قال أشراف قريش: بلال: حبشي، وسلمان: فارسي، وصهيب: رومي، فلو نحاهم لأتيناه؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}"[٣]. [ضعيف]
- وعن قتادة؛ قال: إن ناساً من كفار قريش قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن سرك أن نتبعك! فاطرد عنك فلانًا وفلاناً ناساً من ضعفاء المسلمين، فقال الله: {وَلَا تَطْرُدِ

---

(١)عزاه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٢/٢، لأبي صالح عن ابن عباس، وأبوصالح غير ثقة في ابن عباس، وراويته الكلبي يضع الحديث، والمتن منكر جدا بذكر سلمان فإن إسلامه كان في المدينة، والسورة مكية.

(٢)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٩٨ رقم ٧٣٣٢): ثنا أبي ثنا سهل بن عثمان ثنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عنه به.

قلنا: هذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٤، ٢٧٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٣)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٧٥) ونسبه لابن عساكر.

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}"[١]. [ضعيف]

- وعن عمر بن عبد الله بن المهاجر مولى غفرة؛ أنه قال في أسطوان التوبة: "كان أكثر نافلة النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها، وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء، والمساكين، وأهل الضر، وضيفان النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤلفة قلوبهم، ومن لا مبيت له إلا المسجد، قال: وقد تحلقوا حولهاحلقاً بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح، فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، ويحدثهم ويحدثونه، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى فلم يجدوا إليه مخلصاً؛ فتاقت أنفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} إلى منتهى الآيتين، فلما نزل ذلك فيهم؛ قالوا: يا رسول الله! لو طردتهم عنا ونكون نحن جلساءك وإخوانك لا نفارقك؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} "[٢]. [ضعيف]
- وعن ابن عباس" -رضي الله عنهما-؛ أنه قال: "نزلت هذه الآية: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} في بلال، وصهيب، وعمار، وخباب، وسعد بن خولة، ومالك بن خولي وأصحابهم "[٣]. [موضوع]
- وعن الكلبي في قوله -تعالى-: "{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}؛ قال عيينة بن حصن للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن سرّك أن

---

(١)أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٠٨) –ومن طريقه الخطيب في "الأسماء المبهمة" (ص ٤٨٢) -: نا معمر عن قتادة.

قلنا: وهذامرسل رجاله ثقات.

(٢)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٧٤) ونسبه للزبير بن بكار في أخبار المدنية.

(٣)أخرجه أبونعيم الأصبهاني في "معرفة "الصحابة" (٣/ ١٢٨٢ رقم ١٢٨٤، ٣٢١٨، ٥/ ٢٦١٤ رقم ٦٢٩٥) م نطريق عبد الغني بن سعيد الثقفي ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاءعن ابن عباس به.

قلنا: وهذا موضوع؛كما تقدم بيانه مرارا.

نتبعك؛ فاطرد عنك فلانًا وفلاناً؛ فإنه قد آذاني ريحهم؛ يعني: بلالاً، وسلمانَ، وصهيباً، وناساً من ضعفاء المسلمين؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}"[1]. [موضوع]

- وروى عن ابن عباس أيضا: قوله : "{وكذلك فتنا بعضهم ببعض}[2] الآية ، فهم أناس كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الفقراء ، فقال أناس من أشراف الناس : نؤمن لك ، وإذا صلينا فأخِّر هؤلاء الذين معك فليصلُّوا خلفنا! "[3].

قال ابن الجوزي:"فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصف، وعلىالأقوال التي قبله،سألوه طردهم عن مجلسه"[4].

١٩-{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)} [الأنعام : ٥٤]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن ماهان؛ قال: "جاء قوم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أصابوا ذنوباً عظاماً، فما أخاله رد عليهم شيئاً، قال: فأنزل: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"[5]. [ضعيف]

---

(١)أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٠٧) عن معمرعن الكلبي.

قلنا: وهذا كذب؛ فالكلبي متهم،اعترف بنفسه بالكذب.

(٢) [الأنعام:٥٣].

(٣)أخرجه الطبري(١٣٢٨٣):ص٣٨٥/١١،عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف جدا، فيه عطية العوفي ضعيف، وعنه مجاهيل.

(٤) زاد المسير:٣٢/٢-٣٣.

(٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٢٩١):ص٣٩٠/١١-٣٩١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٠٠/ ٧٣٤٥)، ومسدد في "مسنده"؛ كما في "المطالب العالية" (٨/ ٥٦٧ رقم ٣٩٧٣ - المسندة)، و"إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ٧٢ رقم ٧٦٦١ - ط الرشد)، وسفيان الثوري في "تفسيره" (ص ١٠٧ رقم ٢٦٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان وقبيصة وأبي نعيم ثلاثتهم عن الثوري عن مجمع التميمي قال: سمعت ماهان به.

قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات.

وأما البوصيري؛ فقال: "هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة بعض رواته".

وذكر ابن عطية والقرطبي عن الفضيل بن عياض نحو ذلك[١].

قال ابن عطية:"وهي على هذا تعم جميع المؤمنين دون أن تشير إلى فرقة"[٢].

والثاني:أنها نزلت في القوم من المؤمنين الذين صوبوا رأي أبي طالب في طرد الضعفة، فأمر الله نبيه أن يسلم عليهم ويعلمهم أن الله يغفر لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره. وهذا قول عكرمة[٣]، وعبد الرحمن بن زيد[٤]، والكلبي[٥].

قال عكرمة:"جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عديّ ، والحارث بن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، في أشراف من بني عبد مناف من الكفار ، إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءَنا ، فإنما هم عبيدنا وعُسَفاؤنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتّباعنا إياه ، وتصديقنا له! قال : فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلتَ ذلك ، حتى تنظر ما الذي يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية : {وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه} إلى قوله :{أليس الله بأعلم بالشاكرين}، قال : وكانوا : بلال ، وعمارُ بن ياسر ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وصبيح مولى أسيد ومن الحلفاء : ابنمسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القاريّ ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ، ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد ، من غنيّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء.ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: {وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا

قلنا: وليس كما قال؛ فإن رجاله كلهم ثقات، وما فيه علّة سوى الإرسال.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٦) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

وذكره الواحدي في اسباب النزول:٢١٩، حكاه دون ذكر الإسناد.

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٦/٢-٢٩٧، وتفسيرالقرطبي:٤٣٥/٦.

(٢) المحرر الوجيز:٢٩٦/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٤):ص٣٧٩/١١-٣٨٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٥):٣٨٠/١١-٣٨١.

(٥) حكاه عنه ابن ابي زمنين في تفسيره:٧١/٢.

أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا} الآية. فلما نزلت ، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مَقالته ، فأنزل الله تعالى ذكره :{وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم} ، الآية"[١].[ضعيف]

وقال ابن زيد: "قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أستحيي من الله أن يرَاني مع سلمان وبلال وذَويهم ، فاطردهم عنك ، وجالس فلانًا وفلانًا! قال فنزل القرآن :{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه}، فقرأ ، حتى بلغ : {فتكون من الظالمين}، ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلا أن تطردهم . ثم قال : {وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين}، ثم قال : وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم ، فأبلغهم منّي السلام ، وبشرهم وأخبرهم أني قد غفرت لهم! وقرأ : {وإذا جاءك الذين يؤمنونبآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة}، فقرأ حتى بلغ :{وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين}، قال : لتعرفها "[٢].

وقال الكلبي:"أن أبا طالب هو الذي قال للنبي: اطرد فلانا وفلانا وفلانا، وأن ناسا من أصحاب النبي قالوا: يا رسول الله، صدق عمك؛ فاطرد عنا سفلة الموالي، فعاتبهم الله في الآية الأولى، فجاءوا يعتذرون إلى رسول الله من سقطتهم، ويسألونه أن يعفو عنهم، فأنزل الله: {وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم} أمره الله أن يسلم عليهم"[٣].

والثالث: وحكي عن ابن عباس:"نزلت الآية في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي"[٤].

وقال عطاء: "نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي، الله عنهم أجمعين"[١].

---

(١)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في تفسيره(١٣٢٦٤):ص٣٧٩/١١-٣٨٠، ثنا حجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع عن عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" هذا؛ ضعيف؛ ضعفه أبوحاتم والنسائي وغيرهما.

(٢) أخرجه الطبري(١٣٢٦٥):٣٨٠/١١-٣٨١.

(٣) تفسير ابن ابي زمنين:٧١/٢.

(٤) عزاه غليه القرطبي في تفسيره: ٤٣٥/٦.

وقال مقاتل:"نزلت في عمر بن الخطاب تاب من بعد السوء، يعني: الشرك"[٢].

والرابع: وذكر الواحدي عن عكرمة:أنها " نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - عن طردهم، فكانإذا رآهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بدأهم بالسلام وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام"[٣]. وذكره القرطبي دون نسبته لاحد[٤].

قال ابن عطية:"قال جمهور المفسرين: الذين يراد بهم القوم الذين كان عرض طردهم فنهى الله عز وجل عن طردهم، وشفع ذلك بأن أمر بأن يسلم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ويؤنسهم"[٥].

٢٠-{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)} [الأنعام : ٥٥]

عن ابن عباس قال: "مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده خباب وبلال وصهيب فقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، أتأمرنا أن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلنا نتبعك. فأنزل الله: {وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم} إلى قوله: {ولتستبين سبيل المجرمين}. الآيات:[٥٢- ٥٥]"[٦].

٢١-{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦)} [الأنعام : ٥٦]

قال مقاتل:"{قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}، إن اتبعت أهواءكم، وذلك حين دعي إلى دين آبائه"[٧].

٢٢-{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)} [الأنعام : ٥٧]

---

(١) تفسير البغوي:١٤٨/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٦٤/١.

(٣) أسباب النزول:٢١٨-٢١٩، حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤) انظر: تفسير القرطبي:٤٣٥/٦.

(٥) المحرر الوجيز:٢٩٦/٢.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٢٦):ص١٢٩٦/٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٦٤/١.

نقل الواحدي عن الكلبي، قال: "نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش، كانوا يقولون: يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به. استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية"[١].[ضعيف] وذكر مقاتل نحو هذا المعنى[٢].

٢٣-{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)} [الأنعام : ٦٥]

عن زيد بن أسلم؛ قال: "لما نزلت: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ}؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف"، فقالوا: ونحن يا رسول الله؟ نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: "نعم"، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً؛ فأنزل الله -تعالى-: {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)} "[٣]. [ضعيف]

٢٤-{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)} [الأنعام : ٦٨]

عن ابن جريج عن مجاهد قوله:"{وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا}، قال : يستهزئون بها. قال : نُهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم. فذلك قوله : {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين }، قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت : " وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم " ، الآية"[٤].

٢٥-{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)} [الأنعام : ٦٩]

---

(١) أسباب النزول:٢١٩. الكلبي ضعيف.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٦٤/١.

(٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٣٧٨):ص٤٣٠/١١،وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣١٢ رقم ٧٤١٨) من طريق المؤمل بن إسماعيل البصري نا يعقوب بن إسماعيل عن زيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف ؛لإرساله، ومؤمل هذا؛صدوق سيئ الحفظ.

(٤) أخرجه الطبري(١٣٣٩٣):ص٤٣٨/١١.

روى البغوي عن ابن عباس قال:" لما نزلت هذه الآية: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}، قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا؟ وفي رواية قال المسلمون: فإنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله عز وجل: { وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ}.."[1].

٢٦-{قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)} [الأنعام : ٧١]

في سبب نزول الآية وجهان:

احدهما: قال السدي:" قال المشركون للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد = صلى الله عليه وسلم. فقال الله تعالى ذكره: {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا}"[2].

والثاني: حكى أبو صالح عن ابن عباس : "أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وامرأته حين دعَوا ابنهما عبد الرحمن إلى الإسلام والهدى أن يأتيهما"[3].

قال القرطبي:" وقال في رواية أبي صالح: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام والمسلمون، وهو معنى قوله: (له أصحاب يدعونه إلى الهدى) فيأبى. قال أبو عمر[4]: أمه أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية، فهو شقيق عائشة. وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر بدرا واحدا مع قومه وهو وكافر، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:«متعني بنفسك»[5]. ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية. هذا قول أهل السير. قالوا: كان اسمه عبد الكعبة فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الرحمن، وكان أسن ولد أبي بكر. قال:

---

(١) تفسير البغوي:١٥٥/٣.

(٢) أخرجه الطبري(١٣٤٢٢):ص٤٥٢/١١.

(٣) انظر: النكت والعيون:١٣٢/٢.

(٤) انظر: الاستيعاب"على هامش الإصابة":٢٩/٦-٣٤.

(٥) أخرجه الحاكك في المستدرك:٤٧٤/٣-٤٧٥، وعنه البيهقي في السنن:١٨٦/٨، من طريق الواقدي عن ابن أبي زناد، عن أبيه، وانظر: التلخيص الحبير:١٠١/٤.

إنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم أربعة ولاء: أب وبنوه إلا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابنه أبا عتيق محمد بن عبد الرحمن"[1].

٢٧-**{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)} [الأنعام : ٨٢]**

في سبب نزول الآية قولان:

احدهما: قال علي-كرّم الله وجهه-: "نزلت هذه الآية في إبراهيم وأصحابه خاصة ليس في هذه الأمة"[2]. [ضعيف]

والثاني: قال بكر بن سوادة: "حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلًا، ثم حمل فقتل آخر، ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ قالوا: ما ندري حتى نذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: نعم، فضرب فرسه فدخل فيهم، ثم حمل على أصحابه فقتل رجلًا، ثم آخر، ثم آخر؛ ثم قُتِل، قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}"[3]. [ضعيف]

٢٨-**{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)} [الأنعام : ٩١]**

في سبب نزول الآية وجوه:

---

(١) تفسير القرطبي:١٨/٧-١٩.

(٢)أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٦) من طريق أبي حذيفة ثنا الثوري عن زياد بن علاقة عن زياد بن حرملة قال: سمعت علياً (وذكره).

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٣٣ رقم ٧٥٤٤)، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ١٧٠) من طريق قيس بن الربيع عن زياد بن علاقة به.

قلنا: وهو بمجموعهما حسن إلى زياد بن عِلاقة، لكن زياد بن حرمله لم نجد له ترجمة!.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٠٩) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن مردويه.

أما الحاكم؛ فقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه! "، وسكت عنه الذهبي..

(٣)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٣٣ رقم ٧٥٤٥) من طريق عبيد الله بن زحر عنه به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: عبيد الله هذا ضعيف.

أحدها: قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}؛ يعني: من بني إسرائيل، قالت اليهود: يا محمد! أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: "نعم"، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً؟ قال: فأنزل الله: قل يا محمد: {مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} , قال: "الله أنزله" [1]. [حسن]

والثاني: قال سعيد بن جبير: "جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف يخاصم النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى: أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين"، وكان حبراً سميناً؛ فغضب، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء؛ فأنزل الله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)}"[2]. [ضعيف]

وفي السياق نفسه قال عكرمة:" نزلت في مالك بن الصيف ، كان من قريظة ، من أحبار يهود :{قل} يا محمد {من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس}، الآية"[3].[ضعيف]

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٤٠):ص٥٢٣/١١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤١ رقم ٧٥٩١) من طريق المثنى وأبي حاتم الرازي كلاهما عن عبد الله بن صالح كاتب الليث ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قلنا: وهذا سند حسن -إن شاء الله-، وقد أعلّ بالانقطاع بين علي وابن عباس وبضعف عبد الله بن صالح، وليس هذا بشيء؛ كما تقدم بيانه في أكثر من حديث.

وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٣) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢)أخرجه الطبري في "جامعالبيان" (١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٢ رقم ٧٥٩٧) من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: جعفر بن أبي المغيرة؛ ليس بالقوي في سعيد؛ كما قال ابن منده.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٤) وزاد نسبته لابن المنذر.

(٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٣٦):ص٥٢٢/١١ -: ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة.

والثالث: وروي عن السدي : "{وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء}، قال : قال فنحاص اليهوديّ : ما أنزل الله على محمد من شيء!"[1].

والرابع: وقال محمد بن كعب القرظي:" جاء ناس من يهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو محتب، فقالوا: يا أبا القاسم! ألا تأتينا بكتاب من السماء؛ كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله؟ فأنزل الله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} [النساء: ١٥٣]؛ فجثا رجل من يهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)}"[2]. [ضعيف]

والخامس: وعن محمد بن كعب القرظي -أيضا-؛ قال: "أمر الله محمداً أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسدهم أن يكفروا بكتاب الله ورسله، فقالوا: {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}؛ فأنزل الله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. . .}، ثم قال: يا محمد! هلم لك إلى الخبير، ثم أنزل: {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٩] {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٤]"[3]. [ضعيف]

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(١) أخرجه الطبري(١٣٥٣٧):ص٥٢٢/١١.

قلنا: وهذا -أيضاً- ضعيف؛فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: وضعف أسباط.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٣٨):ص٥٢٢/١١-٥٢٣من طريق أبي معشر المدني عن محمد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر؛ضعيف، وكان أسن واختلط.

(٣)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٥) ونسبه لأبي الشيخ.

٢٩-{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)} [الأنعام : ٩٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أن أولها، إلى قوله: { وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}، نزل في مسيلمة الكذاب. قاله عكرمة(١)، وابن جريج(٢).

وقوله تعالى: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح(٣). وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح(١)، وابن جريج(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١-٥٣٤.

(٢) انظر: الدر المنثور:٣١٧/٣.

(٣) قال أبو عمر: "عبد الله بْن السعدي...أسلم قبل الْفَتْح، وهاجر، وَكَانَ يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارتد مشركا، وصار إلى قريش بمكة، فَقَالَ لهم: إِنِّي كنت أصرف محمدا حيث أريد، كَانَ يملي علي: «عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[البقرة: ٢٠٩] فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب. فلما كَانَ يَوْم الْفَتْح أمر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله، وقتل عَبْد اللَّهِ بْن خطل، ومقيس بْن حبابة، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففر عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أبي السرح إلى عُثْمَان، وَكَانَ أخاه من الرضاعة، أرضعت أمه عُثْمَان، فغيبه عُثْمَان حَتَّى أتى بِهِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم بعد ما اطمأن أهل مكة، فاستأمنه لَهُ، فصمت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلا، ثُمَّ قَالَ:نعم. فلما انصرف عُثْمَان قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن حوله: مَا صمت إلا ليقوم إِلَيْهِ بعضكم فيضرب عنقه. وقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يَا رَسُول اللَّهِ؟ فَقَالَ: إن النَّبِيّ لا ينبغي أن يكون لَهُ خائنة الأعين.

وأسلم عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أبي السرح أيام الْفَتْح، فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عَلَيْهِ بعد ذَلِكَ، وَهُوَ أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش، ثُمَّ ولاه عُثْمَان بعد ذَلِكَ مصر فِي سنة خمس وعشرين، وفتح على يديه إفريقية .سنة سبع وعشرين، وَكَانَ فارس بني عَامِر بْن لؤي المعدود فيهم، وَكَانَ صاحب ميمنة عَمْرو بْن الْعَاص فِي افتتاحه وفي حروبه هناك كلها. وولى حرب مصر لعثمان أيضا، فلما ولاه عمان، وعزل عنها عَمْرو بْن الْعَاص جعل عَمْرو بْن الْعَاص يطعن على عُثْمَان أيضا، ويؤلب عَلَيْهِ، ويسعى فِي إفساد أمره، فلما بلغه قتل عُثْمَان وَكَانَ معتزلا بفلسطين قَالَ: إِنِّي إذا نكأت قرحة أدميتها، أو نحو هَذَا.

حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا الحسن بن رشيق، حدثنا الدولابي، حدثنا أبو بكر الوجيهي ، عَنْ أبيهِ، عَنْ صَالِح بْن الْوَجِيهِ، قَالَ: فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ انْتُقِضَتِ الإِسْكَنْدَرِيَّةُ، فَافْتَتَحَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاص، وَقَتَلَ الْمُقَاتِلَة، وَسَبَى الذُّرِّيَة،

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- :"قوله تعالى: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ} أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)} [المؤمنون: ١٢ - ٤٢]؛ عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هكذا أنزلت عليّ"، فشك عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، وذلك قوله: {سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ} وارتد عن الإسلام "[٣].[موضوع]

عن عكرمة قوله: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}؛ نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي بني عامر بن لؤي كان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان فيما يملي: {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فيكتب: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} فيغيره، ثم يقرأ عليه

فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِرَدِّ السَّبْيِ الَّذِينَ سُبُوا مِنَ الْقُرَى إِلَى مَوَاضِعِهِمْ لِلْعَهْدِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ، وَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُ نَقْضُهُمْ، وَعَزَلَ عَمْرَو بْنَ الْعَاص، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَكَانَ ذَلِكَ بَدْءُ الشَّرِّ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاص.

وأما عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أبي سرح فافتتح إفريقية من مصر سنة سبع وعشرين، وغزا منها الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وَهُوَ الَّذِي هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم، وغزا الصواري فِي البحر من أرض الروم سنة أربع وثلاثين، ثُمَّ قدم على عُثْمَان. واستخلف على مصر السائب بن هشام ابن عَمْرو العامري، فانتزى عَلَيْهِ مُحَمَّد بْن أبي حذيفة بْن عُتْبَة بْن رَبِيعَة، فخلع السائب، وتأمر على مصر، ورجع عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد من وفادته، فمنعه ابْن أبي حذيفة من دخول الفسطاط فمضى إلى عسقلان، فأقام بها حتى قتلعُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: بل أقام بالرملة حَتَّى مات، فارا من الفتنة، ودعا ربه فَقَالَ: اللَّهمّ اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فتوضأ ثُمَّ صَلَّى الصبح، فقرأ فِي الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، ثُمَّ سلم عَنْ يمينه، وذهب يسلم عَنْ يساره، فقبض الله روحه، ذكر ذَلِكَ كله يَزِيد بْن أبي حَبِيب وغيره، ولم يبايع لعلي ولا لمعاوية، وكانت وفاته قبل اجتماع الناس على مُعَاوِيَة، وقيل: إنه توفي بإفريقية، والصحيح أَنَّهُ توفي بعسقلان سنة ست أو سبع وثلاثين".[الاستيعاب في معرفة الأصحاب:٣/٩١٨-٩٢٠].

(١) انظر: أسباب النزول" :٢٢٠.

(٢) انظر: الدر المنثور:٣/٣١٧.

(٣)ذكره الواحدي في "أسباب النزول" :٢٢٠معلقاً وهومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.

قلنا: وهذاحديثموضوع.

كذا وكذا لما حوّل، فيقول: نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وقال لهم: لقد كان ينزل عليه {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فأحوّله، ثم أقول لما أكتب فيقول: نعم سواء، ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي - صلى الله عليه وسلم – بمر"[١]. [ضعيف جداً]

وعن ابن جريج في قوله: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}؛ قال: نزلت في مسيلمة الكذاب ونحوه ممن دعا إلى مثل ما دعا إليه، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح"[٢]. [ضعيف]

والثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد. وهذا قول السدي[٣]، وأبي خلف الأعمى[٤]، وشرحبيل بن سعد[٥].

عن السدي: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}؛ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وكان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فكان إذا أملى عليه: {سَمِيعًا عَلِيمًا} كتب هو: {عَلِيمًا حَكِيمًا} وإذا قال: {عَلِيمًا حَكِيمًا} كتب: {سَمِيعًا عَلِيمًا}؛ فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه؛ فقد أوحي إليّ، وإن كان ينزله؛ فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: {سَمِيعًا عَلِيمًا}؛ فقلت أنا: {عَلِيمًا حَكِيمًا}، فلحق بالمشركين، ووشي بعمار وجبير عند ابن الحضرمي -أو لبني عبد الدار-؛ فأخذوهم، فعُذّبوا؛ حتى كفروا، وجدع أذن عمار يومئذ، فانطلق عمار إلى النبي - صلى الله عليه

---

(١)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان (١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١-٥٣٤ -: ثني حجاج عن ابن جريج عنه به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ

(٢)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٧) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) انظر: (١٣٥٥٦):ص٥٣٤/١١-٥٣٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٧٦٢٤):ص٤/ ١٣٤٦..

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي:٢٢٠-٢٢١.

وسلم - فأخبره بما لقي والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتولاه؛ فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه من كفر بالله من بعد إيمانه: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} فالذي أكره؛ عمار وأصحابه، والذي شرح بالكفر صدراً؛ ابن أبي سرح "[1]. [ضعيف]

وعن أبي خلف الأعمى؛ قال: "كان ابن أبي سرح يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح! كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت؛ فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)}"[2]. [ضعيف جداً]

عن شرحبيل بن سعد؛ قال: "نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة؛ أتى به عثمان رسول الله فاستأمن له"[3]. [ضعيف]

والرابع: أنها نزلت في مسيلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة[4].

عن قتادة؛ قال: "ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة، ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب، فكبرا عليّ وأهماني،

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٥٦):ص١١/٥٣٤-٥٣٥،وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به.

قلنا: وهذا سند ضعيف ؛فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط هذا؛صدوق كثير الخطأ يغرب.

(٢)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٤) من طريق معان بن رفاعة عنه به.

قلنا: إسناده ضعيف جداً.

(٣)أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" :٢٢٠-٢٢١بسند حسن إلى ابن بكير عن ابن إسحاق ثني شرحبيل به.

قلنا: وهذا سند ضعيف ؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: شرحبيل اختلط قبل موته.

(٤) انظر: تفسير (١٣٥٥٧):ص١١/٥٣٥.

فأوحي إليّ أن أنفخهما؛ فنفختهما، فطارا، فأولتهما في منامي الكذابين اللذين أنا بينهما: كذاب اليمامة: مسيلمة، وكذاب صنعاء: العنسي، وكان يقال له: الأسود" [١]. [ضعيف]

قال القرطبي:" {أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء} نزلت في: رحمان اليمامة والأسود العنسي وسجاح زوج مسيلمة، كلهم تنبأ وزعم أن الله قد أوحى إليه"[٢].

والخامس: أن الآية جميعها نزلت في النضر -وهو من بني عبد الدار. قاله عكرمة[٣].

عن عكرمة؛ قال: "لما نزلت: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢)} [المرسلات: ١، ٢]؛ قال النضر -وهو من بني عبد الدار-: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً وقولاً كثيراً؛ فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)} "[٤]. [ضعيف]

٣٠-{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)} [الأنعام : ٩٤]

عن عكرمة؛ قال: "قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزى؛ فنزلت هذه الآية: هذه الآية :{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، إلى قوله : { شُرَكَاءُ }" [٥]. [ضعيف]

---

(١)أخرجه الطبري (١٣٥٥٧):ص٥٣٥/١١: ثنا بشر بن معاذ العقدي ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة ثنا قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ وعبد بن حميد

(٢) تفسير القرطبي:٣٩/٧.

(٣) انظر:الدرالمنثور:٣/ ٣١٨.

(٤)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٨) ونسبه لعبد بن حميد.

(٥)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٧٣):ص٥٤٧/١١ -: ثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف، لأن سنيد هذا صاحب "التفسير" ضعيف؛ كما تقدم بيانه مراراً.

٣١-**{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)} [الأنعام : ١٠٠]**

قال الكلبي: "نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس أخوان، والله خالق الناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب، فذلك قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}"(١).[ضعيف]

قال القرطبي:" ويقرب من هذا قول المجوس، فإنهم قالوا: للعالم صانعان: إله قديم، والثاني شيطان حادث من فكر الإله القديم، وزعموا أن صانع الشر حادث. وكذا الحائطية من المعتزلة من أصحاب أحمد بن حائط، زعموا أن للعالم صانعين: الإله القديم، والآخر محدث، خلقه الله عز وجل أولا ثم فوض إليه تدبير العالم، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة. تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا"(٢).

وروي عن ابن جريج:" قوله :{وجعلوا لله شركاء الجن}، قال : قول : الزنادقة"(٣).

٣٢-**{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)} [الأنعام : ١٠٨]**

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة:"كان المسلمون يسبون أصنام الكفار؛ فيسب الكفارُ الله عدواً بغير علم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"(٤). [ضعيف]

والثاني: قال السدي:" لما حضر أبا طالب الموت؛ قالت قريش: انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه؛ فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه، فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبيّ ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط

---

(١) اسباب النزول للواحدي:٢٢١. والكلبي ضعيف.

(٢) تفسير القرطبي:٥٣/٧.

(٣) أخرجه الطبري(١٣٦٨٩):ص٩/١٢.

(٤)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢١٥)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٧٣٩):ص٣٤/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٦٦/ ٧٧٦١) عن معمر عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

وعمرو بن العاص والأسود بن البختري، وبعثوا رجلًا منهم يقال له: المطلب، قالوا: استأذن على أبي طالب، فأتى أبا طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك، فأذن لهم فدخلوا عليه، فقالوا: يا أبا طالب! أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا؛ فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تريدون"؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطيّ كلمة إن تكلمتم بها؛ ملكتم العرب، ودانت لكم بها المعجم بالخراج"؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي؟ قال: "قولوا: لا إله إلا الله"، فأبوا واشمأزوا، قال أبو طالب: يا ابن أخي! قل غيرها؛ فإن قومك قد فزعوا منها، قال: "يا عم! ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها يزيدي ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها؛ إرادة أن يؤيسهم"، فغضبوا وقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا؛ أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك؛ فذلك قوله: {فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}"[1]. [ضعيف]

٣٣-{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)} [الأنعام : ١٠٩]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قال محمد بن كعب القرظي: "كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريش، فقالوا: يا محمد! تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة؛ فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أيّ شيء تحبون أن آتيكم به"، قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: "فإن فعلت؛ تصدقوني؟ "، قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو، فجاءه جبريل -عليه السلام-، فقال له: "لك ما شئت: إن شئت أصبح ذهبًا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك؛ لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم"، فقال:

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٧٤٠):ص١٢/٣٤-٣٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٦٧ رقم ٧٧٦٢) كلاهما من طريق أسباط بن نصر ثنا السدي به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط هذا؛ صدوق كثير الخطأ ويغرب.

"بل يتوب تائبهم"؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} "[١]. [ضعيف]

والثاني: عن ابن جريج: "{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} في المستهزئين، هم الذين سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الآية، فنزل فيهم: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} "[٢]. [ضعيف]

٣٤-{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} [الأنعام : ١١١]

قال ابن جريج:"نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم الآية، فقال:"قل"، يا محمد،"إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون"، ونزل فيهم: { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا}"[٣] .

٣٥- {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٧٤٦):ص٣٨/١٢-٣٩، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٢٢-٢٢٣) من طريق أبي معشر المدني عنه.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر المدني نجيح؛ ضعيف، أسن واختلط.

(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٠) ونسبه لأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري(١٣٧٥٥):ص٤٧/١٢.

كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} [الأنعام : ١١٨ - ١٢١]

تعددت الروايات في سبب نزول الآيات[١١٨-١٢١]، على النحو الآتي:

- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "جاءت اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله؛ فأنزل الله: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[(١)]. [صحيح لغيره]

---

(١)أخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٠١ رقم ٢٨١٩)، والترمذي في "سننه" (٥/ ٢٦٣ رقم ٣٠٦٩)، والبزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٧٧)، والطبري في "جامع البيان" (٨/ ١٥)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ٣٦١، ٣٦٢ رقم ١٢٢٩٥) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٢٦٩) -، والبيهقي (٩/ ٢٤٠)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٦) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٧٠، ٢٧١) من طريق عمران بن عيينة وزياد بن عبد الله البكائي كلاهما قال: ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ عطاء كان قد اختلط، ولم يذكروا عمران أو زياداً ممن روى عنه قبل الاختلاط.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن عباس -أيضاً-، ورواه بعضهم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلاً".

قلنا: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٧٨ رقم ٧٨٣٢): ثنا أبو سعيد الأشج ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير به مرسلاً.

قلنا: وهو مرسل حسن، والموصول أصح لكنه ضعيف.

لكن يشهد له في الجملة الطريق الآتية عن ابن عباس؛ فيرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن لغيره، لكن ذكر اليهود فيه منكر، والصواب: المشركون.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٦) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

وأخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٠١ رقم ٢٨١٨)، وابن ماجه في "سننه" (٢/ ١٠٥٩ رقم ٣١٧٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٢):ص٧٩/١٢-٨٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٤٥)، والحاكم (٤/ ١١٣، ٢٣١)، والبيهقي في "الكبرى" (٩/ ٢٤١) من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ:

"يقولون: ما ذبح الله؛ فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم؛ فكلوه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}".

قلنا: سماك؛ صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وكان ربما يلقن، لكن يرتقي بسابقه لدرجة الصحيح لغيره -إن شاء الله- مع ما سيأتي.

قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٧٧): "وهذا إسناد صحيح!!

ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود؛ فهذا هو المحفوظ، لأن الآية مكية واليهود يحبون الميتة".

قلنا: وذكر اليهود إما من أوهام ابن السائب؛ فإنه اختلط، وإما من سماك؛ لأنه كان يلقن.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" (٧/ ٢٣٧)، و"الكبرى" (٣/ ٧١ رقم ٤٥٢٦، ٦/ ٣٤٢ رقم ١١١٧١) -ومن طريقه النحاس في "ناسخه" (ص ١٣٩) -، والحاكم (٤/ ٢٣٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٨١١):ص٧٩/١٢ من طريق الثوري عن هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس؛ قال: "جادل المشركون المسلمين، فقالوا: ما بال ما قتل الله لا تأكلونه، وما قتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله؟ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}".

وفي رواية: خاصمهم المشركون فقالوا: ما نذبح لا تأكلونه، وما ذبحتم أكلتموه (فذكره). . .

قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وقال النحاس عقبه: "فهذا من أصح ما مر وهو داخل في المسند".

قلنا: وهو كما قال، وهو يشهد لسابقه ويؤكد أن الصواب هو سؤال المشركين لا اليهود.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) وزاد نسبته للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه، ولم ينسبه للنسائي؛ فليستدرك عليه.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ١٩٢ رقم ١١٦١٤) من طريق زيد بن المبارك ثنا موسى عن عبد العزيز ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة؛ قال: أوحت فارس إلى أوليائهم من قريش أن خاصموا محمداً، وكانت أولياءهم في الجاهلية، وقولوا له: إن ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله -قال ابن عباس-: بشمشير من ذهب؛ فهو حرام؛ فأنزل الله هذه الآية: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ} قال: الشياطين فارس، وأولياؤهم قريش".

قلنا: وسنده ضعيف؛ موسى هذا صدوق سيئ الحفظ.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٠٥):ص٧٧/١٢ من طريق موسى به.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

وأخرج الطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٥):ص٧٧/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٤٨)، وابن المنذر وأبي الشيخ؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٩) من طريق عبد الله بن صالح ثنا معاوية بن صالح ثنا

- عن عكرمة؛ قال: "إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم، وكاتبتهم فارس، وكتبت فارس إلى مشركي قريش: أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "قالوا: يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم؛ فتأكلونه، وأما ما قتل ربكم؛ فتحرمونه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه: إنكم إذاً لمشركون".

قلنا: وهذا إسناد حسن، وقد أُعِلّ بضعف عبد الله بن صالح؛ لكن الراوي عنه عند ابن أبي حاتم هو أبو حاتم الرازي، فهو من صحيح حديثه، ورواية علي عن ابن عباس محمولة على الاتصال كما تقدم في أكثر من موضع.

وقال ابن كثير: "وقوله تعالى: { لِيُجَادِلُوكُمْ } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر قال : خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ، ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ }". هكذا رواه مرسلا ...وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

الثاني : أن الآية من الأنعام ، وهي مكية.

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي ، عن محمد بن موسى الحَرَشِي ، عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس. ورواه الترمذي بلفظ : أتى

ناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال : حسن غريب ، رُوي عن سعيد بن جبير مرسلا".[سنن الترمذي برقم (٣٠٦٩)].

وقال الطبراني : حدثنا علي بن المبارك ، حدثنا زيد بن المبارك ، حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } أرسلت فارس إلى قريش : أن خاصموا محمدًا وقولوا له : كَمَا تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله ، عَزَّ وجل ، بشمشير من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام. فنزلت هذه الآية : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } قال : الشياطين من فارس ، وأوليائهم من قريش".[(المعجم الكبير للطبراني (٢٤١/١١)].

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، حدثنا سِماك ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس في قوله : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه. وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ }.

ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم ، عن عمرو بن عبد الله ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، به. [(سنن أبي داود برقم (٢٨١٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٧٣)].

وهذا إسناد صحيح.

ورواه ابن جرير من طرق متعددة ، عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ ، والله أعلم".[تفسير ابن كثير:٣٢٨/٣-٣٢٩].

بسكين من ذهب؛ فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة، وأما ما ذبحوا هم؛ يأكلون، وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد -عليه السلام-، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء؛ فنزلت: {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}"[1]. [ضعيف]

- وروي عن عكرمة -أيضا-: "أن المشركين دخلوا على نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، قالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال: الله قتلها، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}"[2]. [ضعيف]
- وروي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "لما حرم الله الميتة، أمر الشيطان أولياءه، فقال لهم: ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم؛ فقال الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[3]. [ضعيف]
- وروي عن الضحاك في قوله: "{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}: هذا شأن الذبيحة، قال المشركون للمسلمين: تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة، وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم، وحرم عليكم ما ذبح هو لكم، وكيف هذا وأنتم تعبدونه؟ فأنزل الله هذه الآية:

---

(١)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٠٦):ص٧٨/١٢ -: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: قال عمرو بن دينار عن عكرمة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج مدلس.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) ونسبه لأبي داود في "ناسخه".

ثم رأينا الطبري أخرجه في "جامع البيان" (١٣٨٣٥):ص٨٧/١٢: ثنا ابن حميد ثنا يحيى بن واضح ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة به.

قلنا: وهذا مرسل ضعيف جداً؛ للكلام المعروف في ابن حميد؛ بل إن بعضهم اتهمه، فإن توبع عليه عند أبي داود في "ناسخه"؛ فيكون مرسلاً حسناً، والله أعلم.

(٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٠):ص٧٩/١٢ من طريق العوفي عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء..

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} إلي قوله: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[1]. [ضعيف]

- وقال السدي:"إن المشركين قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟! فقال الله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} فأكلتم الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}"[2]. [ضعيف جداً]
- وعن الشعبي :"أنه سئل عن قوله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}؛ فقيل: تزعم الخوارج أنها في الأمراء؟ قال: كذبوا؛ إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون: أما ما قتل الله؛ فلا تأكلوا منه؛ يعني: الميتة،

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٢٤):ص٨٢/١٢: حدثت عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ نا عبيد بن سليمان عن الضحاك.

قلنا: وسنده ضعيف جداً، واه بمرة؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أبو معاذ سليمان بن أرقم؛ متروك.

الثالثة: الانقطاع بين الطبري والحسين بن الفرج.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ، وفاته أنه عند الطبري؛ فليستدرك عليه.

وأخرجه الطبري -أيضاً- (١٣٨١٦):ص٨٠/١٢ من طريق جويبر عن الضحاك قال: قال المشركون: ما قتلتم فتأكلونه، وما قتل ربكم لا تأكلونه؟! فنزلت: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}.

قلنا: وسنده تالف، واه بمرة؛ جويبر؛ ضعيف جداً، وقد اتهمه بعضهم ثم هو معضل.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٢١):ص٨١/١٢: ثنا محمد بن الحسن ثنا أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر عن السدي به، قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط؛ صدوق كثير الخطأ يغرب.

الثالثة: لم نجد ترجمة لمحمد هذا.

وأما ما قتلتم أنتم؛ فتأكلون منه؛ فأنزل الله: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} إلي قوله {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}، قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون "[١]. [ضعيف]

٣٦-{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)} [الأنعام : ١٤٠]

عن عكرمة، قوله: "{ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْسَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} ، قال: نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومُضَر، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى. فإذا كانت الجارية التي تَئِد، غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها:أنت علي كظهر أمِّي إن رجعت إليك ولم تئديها، فتخُدُّ لها في الأرض خدًّا، وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها، ثم يتداولنها، حتى إذا أبصرته راجعًا دستها في حفرتها، ثم سوّت عليها التراب"[٢].

٣٧-{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)} [الأنعام : ١٤١]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدهما: عن أبي العالية؛ قال: "كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا؛ فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}"[٣]. [ضعيف]

---

(١)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٥٠): ثنا علي بن الحسين ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا مالك بن إسماعيل ثنا عيسى بن عبد الرحمن عنه به.

قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد.

(٢) أخرجه الطبري(١٣٩٥٠):ص١٥٤/١٢. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٦٦) ونسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣)أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣/ ١٨٥)، والطبري في "جامع البيان" (١٤٠٣٨):ص١٧٤/١٢،[وفيه:" تبارَوْا فيه".وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦١) من طريق المعتمر بن سليمان ثنا عاصم الأحول عن أبي العالية.

والثاني: عن ابن جريج؛ قال: "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وجد نخلاً، فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة؛ فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}"[1]. [ضعيف جداً]

قال البغوي:" قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية"[2].

والثالث: قال ابن جريج: "وقال آخرون جذ معاذ بن جبل نخله فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء فنزلت: {وَلَا تُسْرِفُوا}"[3].

٣٨-{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)} [الأنعام : ١٤٥]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن طاوس؛ قال: "إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء ويستحلون أشياء؛ فنزلت: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)}"[4].

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٦٩) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(١)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٤٠٤٠):ص١٢/١٧٤ -: ثنا حجاج عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد صاحب "التفسير".

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦٦) من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج: جدّ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- نخلة، فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء؛ فنزلت: {وَلَا تُسْرِفُوا}.

قلنا: وهذا معضل.

(٢) تفسير البغوي:٣/١٩٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٤):ص٥/١٤٦٥.

(٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٧٢) ونسبه لعبد بن حميد. وأخرجه الطبري(١٤٠٧٩):ص١٢/١٩١. بلفظ:"فقال" بدلا من:"فنزلت".

والثاني: قال البغوي:" ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما}، وروي أنهم قالوا: فما المحرم إذا فنزل: {قل} يا محمد {لا أجد في ما أوحي إلي محرما} أي: شيئا محرما"[١].

٣٩-**{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)} [الأنعام : ١٥٠]**

قال الثعلبي:" { قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا}، أي: احضروهم وأتوا بهم، فقالوا: نحن نشهد، فقال الله تعالى: {فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ}، إلى قوله :{ يَعْدِلُونَ} يشركون"[٢].

٤٠-**{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)} [الأنعام : ١٥١]**

قال البغوي:" وذلك أنهم سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال عز وجل:{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ..}"[٣].

٤١-**{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)} [الأنعام : ١٥٧]**

قال البغوي:" وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك: لو أنا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم، قال الله تعالى: {فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ}"[٤].

٤٢-**{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)} [الأنعام : ١٥٩]**

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - فتفرقوا، فلما بعث محمد أنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

---

(١) تفسير البغوي:١٩٨/٣.

(٢) تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.

(٣) تفسير البغوي:٢٠٢/٣.

(٤) تفسير البغوي:٢٠٦/٣.

وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)} "[١]. [ضعيف جداً]

٤٣-{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} [الأنعام : ١٦٠]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-؛ قال:" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صيام الدهر؛ فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} فاليوم بعشرة أيام "[٢]. [صحيح]

والثاني: عن الربيع بن أنس؛ قال: "نزلت هذه الآية: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدون عشر أموالهم، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة"[٣]. [ضعيف جداً]

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٦١):ص٢٦٩/١٢-٢٧٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣٠ رقم ٨١٥٣) بالسند المسلسل بالعوفيين عن عطية العوفي عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً، وقصر السيوطي وعزاه لابن أبي حاتم، وفاته أنه عند الطبري؛ فليستدرك عليه.

(٢)أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/ ١٤٥، ١٤٦)، والترمذي في "سننه" (٣/ ١٣٥ رقم ٧٦٢)، والنسائي في "المجتبى" (٤/ ٢١٩)، و"الكبرى" (٢/ ١٣٤ رقم ٢٧١٦)، وابن ماجه في "سننه" (١/ ٥٤٥ رقم ١٧٠٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣١ رقم ٨١٦٦)، وابن عدي في "الكامل" (٦/ ٢٤٣١)، والبزار في "البحر الزخار" (٩/ ٣٤٥ رقم ٣٩٠٤) من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أبي ذر به.

قلنا: وهذا سند صحيح؛ رجاله ثقات رجال الشيخين.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

وصححه على شرط الشيخين شيخنا الألباني -رحمه الله- في "الإرواء" (٤/ ١٠٢).

قال الدارقطني في "العلل" (٦/ ٢٨٤، ٢٨٥ رقم ١١٤١): "يرويه عاصم بن سليمان الأحول عن أبي عثمان عن أبي ذر، يرويه أصحاب عاصم عنه كذلك. وخالفهم شيبان؛ فرواه عن عاصم وأدخل بين أبي عثمان وبين أبي ذر رجلاً لم يسمه، ورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن أبي هريرة، وحديث أبي ذر أشبه بالصواب".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٤) وزاد نسبته لابن مردويه.

ونقل الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٠٥)، والسيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٤) عنه؛ أنه قال: "هذا حديث حسن".

(٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٩٥):ص٢٨٠/١٢ من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع به.

والثالث: عن عبد الله بن عمر؛ قال: "نزلت هذه الآية في الأعراب: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}؛ قال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)} [النساء: ٤٠] وإذا قال الله لشيء: عظيم؛ فهو عظيم "[١]. [ضعيف]

٤٤-{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)} [الأنعام : ١٦٤]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: نقل ابن عطية عن النقاش :" روي أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك، فنزلت هذه الآية"[٢].

والثاني: نقل البغوي عن ابن عباس: "كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: { وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا..}"[٣].

والثالث: أنها نزلت ردا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بأبيه وبابنه وبجريرة حليفه. ذكره القرطبي[٤].

٤٥-{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)} [الأنعام : ١٦٥]

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أبو جعفر الرازي؛ صدوق سيئ الحفظ.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٩٤):ص٢٨٠/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣٢ رقم ٨١٦٨) من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابن عمر. ولفظه:" نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها في الأعراب، والأضاعف للمهاجرين".

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عطية العوفي؛ صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه..

(٢) المحرر الوجيز:٣٧٠/٢.

(٣) تفسير البغوي:٢١٢/٣، وتفسير القرطبي:١٥٧/٧.

(٤) تفسير القرطبي:١٥٧/٧.

قال مقاتل:" لقولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ما يحملك على الذي أتيتنا به إلا الحاجة فنحن نجمع لك من أموالنا فنزلت: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}"(١).

انتهى الجزء الأول من الكتاب، ويليه الجزء الثاني بإذن الله، وبدايته بيان أسباب نزول سورة «الأعراف».

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٦٠١.

وهذا الخبر مروي عن ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى:{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام : ١٣].

قال الكلبي عن ابن عباس: "إن كفار مكة أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية".

[انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٤، وتنوير المقباس: ٢/ ٧، والكشف والبيان: ١٧٦ أ، وزاد المسير:٣/ ٩ – ١٠].